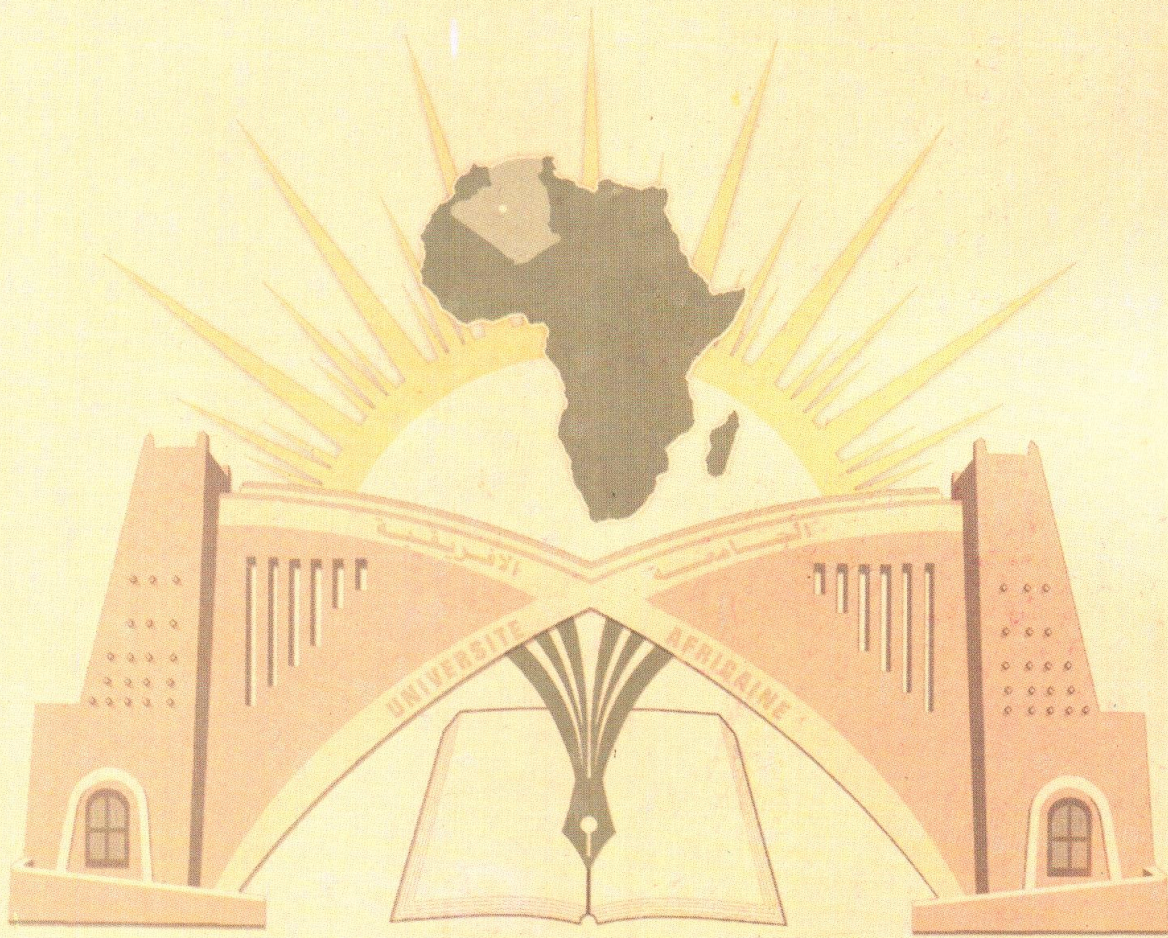


# مجلة الحقيقة



مجلة أكاديمية محكمة تصدر دوريا عن جامعة أحمد دراية أدرار - الجزائر



جامعة أحمد دراية أدرار - الجزائر

العدد الخامس والثلاثون

صفر 1437 هـ / ديسمبر 2015م

رقم الإيداع القانوني: 363 / 2003 - 4210 - 1112 ISSN



# مجلة الحقيقة

## العدد الخامس والثلاثون

### ديسمبر 2015 م

### صفر 1437 هـ

العنوان البريدي: جامعة أحمد دراية- أدرار  
الطريق الوطني رقم 06 أدرار. (01000)  
الهاتف: 049.36.18.50 فاكس: 049.36.18.50 (213)  
البريد الإلكتروني: [adrar.univ@yahoo.com](mailto:adrar.univ@yahoo.com)  
رقم الإيداع القانوني: رقم الإيداع القانوني 363 / 2003  
ISSN 1112- 4210

#### هيئات المجلة

مدير المجلة : أ.د. حمليل صالح ( مدير الجامعة).

نائب مدير المجلة : أ.د. بوكميش لعلى (نائب مدير الجامعة للبحث العلمي).

رئيس التحرير : أ.د. بومدين محمد.

هيئة التحرير:

1- أ.د. بوكميش لعلى

2- أ.د. بومدين محمد

3- أ.د. خلادي محمد الأمين

4- د.مامي فواد

5- د. قالون جيلالي

6- د. مزار يمينة

أمانة التحرير :

1- موحاد مومنة

2- عطوات شهيرة

أعضاء الهيئة العلمية للمجلة

أولاً: من جامعة أدرار :

1- أ.د. ذراع الطاهر (تاريخ)

2- أ.د. بوصفصاف عبد الكريم (تاريخ)

3- أ.د. شوشان محمد الطاهر (علم التربية وعلم النفس)

4- أ.د. اسطبولي محمد (علم الحديث)

5- أ.د. المصري مبروك (فقه)

6- أ.د. دباغ محمد (فقه وأصول)

7- د. بلعتروس محمد ( شريعة وقانون )

8- د.بن زيطة حميدة ( شريعة )

9- د.قصاصي عبد القادر(أدب)

10- أ.د. مشري الطاهر (أدب).

11- أ.د. أحمد جعفري (أدب ) .

12- أ.د. بورصالي فوزي ( إنجليزية).

13- د.بوهانية بشير (إنجليزية).

14- د.وناس يحيى( قانون).

15- أ.د. بن عبد الفتاح دحمان ( علوم تجارية)

16- د.بوسفات علي ( علوم تجارية)

17- د.أقسام عمر (علوم تجارية )

ثانياً من جامعات الوطن

1- أ.د. عوفي مصطفى (علم الاجتماع - جامعة باننة )

2- أ.د. قدي عبد المجيد ( علوم تجارية -جامعة الجزائر)

3- أ.د. ديلة عبد العالي (علم الاجتماع -جامعة بسكرة )

4- أ.د. بلعيد صالح ( ادب -جامعة تيزي وزو)

5- أ.د.بن حمو محمد ( ادب -جامعة بشار)

6- أ.د.زايري بلقاسم (علوم تجارية -جامعة وهران)

- 7- أ.د.رشيد بوسعادة (علم الاجتماع -جامعة بوزريعة)
- 8- أ.د.دراوش رايح (علم الاجتماع -جامعة البليدة)
- 9- أ.د.رايح عبد الله سرير (الإدارة العامة -جامعة الجزائر)
- 10- أ.د.عدمان مريزق ( اقتصاد ومالية -المدرسة العليا للتجارة الجزائر)
- 11- أ.د. بوسعدة عمر (علوم الإعلام والاتصال -جامعة الجزائر 03)
- 12- أ.د. خواجه عبد العزيز (علم الاجتماع -المركز الجامعي غرداية)
- 13- أ.د. بوحنية قوي ( علوم سياسية -جامعة ورقلة)
- 14- أ.د. ديلة فاتح (علوم تجارية -جامعة بسكرة)
- 15- د.شيرة خير الدين (تاريخ -جامعة المسيلة)
- 16- أ.د.جبايلي نور الدين (علم النفس - جامعة باتنة)

ثالثاً : من خارج الوطن

- 1- أ.د.خلوق آغا (أصول الفقه -جامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردن)
- 2- أ.د. وليد العويمر (علوم سياسية ودراسات إستراتيجية -جامعة الحسين ابن طلال الأردن)
- 3- أ.د.فؤاد كريشان (إدارة واقتصاد -جامعة الحسين بن طلال الأردن)
- 4- أ.د. عبد العزيز أبو نبيعة (إدارة أعمال -الأردن)
- 5- أ.د. محمد فالح لحنيطي (الإدارة العامة - الجامعة الأردنية الأردن)
- 6- أ.د. حسين العايد (العلاقات الدولية والعلوم السياسية جامعة الحسين بن طلال الأردن)
- 7- أ.د. سعيد أوكيل(التسيير والتسويق -جامعة الملك فهد السعودية)
- 8- أ.د.حسين عليوي الطائي (الجامعة الإسلامية- بغداد)
- 9- أ.د. سيف الدين حمدتو(علوم قانونية -جامعة شندي السودان)
- 10- أ.د. عوض إبراهيم (الإعلام والاتصال- الجامعة الإفريقية العالمية السودان)
- 11- د. خالد أحمد اسماعيل ( لغة عربية -جامعة غرب كردفان السودان)
- 12- أ.د. عبد الحكيم ناصر العشاوي (جغرافية المدن -جامعة تعز اليمن)
- 13- أ.د. داوود الحديبي( الإقتصاد ومالية وإدارة الاعمال - جامعة العلوم والتكنولوجيا-اليمن)
- 14- أ.د.جمال حلاوة ( إدارة الأعمال - جامعة القدس. فلسطين)
- 15- أ.د.محمد توفيق رمضان (شريعة ومصارف إسلامية- جامعة دمشق سوريا)
- 16- أ.د. سليمان عبد ربه محمد (قسم القيادة والإدارة التربوية- جامعة الخليج البحرين)
- 17- أ.د. زرداني حسان ( علوم قانونية. المغرب)
- 18- د.بن بلقاسم لحبيب ( علوم الإعلام والاتصال -تونس)

## قواعد النشر

تهتم مجلة الحقيقة بنشر الإسهام العلمي الجامعي المتميز في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بشتى فروعها. تقبل للنشر الدراسات والبحوث المتخصصة وفق القواعد التالية:

- 01 - أن يتسم البحث بالأصالة والإسهام العلمي،
- 02 - أن يكون المقال جديداً لم يسبق نشره لدى جهات أخرى، وذلك بتقديم تعهد كتابي ممضى،
- 03 - تخضع جميع المقالات للتقييم والتحكيم العلميين،
- 04 - يجب أن تقدم المقالات في قرص مرن مرفقة بثلاث نسخ أو ترسل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة،
- 05 - يجب إرفاق السيرة الذاتية العلمية لصاحب المقال، مع تحديد الدرجة العلمية والمؤسسة الجامعية ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني،
- 06 - يجب أن لا يتجاوز المقال عشرين صفحة ولا يقل عن عشر صفحات،
- 07 - يجب إرفاق المقال بملخصين: أحدهما باللغة الفرنسية، والآخر بلغة مغابرة (إنجليزية أو فرنسية)، بحيث لا يتعدى كل ملخص ثمانية أسطر كحد أقصى،
- 08 - أن يحرق المقال بخط: Simplified Arabic الحجم 14، والهامش بحجم 10 وبالخط نفسه، وأما المقالات المحررة باللغة الأجنبية فيجب أن تكتب بخط Times New Roman، حجم 12، والهامش بحجم 10، وبالخط نفسه، أما العناوين بخط عريض (Bold, Gras)،
- 09 - أن توضع الهوامش بصفة آلية (حواشي سفلية) جديد لكل صفحة،
- 10 - يجب أن يكون إعداد الصفحة كما يلي: الفراغ بين الأسطر 1سم، وعن اليمين 2.5سم، والباقي 1.5سم،
- 11 - أن يحرق المقال وفق الشروط العلمية والمنهجية، بحيث يتضمن:
  - أ- مقدمة تحتوي على الإشكالية وعناصر الموضوع،
  - ب- العرض وفق التفرع المنهجي (عناصر أساسية وأخرى فرعية أو جزئية) مرتبة ترتيباً تصاعدياً،
  - د- خاتمة تتضمن نتائج البحث، وليس تلخيصاً للبحث،
  - هـ- مصادر ومراجع البحث مرتبة في آخر المقال وفق منهج علمي متبع.

ملاحظات:

- 01 - الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها،
- 02 - لا ترد البحوث المقدمة إلى المجلة سواء نشرت أم لم تنشر،
- 03 - ترتيب المقالات والبحوث ونشرها في المجلة يخضع لاعتبارات علمية وفنية.

الفهرس العام

أ	هينات المجلة	
ج	قواعد النشر	
د	الفهرس العام	
33-01	أ.عبد العزيز ناصري طالبب دكتوراه	المدارس النحوية والاستشهاد بالقرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)
45-34	د.خليفة عبد الحق	وقفات لغوية عند محمد شحرور
72-46	د.فتاحي محمد	مسؤولية الناقل البحري للبضائع في القانون البحري الجزائري وفي إتفاقية هامبورغ
87-72	أ. سعاد شابي	شعرية العتبات النصية في المجموعة القصصية حائط رحمة لعبد الله كروم:
118-88	د. طاهر بن علي	ملاح الحياة الأندلسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال بعض مدونات النوازل
149-119	أ. ضيف محمد الصالح	فقه السياسة الشرعية، أبعاده وتجلياته
169-150	باحث دكتوراه تيرس نوح	المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب
200-170	باحثة دكتوراه ل.م.د. سارة بركات	تطبيق الحوكمة واتفاقية بازل 3 كأحد الحلول لتفادي الأزمات المالية
216-201	أ. كايوية رشيدة	إباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي
240-217	أ.شاوي رياض	دور المجتمع المدني الجزائري في تمتين شبكة العلاقات الاجتماعية
259-241	أ.عبدالله كروم	المبرر وإثبات الذات من ذخيرة التكوين إلى آليات التفكير
284-260	د.قاسي محمد عبد الرحمان	النماذج الإنسانية في الآداب العالمية
303-285	أ.رحماتي محمد أ.بن خالد عبد الكريم	الانتماء التنظيمي أهميته ووسائل تعزيزه لدى العاملين بالمؤسسة
333-304	د.خليد عائشة	دراسة مدى ممارسة الأنشطة المعرفية في مؤسسات التعليم العالي
365-335	د. قرزيز محمود د. يحيواي مريم	الطالب الجامعي وقضاء وقت الفراغ في الجزائر - دراسة ميدانية على عينة طلبة بجامعة برج بوعريبرج -
378-366	د.عبد القادر قصابي	العربية الوسطى من منظور التخطيط اللساني- دراسة في المشهد اللساني العربي
406-379	د. مسعودي محمد	تجارب التكامل الاقتصادي الإقليمي في إفريقيا- دراسة حالة السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا-"COMESA" -

رقم الإيداع القانوني: 2003 /363  
ISSN 1112-4210



11 نهج طالبی أحمد - غرداية

الهاتف / فاكس : (029) 88.36.53  
المنطقة الصناعية : (029) 87.34.34

## المدارس النحوية والاستشهاد بالقرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)

أ.عبد العزيز نصري طالب دكتوراه

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على علاقة القرآن الكريم بالنحو، وكيف كان ظهور اللحن في اللغة عامة وفي قراءة القرآن خاصة، كأحد الأسباب الرئيسية لظهور علم النحو؟ مع توطئة تاريخية للغة العربية قبل ظهور اللحن، ونشأة علم النحو، ثم ظهور المدارس النحوية ونظرتها للقرآن الكريم في تأسيس القواعد النحوية، والدور الذي قام به النحاة الكبار – أئمة القراءات – أمثال: أبو عمرو بن العلاء والكسائي وغيرهم في تأصيل القواعد النحوية، واعتمادهم على القرآن الكريم بمختلف قراءاته – المتواترة منها والشاذة – إلى جانب المعبر من لغات العرب في تعديد قواعد هذا العلم. مع دراسة تطبيقية لبعض مسائل الإعراب القرآنية والتي شكلت محل الخلاف بينهم.

**كلمات مفتاحية:** القرآن الكريم، اللحن، اللغة العربية، النحو.

### Abstract:

#### Grammar Syntax Schools and the Qur'an (Theoretical and Applied Study)

This study attempts to shed light on the relationship between the meaning of Quran and its grammar and syntax. It also follows how melody appears both in language in general and Quoran in particular. Melody is conceived as the primary reason for the rise of the grammar in language and the rise of "readings" in Holy Quoran. The study more or less follows the archeological method in order to reach its findings.

**Keywords:** Quran, melody, Arabic language, syntax as a science.

### مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وعلى آله وأصحابه الخلفاء ومن تبع نهجهم واقتفى أما بعد: فخلال دراستي لبعض تفاسير القرآن اللغوية اطلعت



علب إعراب بعض الآيات القرآنية والاستشهاد لها بالشعر العربي وعرض لآراء النحاة في إعرابها، وجدت أن هناك علاقة وطيدة بين علم النحو والقرآن، وقد قال العلماء: أنه يستحيل على الذي لم يتمكن في العربية أن يفسر القرآن ويستخرج معانيه ومدلولاته، والمتتبع لتراجم وسير المفسرين يجد جلهم نحاة إن لم نقل كلهم، وقد كان أغلب النحويين مفسرين للقرآن، أو لهم قراءة خاصة بهم، كعمرو بن العلاء زعيم المدرسة البصرية في النحو - وهو صاحب قراءة متواترة معتمدة - وهو شيخ أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب غريب القرآن، والكسائي وتلميذه الفراء والذي له أيضاً قراءة خاصة متواترة، وهو من الزعماء والمؤسسين للمدرسة الكوفية في النحو، والتي لها منهج خاص ومحكم في وضع أسس النحو - كما سنعرف هذا لاحقاً - والفراء أحد رواة قراءة حمزة المشهورة، وهو تلميذ له مع شيخه الكسائي، والزمخشري صاحب الكشاف والذي تفسيره من التفاسير اللغوية المهمة، مع كون صاحبه معتزلي ولكن علماء السنة اعتنوا بتفسيره لما فيه من الاستنباطات اللغوية والنحوية والبلاغية المهمة. فاخترت هذا الموضوع كمجال لبحثي المتواضع وهو: علاقة القرآن بالنحو وكيف أهتم به النحاة منذ القدم؟ وإليه يرجع الفضل في نشأة علم النحو، ويتجلى لنا هذا في أن أغلب المقرئين أو جلهم نجدهم نحويين كباراً، كما نجد أغلب النحويين - خصوصاً الأوائل منهم - اهتموا بالقرآن اهتماماً بالغاً.

وقد وضعت خطة دراسية لهذا البحث، انطلقت فيها من اهتمام العرب بلغتهم قبل الإسلام، وتدرجت إلى كيفية نشأة علم النحو وعلاقة القرآن به، ووجدت أن من الأسباب الرئيسية في نشأته يعود إلى الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والضياع، ثم انتقلت إلى المدارس النحوية وموقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم، مع توطئة نظرية للمدارس والعلماء النابغين بها وموقفهم من الاستشهاد بالقرآن على بعض المسائل النحوية المختلفة، وإلى جانب هذا دراسة تطبيقية أذكر من خلالها آراء علماء المدارس النحوية المختلفة في بعض المسائل القرآنية، والتي

شكلت نقطة الخلاف بينهم، ثم تأتي الخاتمة متضمنة لما توصلت له من نتائج، وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

### أولاً: اهتمام العرب بلغتهم قبل الإسلام

كانت البادية العربية في العصر الجاهلي رغم ما فيها من فتن وأعراف فاسدة، كواد البنات والربا وعبادة الأوثان والخمر ولعب القمار، وانتشار الجهل والحروب والتناحر بين القبائل العربية كحرب داحس والغبراء وغيرها من الأعراف الفاسدة، إلى جانب هذا كان العصر الجاهلي يمتاز بمحاسن لا تتكر في تاريخ العرب كالرجولة والكرم وغيرها من مكارم الأخلاق<sup>(1)</sup>، وكان العرب محافظين على لغتهم إلى أبعد الحدود، وكانت السليقة وعدم اللحن والخطأ غير متوقع في ذلك العصر، فطغى الشعر والأدب في البيئة العربية، وكان لكل قبيلة أكثر من شاعر يدافع عنها ويمدحها ويفتخر بها<sup>(2)</sup>، وهذا ما لم يتح الفرصة لظهور علم النحو العربي كعلم مستقل بذاته كما هو اليوم وإلى أنجاء الإسلام ودخل كثير من العرب في الإسلام، وانتقل الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وأسس نواة الدولة الإسلامية الأولى انطلاقاً من المدينة وبدأت الفتوحات الإسلامية في الانتشار خارج الجزيرة العربية.

ولم يكن الإسلام رسالة للعرب خاصة، كما لم يكن القرآن كذلك، بل أنزل الله هذا الدين ليهدي به البشرية جميعاً حيث قال تعالى: **الْمَلِئِمْتِ** وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ **نَبِّ** [سبأ: 28]، فكان من الطبيعي ألا ينحصر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بل امتد إلى غيرها من البلدان الأخرى كفارس والروم وغيرها لفتحها ونشر لواء الإسلام فيها، وهذا ما جعل اللسان العربي ينحرف عن السليقة، وظهر ما يسمى: باللحن في العربية.

<sup>1</sup>-في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى 1991م، ص12

<sup>2</sup>-قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار . محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية،

ومن المعلوم أن القرآن معجزة لغوية بحد ذاتها، فقد نزل بلسان عربي مبين لقوله تعالى: **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴿٢٨﴾ **تَبَّ** [الرُّم: 28]، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى العرب على أن يأتوا بشيء من مثله، ولكنهم عجزوا رغم ما كانوا عليه من فصاحة وبلاغة. والقرآن نزل على سبعة أحرف، واستقرأ غلبه على لغة قريش، لأن جمع عثمان رضي الله عنه كان يركز على حرف قريش، وقد أثرت اللغة العربية بكثير من القواعد والضوابط اللغوية، وكان حجة على اللغة وليست اللغة حجة عليه. وبقي العرب طيلة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والعهد الراشدي وعهد بني أمية على ما هم عليه من سليقة لغوية إلى بداية العصر العباسي وزوال ملك بني أمية، وإن كانت هذه المسألة خلافية بين علماء اللغة في أي وقت ظهر اللحن في اللغة العربية؟ وبعد تتبع هذه المسألة وجدت أن علماء اللغة متفقون أن اللحن في العربية لم يكن في العصر الجاهلي، وإنما بدأ بظهور الإسلام أو بعده بقليل<sup>(1)</sup>، وهذا هو الرأي الراجح في نظري بدليل الأدلة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الواردة عن الصحابة والتي سأذكرها لاحقاً؛ ودخول غير العرب للإسلام وإن كان اللحن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة قليلاً مقارنة بالعصر الأموي والعباسي لأن الفتوحات اتسعت وشملت أقاليم عديدة كفارس وإفريقيا والمغرب وغيرها وكلها أقاليم غير عربية، والله أعلم.

### ثانياً: نشأة علم النحو وعلاقة القرآن به

خلال دراسة نشأة علم النحو، نلاحظ الارتباط الوثيق بينه وبين القرآن، فقد ظهر اللحن في اللغة عامة وفي القرآن خاصة وكان العرب يفزعون عندما يجدون شخصاً يلحن في كلامه، فقد قال الجاحظ وهو عالم لغوي شهير: "وأول لحن

<sup>1</sup> -ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ.

سمع بالبادية: هذه عصاتي<sup>(1)</sup>، وقد وردت في القرآن: **أَمْ كَلِمَاتٍ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكُوا عَلَيْهَا وَأَهْسُوا بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى** ﴿١٨﴾ **تَبَّ** [طه:18]، ولم تأت بلفظ عصاتي، وقد ظهر اللحن أولاً في المدينة ثم انتقل إلى البادية، ويذكر الجاحظ قصة أخرى في اللحن حدثت في مجلس قاضي في بغداد بقوله: "وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد<sup>(2)</sup> رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضرت عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال: فلا رحم الله أباك، ولا نبيح عظم أخيك! قم في لعنة الله!"<sup>(3)</sup>، ونحن نعلم أن اللحن ظهر في المدينة قبل البادية لأن أصحاب البادية كانوا على السليقة، وكان سبب ظهور اللحن عند العرب هو انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول غير العرب إليه، لأن الرسول ﷺ يبعث إلى العرب خاصة وإنما بعث للناس عامة، فدخل الإسلام طائفة من الأعاجم، والذين لا ينتسبون إلى أصل عربي، وتعلموا العربية محاكاة وتقليداً، غير أن ألسنتهم لم تكن تنطق بالعربية الخالصة، وكانت اللكنة الأعجمية تسيطر عليهم، ومن ثم ظهر اللحن، وقد كان بعض كبار الصحابة مثل صهيب

<sup>1</sup>-البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت، طبعة 1423هـ، ج2، ص151

<sup>2</sup>-قصده زياد بن أبيه وهو: أمير ومن دهاة العرب والقادة الفاتحين، وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان العراق، انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، ج3، ص53، والطبقات الكبرى، ابن سعد، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م، ج7، ص99، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، ج3، ص494، وفوات الوفيات، ابن شاکر الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ج2، ص31

<sup>3</sup>-البيان والتبيين، مرجع سابق، ج2 ص152

الرومي<sup>(1)</sup> وسلمان الفارسي<sup>(2)</sup> من غير العرب، وكان اللحن في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة ظاهرة قبيحة تنفر منها الطباع ولا تستريح إليها النفوس، فقد ذكر ابن جني<sup>(3)</sup> في كتابه الخصائص: "أن النبي ﷺ سمع رجلاً قرأ فلحن فقال: ارشدوا أخاكم فإنه قد ضل"<sup>(4)</sup>، وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجلد من وقع في اللحن؛ كأنه إثم لا يكفر إلا بالجلد والتعذيب<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> -صهيب بن سنان بن مالك الرومي، كنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله ﷺ قيل له: الرومي، لأن الروم سبوه صغيراً، فصار ألقب، وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان في لسانه عجمة شديدة، وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ابن سبعين سنة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م، ج3، ص38

<sup>2</sup> -سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، وسئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس، وله قصة طويلة في إسلامه ذكرها ابن الأثير، وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وتوفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر، والأول أكثر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، مصدر سابق ج2، ص515.

<sup>3</sup> -عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو واللغة، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة 392 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج4، ص204، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج17، ص17، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، الففطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م، ج2، ص338، ونزهة الألباء في طبقات الألباء، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985م، ص244

<sup>4</sup> -الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ج2، ص10، والحديث في المستدرک على الصحيحين، تأليف أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990، كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة، رقم الحديث: 3643، ج2، ص477، وهو صحيح.

<sup>5</sup> -القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، الطبعة الثانية: 1978م، دار المعارف مصر، ص48



ولما اتسعت رقعت الدولة الإسلامية وامتدت إلى بلاد فارس والروم ودخل كثير من الأعاجم إلى الإسلام وضعف اللسان العربي بذلك، ومن أجل صيانة كتاب الله من كل تحريف وتغيير، والحرص على أن يبقى كتاب الله هو كتاب العربية الأكبر على الدوام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، — ومن أجل ذلك كله — دعت الحاجة إلى علم يعرف به خطأ الكلام من صوابه، وهو علم النحو، والمتتبع للروايات التاريخية في نشأة هذا العلم، يجد تناقضاً واضحاً بين العلماء والمؤرخين في أول شخص وضع النحو؟ وكذلك في أي عصر وضع؟ وقد ذكر ثلاثة من الرجال هم: أبو الأسود الدؤلي<sup>(1)</sup> ونصر بن عاصم<sup>(2)</sup> وعبد الرحمن بن هرمز<sup>(3)</sup>، ويختلفون في الزمن الذي نشأ فيه علم النحو؟ فبعضهم يقول: أنه نشأ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ وبعضهم يقول: أنه في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ وبعضهم يقول: أنه في زمن زياد ابن أبيه، أي في العصر الأموي؟ ونحن لانريد أن نخوض في هذا الخلاف بين العلماء والمؤرخين؛ لأن المقام لا يسعنا في بحث

<sup>1</sup> أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان الكنايني: واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والتابعين. مات سنة 69 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص236، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص99، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص19، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص48

<sup>2</sup> نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي " النحو ". كان فقيهاً، عالماً بالعربية، من فقهاء التابعين، مات بالبصرة سنة 89 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج8، ص24، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص78، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص23، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج3، ص343

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود، من موالى بني هشام، عرف بالأعرج: حافظ، قارئ، من أهل المدينة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، مات سنة 117 هـ. انظر: الأعلام، مصدر سابق، ج3، ص340، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج5، ص283، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص24، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص172

محدود مثل هذا؛ ونقول أن أكثر الروايات وكتب الطبقات تشير بشكل متواتر إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع علم النحو بأمر من الإمام علي عليه السلام، وهذا الترجيح هو الذي ذهب إليه العالم اللغوي الشهير ابن جنى في كتابه الخصائص حيث قال: "روي من حديث علي عليه السلام مع الأعرابي الذي أقره المقرئ: **اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَتَمَّنِيْتُ اَنَّ اَللّٰهَ بَرِيٌّ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلُهُ رَسِيْبٌ [التوبة:3]**، بالكسر والصحيح بالرفع، حتى قال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟! فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبراً منه. فأنكر ذلك الإمام علي عليه السلام، ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه، مالا يجهل موضعه"، وهذا ابن جنى وهم عالم لغوي شهير يشير إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو، وكان هذا في منتصف القرن الأول الهجري. وقيل سمي بالنحو لأن الإمام علي عليه السلام، قال لأبي الأسود حين بدأ في وضع قواعده: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت"<sup>(1)</sup>.

وهكذا ظهر علم النحو كعلم مستقل وأصبح له أعلام ومدارس فيما بعد، وكانت أهم مدرستين اعتمد عليها العلماء في تقعيد قواعده هي: مدرسة البصرة والكوفة وسنعرّف هذا لاحقاً، وكثير التأليف والتقعيد لهذا العلم، وكان من أهدافه الأساسية حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم من اللحن والخطأ حتى يفهم كلام الله فهما صحيحاً وتكون أحكامه المستنبطة سليمة، ولا يتم ذلك إلا بوضع قواعد تضبط اللغة العربية وهو علم النحو، ولهذه الأهمية نبه العلماء على أهمية اللغة العربية وأصبحت شرطاً من شروط المفسر، ومن أراد الخوض في التفسير والقرآن لابد له من التمكن في العربية.

### ثالثاً: المدارس النحوية وموقفها من الاستدلال بالقرآن الكريم

**1 - المدرسة البصرية:** إن الحديث عن المدرسة البصرية هو الحديث عن النحو العربي منذ النشأة<sup>(2)</sup>، ويكاد الدارسون يجمعون على أن علم النحو نشأ لحفظ اللغة

<sup>1</sup>-القران الكريم واثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق، ص52. وانظر: الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص10

<sup>2</sup>-دروس في المذاهب النحوية، د عبده الراجحي، دار النهضة بيروت، ص9

والقرآن الكريم من اللحن، وقد اعتمد البصريون طائفة من المصادر في إقامتهم للنحو ووضعهم لقواعده وأأسسه، وكان القرآن الكريم من أهم المصادر عندهم، وكانوا يأخذون بالقراءات بصفة عامة حتى الشاذة منها، إلا أنهم ضعفوا بعض القراءات غير الموافقة لمذهبهم، ولم يستشهدوا بالحديث الشريف لأن أغلبه مروى بالمعنى، وكان ضمن رواته كثيراً من الأعاجم<sup>(1)</sup>، ويعد الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي أحد المصادر الأساسية التي اعتمد عليها نحاة البصرة في وضع القواعد، وكذلك اعتمدوا على الذهاب إلى البادية وأخذ اللغة من العرب الذين لم تفسدهم الحضارة، وحددوا بعض القبائل العربية دون سواها، نحو: قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيء، وكان أكبر علماء المدرسة البصرية: ابن أبي اسحاق الحضرمي<sup>(2)</sup> وتلاميذه يونس بن حبيب<sup>(3)</sup> وعيسى بن عمر الثقفي<sup>(4)</sup> وأبو

<sup>1</sup>- النحو العربي - تاريخه - أعلامه - نصوصه - مصادر، د محمد سليمان ياقوت، طبعة: 1994م، دار المعرفة الجامعية القاهرة. ص40

<sup>2</sup>- هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان قيميًا بالعربية والقراءة، إمامًا فيهما، ويقال إنه أول من علل النحو، وتوفي بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، انظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص28، والطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج7، ص254، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص104، ووفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: 1، 1994، ج6، ص390

<sup>3</sup>- يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي: علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، ولد سنة 90 هـ، وتوفي سنة 182 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج7، ص244 والأعلام، مصدر سابق، ج8، ص261، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص47، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص74

<sup>4</sup>- عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان: من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه، توفي سنة 149 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص486، والأعلام، مصدر سابق، ج5، ص106، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج7، ص200، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص376

عمرو بن العلاء<sup>(1)</sup> والخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(2)</sup> وتلميذه سيبويه<sup>(3)</sup> الذي له الكتاب في العربية، ويعد هذا الكتاب من أهم ما ألف في علم النحو، لأنه ظل المرجع للنحاة في كل العصور، وكان القدماء يضعونه في المقام الأول، فقد قال أبو عثمان المازني: "من أراد أن يعمل كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"، وقال السيرافي: "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده". وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركب البحر؟ تعظيماً واستصعاباً له"، وقال الجاحظ: "أردت أن أهدي هدية إلى عبد الملك وزير المعتصم فلم أجد شيء أشرف من كتاب سيبويه"<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى نصر بن عاصم الليثي، وعنبسة بن معدان الفيل<sup>(5)</sup>، وعبد الرحمان بن هرمز،

<sup>1</sup>- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري، واسمه العريان؛ أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وإمام البصرة في النحو، توفي سنة 154 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص466، وفوات الوفيات، مصدر سابق، ج2، ص28،

وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج6، ص407، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص131

<sup>2</sup>- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمامي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذ من الموسيقى وكان عارفاً بها، وهو أستاذ سيبويه النحوي وله كتاب العين، توفي سنة 170 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص244، و الأعلام، مصدر سابق، ج2، ص314، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج7، ص429، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج1، ص376

<sup>3</sup>- هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ وسيبويه لقب له، ومعناه بالفارسية "رائحة التفاح". ويقال: إن أمه كانت ترقصه وهو صغير به، توفي سنة 180 هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص244، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج8، ص351، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص346، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص54

<sup>4</sup>- البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثامنة 2003م، ص124، وانظر: اثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د محمد سمير نجيب اللبدي، الطبعة الاولى 1978م، دار الكتب الثقافية الكويت. ص91 وانظر: القرآن وأثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق، ص90

<sup>5</sup>- فهو عنبسة بن معدان، ولقب بالفيل: لأن أباه كان يروض فيلاً للحجاج بن يوسف فغلب عليه اللقب وانتقل إليه، انظر ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص381، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء،

والأخفش الأكبر<sup>(1)</sup> وكذلك قطرب تلميذ سيبويه<sup>(2)</sup>، وأبي العباس بن يزيد المبرد<sup>(1)</sup> والزجاج<sup>(1)</sup>، وكان أهم كتاب نحوي ألف في المدرسة البصرية ووصلنا لنا هو "الكتاب" لسيبويه.

مصدر سابق، ص22، وطبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف، ص29

<sup>1</sup> - وهو من شيوخ سيبويه، وهناك ثلاثة علماء نحويين كبار يلقبون بهذا الاسم: الأخفش الكبير هو: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل حجر، وهو شيخ سيبويه وأبي عبيده وغيرهما، والأوسط هو: سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، والصغير هو: علي بن سليمان تلميذ المبرد وتعلب، فعندنا الأخفش الأكبر والأوسط والأصغر، قال ابن كثير: (وسعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب في معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخب على الخليل، وسمي الأخفش: لصغر عينيه وضعف بصره، وكان أيضاً أديباً، وهو الذي لا يضم شفثيه على أسنانه، وكان أولاً يقال له: الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري، شيخ سيبويه وأبي عبيدة، فلما ظهر علي بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط، والهجري الأكبر، وعلى ابن سليمان الأصغر. وقيل توفي سنة 221 هـ، انظر ترجمته في: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م، ج10، ص293، وطبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص40، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص108، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص36

<sup>2</sup> - هو محمد بن المستنير، يعرف بقطرب، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وهو من تلاميذ سيبويه وهو الذي أطلق عليه هذا الاسم حيث كان دائماً يستيقظ قبله، ويمتاز بالنشاط والهمة العالية في طلب العلم والتحصيل، وقطرب دويبة تبكر في السعي طلباً للرزق، قال ابن منظور: (القطرب: دويبة كانت في الجاهلية، يزعمون أنها ليس لها قرار البتة؛ وقيل: لا تستريح نهارها سعيًا... وقطرب: لقب محمد بن المستنير النحوي، وكان يبكر إلى سيبويه، فيفتح سيبويه بابه فيجده هنالك، فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب قطرباً لذلك، انظر ترجمته في: لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، ج1، ص683، وطبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص99، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج3، ص213، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص76

<sup>1</sup> - أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد أي "المثبت للحق" وهو إمام أهل البصرة في العربية، ومن آثاره: "الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف" و "المقتضب في النحو"، وغيرهما، انظر ترجمته



## أ - البصريون والاستشهاد بالقرآن الكريم:

1 - قال تعالى: **تَمَلَّيْتُمْ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** (النساء: 170)، يرى الخليل بن أحمد وسيبويه أن "خيرًا" في الآية الكريمة مفعول به لفعل محذوف تقديره "واتوا خيرا لكم"، بينما يرى الكوفيون أنها خبر لفعل ناقص تقديره يكن أي "فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم"، ولا يخفى بأن رأي الكوفيين باعتبار الكلمة خبرًا لكان المحذوفة مع اسمها يتناسب مع المعنى ويكشفه، ولكنه كما عراب يتضارب مع قواعد اللغة، لأن التقدير له حالات مخصصة ولا نستطيع أن نطلق العنان لأنفسنا في هذا المجال<sup>(2)</sup>. وعلى هذا يكون رأي المدرسة البصرية هو الراجح في إعراب هذه الآية الكريمة، فنصب كلمة "خيرًا" اتفق عليه أئمة النحو، ولكن الخلاف وقع في المحذوف والتقدير، والله أعلم.

في: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص101، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج3، ص241، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص164، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج4، ص313

<sup>1</sup>- هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، وصنف مصنفات كثيرة؛ منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وكتاب فعلت وأفعلت، والرد على ثعلب في الفصيح؛ إلى غير ذلك، ولقب بالزجاج؛ لأنه كان في حدائته يخرط الزجاج فنسب إليه وهو من تلاميذ المبرد، انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص111، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج1، ص194، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص183، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج1، ص49، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى 2005م-1426هـ، ص92 بتصرف

<sup>2</sup>- الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، ج6، ص251

2- قال سيبويه في الكتاب: أن الحروف المقطعة في أوائل السور هي أسماء لها تميز بعضها عن بعض، ف:"الم" غير "حم" وهكذا<sup>(1)</sup>. والحروف المقطعة: هي نصف حروف الهجاء التي تبدأ بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم مثل: الم، كهيعص، طه وما إلى ذلك، وفيها إشارة إلى إعجاز القرآن، فقد وقع به تحديّ المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. ومن المعلوم أن الحروف المقطعة مسألة خلافية كبيرة، ولا يمكن التعرض لها في بحث محدود مثل هذا.

3 - قال سيبويه: "إذا تكلم عربي في الإمامة في المنسوب بغير ما تكلم به عربي آخر، فلا تظن أنه مخطئ" فهو لا يخطئ العربي أياً كان، والقراءة لاتُخالف لأنها سنة<sup>(2)</sup>.

4 - قال سيبويه: في القراءة الشاذة: وزعموا أن بعضهم قرأ: "وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ" وهي قليلة كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك: مَنْ فَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَأحُ<sup>(3)</sup> جعله بمنزلة - ليس - فهي منزلة - لات - في هذا الوجه<sup>(4)</sup>.

أما هذه القراءة الشاذة فهي قراءة عيسى الثقفي، ووجهها سيبويه، ولم يخطئها، وهذا مذهبه في التعامل مع القرآن الكريم، فهو يحاول دائماً توجيه القراءة دون

<sup>1</sup>-الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، ج3، ص258

<sup>2</sup>-منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين، د سليمان يوسف خاطر، طبعة 2004م، دار ابن الجوزي عمان الاردن. ص 285

<sup>3</sup>-سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية، انظر: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الأمدي، المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م، ص172

<sup>4</sup>-منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، مصدر سابق، ص286، وانظر: الكتاب، لسيبويه، مصدر سابق، ج1، ص58

الطن فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأنها تفيدنا في التفسير وكشف المعنى، وتعامل مع هذه القراءة الشاذة بقوله: وهي قليلة، واستشهد لها بهذا البيت الشعري ولم ينفها، لأن المذهب النحوي يقتضي أن يأتي "الحين" مع "لات" منصوباً ويكون اسمها مضمراً، وهذه القراءة الشاذة: "وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ بِرَفَعِ الْحِينِ" على أنه اسم "لات"، والخبر محذوف؛ والتقدير: ولات حين مناص كائنًا لهم<sup>(1)</sup>، وهي نادرة في كلام العرب ولكنها وردت في هذا البيت الشعري الذي ذكره سيبويه وهذا تخريج لها. أما القراءات لهذه الآية الكريمة وتوجيهها النحوي وتفسيرها فقراءة "وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ" بخفض "حين"؛ وهي قراءة شاذة، فزعم الكوفيون أن "لات" تستعمل حرفاً جازماً لاسم الزمان خاصة. فتحصّل في "حين" ثلاث قراءات: الرّفْع، والنّصْب، والجرّ؛ وفي الرّفْع ثلاثة أقوال: إما على الابتداء، أو على الاسميّة لـ "لات" إن كانت عاملة عمل ليس، أو على الخبريّة لها إن كانت عاملة عمل "إن"، وفي النّصْب ثلاثة أقوال - أيضاً - : إما على الاسميّة لـ "لات" إن كانت عاملة عمل "إن"، أو على الخبريّة لها إن كانت عاملة عمل "ليس"، أو على أنّه مفعولٌ بفعلٍ محذوف تقديره: لا أرى حين مناص<sup>(2)</sup>. وقال مكي بن أبي طالب في تفسير هذه الآية: **أَتَمَّيْمَتٍ كَرَّ أَهْلُكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَوَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ** ﴿٣﴾ **نَبِيٍّ** [ص:3]، أي: وليس ذلك الوقت حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة لأنه أوان لا تتفع فيه التوبة. "ولات" حرف مشبه بليس، والاسم في الجملة مضمّر، "أي: ليس" حينكم حين مناص، وهذا مذهب سيبويه، والتاء دخلت لتأنيث الكلمة، وحكي أن من

<sup>1</sup>-القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود محمد الصغير، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 1999م، ص115

وص441 بتصرف

<sup>2</sup>-اللمحة في شرح الملحّة، شمس الدين، ابن الصانع، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ناشر: عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م ج1،

ص487

العرب من يرفع بها، وهو قليل على حذف الخبر، ومناص: مَفْعَلٌ من ناص ينوص إذا تأخر. فالنوص التأخر، والبوص التقدم<sup>(1)</sup>.

5 - قال سيبويه: قرأ ناس: "السارق والسارقة" و "الزانية والزاني" بالنصب مع أنها قراءة شاذة وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع<sup>(2)</sup>. ويرى أن خبر المبتدأ محذوف وتقديره "فيما أتلوه" وكذلك في آية الزنى، بينما يرى غيره أن الخبر هو "فاقطعوا". يريد بالعامة الجماعة من الرواة والقراء، والاختيار عنده النصب، لأن الأمر بالفعل أولى، فهو عنده مثل "زيداً فاضربه"، ولا يجوز سيبويه أن يكون الخبر قوله: فاقطعوا، لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشرط. والموصول هنا: أل، وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند سيبويه. وخُلف في ذلك فقال الكوفيون في الآية: **تَمَلَّيْمِ السَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا رَبِّ [المائدة:38]**، الرفع أولى، أن يكون والسارق والسارقة مبتدأ، والخبر جملة الأمر، أجروا أل وصلتها مجرى الموصول المذكور، لأن المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي سرق والتي سرت؛ لأنك لا تقصد إلى سارق بعينه، وإنما المعنى: كل من سرق فاقطعوا يده، وقال أبو العباس المبرد وهو قول جماعة من البصريين، اختار أن يكون "والسارق والسارقة" رفعاً بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل: قولك زيدا فاضربه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده، فجاء بالفاء رابطة للجملة الثانية، فالأولى موضحة للحكم المبهم في الجملة الأولى، قال الزجاج: وهذا القول هو المختار.

<sup>1</sup>-الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ج10، ص6201

<sup>2</sup>-منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، مصدر سابق، ص290

ودافع أبو حيان في تفسيره على سيبويه بقوله: ولما كان معظم القراء على الرفع، تأوله سيبويه على وجه يصح، وهوأنه جعله مبتدأ، والخبر محذوف، لأنه لو جعله مبتدأ والخبر فاقطعوا لكان تخريجا على غير الوجه في كلام العرب، ولكن قد تدخل الفاء في خبر أل وهو لا يجوز عنده. وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر المدعو بالفخر الرازي ابن خطيب الري على سيبويه وقال عنه ما لم يقله فقال: الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء، ويدل على فساده وجوه: الأول: أنه طعن في القراءة المنقولة بالمتواتر عن الرسول ﷺ، وعن أعلام الأمة، وذلك باطل قطعاً. قلت: هذا تقول على سيبويه، وقلة فهم عنه، ولم يطعن سيبويه في قراءة الرفع، بل وجهها التوجيه المذكور... فمعنى كلام سيبويه يقوي الرفع على ما ذكر، فكيف يكون طاعناً في الرفع؟ وقال الفخر الرازي: فإن قلت: - يعني سيبويه- لا أقول إن القراءة بالرفع غير جائزة، ولكني أقول: القراءة بالنصب أولى، فنقول له: هذا أيضا رديء، لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسول ﷺ وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمر منكر مردود. قلت: هذا السؤال لم يقله سيبويه، ولا هو ممن يقوله، وكيف يقوله وهو قد رجح قراءة الرفع على ما أوضحناه؟ وأيضا فقوله: لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسول ﷺ وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين تشنيع وإيهام أن عيسى بن عمر قرأها من قبل نفسه، وليس كذلك، بل قراءته مستندة إلى الصحابة وإلى الرسول ﷺ، فقراءته قراءة الرسول ﷺ أيضا، وقوله: وجميع الأمة، لا يصح هذا الإطلاق لأن عيسى بن عمر ومن وافقهما وأشياخهم الذين أخذوا عنهم هذه القراءة هم من الأمة<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر هذا الكلام والردود لأبي حيان في تفسيره على الفخر الرازي الذي طعن في سيبويه، وهو كلام طويل: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ، ج4، ص248



والقراءة الشاذة "والسارق والسارقة" هي قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود وعيسى بن عمر الثقفي، وقرأ ابن مسعود "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم" بلفظ الجمع، وهي شاذة ولكن تفيدنا في التفسير وكشف المعنى المراد من الذكر الحكيم، وتخريجها صحيح من الناحية اللغوية، وسيبويه فضل النصب على الرفع لتوافق مذهبه في النحو، والعامّة من النحاة فضلوا القراءة الصحيحة المتواترة بالرفع؛ لأنه في الآية لا يقصد سارقاً محدداً بعينه، ولو قصد سارقاً بعينه كان النصب أولى، وكذلك الأمر بالنسبة للقراءة للشاذة: "الزانية والزاني" (1).

6 - يرى الأخفش في قوله تعالى: **الْمُتَلِمَاتِ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ** **أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (النساء:18)، أن اللام في الآية للابتداء، والذين في موقع مبتدأ وخبره الجملة التي بعده، وقد رُد عليه بأن اللام رسمت في المصحف "لا" فلا تكون للابتداء، كما لا يكون لفظ "الذين" مبتدأ. ويرى في قوله تعالى: **الْمُتَلِمَاتِ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّ الْمُؤْمِنُونَ** (الروم:4)، أن "إذ" ليست مبنية وإنما هي معربة لزوال افتقارها إلى الجملة وأن الكسرة إعراب، لأن "اليوم" مضاف إليه (2).

7 - يرى المبرد جواز دخول لام الابتداء على أن المفتوحة الهمزة ويستدل بقراءة سعيد بن جبير الشاذة: "إلا أنهم ليأكلون الطعام"، والقراءة المتواترة: **الْمُتَلِمَاتِ إِلَّا** **إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ** (الفرقان:20)، وتعصب المبرد إلى مذهبه النحوي على حساب هذه القراءة الشاذة؛ وجميع النحويين إذا دخلت اللام لم يكن في "إن" إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضا إلا الكسر لأنها مستأنفة في الآية، ووصفوا ذلك بالغلط القبيح من المبرد؛ واستشهدوا بقول كثير عزة:

1-القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، مصدر سابق، ص177وص472 بتصرف

2-أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق، ص 98

مَا أَعْطَيْانِي وَلَا سَأَلْتُهُمَا إِلَّا وَأَنْتَ لِحَاجِزِي كَرَمِي<sup>(1)</sup>

8 - نجد قطرب يصنع كتاب في الإعراب وينسب إليه، ويرى من القواعد ما يؤيدها بالآيات الكريمة، ومن ذلك ما يراه من مجيء "أن" بمعنى "قد"، ويحتج لرأيه بقوله تعالى: **أَتَمَلَّيْتُمْ فَذَكَرْنَا نَفَعَتِ الذِّكْرَى** ﴿٩﴾ **رَبِّ** [الأعلى:9]، أي قد نفعت الذكرى<sup>(2)</sup>.

9 - منع الكوفيون دخول اللام على حرف التنفيس، وغلطهم البصريون لوروده في قوله تعالى: **أَتَمَلَّيْتُمْ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴿٥﴾ **رَبِّ** [الضحى:5]<sup>(3)</sup>.

10- ذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً؛ واحتجوا بقوله تعالى: **أَتَمَلَّيْتُمْ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ رَبِّ** [النساء:90]، فحصرت فعل ماض وهو في موضع حال، وأما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز أن يقع حالاً، وخرجوا الآية تخريجات منها: أنه خبر بعد خبر كأنه قال: "أَوْ جَاءَكُمْ"، ثم أخبر فقال: "حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ"<sup>(4)</sup>.

2 - **المدرسة الكوفية**: أتت هذه المدرسة بعد مدرسة البصرة وتعد هذه الأخيرة الأصل والكوفة الفرع، وسبقت مدرسة البصرة الكوفة بمئة سنة تقريباً، ونشأت بعد ما تطورت المدرسة البصرية ووصلت إلى القمة. وقد أخذت الكوفة الكثير من القواعد والأصول من المدرسة البصرية، وأعيان العلماء الأوائل في المدرسة

<sup>1</sup>- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق، ص100، والبيت لكثير عزة، وهو كثير بن عبد الرحمن، من قصيدة له يمدح فيها عبد الملك بن مروان بن الحكم وأخاه عبد العزيز بن مروان، انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980 م، ج1، ص353، بتصرف.

وانظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، مصدر سابق، ص433

<sup>2</sup>- المدارس النحوية، د شوقي ضيف، الطبعة السابعة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص111

<sup>3</sup>- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص67

<sup>4</sup>- القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق، ص121

الكوفية تتلمذوا على البصريين، أمثال الكسائي<sup>(1)</sup> الذي هو عميد المدرسة فقد أخذ عن الخليل، والرواية تقول أن الكسائي لقي الخليل فقال له: "من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ثم قدم البصرة، فوجد الخليل قد ما توفي موضعه يونس بن حبيب، فجرت بينهما مسائل، أقرله فيها يونس وصدده في موضعه"<sup>(2)</sup>. وأقبل الطلاب على علماء الكوفة يأخذون عنهم النحو، ويتلقون عليهم مسائله وأصوله، وأصبح للكوفيين منهج خاص، تكوّن بعد طول النظر وكثرة الجدل، ومن أجل هذا المنهج الكوفي المغاير في بعض أسسه للمنهج البصري، نشأ الخلاف بين المدرستين، واحتدم النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أنصار وأتباع.

أما بالنسبة للاستشهاد فكانت مدرسة الكوفة مثل مدرسة البصرة إلا أنها توسعت أكثر منها بكثير، فاستشهدت بالقرآن الكريم وبلهجات عرب قبائل الأرياف، في حين رفض البصريون الاستشهاد بها، واستشهدوا بالشعر الجاهلي والإسلامي والأموي واستكثروا من الاستشهاد بالقراءات حتى الشاذ منها، لأنها تقوم على الرواية والنقل، وبنوا كثيراً من القواعد النحوية عليها<sup>(3)</sup>. وكان من أكبر علماء

<sup>1</sup>- على بن حمزة أبو الحسن الأسدّي المعروف بالكسانتالنحويّ، فارسي الأصل، سئل عن تلقّيه بالكسائي فقال: (لأنّي أحرمت في كساء)، وقيل في السبب غير هذا، نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، وذلك لأنه حادث قوما من الهباريين لحنوه فأنف من التخطئة، وقام من فوره وطفق يتعلم النحو، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه تلقاء البصرة فتلقى عن عيسى، وكان الكسائي إماما في فنون عديدة: النحو والعربية وأيام الناس، وقرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص 127، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص 58، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج 2، ص 256، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج 3، ص 256

<sup>2</sup>- نشأة النحو، مصدر سابق، ص 15

<sup>3</sup>- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د مهدي المخزومي، الطبعة: الثانية 1958م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص 78

الكوفة الرؤاسي<sup>(1)</sup> صاحب كتاب "الفيصل" في النحو، وسيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فالى الرؤاسي يرجع بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفاً، فهو رأس الطبقة الأولى الكوفية، وكتابه أول مؤلف في النحو بالكوفة، ومن أكبر علمائها أيضاً الكسائي وعلى يديه تكاثرت الفوارق بين المذهبين البصري والكوفي لأسباب عديدة، وله المناظرة المشهورة مع سيبويه "المسألة الزنبورية"، والتي يقال أنها كانت السبب في وفاة سيبويه، وهي مسألة خلافية مشهورة في تاريخ النحو العربي، وتوضح لنا صورة من صور التنافس بين المدرستين، ويمثل كل مدرسة رئيسها، فسيبويه من مدرسة البصرة، والكسائي من مدرسة الكوفة.

وقد حفلت بها كتب العلم والأدب، واهتم بها علماء التراجم والطبقات، وذكرها أبو البركات الأنباري في الإنصاف بقوله: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو إياها، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن يقال: فإذا هو إياها، ويجب أن يقال: فإذا هو هي". والقصة طويلة وخلافية بين علماء النحو؛ والمقام لا يسع لبسطها<sup>(2)</sup>. ومات الكسائي هو ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبو حنيفة في سنة واحدة فقال الرشيد: "اليوم دفنت الفقه والنحو جميعاً".

<sup>1</sup> - وهو أبو جعفر محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، نشأ بالكوفة وورد البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره من علماء الطبقة الثانية البصرية، ثم قفل إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكونت الطبقة الأولى الكوفية، وتوفي في عهد الرشيد. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص125، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص50، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج4، ص105، والأعلام، مصدر سابق، ج6، ص271

<sup>2</sup> - انظر المسألة الزنبورية في: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2003م، ج2، ص576، وطبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص68، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق، ج2، ص358

ومن تلاميذ الكسائي الفراء: وهو أحد أعيان مدرسة الكوفة<sup>(1)</sup> وكذلك اللحياني<sup>(2)</sup> وابن سعدان<sup>(3)</sup>، ومن أشهر علماء الكوفة: أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب<sup>(4)</sup>. وكان أهم كتاب نحوي في المدرسة الكوفية هو كتاب "معاني القرآن

<sup>1</sup> - وهو أبو زكريا يحيى بن زياد، مولى بني أسد، لقب بالفراء لأنه: كان يفري الكلام. ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن الكسائي وغيره، وتبحر في علوم متنوعة، فكان فذاً في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: (الفراء أمير المؤمنين في النحو)، ولازم المأمون وكتب له كتاب "الحدود في النحو"، وهو الذي قال: (أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها ترفع وتنصب وتخفض. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص131، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص81، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج4، ص7، والأعلام، مصدر سابق، ج4، ص277

<sup>2</sup> - وهو أبو الحسن علي بن المبارك من بني لحيان، أخذ عن الكسائي وغيره، وله كتاب "النوادر". انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص195، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص137، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج2، ص255، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج1، ص137

<sup>3</sup> - وهو أبو جعفر الضرير محمد بن سعدان، نشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي معاوية الضرير وغيره، ثم اشتهر بالعربية والقراءات، وصنف كتاباً في النحو. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص139، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص129، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج4، ص244، وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3، ص89

<sup>4</sup> - أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد النحوي الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب شيخ أديب بارع، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، قرأ على ابن الأعرابي والزيبر بن بكار، وكان الشيوخ يقدمونه عليهم وهو حديث السن لعلمه وفضله، وهو صاحب كتاب "الفصيح" في اللغة، وسمي بثعلب لأنه: كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فثبتهو بالثعلب إذا أغار، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه كثيراً، وقال بعد ذكر جماعة ممن روى عنه: كان ثقة حجة دينا صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم، وأصيب بالصمم في نهاية حياته، وقيل: كان هو السبب في موته لما يحكى أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدته فرس فألقته في هوة فأخرج منها وهو كالمختلط فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه، فمات ثاني يوم. انظر: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص141، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصدر سابق، ص173، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، مصدر سابق، ج1، ص176، ووفيات الأعيان، مصدر سابق، ج1، ص102



للفراء". وكانت هناك خلافات كبيرة بين المدرستين البصرية والكوفية، وهذا نظراً لعدة عوامل من بينها الافتخار بالتفوق في العلم في مجالس الخلفاء، وكان الجانب السياسي له دور كبير في الاختلاف، فالكوفة كانت معقل وعاصمة الخلافة في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت البصرة من المؤيدين لعثمان عليه السلام والأمويين بعد تأسيس الدولة ومقتل علي عليه السلام، ثم انتعشت المدرسة الكوفية بعد دعوة بني العباس وكان مركزهم الأول في الكوفة قبل الانتقال إلى بغداد وجعلها عاصمة للخلافة.

#### أ - الكوفيون والاستشهاد بالقرآن الكريم:

1 - "من" تستعمل في الزمان كما تستعمل في المكان عند الكوفيين واستدلوا بقوله تعالى: **تَلَسَّيْتُمْ لِمَسْحَدِ أُسَيْسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّ [التوبة: 108]**، فدخلت "من" على "أول يوم" وهو ظرف زمان. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز استعمالها في الزمان، وقالوا: أجمعنا على أن "من" في المكان نظير مُذ في الزمان؛ لأن من وضعت لتدل على ابتداء الغاية في المكان؛ كما أن مُذ وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان، ألا ترى أنك تقول: "ما رأيته مُذ يَوْمِ الْجُمُعَةِ" فيكون المعنى أن ابتداء الوقت الذي انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة، كما تقول: "ما سرتُ من بغداد" فيكون المعنى ما ابتدأت بالسير من هذا المكان، فكما لا يجوز أن تقول "ما سرت مُذ بغداد" فكذلك لا يجوز أن تقول "ما رأيته من يوم الجمعة". أما احتجاجهم بالآية، فلا حجة لهم فيها؛ لأن التقدير فيها: من تأسيس أول يوم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ورفض البصريون كل النصوص التي تدل دخولها على الزمان، واتخذوا من التأويل سبيلاً لذلك، خلافاً للكوفيين الذين يجيزون دخولها على الزمان، وقد تعصب ابن الأنباري إلى رأي البصريين، والحق مع الكوفيين، فهم لم يقولوا إن "مذ" يجوز أن تكون لابتداء الغاية المكانية، واقتصر "مذ" على الزمان لا يلزم بأن تقتصر "من" على المكان، وليس من الضروري يتناظرهما على ابتداء الغاية أن يتناظرا في كل شيء. والذين لا

يجيزون دخول "من" على الزمان يحجرون على الناس القول: صمت من أول الشهر إلى آخره، وعملنا من الصباح إلى المساء، ونحو ذلك، ولا وجه لهذا التقييد، ولسنا ندري على أي وجه يبيحون القول: سرت من مكان كذا إلى مكان كذا، ولا يجيزون سرت من الصباح إلى المساء، وكل حدث يمتد في الزمان كامتداده في المكان<sup>(1)</sup>.

2 - قال تعالى: **الْمَلَكِيمِ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَوْجَابَ يَرْبِّصَنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** [البقرة:234]، يرى الكسائي في قوله: "أن يتربصن" جرى خبراً عن الاسم الذي تقدم في صلة الموصول لأن الغرض من الكلام: أن يتربصن هنّ. وقال العكبري: في هذه الآية أقوال: أحدها: أن الذين مبتدأ؛ والخبر محذوف تقديره: وفيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم، وقوله: "يتربصن" بيان الحكم المتلو. وهذا قول سيبويه، أي رأي المدرسة البصرية.

والثاني: أن المبتدأ محذوف، والذين قام مقامه، وتقديره: وأزواج الذين يتوفون منكم، والخبر "يتربصن"، ودل على المحذوف قوله: ويذرون أزواجاً. والثالث: أن الذين مبتدأ، و "يتربصن": الخبر، والعائد محذوف تقديره: يتربصن بعدهم، أو بعد موتهم. والرابع: أن الذين مبتدأ، وتقدير الخبر أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ، ويتربصن الخبر، فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه. والخامس: أنه ترك الإخبار عن "الذين"، وأخبر عن الزوجات المتصل ذكرهن بالذين، لأن الحديث معهن في الاعتداد بالأشهر، فجاء الإخبار عما هو المقصود؛ وهذا قول الفراء<sup>(2)</sup>، أي رأي المدرسة الكوفية.

<sup>1</sup>-انظر هذه المسألة والتوجيهات والردود في: النحويون والقرآن، خليل الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002م، ص24، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص306، والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر

: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص660

<sup>2</sup>-التبيان في إعراب القرآن، مصدر سابق، ج1، ص187

3 - قال تعالى: **الْمَلَكُوتَ أَمَّنْ هُوَ قَنِيَّتْ** **ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ** **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** **﴿١٦٦﴾** **تَبَّ** [الرُّم:9]، يرى الفراء أن "الهمزة" في هذه الآية همزة نداء؛ كأنه قيل: يا من هو قانت، بينما يرى غيره أنها للاستفهام، أي: أم من هو قانت؟ والمعنيان ينطبقان على هذه الآية الكريمة.

4 - أجاز الكوفيون العطف "بإلا" واستدلوا بقوله تعالى: **الْمَلَكُوتَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** **إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ** **﴿١٧٧﴾** **تَبَّ** [هود:107]، أي "وما شاء ربكم من الزيادة"، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو؛ لأن إلا للاستثناء، والاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول، والواو للجمع، والجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول؛ فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر. وفي هذا الاستثناء قولان: أحدهما: هو منقطع، والثاني: هو متصل. والمعنى على هذا: أن الكفار في النار والأشقياء من المؤمنين كذلك، والخارج منهم من النار بفضل الله<sup>(1)</sup>، والراجح ما ذهب إليه البصريون والله أعلم.

5 - أسماء الإشارة عند الكوفيين يجوز أن تستعمل موصولات واستدلوا بقوله تعالى: **﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾** [طه:17]، أي "الذي بيمينك". وذهب البصريون إلى أنه لا يكون بمعنى الذي، وكذلك سائر أسماء الإشارة لا تكون بمعنى الأسماء الموصولة؛ وحجتهم بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل في "هذا" وما أشبهه من أسماء الإشارة أن تكون دالة على الإشارة، و"الذي" وسائر الأسماء الموصولة ليست في معناها؛ فينبغي أن لا يحمل عليها، وهذا تمسك بالأصل واستصحاب الحال، وهو من جملة الأدلة المذكورة، فمن ادعى أمراً وراء ذلك بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل، ولا دليل لهم يدل على ما ادَّعَوْهُ. وأما الآية، فلا حجة

<sup>1</sup>-انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص218، والتبيان

في إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص715

لهم فيها؛ لأن "تلك" معناها الإشارة وليست بمعنى الذي، والتقدير فيه: أي شيء هذه بيمينك؟ و"تلك" بمعنى هذه كما يكون "ذلك" بمعنى هذا<sup>(1)</sup>، والحق مع البصريين لأنه تمسك بالأصل واستصحاب الحال، والله أعلم.

6 - كان الفراء يضعف قراءة ابن عامر وهو أحد القراء السبعة في الآية: **اتَّخَذُوا شُرَكَاءَ لَهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴿١٣٧﴾ [الأنعام: 137]، فابن عامر يقرأ "وكذلك زَيْنٌ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم" بالفصل بين المضاف وهو قتل، والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول به، وأنكر الفراء البيت الذي أنشده الأخفش دعماً لذلك، وهو قول بعض الشعراء في وصف ناقته: **فَزَجَّجْتُهَا بِمَرْجَّةٍ زَجَّ الْقُلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ**<sup>(2)</sup>

وقد خالفه في ذلك الأخفش وجمهور الكوفيين مجوزين الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، كما فعل الشاعر؛ والتقدير: **زجَّ أبي مزادة القُلُوصِ،** فصل بين المضاف الذي هو قوله **زجَّ** والمضاف إليه الذي هو قوله **أبي مزادة** بالقلوص، وهو مفعول، وانتصر لهم ابن جني محتجاً بقدرة الشاعر على أن يقول: **"زجَّ القُلُوصِ أبو مزاده"**، ويعلق على ذلك بقوله: **"في هذا البيت عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته**

<sup>1</sup>-انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص591، وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي، مصدر سابق: وهذه المسائل مرتبة بداية من: ص80 حتى: ص112 بتصرف.

<sup>2</sup>-هذا البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، ولا يعرف له سوابق أو لواحق، والزج - بضم الزاي وتشديد الجيم - الحديدية التي تتركب في أسفل الرمح، والقلوص - بفتح القاف - الناقاة الشابة، وأبو مزادة: كنية رجل، انظر: الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص408، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص349

إلى المفعول، ومن ذلك قراءة ابن عامر: وكذلك زُيِّنْ لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائهم<sup>(1)</sup>، ومذهب الجمهور في هذا هو الراجح؛ لأن قراءة ابن عامر قراءة متواترة صحيحة، ولا يمكن ردها.

**3 - المدرسة البغدادية:** تعد هذه المدرسة من المدارس الجديدة التي ظهرت بعد مدرستي البصرة والكوفة إلا أنها لم تكن مثلهم فلقد كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي بناها أبوجعفر المنصور، والخليفة أبو العباس السفاح قبله لم يكن في بغداد، بل كان في الكوفة ثم انتقل إلى واسط، وكان اهتمام الخلفاء بعلم النحو والعلماء من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه المدرسة، وإن كان بعض الدارسين لا يهتمون بهذه المدرسة، ويشيرون فقط إلى مدرستي البصرة والكوفة، إلا أن هذه المدرسة أشرنا إليها لقيامها على يد عالين كبيرين أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وكان لهما دور كبير في خدمة النحو والقرآن، وكان هذا المذهب وسط بين المدرستين، مما أذاب التعصب الذي كان بينهما، ومن أبرز علماء المدرسة البغدادية: أبي علي الفارسي صاحب كتاب "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، وأبي الفتح عثمان بن جني وهو من تلاميذه، وله كتابه المهم في النحو "الخصائص" وكتاب "سر صناعة الإعراب" وكتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، ومن أبرز آراء هذه المدرسة:

1 - قال تعالى: **الْمَكْمُومَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِنَّ الْمَرَضِعَاتِ** [القصص: 12]، يُجوز أبو علي الفارسي أن يكون لفظ "المرضعات" جمع للمصدر "مرضع"، أو جمع لصفة "مرضع". قال مكّي: وحرّمنا على المرضعات رضاعه، والتحرّيم بمعنى المنع، معروف في اللغة، وواحد المرضعات: مرضع، ومن قال: مرضع، فهو جمع: مرضاع، ومفعال، بناء للتكثير، ولا تدخل الهاء في مؤنثه إذ ليس بجار على

<sup>1</sup>-انظر: المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص271، والإنصاف في مسائل الخلاف بين

النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج2، ص349

الفعل، وقد قالوا: مرضاعة، فأدخلوا الهاء للمبالغة لا للتأنيث، كما قالوا: مطرابة<sup>(1)</sup>.

2 - قال تعالى: **الْمَلَمَاتُ** <sup>٨</sup> **أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسٌ مَّصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** [هود:8]، يرى ابن جني أن كلمة "يوم" تحتل إعرابين أحدهما: أنها ظرف زمان، والآخر: أنها منصوبة بمعنى "إلا" لأنها للتنبية. وهي مسألة: القول في تقديم خبر "ليس" عليها، والقائلين بامتناع تقديم خبر ليس عليها هم جمهور الكوفيين، والمتأخرين من البصريين، وقد اختار هذا الرأي ابن مالك في ألفيته، وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر "ليس" عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها، مستدلين بهذه الآية الكريمة، وهو الرأي الراجح والله أعلم<sup>(2)</sup>.

3 - قال تعالى: **الْمَلَمَاتُ** **فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ نَبِ** [البقرة:178]، يرى ابن جني أن هناك جازاً لكلمة "شيء" قد حذف، والأصل: فمن عفى له من أخيه عن شيء<sup>(3)</sup>، وهو توجيه صحيح لهذه الآية الكريمة.

4 **المدرسة الأندلسية**: إن أغلب العلماء في العصر الحديث حين درسوا المنهج الأندلسي النحوي، لم يصنفوا هذه المدرسة بمذهب مستقل عن المدارس النحوية في المشرق كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد، وأول من أستعمل هذه المدرسة وخصها بمنهج محدد الدكتور شوقي ضيف في كتابه: المدارس النحوية، حيث ذكر أن هذه المدرسة امتازت بمنهج معين، وهناك علماء كبار برعوا في النحو بالأندلس، وحدد ظهور هذه المدرسة بظهور دولة بني أمية في الأندلس بزعامة عبد الرحمان الداخل "صقر قريش" سنة 138هـ، وانفصالها عن الخلافة العباسية

<sup>1</sup>- الهداية إلى بلوغ النهاية، مصدر سابق، ج8، ص5498

<sup>2</sup>- انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مصدر سابق، ج1، ص130

<sup>3</sup>- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مصدر سابق: انظر هذه المسائل مرتبة بداية من: ص125 حتى:

ص151 بتصرف

في بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، وانتقال علماء من الأندلس إلى المشرق للتعلم على كبار علماء المدرستين البصرية والكوفية، وكان كبيرهم جودي بن عثمان النحوي الذي رحل للمشرق وتلمذ للكسائي والفراء، وهو من أدخل للأندلس كتب الكوفيين، وكان معاصر له العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي رحل إلى المشرق مثله، وأخذ عن عثمان بن سعيد المصري المعروف باسم ورش قراءته وأدخلها إلى الأندلس، والتي هي إلى يومنا هذا منتشرة في مناطق شاسعة من المغرب العربي، وكان بصير بالعربية، وكثر هؤلاء العلماء في القرن الثالث الهجري، وبرز منهم عبد الملك بن حبيب السلمي الذي كان إمام في الفقه والحديث والنحو واللغة ومن مصنفاته كتاب في إعراب القرآن<sup>(1)</sup>. وقد اعتنت هذه المدرسة في البداية بالنحو البصري ثم انتقلت للنحو الكوفي بسبب تلمذ هؤلاء العلماء على مختلف النحاة في المدرستين بالمشرق، وأخذ النحو يزدهر ويتجلى له أعلام في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين بعد زوال دولة بني أمية بالأندلس، حيث كان العلماء يميلون إلى شتى المدارس النحوية البصرية والكوفية والبغدادية، وأصبح النحو في الأندلس يتجه إلى الاستقلال بفكر معين ومنهج جديد في النحو، وأصبحت لهم آراء تخالف المدارس النحوية في المشرق، غير أنها لم ترق لأن تكون مدرسة مستقلة، وبرز علماء أجلاء مثل: ابن مالك صاحب الألفية في النحو، وأبو علي القالي صاحب الأمالي، وابن القوطية صاحب كتاب الأفعال، وأخذ علماء الأندلس يسارعون إلى كتب المشاركة في النحو بالدراسة والشرح، واشتهر منهم علماء كبار مثل ابن خروف وابن عصفور الإشبيلي والبطليوسي والشلوبين وابن الطراوة والسهيلي، وكان خاتمة علماء الأندلس اثنين رُزقا الشهرة ورحلا إلى المشرق، فبثا علمهما فيه، وكثرت تأليفهما وكتب لها الذبوع والانتشار حتى عصرنا هذا، منهم الإمام ابن مالك الجباني صاحب الألفية في النحو، والتي لها عدة شروح وهي إلى يومنا هذا

<sup>1</sup>-المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص291

يتسابق العلماء والطلاب في حفظها وشرحها، والإمام أبي حيان الغرناطي صاحب التفسير الكبير المشهور بالبحر المحيط، وكتاب الارتشاف في النحو<sup>(1)</sup>. وفي ختام هذه المدرسة نذكر أن العلماء منقسمين حول النحو الأندلسي هل هو مدرسة مستقلة بذاتها؟ أو هو امتداد للمدرستين البصرية والكوفية؟ وهذا راجع لتتلذ كثير من نحاة الأندلس على علماء المدرستين ورحلاتهم للمشرق، ونقل كتبهم وشرحها، وبناء أصولهم على منهج المدرستين، بالإضافة إلى الإتيان بأشياء جديدة في النحو. وبحث محدود مثل هذا لا يمكن التعرض فيه إلى مناقشة هذه المسألة الخلافية وترجيح الأقوال فيها.

وقبل الخروج من الحديث عن المدارس لابد من الإشارة إلى أن العلماء أشاروا إلى مدرستين غير هذه المدارس، وهي المدرسة الشامية والمصرية، وإن كان لهاتين المدرستين علماء لهم دور كبير في النحو إلا أن أغلبهم كانوا من بغداد موطن النحو مثل: الأخفش الصغير الذي انتقل من بغداد إلى مصر وتفرغ لتدريس النحو واللغة بها، وكراع النمل الذي رحل إلى بغداد وأخذ عن البصريين والكوفيين وهو صاحب كتاب المنضد<sup>(2)</sup>، وابن معطي صاحب الألفية في النحو، وابن هشام العالم الموسوعي صاحب التصانيف المهمة مثل: شذور الذهب وقطر الندى ومغني اللبيب وغيرها، وكذلك نجد ابن عقيل صاحب الشرح القيم على الألفية المعروف بشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، - هذا في مصر - وأما الشام فاشتهر من علمائه ابن يعيش صاحب شرح المفصل، وابن الناظم: وهو ابن ابن مالك صاحب الألفية، وشرح معظم كتب والده في النحو، والسمين الحلبي صاحب التفسير<sup>(3)</sup>، وكان أغلب هؤلاء العلماء متأثرين بالمنهج البصري أو الكوفي، أو التوفيق بينهما، أو الإتيان بقواعد جديدة في النحو، ونقلوا كتب علماء المدرستين

<sup>1</sup> - من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد الأفغاني، الناشر: مكتبة الفلاح، ص 96 . 107

<sup>2</sup> - المدارس النحوية، د شوقي ضيف، مصدر سابق، ص 329

<sup>3</sup> - نشأة النحو، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية 2009م، ص 577



واعتنوا بشرحها ودراستها، ولم يكن لهم منهج خاص في النحو، وكان امتداد فقط للمدارس السابقة في نظر علماء النحو لا غير.

### خاتمة

من خلال ما تقدم عن هذه الدراسة نستنتج أن نشوء علم النحو جاء لخدمة القرآن بالدرجة الأولى ولظهور اللحن في اللغة عامة وفي القرآن الخاصة، وهذا ما أشرت إليه في هذا البحث وأكدت عليه، فاللحن في القرآن أشد من اللحن في الكلام، لأن المعنى يتغير كما هو معروف، وهو كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وبعد التطرق إلى المدارس النحوية تبين لي أن أغلب النحاة كانوا يجعلون القاعدة القرآنية هي الأصل ثم يبنون عليها القاعدة النحوية إلا ما شذ منهم من الذين انتقدوا القراءات القرآنية واتهموها بمخالفة صواب اللغة، سواء كانت القراءة متواترة أو شاذة، ووجدنا من علماء النحو من وجه القراءة الشاذة واستشهد بها في قاعدة نحوية مثل سيبويه، فكيف بالقراءة المتواترة؟ مع العلم أن من شروط القراءة المتواترة موافقة العربية ولو بوجه من الوجوه، وقد قال تعالى:

الْمَلَأْتِمْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أَلْعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ ﴿٢٨﴾ رَبِّ [الرُّم: 28]، وهو معجز ببيانه وبلاغته، وتحدى العرب في زمن نزوله وهم أئمة الفصاحة والبلاغة، على أن يأتيوا بشيء من مثله ولكنهم عجزوا، وتدرج معهم في التحدي إلى أن نزل قوله تعالى: الْمَلَأْتِمْ قُلُوبَ الَّذِينَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ رَبِّ [الإسراء: 88]، وتعد مدرستي البصرة والكوفة هما الأساس في تقعيد النحو، أما المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية والشامية فهي مسألة خلافية بين علماء النحو في عدهم مدارس مستقلة؛ أم هم امتداد فقط للمدارس السابقة، وبالتالي لم يكن لهم منهج مستقل في النحو.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن الدراسة تطول حول أثر القرآن الكريم في النحو العربي، ومنهج المدارس النحوية في الاستشهاد به وتقعيد القواعد بقراءاته المتواترة

والشاذة، وهذا البحث المحدود لا يتسع لاستقصاء كل جوانب هذا الموضوع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 . الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: 1394هـ/1974م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 2 . أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د محمد سمير نجيب اللبدي، الطبعة الاولى 1978م، دار الكتب الثقافية الكويت.
- 3 . أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
- 4 . الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.
- 5 . إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1982م.
- 6 . البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الطبعة: الثامنة 2003م، الناشر: عالم الكتب.
- 7 . البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ.
- 8 . البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، عام النشر: 1407هـ - 1986م، الناشر: دار الفكر.
- 9 . البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- 10 . البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الشهير بالجاحظ، طبعة 1423هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت.
- 11 . التبيين في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، المحقق: علي محمد الجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 12 . الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود صافي، الطبعة: الرابعة، 1418هـ، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت.
- 13 . دروس في المذاهب النحوية، د عبده الراجحي، دار النهضة بيروت.
- 14 . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الطبعة الرابعة الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- 15 - سير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
- 16 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980 م، الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
- 17 - ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.
- 18 - الطبقات الكبرى، ابن سعد، المحقق: إحسان عباس، لناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1968م.
- 19 - طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.
- 20 - فوات الوفيات، ابن شاعر الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى 1973م.
- 21 في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، الطبعة الأولى 1991م، الناشر: مكتبة دار التراث.
- 22 - القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود محمد الصغير، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 1999م.
23. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، الطبعة الثانية: 1978م، دار المعارف مصر.
- 24 . قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار . محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.
- 25 - الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسبيويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 26 . لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، الناشر: دار صادر - بيروت.
- 27 - اللحة في شرح الملح، شمس الدين، ابن الصائغ، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م.
- 28 . المدارس النحوية، د شوقي ضيف، الطبعة السابعة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- 29 . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د مهدي المخزومي، الطبعة: الثانية 1958م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

- 30 . المستدرك على الصحيحين، تأليف أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990، - بيروت.
- 31 . من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد الأفغاني، الناشر: مكتبة الفلاح.
- 32 . منهج سيوييه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين، د سليمان يوسف خاطر، طبعة 2004م، دار ابن الجوزي عمان الأردن.
- 33 . المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الأمدي، المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م.
- 34 . النحو العربي - تاريخه - أعلامه - نصوصه - مصادره، د محمد سليمان ياقوت، طبعة: 1994م، دار المعرفة الجامعية القاهرة.
- 35 . النحويون والقرآن، خليل الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002م.
- 36 . نزاهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م.
- 37 . نشأة النحو، مناهج جامعة المدينة العالمية، مجموعة مؤلفين بإشراف الجامعة، الناشر: جامعة المدينة العالمية 2009م.
- 38 . نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، الطبعة: الأولى 2005م - 1426هـ، الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي.
- 39 . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: 1، 1994، ج.6
- 40 . الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

## وقفات لغوية عند محمد شحرور

د.خليفة عبد الحق محاضر "ب"  
جامعة أحمد دراية - أدرار - الجزائر

## ملخص:

هناك الكثير من الناس الذين يعرفون محمد شحرور مفكرا ارتبط اسمه مع الثقافة والفكر وفق قراءة معاصرة للتنزيل الحكيم، و لا يعرفونه لغويا فذا،فهو من طرح فكرة وحدة الناموس بين الصناعة والصياغة معتبرا المخلوقات من أصغر ذرة إلى الكون الفسيح صناعة والمصحف الشريف صياغة فهو لا يقبل أن تكون الصياغة أقل من الصناعة،منطلقا من فكرة لا ترادف في المصحف الشريف،ولا حشوية كذلك،فعندما قال تعالى: (حرمت عليكم أمهاتكم) فهو قال أمهاتكم ولا تعني والداتكم،لأنه قال في آية أخرى (وأزواجه أمهاتكم) ولم يقل وأزواجه والداتكم معتبرا الأم لها الحرمة والبر والإرث لقوله تعالى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) وقال أيضا (الوصية للوالدين والأقربين) من هنا استنتج أن الإرث للوالدين والوصية للوالدين.

وقد فرق محمد شحرور بين المصطلحات التالية واعتبرها غير مترادفة:الكتاب-القرآن-الذكر-الفرقان.وقد ذكرت غير مترادفة في بداية سورة (غافر) لقوله تعالى: (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكرى صفحا إن كنتم قوما مسرفين).أضف إلى ذلك إيجاده للفروق الدقيقة بين بعض المفردات اللغوية والتي اكتشفها من المصحف حصرا مثل الفرق بين (التمام والكمال)-(الإنزال والتنزيل)-(العمل الفعل)-(النبوة-الرسالة)-(السيئة-الذنب) (الكفارة- الفدية). والأمثلة كثيرة حيث سأشرح بعضها منها في المداخلة.

**Abstract:****The Linguistic Positions of Shahrour Mohamed**

Many people know Shahrour Mohamed as an intellectual who is preoccupied mainly with culture and intellect in the Quoranic perspective. Yet many ignore his contributions to the science of language and Arabic grammar in particular. This present study tries to cover this notch and present Shahrour Mohamed's position as a linguist.

**مقدمة:**

تبنى الدكتور محمد شحرور المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، الذي طرحته مدرسة أبي علي الفارسي، حيث بلورت في اتجاهين أساسيين هما ابن جني في الخصائص والإمام الجرجاني في دلائل الإعجاز. حيث انطلق ابن جني من وصف البنية اللغوية، لأن بحثه في الخصائص كان يدور بشكل رئيسي في نطاق بنية الكلمة المفردة. فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف منها الكلمات، فبحث في الاشتقاق وأنواعه، إضافة إلى اهتمامه باكتشاف القوانين العامة للنظم اللغوي.

أما عبد القاهر الجرجاني فوصف البنية اللغوية وبين وظيفتها الإبلغية لأنه بحث في نظم الكلم. فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة الإبلغية التي تؤديها في الكلام. وتوصل الجرجاني إلى أمر غاية في الأهمية: لا يمكن أن تكون الكلمة المفردة أدل على معناها الذي وضعت له من كلمة أخرى. وهذا هو الحافز الذي جعل محمد شحرور ينكر الترادف في القرآن. مستنكراً أن يعامل القرآن معاملة الشعر. تبني محمد شحرور لنظرية النظم التي مفادها أن الخبر هو معنى بين شيئين، وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل.

ينطلق محمد شحرور من فكرة أساسية في منهجه مفادها أن المصحف لا يوجد فيه مترادفات، وهذا المنهج في حد ذاته يجعله أمام مهمة صعبة جدا مما يضطره أن يجد مفاهيم جديدة لكثير من المصطلحات التي ورثها الفكر العربي لقرون، فإذا كان الكتاب الذي بين أيدينا من عند الله، ونحن نشاهد ونعيش الدقة الموجودة المتناهية في الكون الواسع من حركة النجوم والشمس ودوران الأرض، إلى الذرة والخلية وحركة البروتون و الإلكترون داخلها .

هذه تمثل الصناعة بالنسبة لله والمصحف يمثل الصياغة، فهو لا يقبل أن تكون الصياغة أقل من الصناعة فلا يجب أن يكون طبيب أمريكي أدق من الله أو عالم رياضيات ألماني، ومن هذا المنطلق لا يجب أن نتبنى نظرية الترادف في اللغة وبدأ تجسيد هذه الفكرة في كتابه الأول الكتاب والقرآن عندما وجد الفرق بينهما مستدلا بقوله تعالى "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"<sup>1</sup> بمعنى أن الكتاب هدى للمتقين والقرآن هدى للناس في قوله "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس"<sup>2</sup>، فالمتقين من الناس وليس كل الناس متقين .

هذا بالضرورة يجعل الفرق بين القرآن والكتاب جليا. ويرجع محمد شحرور سبب الترادف أن التنزيل الحكيم عُوْمِلَ معاملة الشعر، في حين أن الشعر لا يعييه الترادف بل يحسن من شروطه الجمالية. والمصحف خال من الحشوية بخلاف الشعر الذي يعتبر خاصية من خصوصيات العرب -في حين أن التنزيل الحكيم هداية وكافة للناس أجمعين" قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا " <sup>3</sup>فهو يخاطب الناس-. فعندما قال " وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم " فلماذا قال

<sup>1</sup> - سورة البقرة الآية 2.1.

<sup>2</sup> -سورة البقرة الآية 185.

<sup>3</sup> - سورة الأعراف 158.

من أصلابكم فإذا كان الاحتمال الوحيد أنه لا يوجد في الدنيا إلا التفاح الأصفر وقلت لك: أعطيتك تفاحة صفراء، هذا يصبح حشواً، فإذا كان الأبناء من أصلابنا فقط وهو الاحتمال الوحيد فيصبح ذكر من أصلابكم حشواً، لكن المقصود هو وجود أبناء من غير أصلابنا أي أن التبني موجود بمنطوق الآية.

القرآن مُسّر في مرحلة تاريخية كانت صناعة الشعر في أوجها، وبذلك تأثر المفسرون بالشعر أثناء تفسيرهم للقرآن، مما أدى إلى تبني ظاهرة الترادف من قبلهم علماً أن الشاعر إذا أراد قصيدة بائية قال (أب) وإذا أراد قصيدة دالية قال (والد) والشعر لا يعييه الترادف أصلاً، ولكن هذا لا ينطبق على المصحف نظراً للدقة الموجودة فيه، والله سبحانه وتعالى نبهنا على أن لا نتعامل مع التنزيل الحكيم معاملة الشعر لقوله "وما علمناه الشعر وما ينبغي له"<sup>1</sup> لأن الذي صنع السماوات هو الذي صاغ المصحف كما ذكرنا سابقاً هذا من جهة ومن جهة أخرى وحدة الناموس في المصحف، وبدلاً من نقول ما أجمل هذا الكتاب نقول ما أدقه لأن العقل الترادفي غير دقيق والمعرفة تحتاج إلى دقة.

أضف. إلى ذلك أن المعنى الموجود في استطاع غير المعنى في استطاع فوجود تاء إضافية معناه دلالة زائدة التي أطلق عليها تاء الجهد لقوله تعالى: "فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً"<sup>2</sup>، "فقوم ذي القرنين، بعد أن بني لهم السد، لم يتمكنوا من اعتلاء ظهره (يظهروه)، ولم يقدروا على خرقه (نقبا). وننظر في الفرق بين عملية اعتلاء ظهر جبل أو سد، وعملية نقبه و خرقه فنجد أن القدرة التي يجب بذلها في النقب أكثر بكثير من تلك التي تبذل في التسلق. ونفهم أن التاء في استطاعوا، إنما جاءت للدلالة على الجهد والطاقة

<sup>1</sup> - سورة يس الآية 69.

<sup>2</sup> سورة الكهف الآية 97.



المبذولة في هذا الفعل، أكثر من الطاقة المبذولة في فعل اسطاعوا" <sup>1</sup>. هذا يعني أنه لا توجد زوائد في المصحف، فمثلا عندما قال النحاة (ما) بعد إذا زائدة في الشعر أو كلام العرب لكن في المصحف ليست زائدة بل لها دلالة، مثل قوله (ولا يأبى الشهداء إذا ما دعوا) هنا (ما) ليست زائدة و لها دلالة... والأمثلة كثيرة.

1- ما هو الذكر؟

2

لنرجع إلى قوله تعالى:

!

"

4 " % \$ # "

إذا نظرنا إلى لفظة الذكر في الآيات الثلاث وجدناها جاءت معرفة ب(ال التعريف)، وإذا نظرنا أيضا إلى القرآن والذكر في سورة (ص) لوجدناهما مرتبطتين بأداة "ذي" وهذه الأداة تستعمل للدلالة على صفة الشيء لا على الشيء نفسه كقوله تعالى " وفرعون ذي الأوتاد" <sup>5</sup> وفرعون شيء والأوتاد شيء آخر، والآية تعني فرعون صاحب الأوتاد كقوله: " أن كان ذا مال وبنين" <sup>6</sup> أي صاحب مال. فالقرآن هنا هو الموصوف و الذكر هو الصفة، وقوله "و القرآن ذي الذكر" يعني القرآن الموصوف بالذكر، فما هي هذه الصفة الخاصة بالقرآن التي

<sup>1</sup> د.محمد شحرور الإسلام والإيمان منظومة القيم، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1996، ص57.

<sup>2</sup> -سورة الحجر الآية 09

<sup>3</sup> - سورة الحجر الآية 06

<sup>4</sup> - سورة ص الآية 01

<sup>5</sup> - سورة الفجر الآية 10.

<sup>6</sup> - سورة القلم الآية 14.

تسمى الذكر.<sup>1</sup> وفي الأخير خلص إلى أن (الذكر هو الصيغة الصوتية المنطوقة والمسموعة أو غير المسموعة للمصحف).<sup>2</sup>

### الفرقان

قال تعالى: " (# 0 . / \* - , + ) \* ' & " <sup>3</sup>

" ' 8 7 6 0 4 5 3 & 2 1 , " <sup>4</sup>

إن آية البقرة 35 التي تتحدث عن شيئين هما الكتاب و الفرقان، جاء إلى موسى كل على حدة ففرقت الآية بينهما بالعطف<sup>5</sup>. لأن الواو في اللسان العربي لا تأتي إلا بين شيئين متغايرين. والآيتان 2-3 من سورة آل عمران التي تبين أن التوراة والإنجيل و الفرقان أنزلت هدى للناس قبل أن يأتي الكتاب إلى سيدنا محمد (ص)، أما في سورة البقرة 185. التي توضح بكل جلاء أن الهدى للناس جاء إلى موسى متمثلاً بالفرقان هو نفسه الذي أنزل هدى للناس في شهر رمضان على الرسول (ص). فما هو الفرقان الذي جاء إلى موسى على حدة مفروقا عن الكتاب؟ وفي الأخير استنتج محمد شحرور أن الفرقان هو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى عليه السلام وثبتت إلى عيسى عليه السلام ثم جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وأنها رأس الرسالات الثلاث و سنامها، والقاسم المشترك بينها وفيها التقوى الاجتماعية وهي ما يسمى القيم الإنسانية (الأخلاق)<sup>6</sup>. وهي في الآيات (151-152-153) من سورة الأنعام،

<sup>1</sup> د. محمد شحرور الكتاب والقرآن - رؤية جديدة - دار الساقى بيروت/لبنان الطبعة الثانية 2013 ص 64.

<sup>2</sup> ينظر المرجع السابق ص 65.

<sup>3</sup> - البقرة 35.

<sup>4</sup> - آل عمران 3-4.

<sup>5</sup> - الكتاب والقرآن المرجع السابق ص 67.

<sup>6</sup> - المرجع السابق ص 69.

**مصطلح الكتاب: الكتاب من (ك ت ب) وهو أصل صحيح في اللسان**

العربي يعني جمع أشياء بعضها مع بعض، لإخراج موضوع ذي معنى متكامل، بدلالة قوله تعالى ( / : 9 5" ; كأي جمعها. وعندما نسمي فلانا كاتباً نقصد المواضيع والتأليف الجمل والجمع بعضها مع بعض، وربط الأحداث بعضها إلى ولا نقصد الخط بتاتا إنما نقصد صيغة الجملة وربطها لإخراج موضوع مفيد، فإذا أخرجنا أربع كلمات هي (جاء) - (الرجل) - (إلى) - (البيت) وجمعناها لنخرج منها معنى مفيداً، تصبح (جاء الرجل إلى البيت) حيث تحمل معنى مفيداً يمكن الوقوف عليه.

فعندما نقول أصدر رئيس الوزراء كتاباً نقصد به المعنى (الموضوع) لا الخط حيث يجب علينا متابعة القول وأخبار موضوع الكتاب، وإلا يصبح المعنى ناقصاً، كأن نقول: أصدر رئيس الوزراء كتاباً بشأ كذا وكذا. وإذا قلنا كلمة كتاب ولم نعطيها إضافة لتوضيح الموضوع يصبح المعنى ناقصاً. وحين نقول كتاب الفيزياء للصف العاشر مثلاً، نعني أن هذا الكتاب يجمع مواضيع فيزيائية بعضها إلى بعض صالحة للطلب للصف العاشر: كذلك عندما يقول تعالى "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً"<sup>2</sup>. يعني فهو يعني أن الصلاة من المواضيع التعبديّة التي يجب على المؤمن القيام بها، وإنها تتألف مجموعة عناصر تبدأ بالنية وتنتهي بالتسليم مروراً بالوضوء والقيام والركوع والسجود والقعود.

بما أن التنزيل الحكيم الموحى إلى الرسول محمد (ص) يتألف من عدة مواضيع مختلفة، كل موضوع منها كتاب قال تعالى: "رسول من الله يتلوا

<sup>1</sup> - سورة الفرقان الآية 5.

<sup>2</sup> - النساء 103.

صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة<sup>1</sup> من هذه الكتب القيمة كتاب الخلق، كتاب الساعة، كتاب الصلاة، كتاب الصوم، كتاب الحج كتاب المعاملات، وعندما نقول كتاب البصر فهذا يعني أننا ندرس العناصر التي إذا ضم بعضها إلى بعض وتقال معينة ينتج عن ذلك عملية الإبصار وهذه العناصر هي الأهداب والجفن والعين والعصب البصري ومركز الإبصار في الدماغ إذا أردنا أن ندرس كتاب العين فهذا يعني أننا ندرس البؤبؤ والشبكية وكل عناصر العين. وعندما ندرس كتاب الهضم فهذا يعني أننا ندرس الفم والأسنان والبلعوم والمريء والمعدة والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة، هذه العناصر تدخل في عملية هضم الطعام.

عندما جمع الزمخشري أساس البلاغة جمع الأصول التي تبدأ بحرف الألف وسماها كتاب الألف وجمع الأصول التي تبدأ بحرف الباء وسماها كتاب الباء. فأعمال الإنسان كلها كتب ككتاب المشي، وكتاب النوم وكتاب الزواج وعباداته كتب ككتاب الصلاة والحج والزكاة والصوم والظواهر الطبيعية كلها كتب ككتاب خلق الكون وكتاب خلق الإنسان وكتاب الموت وكتاب الحياة وكتاب النصر وكتاب الهزيمة وكتاب الزراعة وكتاب الأنعام وغيرها من الكتب لا تعد ولا تحصى.

كتاب الموت هو مجموعة عناصر التي اجتمعت أدت إلى الموت لا محالة وكتاب النصر هو مجموعة العناصر التي اجتمعت حصل النصر وكتاب خلق الكون هو مجموعة عناصر التي تتركب منها خلق الكون فلا يوجد في أعمال الإنسان وفي الظواهر الطبيعية إلا من خلال الكتب ولذا قال تعالى: (وكل شيء أحصيناه كتاباً)<sup>2</sup>. والإنسانية في نشاطها العالمي تبحث في هذه الكتب

<sup>1</sup> -البينة الآية 2-3

<sup>2</sup> -النبأ 29.

وندرسها كي نتصرف من خلال عناصرها فإذا أردنا أن تطول الأعمار فعلينا أن ندرس كتاب الموت وكتاب الحياة وعندما نقول كتاب ونقف يبقى المعنى ناقصاً حتى نقول كتاب ماذا؟. وعندما قال تعالى (...كتاب أحكمت آياته..)<sup>1</sup> لم يكن يعني كل آيات المصحف إنما يعني مجموعة الآيات المحكمات، عندما قال > '@??' @A'0 ; لم يكن يعني كل المصحف إنما يعني مجموعة آيات متشابهات وعندما قال ( 0 F, E @D " J @' GHIO ;<sup>3</sup> فإنه عنى كتاب الموت أي مجموعة العناصر والشروط الموضوعية التي تؤدي إلى الموت في حال توفرها واجتماعها لذلك فمن الخطأ الفاحش أن نظن عندما ترد كلمة "كتاب" في المصحف إنها تعني كل المصحف لأن الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس تحتوي على عدة كتب كما شرحنا آنفاً<sup>4</sup>

بعض الأمثلة في الفروق في اللغة التي اكتشفها الباحث:  
الفرق بين الإبلاغ والبلاغ.

إن الهمزة في اللسان العربي تعطي معنى التعدي. مثال ذلك: بلغ وأبلغ، فلدينا مصطلحان هما البلاغ والإبلاغ . ولنأخذ الآيات التالية:

- " 0 / . 5 KG@ L

- / 0 M@ 0 @ MN @ KG;

- ) ' ( P Q R @ ED / 8 ) \* ' S @ & \$ T U M

1 - هود1

2 - الزمر 23.

3 - آل عمران 145.

4 - الكتاب والقرآن المرجع السابق 55.

5 - المائدة 99.

6 - المائدة 67.

7 - الأعراف 93.

إن البلاغ هي عملية نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من أن الشخص المنقول إليه الخبر وصله الخبر. فعندما نقول إن هناك بلاغا من وزارة المالية إلى المواطنين في الإذاعة حول دفع الضرائب، فهذا البلاغ ينتقل إلى الناس ولكن لا يوجد أي تأكيد من أن كل المواطنين المعنيين بهذا البلاغ قد وصلهم، فعندما يصل محتوى البلاغ إلى إدراك ووعي كل مواطن مقصود بهذا البلاغ يصبح إبلاغا. لذا فعندما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بتوصيل رسالته إلى الناس قال (بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولو قال "أبلغ ما أنزل إليك من ربك" لوجب على النبي أن يتأكد من أن كل إنسان معني بهذا البلاغ قد أدرك ووعي محتويات البلاغ

وبما أنه رسول الله إلى الناس جميعا فيجب عليه في حالة الإبلاغ أن يطوف الدنيا ويتأكد من أن كل شخص وصله البلاغ. ولأن هذا متعذر إن لم يكن محالا فقد قال (ص) في حجة الوداع "ألا قد بلغت اللهم فاشهد" ولم يقل ألا هل أبلغت. وبما أن هودا وصالحا و شعيبا أرسلوا إلى أقوامهم فقط، أي إلى عدد قليل من الناس هم قوم عاد وقوم ثمود ومدين، فكانت عملية توصيل الرسالة عملية إبلاغ لا بلاغ، أهلك بعدها القوم، وإلا فكيف يهلك الله أناسا لم يدركوا ما هو المطلوب منهم ولم يعلموا بأي رسالة؟ في حالة قوم صالح قال لهم ( )

1;R@ V /8)\*'S@ &\$ T

في حالة قوم شعيب قال > ' . ) ED ?/8)\*'S@ &\$ T

?@P /8 0)\*'S@ &\$ ( ٢;)\* P Q R@

1 - الأعراف 79.

2 - الأعراف 93.

? \* (١٠).<sup>1</sup> وعن رصد الملائكة للرسول في توصيلهم للرسالات قال: (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ..)<sup>2</sup> ولم يكن مطلوباً من النبي (ص) أكثر من البلاغ في قوله تعالى: (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ..)<sup>3</sup> وقوله: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) وقوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)<sup>4</sup>. فالبلاغ هو مجرد عملية نشر الخبر أو الأمر. والإبلاغ هو عملية التأكد من أن الإنسان المقصود تبليغه قد وصله البلاغ وأصبح ضمن مدركاته.<sup>5</sup>

### الخاتمة

بعد هذه الإطلالة نستنتج أن لكل لغة نظام معين، وإنكار محمد شحروو للترادف الذي قد يظنه البعض سبباً لتمييز لغة ما بثناء مفرداتها وسعة التعبير فيها إنما ليظهر دقة المصحف، والنظر إلى ما يعد من الترادف في لغة ما على أنه يعكس مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها ألفاظ تلك اللغة تعبر عن التفكير القائم على إدراك المشخص ولم تكن فيها التسميات الحسية قد استكملت بعد تركيزها في تجريدات.

والدكتور شحروو يطرح فكرة مفادها أنه يجب علينا لدى دراسة النظام اللغوي أن نهتم بما هو عام ومضطرد، دون أن نهمل الاستثناءات لأنها تعد شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد. وبهذا نتمكن من دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (المتزامن) وفي تطوره في آن واحد وأفضل الشواهد التاريخية، هو المادة اللغوية نفسها لأي لغة حقيقية معروفة.

<sup>1</sup> - هود 57.

<sup>2</sup> - الجن 28.

<sup>3</sup> - المائدة 67.

<sup>4</sup> - النحل 82.

<sup>5</sup> - الكتاب والقرآن المرجع السابق.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن منظور لسان العرب
- د.محمد شحرور:الكتاب والقرآن./رؤية جديدة، الطبعة الثانية دار الساقي بيروت.2013.
- د.محمد شحرور:الدولة والمجتمع دراسات إسلامية معاصرة/ دار الأهالي،1994.
- د.محمد شحرور:الإسلام والإيمان منظومة القيم/د.محمد شحرور دار الأهالي 1996.
- د.محمد شحرور:السنة الرسولية و السنة النبوية/ رؤية جديدة/دار الساقي2012.
- القصص القرآني قراءة معاصرة/الجزء الثاني من نوح إلى يوسف، دار الساقي.2012.
- الجرجاني:دلائل الإعجاز/تحقيق د.محمد التتحي،(بيروت:دار الكتاب العربي،1995) الطبعة الأولى.
- الأزهرى: تهذيب اللغة،تحقيق محمد عوض مرعب،بيروت:دار إحياء التراث العربي،2001.الطبعة الأولى.
- فاضل السمراي:التعبير القرآني،(عمان الأردن 2002).الطبعة 2.
- فاضل السمراي الجملة العربية والمعنى،بيروت:دار ابن حزم 2000.ط.1.
- فاضل السمراي معاني النحو،عمان:دار الفكر 2000.ط.2.



## مسؤولية الناقل البحري للبضائع في القانون البحري الجزائري وفي إتفاقية هامبورغ

د. فتاحي محمد

جامعة احمد دراية ادرا - الجزائر

### ملخص :

عالج البحث مسؤولية الناقل البحري للبضائع في القانون البحري الجزائري وفي ضوء إتفاقية هامبورغ لسنة 1978. وبينت الدراسة أن مسؤولية الناقل سواء في القانون الجزائري أو في ضوء إتفاقية هامبورغ تقوم على أساس الخطأ المفترض. كما بين المقال أن تقدير التعويض يخضع للقواعد العامة في القانون المدني ما لم يوجد في عقد النقل تحديدا لمبلغ التعويض. كما بين البحث الحالات التي يعفى فيها الناقل من المسؤولية سواء في القانون البحري الجزائري أو في ضوء إتفاقية هامبورغ.

### Résumé

Cet article traite de la responsabilité du transporteur de marchandises dans le droit maritime algérien et la convention de Hambourg de 1978.

Premièrement, l'étude montre que la responsabilité du transporteur de marchandises dans le droit maritime algérien et la convention de Hambourg se base sur la faute involontaire ou présumée.

Elle montre aussi que des dommages obéissent aux règles générales du code civil tant que le contrat de transport ne limite pas le dédommagement. Et montre enfin de compte quels sont les cas où le transporteur est exempté de toute responsabilité dans la loi algérienne et la convention de Hambourg.

### مقدمة

يعد النقل البحري للبضائع أحد أسس التجارة الخارجية في الجزائر لما يشهده هذا القطاع من نشاط خاصة في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي وتحرير التجارة الخارجية بفضل دستور 1996 الذي كرس مبدأ حرية التجارة والصناعة.

ويعد عقد النقل البحري للبضائع من أهم عقود استغلال السفينة. وقد نظمها المشرع الجزائري في القانون البحري الجزائري في الباب الثالث منه بموجب المواد 738 إلى 820.

ونظرا لأن الرحلة البحرية تهددها مخاطر عديدة منها الغرق أو الحريق.... الخ، فقد قنن المشرع الجزائري أحكام مسؤولية الناقل ضمانا لمصالح الناقل من جهة، و ضمانا لمصالح الشاحن من جهة أخرى. ولقد إهتمت المجموعة الدولية أيضا بتنظيم قواعد مسؤولية الناقل البحري بدءا باتفاقية بروكسل لسنة 1924 وصولا إلى إتفاقية هامبورغ لسنة 1978. وهذه الدراسة تبحث في مسؤولية الناقل البحري للبضائع في ضوء قواعد القانون البحري الجزائري وقواعد إتفاقية هامبورغ محببة على إشكاليتين أساسيتين الأولى: ما نطاق مسؤولية الناقل البحري؟ والثانية: ما هي قواعد دعوى مسؤولية الناقل البحري؟

ولإجابة على الإشكاليتين المعروضتين قسم البحث إلى مبحثين، يعالج الأول مضمون مسؤولية الناقل البحري، وقد قسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب، يدرس الأول الأساس القانوني لمسؤولية الناقل البحري و يبين الثاني إلتزامات الناقل البحري للبضائع و يعالج الثالث نطاق مسؤولية الناقل البحري ويتناول الرابع حالات قيام مسؤولية الناقل البحري للبضائع.

أما المبحث الثاني فيعالج دعوى مسؤولية الناقل البحري للبضائع، حيث قسم إلى أربعة مطالب، يبين الأول إجراءات رفع دعوى مسؤولية الناقل البحري و يعالج الثاني تقدير التعويض في حالة قيام المسؤولية و يدرس الثالث حالات الإعفاء من المسؤولية، و يبين الرابع تقادم دعوى المسؤولية.

### المبحث الأول: النظرية العامة لمسؤولية الناقل البحري للبضائع

نعالج في هذا المبحث الأساس القانوني لمسؤولية الناقل البحري، كما نوضح إلتزامات الناقل البحري وبالإضافة إلى ذلك نتناول نطاق مسؤولية الناقل البحري

وأخيرا ندرس الحالات التي تقوم فيها مسؤولية الناقل البحري في مطالب أربع على النحو التالي:

### المطلب الأول: الأساس القانوني لمسؤولية الناقل البحري

تقوم المسؤولية القانونية بوجه عام على أساس من أسس ثلاثة<sup>1</sup> الأساس الأول وهو الخطأ الواجب الإثبات وفي هذه الحالة يقع عبء إثبات الخطأ الذي نتج عنه الضرر على عاتق المدعي في مواجهة المدين. والأساس الثاني الخطأ المفترض وفي هذه الحالة يفترض الخطأ في جانب المدعى عليه (المدين) أي أن الدائن يعفى من إثبات الخطأ. والأساس الثالث المسؤولية المفترضة، وفي هذه الحالة أيضا يقع عبء الإثبات على عاتق المدعى عليه (المدين).

غير أن مضمون الإثبات مختلف في هذه الحالة حيث لا يكفي أن يثبت المدين أنه لم يرتكب الخطأ بل يجب عليه أن يثبت السبب الذي أدى إلى وقوع الضرر الذي لا يد له فيه أو لأحد من تابعيه، كالقوة القاهرة أو السبب الأجنبي. وبالرجوع إلى القانون البحري الجزائري نجد أن المشرع الجزائري<sup>2</sup> قرر أن الناقل يعد مسؤولا عن الخسائر أو الأضرار التي تلحق بالبضائع منذ تحمله لها حتى تسليمها إلى المرسل إليه أو إلى ممثله القانوني.

وتأسيسا على ما سبق فإن التزام الناقل البحري بنقل البضائع هو إلتزام بتحقيق نتيجة بحيث يكون الناقل مسؤولا عن عدم تحقق النتيجة المقصودة، أي عن هلاك البضائع أو تلفها أو التأخير في تسليمها.

ولا يعفى الناقل من هذه المسؤولية إلا إذا أثبت إحدى الحالات المنصوص عليها في المادة 803 من القانون البحري الجزائري والتي سوف نبينها في المبحث الثاني من هذا البحث<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سمير الشرفاوي، القانون البحري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص 453.

<sup>2</sup> - المادة 802 من القانون البحري الجزائري.

<sup>3</sup> - أنظر ص 18 وما بعدها من هذا البحث

وهكذا فإن أساس مسؤولية الناقل البحري هو المسؤولية المفترضة في جانب الناقل بحيث لا يحتاج المتضرر إلى إثبات الضرر، بل يفترض خطأ الناقل وعلاقة السببية بين الخطأ والضرر. وليس أمام الناقل إلا أن يثبت السبب الأجنبي الذي أدى إلى وقوع الضرر حتى يعفى من المسؤولية<sup>1</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إلتزام الناقل بنقل البضاعة بأنه إلتزام بتحقيق نتيجة وليس إلتزاماً ببذل عناية يصب في مصلحة الشاحن، حيث لن يستطيع الناقل إعفاء نفسه من المسؤولية حتى لو أثبت أنه قام هو وتابعيه بإتخاذ التدابير المعقولة لمنع وقوع الضرر، بل لا بد من إثبات السبب الأجنبي الذي أدى إلى وقوع الضرر.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن إلتزام الناقل بنقل البضائع ينشأ عن عقد النقل البحري، لذلك فهو إلتزام تعاقدية والمسؤولية الناشئة عن الإخلال بهذا الإلتزام العقدي هي مسؤولية عقدية أيضاً<sup>2</sup>.

أما في ظل إتفاقية هامبورغ لسنة 1978 فإن أساس مسؤولية الناقل البحري للبضائع عن الأضرار الناشئة عن هلاك البضائع أو تلفها وكذلك الأضرار الناشئة عن التأخير في تسليمها، فهي مسؤولية تقوم على الخطأ المفترض، فالمتضرر غير ملزم بإثبات خطأ الناقل. أي أن خطأ الناقل مفترض عند وقوع هذه الأضرار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عاطف محمد الفقي، قانون التجارة البحرية، دار الفكر الجامعي، القاهرة، 2007، ص 335، هاني دويدار، النقل البحري والجوي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2008، ص 82 و 83. كمال مصطفى طه، أساسيات القانون البحري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2006، نص 236. محمد السيد الفقي، القانون البحري والجوي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001، ص 358.

<sup>2</sup> - عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص 335 و 336، محمد السيد الفقي، المرجع السابق، ص 359، كمال مصطفى طه، المرجع السابق، ص 336، هاني دويدار، المرجع السابق، ص 82.

<sup>3</sup> - المادة 01/05 من إتفاقية هامبورغ لسنة 1978.

غير أنه يجوز للناقل نفي قرينة الخطأ ودفع مسؤوليته بإثبات إتخاذ كافة التدابير المعقولة لمنع وقوع الضرر<sup>1</sup>، وهكذا يتبين أن إلتزام الناقل في إتفاقية هامبورغ هو إلتزام ببذل عناية لا بتحقيق نتيجة.

غير أن قواعد هامبورغ خرجت على الأساس العام لمسؤولية الناقل البحري وهو الخطأ المفترض في حالة الحريق حيث ألزمت المضرور بإثبات أن الحريق كان بخطأ من الناقل أو تابعيه، ومن ثم فمسؤولية الناقل في حالة الحريق تقوم على الخطأ الواجب الإثبات<sup>2</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قواعد هامبورغ عالجت مسؤولية الناقل الذي يقوم بشحن البضائع على سطح السفينة في غير الحالات التي يجوز فيها هذا الشحن، وكذلك في الحالة التي لا يجوز فيها للناقل الإحتجاج على الغير حسن النية بوجود إتفاق مع الشاحن على الشحن على السطح لم يدرج في سند الشحن، فقضت الإتفاقية<sup>3</sup> بأنه إستثناء من أحكام المادة الخامسة فقرة أولى يبقى الناقل مسؤولاً عن هلاك البضائع أو تلفها أو التأخير في تسليمها الناشئ فقط عن الشحن على السطح دون أن يستطيع دفع مسؤوليته بإثبات أنه قد إتخذ هو وتابعوه التدابير المعقولة لمنع الضرر، وبالتالي فهو لا يبرأ من المسؤولية إلا بإثبات السبب الأجنبي<sup>4</sup>.

### المطلب الثاني: التزامات الناقل البحري للبضائع

يقع في ذمة الناقل البحري للبضائع مجموعة من الإلتزامات والتي يفرضها عقد النقل البحري. وهذه الإلتزامات منها ما يتعلق بالسفينة ومنها ما يتعلق بالبضاعة المشحونة ومنها ما يتعلق بالرحلة البحرية وهو ما نوضحه فيما يلي:

<sup>1</sup> - المادة 01/05 من إتفاقية هامبورغ السابقة الذكر.

<sup>2</sup> - المادة 04/05 من إتفاقية هامبورغ السابقة الذكر، وانظر أيضاً: عبد الفتاح ترك، عقود البيوع البحرية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2007، ص 262.

<sup>3</sup> - المادة 09 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>4</sup> - محمد السيد الفقي، المرجع السابق، ص 360.

## الفرع الأول: التزامات الناقل المتعلقة بالسفينة

## أولاً: تقديم السفينة المتفق عليها

يجب على الناقل البحري أن يقدم السفينة المتفق عليها، وهنا يجب تحديد طبيعة العقد هل الأمر يتعلق بعقد إيجار السفينة لمدة معينة أو لسفر واحد أم يتعلق الأمر بعقد نقل بحري<sup>1</sup>.

ففي الحالة الأولى يلتزم المؤجر سواء لمدة معينة أو سفر واحد أو لعدة أسفار بتقديم السفينة المتفق عليها ولا يجوز له أن يستبدل غيرها ما لم تهلك أو تصبح غير صالحة للملاحة بسبب قوة قاهرة طرأت بعد السفر. أما في الحالة الثانية فلا يعد تعيين السفينة في العقد عنصراً جوهرياً ولا شرطاً في العقد، بل إن سندات الشحن كثيراً ما تتضمن شرطاً يجيز للناقل تقديم سفينة أخرى بدلاً من المتفق عليها وقد لا تعين السفينة في العقد<sup>2</sup>. والحقيقة أن الشاحن الذي يتعامل مع شركة ملاحية لا يهتم بوجه عام بالسفينة التي تنقل عليها البضاعة وكل ما يهمه هو أن تنقل البضاعة على سفينة صالحة للملاحة.

## ثانياً: إعداد سفينة قابلة للإبحار

إن أهم التزام يقوم به الناقل البحري هو إعداد سفينة قابلة للإبحار للقيام بعملية نقل البضائع بحيث يقوم الناقل بالسهر على توفير الإعداد التقني والإحتياجات في السفينة وتزويدها بالمؤن والرجال لجعلها صالحة للملاحة البحرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة صلاحية السفينة للملاحة مسألة نسبية تقدر حسب ظروف كل حالة مع مراعاة طبيعة البضاعة المنقولة ونوع الرحلة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - خلفي أمين، المسؤولية المدنية للناقل البحري للبضائع في التشريع الجزائري واتفاقية هامبورغ، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، 2009، ص10.

<sup>2</sup> - كمال مصطفى طه، أساسيات القانون الحري (دراسة مقارنة)، منشورات الطي الحقوقي، بيروت، 2006، ص223.

### ثالثاً: وضع السفينة تحت تصرف الشاحن

يتعين على الناقل أن يضع السفينة تحت تصرف الشاحن بحيث تكون مستعدة لتقبل البضائع في الزمان والمكان المتفق عليهما، فإذا كانت السفينة مؤجرة بالكامل فإنه يجب أن توضع بأكملها تحت تصرف المستأجر. أما إذا تعلق الأمر بنقل بحري بسند الشحن فلا يلتزم الناقل بأن يضع السفينة أو جزءاً منها تحت تصرف الشاحن، بل كل ما يلتزم به هو أن يوفر للبضاعة مكاناً صالحاً في السفينة<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: التزام الناقل فيما يخص البضاعة

#### أولاً: إستلام البضاعة

يجب على الناقل البحري إستلام البضائع من الشاحن، وتعتبر واقعة الإستلام بداية النطاق الزمني للنقل البحري وتبدأ التزماته ومسؤولياته بمجرد إستلام البضاعة<sup>3</sup>.

ويمكن تعريف إستلام البضاعة بأنه ذلك العمل المادي والقانوني الذي بموجبه يأخذ الناقل حيازة فعلية للبضاعة بقصد النقل، وبمجرد إستلامها تنتقل المخاطر على عاتق الناقل<sup>4</sup>.

ويتم إستلام البضاعة في ميناء الشحن ويمكن الإتفاق على أن يتم ذلك خارج حدود الميناء، كتسليمها في مخازن الشاحن أو مخازن الناقل أو في مقره<sup>5</sup>. وفيما يتعلق بميعاد إستلام البضاعة فيكون في المواعيد المتفق عليها، غير انه يجوز

<sup>1</sup> - بوحدى نصيرة، التزام الناقل البحري بتسليم البضائع في الموانئ الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق ابن عكنون، الجزائر، 2002، ص 50.

<sup>2</sup> - خلفي أمين، المرجع السابق، ص 75.

<sup>3</sup> - هاني دويدار، النقل البحري والجوي، ط 01، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2008، ص 227.

<sup>4</sup> - شتوان حياة، عقد النقل البحري للبضائع (دراسة في إطار اتفاقية بروكسل لسنة 1924 والقانون البحري

الجزائري)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، 2009، ص 65.

<sup>5</sup> - هانني دويدار، المرجع السابق، ص 229.

أن يتسلمها بعد شحنها، ويعني ذلك أن الشاحن هو الذي يتولى عملية الشحن وبالتالي لا يتحمل الناقل شيئاً من الأضرار التي قد تحدث للبضاعة حتى إتمام الشحن.

وفي التشريع البحري الجزائري وحسب المادة 1/739 فإن عقد النقل يبدأ بمجرد أخذ الناقل للبضاعة على عاتقه وقت وضعها تحت تصرفه أو تصرف ممثله القانوني.

### ثانياً: شحن البضاعة

يقصد بالشحن رفع البضاعة على الرصيف ووضعها على ظهر السفينة أو داخل العنابر المخصصة لذلك<sup>1</sup>. والأصل أن توضع البضائع في عنابر السفينة ولكن قد يلجأ الناقل إلى وضعها على سطح السفينة وهو الإستثناء، وفي ذلك نصت المادة 774 من القانون البحري الجزائري بقولها (لا يجوز تحميل البضائع على سطح السفينة إلا ضمن الشروط التي لا تحد من أمن الرحلة وعندما يكون التحميل في هذه الحالة نظامياً ومتعارفاً عليه بوجه عام وفي حالة تحميل البضائع على سطح السفينة يجب على الناقل إعلام الشاحن بذلك ما عدا في حالة ما إذا كان التحميل قد تم بالإتفاق مع الشاحن).

### ثالثاً: رص البضاعة

يقصد بالرص ترتيب البضاعة وتنظيمها على ظهر السفينة بطريقة تقيها من خطر الهلاك أو التلف أثناء السفر، وكذا توزيعها في العنابر أو على سطح السفينة في الأحوال التي يجوز فيها ذلك من أجل الحفاظ على توازن السفينة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد محمود حسني، عقد النقل البحري، منشأة المعارف، القاهرة، 1998، ص118.

<sup>2</sup> - بسعيد مراد، عقد النقل البحري للبضائع وفقاً للقانون البحري الجزائري والاتفاقيات الدولية، رسالة دكتوراه، كلية

الحقوق، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، 2012، ص72



وليس من تنظيم قانوني لهذه العملية، وقد جرى العرف على أن يكون الرص طبقا لما أتفق عليه في العقد أو حسب عادات الميناء<sup>1</sup>.

#### رابعاً: الالتزام بتفريغ وتسليم البضاعة

يلتزم الناقل بمجرد رسو السفينة في ميناء الوصول بتسليم البضاعة المشحونة عليها إلى المرسل إليه القانوني أو من يمثله والذي يطالب بإستلامها بناء على وثيقة الشحن<sup>2</sup>. ويعد التسليم الإجراء الأخير الذي يضع حدا لعقد النقل البحري إذ بتحقيقه ينتهي تنفيذ عقد النقل وهذا ما نصت عليه المادة 1/739 من القانون البحري الجزائري بقولها (يبدى عقد النقل البحري بمجرد اخذ الناقل البضاعة على عاتقه وينتهي بتسليم البضاعة إلى المرسل إليه أو إلى ممثله القانوني). ويتم التسليم في ميناء التفريغ أو الوصول، غير أنه قد يحدث وأن لا تصل السفينة للميناء المتفق عليه وبالتالي لا يتم التسليم. غير أن المشرع الجزائري بموجب المادة 1/781 أجاز للناقل في مثل هذه الحالة إنزال البضاعة في أقرب ميناء أو إرجاعها إلى ميناء الشحن هذا إذا ما وقع حادث فجائي، إذ يتحمل الناقل مصاريف ذلك<sup>3</sup>.

#### الفرع الثالث: التزامات الناقل البحري أثناء الرحلة البحرية

##### أولاً: الالتزام بنقل البضاعة

تنص المادة 775 من القانون البحري الجزائري على أنه (يجب أن تنقل البضائع في مدة مناسبة بالطريق المبلغ أو المتفق عليه وفي حالة عدم تحديده فبالطريق العادي ولا يعد مخالفة لعقد النقل البحري أي تغيير للطريق لإنقاذ حياة الأشخاص أو الأموال في البحر أو المحاولة في ذلك).

<sup>1</sup> - نبات خديجة، مسؤولية الناقل البحري في ظل قواعد روتردام، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة أمحمد

بوقرة ببومرداس، 2013، ص60.

<sup>2</sup> - بسعيد مراد، المرجع السابق، ص75.

<sup>3</sup> - نبات خديجة، المرجع السابق، ص62.

وتأسيسا على هذا النص فإن التزام الناقل يكون في ميناء الشحن إلى ميناء التسليم عبر الطريق الذي يخدم إرادة الطرفين أو عن الطريق المجرد العادي<sup>1</sup>. وإستثناء الخروج عن الطريق العادي أو المتفق عليه إلا في حالة إنقاذ حياة الأشخاص أو الأموال ويلتزم الناقل بإتباع خط السير المنصوص عليه في العقد، فإذا لم تحصل الإشارة إلى ذلك وكانت السفينة تتبع خط سير محدد من قبل فإنه يراعى في تنفيذ العقد إتباع الخط الأقصر والأكثر أمنا<sup>2</sup>.

### ثانيا: الالتزام بالعناية بالبضائع

يتحدد الإلتزام بالمحافظة على البضاعة من حيث نطاقه بحسب طبيعة البضاعة موضوع النقل، فقد تقتضي طبيعة البضاعة أن تحفظ في مكان بارد أو بعيد عن مصادر الحرارة أو في ثلاجات خاصة. وقد تحتاج إلى تهوية خاصة، ويعتبر التقصير من جانب الناقل في القيام بواجب المحافظة على البضاعة حسب طبيعتها خطأ تجاري<sup>3</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الناقل ملزم بالعناية في توصيل البضاعة سليمة إلى الميناء المقصود، وفي هذا الشأن عليه أن يعيد الحزم وإصلاح الأغلفة وإعادة الرص إن إرتجت البضاعة بسبب إنحراف السفينة التي قد تتعرض للعواصف أو تغيير المسار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - خلفي أمين، المرجع السابق، ص95، بسعيد مراد، المرجع السابق، ص76.

<sup>2</sup> - عبد الفضيل محمد احمد، القانون الخاص البحري، ط01، دار الفكر القانوني، القاهرة، 2011، ص410.

<sup>3</sup> - عبد الفضيل محمد احمد، المرجع السابق، ص409.

<sup>4</sup> - مروك جميلة، الاستغلال المينائي في الموانئ الجزائرية ومسؤولية الناقل البحري للبضائع، رسالة ماجستير،

كلية الحقوق ابن عكنون، جامعة الجزائر، 2002، ص70

### المطلب الثالث: نطاق مسؤولية الناقل البحري

في هذا المطلب نبين النطاق الزمني لمسؤولية الناقل البحري في القانون البحري الجزائري، كما نبين مجال المسؤولية في ظل اتفاقية هامبورغ لسنة 1978 وهو ما نوضحه في فرعين متتاليين على النحو التالي:

#### الفرع الأول: النطاق الزمني لمسؤولية الناقل البحري في القانون الجزائري

حدد المشرع الجزائري في القانون البحري النطاق الزمني لمسؤولية الناقل البحري بالفترة بين تسلّم الناقل للبضائع في ميناء الشحن وبين قيامه بتسليمها إلى المرسل إليه أو ممثله القانوني في ميناء التفريغ<sup>1</sup>.

وتأسيسا على ذلك فإن أحكام مسؤولية الناقل البحري الواردة في القانون البحري الجزائري تسري في الفترة الزمنية التي حددها المشرع، وبالتالي فإنه خارج هذا النطاق الزمني أي ما قبل هذه الفترة و ما بعدها فإن مسؤولية الناقل البحري تخضع للقواعد العامة في المسؤولية، كما يجوز الإتفاق بشأنها على شروط الإعفاء من المسؤولية في الحدود التي تسمح بها القواعد العامة إعمالا لمبدأ الحرية التعاقدية<sup>2</sup>.

#### الفرع الثاني: النطاق الزمني لمسؤولية الناقل البحري في ضوء إتفاقية هامبورغ

من أجل حماية مصالح الشاحنين أثناء تواجد البضائع في حراسة الناقل في ميناء الشحن أو التفريغ أو التحميل، فإن الناقل مسؤول عن الهلاك والأضرار التي تلحق البضائع أثناء تواجدها في حراسته في الفترة التي توجد فيها البضائع في حراسته سواء في ميناء الشحن أو أثناء النقل أو في ميناء التفريغ هذا ما قرره صراحة إتفاقية هامبورغ<sup>3</sup>.

وهكذا يتبين أن القانون البحري الجزائري متفق مع أحكام إتفاقية هامبورغ من حيث النطاق الزمني لمسؤولية الناقل البحري.

<sup>1</sup> - المادة 739 من القانون البحري الجزائري.

<sup>2</sup> - عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص336.

<sup>3</sup> - المادة 04 من الإتفاقية السابقة الذكر.

### المطلب الرابع: حالات قيام مسؤولية الناقل البحري

تقوم مسؤولية الناقل البحري في حالات ثلاثة، الحالة الأولى عند هلاك البضاعة أو نقصها والحالة الثانية عند تلف البضاعة وأخيرا تقوم مسؤولية الناقل البحري في حالة التأخر في تسليم البضاعة وهو ما نوضحه في فروع ثلاثة على النحو التالي:

#### الفرع الأول: هلاك البضاعة أو تلفها

يكون الناقل مسؤولا إذا هلكت البضاعة هلاكا كليا أو إذا وجد عند الوصول عجز في وزنها أو عددها المبين في سند الشحن، هذا ما عبر عنه المشرع الجزائري في المادة 802 من القانون البحري الجزائري بقوله (يعد الناقل مسؤولا عن الخسائر.....). فالخسارة يقصد بها فقدان البضاعة وعدم وصولها إلى المرسل إليه<sup>1</sup>.

والهلاك قد يكون كليا وقد يكون جزئيا، أما الهلاك الكلي فيكون عند إصابة البضاعة بدمار أو تلف أفقدها صفاتها الأساسية التي تتمتع بها في الظروف العادية من الناحية التجارية<sup>2</sup>.

أما الهلاك الجزئي أو الخسارة الجزئية فتكون عند وصول البضاعة ووجد فيها نقص في وزنها أو عددها أو كميتها المبينة في سند الشحن<sup>3</sup>.  
ومما تجدر الإشارة إليه أن العرف قد جرى على التسامح في النقص الطبيعي الذي يمكن أن يصيب البضاعة أثناء نقلها وأثناء عمليات الشحن والتفريغ، وهو ما وهو نقص عادي يصيب البضاعة بسبب طبيعتها، كما في يسمى بعجز الطريق<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد السيد الفقي، المرجع السابق، ص360، عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص339، عبد الفتاح ترك، المرجع السابق، ص263.

<sup>2</sup> - كمال مصطفى طه، القانون البحري الجديد، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 1995، ص307.

<sup>3</sup> - محمد السيد الفقي، المرجع السابق، ص360، عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص339، عبد الفتاح ترك، المرجع السابق، ص360

<sup>4</sup> - محمد السيد الفقي، المرجع السابق، ص360

حالة تبخر نسبة طفيفة من شحنة من البترول أو حالة نقص يسير في شحنة من القمح نتيجة الشحن والتفريغ، أو حالة فقدان نسبة يسيرة من الزيت نتيجة تعلقها بجدران صهاريج السفينة، إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى نقص طفيف في الشحنات<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: تلف البضاعة

يعد هذا النوع من الأضرار الأكثر شيوعاً في منازعات عقود النقل البحري. ويقصد بالتلف وقوع عطب بالبضاعة أو الأضرار اللاحقة بها أي فسادها بحيث يكون لذلك تأثير على قيمتها في السوق، فالبضاعة تصل كاملة إلى المرسل إليه من حيث مقدارها لكنها في حالة معيبة سواء شمل العيب البضاعة كلها أو جزء منها، كتعفن الفاكهة أو تحطم الأجهزة مثلاً، فالتلف يستوي أن يشمل عيب البضاعة كلها أو جزءاً منها<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: التأخر في تسليم البضاعة

لا يقتصر التزام الناقل على إيصال البضاعة في الحالة التي إستلمها عليها من حيث الكم والكيف وإنما عليه أن يسلمها في الآجال المتفق عليها حسب وثيقة الشحن إذا كان محددًا فيها، وإلا فخلال فترة زمنية معقولة يحددها عادة العرف وفقاً لنوع البضاعة ومسار الرحلة، وأي تأخير للسفينة لا يكون سبباً في التعويض إلا إذا كان غير عادي. ويتم تحديد هذا التأخر على أنه عادي أو غير عادي حسب العرف الجاري به العمل في المعاملات التجارية البحرية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص 339.

<sup>2</sup> - محمد كمال حمدي، مسؤولية الناقل البحري للبضائع في قانون التجارة البحرية رقم 08 لسنة 1990 (دراسة مقارنة مع إتفاقية هامبورغ)، منشأة المعارف، القاهرة، 1995، ص 72.

<sup>3</sup> - عباس مصطفى المصري، المركز القانوني للمرسل إليه في عقد النقل البحري، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2002، ص 196.

وقد كرس المشرع الجزائري إلزام الناقل البحري بعدم التأخر في تسليم البضاعة بموجب المادة 805 من القانون البحري الجزائري حيث إعتبر الناقل مسؤولاً عن التأخير في التسليم، وهذا الحكم يتوافق مع ماجاء في إتفاقية هامبورغ<sup>1</sup>.

### المبحث الثاني: دعوى مسؤولية الناقل البحري للبضائع

في هذا المبحث نبين الإجراءات الواجب إتباعها لرفع دعوى المسؤولية ضد الناقل كما ندرس كيفية تقدير التعويض المستحق للشاحن أو المرسل إليه طبقاً للقواعد العامة في القانون المدني كما نعالج حالات الإعفاء من مسؤولية الناقل البحري وأخيراً نتناول مدد تقادم دعوى المسؤولية وهو ما نوضحه في مطالب أربع على النحو التالي:

#### المطلب الأول: إجراءات رفع دعوى مسؤولية الناقل البحري

تبدأ إجراءات رفع دعوى المسؤولية بالقيام بإخطار الناقل أو من يمثله قانوناً، كما نبحث مسألة الإختصاص القضائي بخصوص دعوى المسؤولية وهو ما نعالجه في فرعين تباعاً على النحو التالي:

#### الفرع الأول: شرط الإخطار

يتعين على صاحب الحق لإثبات واقعة هلاك البضاعة أو تلفها حتى يتمكن من المطالبة بالتعويض أن يقوم بإخطار الناقل بالهلاك أو التلف<sup>2</sup>. ولم يعرف المشرع الجزائري ولا معاهدة هامبورغ الإخطار، غير أن المشرع الجزائري نص على الحالات التي يتم فيها إجراء الإخطار الذي يجب أن يكون متعلقاً بحالة الخسائر وحالة الأضرار اللاحقة بالبضاعة. ويشترط في الإخطار أن يكون مكتوباً هذا ما نصت عليه المادة 790 من القانون البحري الجزائري كما أكدت عليه إتفاقية هامبورغ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المادة الخامسة 05 من إتفاقية هامبورغ.

<sup>2</sup> - خلفي أمين، المرجع السابق، ص75.

<sup>3</sup> - المادة 09 من الإتفاقية.

وقد تكون الكتابة بخط يد صاحب البضاعة أو بآلة راقنة أو على الكمبيوتر أو بواسطة أية وسيلة أخرى من الوسائل الحديثة للكتابة<sup>1</sup>.

ولا تعتبر الكتابة شرط لقبول الدعوى وإنما هي لازمة لإثبات وجود الضرر عند التسليم، كما لا يشترط في الكتابة شكل خاص<sup>2</sup>. ويجب أن يكون الإخطار واضحا ومحددا بحيث يتضمن ما أصاب البضاعة فعلا من الخسائر والأضرار المحددة بصفة واضحة ودقيقة، وأن يكون محددا بعيدا عن العموميات التي تجعل منه مجرد سرد لبيانات لا تفي بالغرض من تحريرها<sup>3</sup>.

وقد حددت المادة 790 من القانون البحري الجزائري والمادة 6/03 من إتفاقية هامبورغ الأطراف المعنية بالإخطار، وهم المرسل إليه أو ممثله القانوني من جهة، والناقل البحري أو ممثله من جهة ثانية. ويوجه الإخطار إلى الناقل أو وكيله كما يوجه إلى الريان<sup>4</sup>.

وعن ميعاد الإخطار فقد ميز المشرع الجزائري بالمادة 790 بين حالتين من الخسائر والأضرار، ظاهرة أو غير ظاهرة.

ففي الحالة الأولى يكون ميعاد تقديم الإخطار قبل وقت تسليم البضاعة إلى المرسل إليه أو ممثله القانوني وفي الحالة الثانية فإن ميعاد تقديم الإخطار يتم خلال ثلاثة أيام عمل إعتبارا من التسليم الفعلي للبضاعة. أما في ضوء إتفاقية هامبورغ فهي أيضا ميزت بين الهلاك أو التلف الظاهر والهلاك أو التلف غير الظاهر، ففي الحالة الأولى فإنه حسب المادة 1/19 من

<sup>1</sup> - خلفي أمين، المرجع السابق، ص76.

<sup>2</sup> - على جمال الدين عوض، القانون البحري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987، ص304.

<sup>3</sup> - بوحدوي نصيرة، المرجع السابق، ص36.

<sup>4</sup> - خلفي أمين، المرجع السابق، ص76.

الإتفاقية فإن توجيه الإخطار يجب أن يتم في يوم العمل التالي ليوم تسليم البضاعة إلى المرسل إليه<sup>1</sup>.

وفي الحالة الثانية فحسب المادة 02/19 من الإتفاقية فإنه يجب توجيه الإخطار الكتابي في خلال الخمسة عشرة يوما المتصلة التي تلي يوم التسليم.

### الفرع الثاني: الاختصاص القضائي

قرر المشرع الجزائري أن القضايا المتعلقة بعقد النقل البحري ترفع أمام الجهات القضائية المختصة إقليميا حسب قواعد القانون العام<sup>2</sup>.

ولما كان عقد النقل البحري عقد تجاري دائما بالنسبة للناقل، وتجري في الوضع الغالب بالنسبة للشاحن والمرسل إليه<sup>3</sup>، فإن المادة 37 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية تقضي بأنه يحق للمدعي أن يقيم الدعوى بحسب إختياره إما لدى محكمة بها موطن المدعى عليه أي الناقل، أو محل إبرام العقد وتسليم البضاعة، وإما لدى محكمة محل الدفع، ويستفيد المرسل إليه من هذا النص حيث يستطيع رفع الدعوى في محكمة محل تسليم البضاعة خاصة إذا كان النقل دوليا، ومحل الناقل في بلد أجنبي.

أما في ظل إتفاقية هامبورغ<sup>4</sup> فإن الإختصاص القضائي يتحدد إما بالمحل الرئيسي لعمل المدعى عليه، وإن لم يكن له محل عمل رئيسي، فالمحل الإعتيادي لإقامة المدعى عليه. وإما بمكان إبرام العقد بشرط أن يكون للمدعى عليه فيه محل عمل أو فرع أو وكالة أبرم العقد عن طريق أي منها، وإما محكمة ميناء الشحن أو ميناء التفريغ. وأخيرا أي مكان آخر يعين في عقد النقل.

<sup>1</sup> - محمود كمال حمدي، المرجع السابق، ص 227.

<sup>2</sup> - المادة 745 من القانون البحري الجزائري

<sup>3</sup> - محمد السيد الفقي، المرجع السابق، 397، عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص 367، كمال مصطفى طه،

المرجع السابق، ص 385.

<sup>4</sup> - المادة 21/ من الإتفاقية السابقة الذكر



ومما سبق يتبين أن إتفاقية هامبورغ قد وسعت من عدد المحاكم المختصة بنظر الدعوى الناشئة عن عقد نقل البضائع بالبحر، الأمر الذي يحقق قدرا كبيرا من المرونة واليسر بالنسبة لكل من مالك البضائع والناقل معا.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن المادة 21 من الإتفاقية وإن كانت حددت في بنودها الأولى المحاكم المختصة بنظر المنازعات الناشئة عن عقد النقل البحري إلا أنها أجازت<sup>1</sup> بعد وقوع النزاع إتفاق الطرفين على عقد الإختصاص لمحكمة أخرى غير المذكورة في المادة 21 من الإتفاقية. ولا شك أن هذا يشكل مرونة كبيرة للغاية منها رعاية مصالح طرفي العقد مع تفادي إمكانية الإضرار بالشاحن.

### المطلب الثاني: تقدير التعويض

في هذا المطلب نضع تعريفا للتعويض القضائي أولا، كما نبين العناصر التي يشتمل عليها التعويض طبقا للقواعد العامة في القانون المدني، وهو ما نوضحه في فرعين متتاليين على النحو التالي:

### الفرع الأول: تعريف التعويض

لم يضع المشرع الجزائري تعريفا للتعويض، وإنما إكتفى ببيان مداه والوسائل التي يمكن للدائن المطالبة بها في مواجهة المدين.

وفي الفقه<sup>2</sup> يعرف التعويض بأنه "مبلغ من النقود أو أية ترضية من جنس الضرر تعادل ما لحق المضرور من خسارة وما فاتته من كسب كان نتيجة طبيعية لوقوع الضرر".

وهو "مبلغ من النقود يساوي المنفعة التي كان سيحصل عليها المتعاقد لو أن المتعاقد الآخر نفذ إلتزامه على النحو المتفق عليه أو على النحو الذي يقضي به حسن النية والثقة المتبادلة بين الناس"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المادة 05/21 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الحكيم، الوجيز في نظرية الإلتزام، ج01، بدون دار نشر، 1980، ص244.

ومن خلال التعريفين السابقين يتضح أن التعويض هو جزء تحقق المسؤولية أي النتيجة الطبيعية لتحمل المسؤول قيمة الضرر الذي ألحقه بالمضرور .

### الفرع الثاني: عناصر التعويض

في حالة خلو عقد النقل من شرط خاص بكيفية تقدير التعويض أو خلوه من أحكام خاصة بتحديد مسؤولية الناقل، يتولى القاضي تقدير التعويض طبقاً للقواعد العامة<sup>2</sup>.

وتقضي القواعد العامة أن المدين يلتزم بتعويض الدائن عما لحقه من خسارة وما فاتته من كسب<sup>3</sup>.

فعنصر الخسارة اللاحقة يختلف بحسب ما إذا تعلق الأمر بأضرار جسمية أو تعلق الأمر بأضرار مادية.

ففي الحالة الأولى فإن الخسارة اللاحقة تتجسد عموماً في مصروفات ونفقات العلاج التي تكبدها المضرور بسبب الإصابة التي تعرض لها<sup>4</sup>. أما في الحالة الثانية فإن الخسارة اللاحقة تتجسد في ما لحق الدائن من ضرر بسبب عدم تنفيذ المدين لإلتزامه أو بسبب تأخره في التنفيذ<sup>5</sup>.

فالناقل الذي تهلك البضاعة في يده أو يسلمها تالفة أو يتأخر في التسليم حسب ما هو متفق عليه في عقد النقل البحري، يلتزم بتعويض ما أصاب الشاحن أو المرسل إليه من خسارة نتيجة الهلاك أو التلف أو التأخر في التسليم. أما الكسب الفائت فيتمثل فيما ضاع على الشاحن أو المرسل إليه من ربح بسبب عدم قيام الناقل بتنفيذ التزاماته، مما ترتب عليه فوات صفقة رابحة ثبت إنه

<sup>1</sup> - منير قزمان، التعويض المدني في ضوء الفقه والقضاء، ط01، دار الفكر الجامعي، القاهرة، 2002، ص93.

<sup>2</sup> - هاني دويدار، المرجع السابق، ص105.

<sup>3</sup> - المادة 182 من القانون المدني الجزائري.

<sup>4</sup> - سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، ج03، ط05، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 1988، ص537.

<sup>5</sup> - عبد المجيد الحكيم، المرجع السابق، ص57.

كان سيعقدها لو قام الناقل بتنفيذ إلتزامه بتسليم بضاعة سليمة وفي الميعاد المتفق عليه.

### المطلب الثالث: الإعفاء من مسؤولية الناقل البحري وتحديدها

إذا كانت القاعدة أن الناقل يسأل عن هلاك البضاعة كليا أو جزئيا كما يسأل عن تلفها وعن التأخر في التسليم حسب المواعيد المتفق عليها فإن هذه القاعدة ترد عليها بعض الإستثناءات بحيث يعفى الناقل من المسؤولية، وهو ما نعالجه في ظل القانون البحري الجزائري وفي ضوء أحكام إتفاقية هامبورغ في فرعين على النحو التالي:

### الفرع الأول: حالات الإعفاء من مسؤولية الناقل البحري في القانون الجزائري

حدد المشرع الجزائري<sup>1</sup> حالات أوردها على سبيل الحصر يعفى فيها الناقل من المسؤولية وهذه الحالات حددتها المادة 803 من القانون البحري الجزائري بقولها (يعفى الناقل من المسؤولية المذكورة في المادة السابقة إذا كانت الخسائر أو الأضرار اللاحقة بالبضائع ناشئة أو ناتجة مما يلي:

- 1- حالة عدم الصلاحية الملاحية للسفينة عندما يقدم الناقل الدليل على أنه قام بواجباته المبينة في المادة 604.
- 2- الأخطاء الملاحية التي يرتكبها الريان أو المرشد أو المندوبون البحريون الآخرون عن الناقل.
- 3- الحريق إلا إذا كان مسببا من فعل أو خطأ الناقل.
- 4- أخطار وحوادث البحر أو المياه الأخرى الصالحة للملاحة.
- 5- القوة القاهرة.
- 6- الإضرابات وإغلاق المستودعات أو المصانع في وجه العمل أو إعاقته كليا أو جزئيا.
- 7- عيب خفي أو عيب ذاتي للبضائع أو نقص البضاعة أثناء السفر.

<sup>1</sup> - المادة 803 من القانون البحري الجزائري.

- 8- أخطاء الشاحن.  
 9- عيب خفي للسفينة.  
 10- إنقاذ حياة الأشخاص أو الأموال في البحر أو المحاولة في ذلك.  
 11- الأفعال المسببة لحادث لا ينسب للناقل.  
 12- أي سبب آخر لا يمكن أن يكون الناقل أو من ينوب عنه مسؤولاً عنه)

### الفرع الثاني: حالات الإعفاء في إتفاقية هامبورغ

حددت إتفاقية هامبورغ بعض الحالات التي يعفى فيها الناقل البحري من المسؤولية. وتتمثل هذه الحالات في: الأولى هي حالة الإعفاء عند إنقاذ الأرواح والأموال في البحر<sup>1</sup>. ففي هذه الحالة تكفي أية تدابير تستهدف إنقاذ الأرواح ولو كان مبالغ فيها، أما بالنسبة لإنقاذ الأموال أو الممتلكات، فإن إتفاقية هامبورغ تستلزم في التدابير الأزمة لإنقاذ الأموال في البحر أن تكون تدابير معقولة. والثانية الإعفاء في حالة الحريق<sup>2</sup> وهذه الحالة نصت عليها الإتفاقية ضمناً بعكس الحالة الأولى وذلك لأنه جاء على خلاف القاعدة العامة التي تقوم عليها مسؤولية الناقل في إتفاقية هامبورغ وهي قاعدة الخطأ أو الإهمال المفترض، فبينما أقامت المادة 01/05 من الإتفاقية مسؤولية الناقل على الخطأ أو الإهمال المفترض، وأعفت الشاحن أو المدعي من عبء إثبات خطأ الناقل، نجدها بعكس هذه القاعدة تلقي على الشاحن أو المدعي عبء إثبات خطأ أو إهمال الناقل المؤدي للحريق أو خطئه أو الإهمال المفترض .

والحالة الأخيرة وهي إعفاء الناقل من المسؤولية في حالة نقل الحيوانات الحية، فقد قررت الإتفاقية<sup>3</sup> أن الناقل لا يسأل عن الهلاك أو التلف أو التأخير في التسليم الناتج عن هذه المخاطر. ومتى أثبت الناقل أنه نفذ التعليمات الخاصة التي أصدرها إليه الشاحن فيما يتعلق بنقل هذه الحيوانات، وأن الهلاك

<sup>1</sup> - المادة 06/05 من الإتفاقية السابقة الذكر

<sup>2</sup> - المادة 04/05 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>3</sup> - المادة 05/05 من الإتفاقية السابقة الذكر.

أو التلف أو التأخير في التسليم يمكن إن يعزى في مثل هذه الحالة إلى هذه المخاطر، فيفترض أن الهلاك أو التلف أو التأخير في التسليم قد نتج عن هذه المخاطر ما لم يتوافر دليل على أن الهلاك أو التلف أو التأخير في التسليم قد نتج كله أو بعضه عن خطأ أو إهمال من جانب الناقل أو مستخدميه أو وكلائه.

### الفرع الثالث: تحديد مسؤولية الناقل البحري

سعى من المشرع إلى تحقيق التوازن بين مصالح الناقلين من جهة ومصالح الشاحنين من جهة أخرى فقد راعى مصالح الناقلين بتحديد مسؤوليتهم بمبالغ قصوى حتى لا تتقل الأعباء كاهلهم وحتى يستطيعون مواصلة نشاطهم في خدمة التجارة البحرية.

#### أولاً: التحديد القانوني لمسؤولية الناقل البحري في القانون الجزائري

تحدد مسؤولية الناقل البحري<sup>1</sup> أيما كان نوعها عن هلاك البضائع أو تلفها أو التأخير في تسليمها بما لا يجاوز 10.000 وحدة حسابية عن كل طرد أو وحدة شحن أخرى أو 30 وحدة حسابية عن كل كيلو غرام يصاب بخسائر أو أضرار من الوزن الإجمالي للبضاعة للحد الأدنى المطبق. ومقدار يعادل مرتين ونصف من أجرة النقل المستحقة الدفع عن البضائع المتأخرة التي لم تسلم في الوقت المنفق عليه أو في الوقت المعقول المطلوب من ناقل حريص.

ويقصد بالوحدة الحسابية وحدة حساب متكونة من خمسة وستين ميلي غرام ونصف من الذهب على أساس تسعة مائة من الألف في النهاية.

ويمكن أن تحول وحدات الحساب المذكورة بالعملة الوطنية بأرقام مضبوطة، ويتم التحويل في حالة دعوى قضائية حسب قيمة الذهب للعملة المذكورة بتاريخ النطق بالحكم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المادة 803 من القانون البحري الجزائري

<sup>2</sup> - المادة 03/805 من القانون البحري الجزائري.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الحد القانوني ليس تقديرا جزافيا لقيمة الطرود أو الوحدة، وإنما هو حد قانوني للمسؤولية، كما أنه ليس شرطا جزائيا، وإنما هو حد أقصى لا ينطبق إلا في حالة ما إذا كان الضرر الحقيقي يفوق الحد القانوني المذكور<sup>1</sup>.

ويقع على عاتق الشاحن أو المرسل إليه إثبات مقدار الضرر الحاصل فعلا لكل طرد أو وحدة وذلك طبقا للقواعد العامة.

ويقدر التعويض عن خسارة البضائع بالنسبة لقيمتها الجارية، أما التعويض عن الخسارة البحرية للبضائع فعلى أساس فرق قيمتها الجارية وهي بحالة جيدة مقارنة مع قيمتها بعد الخسارة<sup>2</sup>.

ويحسب المبلغ الإجمالي أي مبلغ التحديد بالرجوع إلى قيمة البضائع في يوم ومكان التفريغ طبقا للعقد أو اليوم والمكان الواجب فيه تفريغها<sup>3</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أخيرا انه يقع باطلا كل إتفاق قبل وقوع الحادث الذي نشأ عنه الضرر يكون موضوعه تحديد مسؤولية الناقل بمبلغ يقل عن الحد القانوني<sup>4</sup>.

وأخيرا هناك حالات لا يجوز فيها للناقل التمسك بتحديد مسؤوليته، والحالة الأولى إذا تبين أن الخسارة أو الضرر الذي لحق البضائع نتج عن إهمال من قبل الناقل وكان عن عمد لإحداث الضرر<sup>5</sup>.

#### ثانيا: التحديد القانوني للمسؤولية في إتفاقية هامبورغ

إن إتفاقية هامبورغ<sup>1</sup> إعتمدت حقوق السحب كما يحددها صندوق النقد الدولي، أساسا لتحديد مسؤولية الناقل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تحديد

<sup>1</sup> - عاطف محمد الفقي، المرجع السابق، ص 351 و352.

<sup>2</sup> - المادة 04/805 من القانون البحري الجزائري.

<sup>3</sup> - المادة 806 من القانون البحري الجزائري.

<sup>4</sup> - المادة 811 من القانون البحري الجزائري.

<sup>5</sup> - المادة 809 من القانون البحري الجزائري.

مسؤولية الناقل البحري في حالة هلاك البضائع أو تلفها يختلف عن تحديد مسؤولية الناقل في حالة التأخير في تسليم البضائع، تأسيساً على أن التأخير في التسليم يشكل نوعاً من الخسارة تختلف في طبيعتها عن تلك المتعلقة بالهلاك أو الأضرار التي تلحق بالبضائع المنقولة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كرسبت إتفاقية هامبورغ في تحديد المسؤولية عن التأخير في التسليم وبين الأجرة المستحقة للدفع، وجعلت هذه الأخيرة حداً أقصى لا يمكن أن يتجاوزه التعويض عن التأخير في التسليم.

إن إتفاقية هامبورغ تعتمد في التقدير على الطرد أو الوحدة في تحديد التعويض بالنسبة للبضائع ذات القيمة الكبيرة والوزن القليل.

وعلى الوزن لتحديد التعويض بالنسبة للبضائع ذات الأوزان الكبيرة والقيمة القليلة نسبياً والتي غالباً ما تشحن بدون تغليف.

إن مسؤولية الناقل البحري في ضوء إتفاقية هامبورغ تتحدد بمبلغ يعادل 935 وحدة حسابية من حقوق السحب الخاصة، وذلك لكل طرد أو وحدة شحن أخرى، و 2.5 وحدة حسابية للكيلو غرام من الوزن الإجمالي من البضائع المفقودة أو التالفة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إتفاقية هامبورغ<sup>2</sup> حددت حداً أقصى للتعويض لا يجوز للشاحن أن يتجاوزه بالنسبة لجميع الخسائر والأضرار التي تلحق بالبضائع المنقولة أياً كان سببها، سواء الخسائر المادية أو التأخير، وهو مبلغ التعويض المستحق في حالة الهلاك الكلي للبضائع المشار إليه في المادة 6/أ من الإتفاقية. وأخيراً قررت الإتفاقية<sup>3</sup> أنه يجوز الإتفاق بين الناقل والشاحن على حدود لمسؤولية الناقل أعلى مما جاء في الإتفاقية أما الإتفاق على حدود أقل للمسؤولية مما هو وارد في الإتفاقية فهو غير جائز.

<sup>1</sup> - المادة 06 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>2</sup> - المادة 01/05 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>3</sup> - المادة 04/06 من الاتفاقية السابقة الذكر.

## المطلب الرابع: تقادم دعوى المسؤولية

قرر المشرع الجزائري<sup>1</sup> أن تتقادم الدعاوى الناشئة عن عقد النقل البحري بمرور سنتين من يوم تسليم البضاعة أو اليوم الذي كان يجب أن تسلم فيه. أما بالنسبة للدعاوى المتعلقة بال فقدان أو الأضرار اللاحقة بالبضائع المنقولة، فقد قرر المشرع مدة تقادم قصيرة للدعاوى التي يمكن أن ترفع ضد الناقل بمناسبة عقد النقل البحري. وهذه المدة هي سنة واحدة<sup>2</sup>.

غير أن المشرع الجزائري أجاز تمديد هذه المدة باتفاق الطرفين، الناقل والشاحن إلى سنتين تبدأ من وقوع الحادث الذي ترتبت عليه دعوى التعويض<sup>3</sup>. وبالنسبة لدعاوى الرجوع فيمكن رفعها حتى بعد إنقضاء مدة سنتين من تاريخ وقوع الحادث على أن لا تتعدى ثلاثة أشهر من اليوم الذي يسدد فيه من رفع دعوى الرجوع المبلغ المطالب به، أو يكون إستلم هو نفسه تبليغ الدعوى<sup>4</sup>. أما في إتفاقية هامبورغ<sup>5</sup> فقد حددت مدة تقادم الدعوى بسنتين تبدأ من تاريخ وقوع الحادث وتطبق هذه المدة على أي دعوى تتعلق بنقل البضائع بموجب الإتفاقية إذا أهمل صاحبها في اتخاذ إجراءات التقاضي أو التحكيم في مدة عامين.

وتبدأ هذه المدة من يوم قيام الناقل بتسليم البضاعة أو تسليم جزء منها، وفي حالات عدم تسليم البضائع، من آخر يوم كان يتوجب أن يسلمها فيه<sup>6</sup>. ومما تجدر الإشارة إليه أن إتفاقية هامبورغ أجازت في أي وقت أثناء مدة التقادم، أن يقوم الشخص الذي تقام في حقه مطالبة بمدد مدة التقادم بإعلان كتابي

<sup>1</sup> - المادة 742 من القانون البحري الجزائري.

<sup>2</sup> - المادة 743 من القانون البحري الجزائري.

<sup>3</sup> - المادة 02/743 من القانون البحري الجزائري.

<sup>4</sup> - المادة 744 من القانون البحري الجزائري.

<sup>5</sup> - المادة 20 من الإتفاقية السابقة الذكر.

<sup>6</sup> - المادة 20 من الإتفاقية السابقة الذكر.



يوجهه إلى المطالب، ويجوز إعادة تمديد مدة التقادم بإعلان لاحق أو إعلانات لاحقة<sup>1</sup>.

### خاتمة

عالج البحث مسؤولية الناقل البحري للبضائع في القانون البحري الجزائري وفي ضوء إتفاقية هامبورغ لسنة 1978. وأوضحت أن مسؤولية الناقل سواء في القانون الجزائري أو في إتفاقية هامبورغ تقوم على أساس الخطأ المفترض أو الإهمال المفترض، ذلك أن إلزام الناقل هو إلزام بتحقيق نتيجة وليس إلزام ببذل عناية.

كما بين البحث أن الناقل البحري للبضائع يسأل سواء في القانون الجزائري أو في ضوء إتفاقية هامبورغ في الفترة بين تسليم البضاعة في ميناء الشحن وبين قيامه بتسليم البضاعة إلى المرسل إليه أو إلى ممثله القانوني في ميناء التفريغ. يضاف الى ما سبق فقد بينت الدراسة أن الناقل البحري يسأل في حالات ثلاثة، الأولى في حالة هلاك البضائع كلياً أو جزئياً كما يسأل إذا وصلت البضاعة تالفة، وأخيراً يسأل عن التأخير في الوصول. وهذه الحالات متشابهة بين القانون الجزائري وإتفاقية هامبورغ.

وخلص البحث إلى أن تقدير التعويض يخضع للقواعد العامة في القانون المدني ما لم يوجد في عقد النقل تحديداً لمثل هذا التعويض. وبالإضافة إلى ذلك بينت الدراسة الحالات التي يعفى فيها الناقل البحري من المسؤولية وهذه الحالات تتمثل من ناحية في حالة إنقاذ الأرواح أو الممتلكات والحالة الثانية الإعفاء في حالة الحريق والحالة الأخيرة الإعفاء في حالة نقل الحيوانات.

<sup>1</sup> - المادة 20 من الإتفاقية السابقة الذكر

وأخيرا وقف البحث على الإختلاف الطفيف في أسس تحديد مسؤولية الناقل البحري بين القانون البحري الجزائري وأحكام إتفاقية هامبورغ. وتوصلت الدراسة إلى التوصيات التالية:

- 1 - نوصي بتعديل المادة 742 من القانون البحري الجزائري المتعلقة بالتقادم بحيث تصبح مدة التقادم أطول مما هو مقرر، ونقترح مدة خمس سنوات كمدة تقادم تبدأ من يوم تسليم البضاعة أو اليوم الذي كان يجب أن تسلم فيه هذا بخصوص دعاوى النقل البحري، أما الدعاوى المتعلقة بالفقدان أو الأضرار اللاحقة بالبضائع فتقترح مدة تقادم تتمثل في ثلاث سنوات لحماية لمصالح الشاحن.
- 2 - نوصي بتعديل المادة 790 من القانون البحري الجزائري المتعلقة بمدة تقديم الإخطار بحيث يطيل المشرع من مدة تقديمه، فعوض أن يتم في مدة ثلاثة أيام، يتم تقديمه في مدة خمسة عشرة يوما تماشيا مع أحكام إتفاقية هامبورغ وحتى يتسنى للشاحن الوقت الكافي.
- 3 - نوصي بضرورة أن يوسع المشرع الجزائري من نطاق الإختصاص القضائي بخصوص دعوى المسؤولية بحيث يكون أمام الشاحن الخيار في رفع الدعوى أمام المحكمة التي تناسبه إقتداءا بأحكام إتفاقية هامبورغ.
- 4 - نوصي بأن يضيق المشرع الجزائري من نطاق الحالات المعفاة من المسؤولية حماية لمصالح الشاحن.

### قائمة المراجع

#### أولاً: الكتب

- 1- سمير الشراوي، القانون البحري دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.
- 2- عاطف محمد الفقي، قانون التجارة البحرية دار الفكر الجامعي، القاهرة، 2007.
- 3- هاني دويدار، النقل البحري والجوي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2008.
- 4- كمال مصطفى طه، أساسيات القانون البحري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2006.
- 5- عبد الفتاح ترك، عقود البيوع البحرية الدولية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2007.
- 6- محمد السيد الفقي، القانون البحري والجوي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001.
- 7- احمد محمود حسني، عقد النقل البحري، منشأة المعارف، القاهرة، 1998.
- 8- عبد الفضيل محمد احمد، القانون الخاص البحري، ط1، دار الفكر القانوني، القاهرة، 2011.

- 9 - علي جمال الدين عوض، القانون البحري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987.
- 10 - كمال مصطفى طه، القانون البحري الجديد، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 1995.
- 11 - محمد كمال حمدي، مسؤولية الناقل البحري للبضائع في قانون التجارة البحرية رقم 08 لسنة 1990 (دراسة مقارنة مع اتفاقية هامبورغ)، منشأة المعارف، القاهرة، 1995.
- 12 - عباس مصطفى المصري، المركز القانوني للمرسل إليه في عقد النقل البحري، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2002.
- 13 - عبد المجيد الحكيم، الوجيز في نظرية الالتزام، ج01، بدون دار نشر، 1980.
- 14 - منير قزمان، التعويض المدني في ضوء الفقه والقضاء، ط01، دار الفكر الجامعي، القاهرة، 2002.
- 15 - سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، ج03، ط05، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 1988.

#### ثانياً: الرسائل العلمية

- 1 - خلفي أمين، المسؤولية المدنية للناقل البحري للبضائع في التشريع الجزائري واتفاقية هامبورغ، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، 2009.
- 2 - بوحي نصيرة، التزام الناقل البحري بتسليم البضائع في الموانئ الجزائرية، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الجزائر (ابن عكنون)، 2002.
- 3 - شتوان حياة، عقد النقل البحري للبضائع (دراسة في إطار اتفاقية بروكسل لسنة 1924 والقانون البحري الجزائري)، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، 2009.
- 4 - بسعيد مراد، عقد النقل البحري للبضائع وفقاً للقانون البحري الجزائري والاتفاقيات الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، 2012.
- 5 - نبات خديجة، مسؤولية الناقل البحري في ظل قواعد روتردام، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة أحمد بوقرة بيومرداس، 2013.
- 6 - مروك جميلة، الاستغلال المينائي في الموانئ الجزائرية ومسؤولية الناقل البحري للبضائع، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الجزائر (ابن عكنون)، 2002.

#### ثالثاً: القوانين والمعاهدات

- 1 - إتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بالنقل البحري للبضائع الموقعة في 31 مارس 1978 المسماة بقواعد هامبورغ.
- 2 - القانون رقم 98-05 مرخ في أول ربيع الأول عام 1419 هـ الموافق 25 يونيو سنة 1998 يتضمن القانون البحري الجزائري - جريدة رسمية عدد 47 صادرة في 27 يونيو 1998.
- 3 - القانون رقم 08-09 مرخ في 18 صفر 1424 هـ الموافق لـ 25 فيفري 2008 يتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية - جريدة رسمية عدد 21 صادرة في 23 فيفري 2008

## شعرية العتبات النصية في المجموعة القصصية حائط رحمونة لعبد الله كروم:

د. سعاد شابي أستاذة محاضرة "أ"  
جامعة أحمد دراية - أدرار - الجزائر

### ملخص:

اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بجميع الأنواع السردية ومن نواح شكلية وجمالية، ولعل موضوع العتبات من أهم ما حظي بالبحث والدراسة خاصة من حيث الشعرية.

واخترت القصة القصيرة كنوع سردي لأطبق عليه بحث شعرية العتبات، واخترت المجموعة القصصية حائط رحمونة للمبدع عبد الله كروم نموذجا.

### **Résumé :**

Les études critiques modernes se sont focalisées sur tous les genres littéraires du point de vue formels et esthétiques. Le thème des seuils notamment en termes de poétique est le point le plus digne de recherche.

J'ai choisi la nouvelle comme genre narratif pour appliquer la recherche de poétique des seuils, pour ce faire, j'ai choisi « le mur de rahmouna » comme modèle d'étude.

### مقدمة:

اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بجميع الأنواع السردية ومن نواح شكلية وجمالية، ولعل موضوع العتبات من أهم ما حظي بالبحث والدراسة خاصة من حيث الشعرية، لذا اخترت المجموعة القصصية حائط رحمونة نموذجا لأطبق عليه بحث شعرية العتبات.

وللولوج في موضوع الدراسة ارتأيت أن أقدم مجموعة من المفاهيم الخاصة بمجموعة من المصطلحات التي أراها مفاتيحا ومداخيل هامة في هذا البحث.

## 1\_ مفاهيم مصطلحاتية:

## أ\_ القصة القصيرة:

القصة لون من ألوان التعبير النثري، ولقد عكف الكتاب على كتابتها كثيرا خاصة منذ الاستقلال بسبب سهولة تناولها، ولأنهم وجدوا فيها الوسيلة الأنسب للتعبير عن أوضاعهم وعن الحياة التي يعيشونها.

وقد وجدت القصة القصيرة لنفسها مكانة واسعة في الأدب الجزائري جعلت منها أحد أهم فنون النثر الجزائري فكتبها الأدباء الجزائريون باللغة العربية واللغة الفرنسية وتنوعت موضوعاتها في كلا الاتجاهين.

القصة القصيرة كما يراها الدكتور رشاد رشدي: "هي التي تروي خبرا، ولكن لا يمكن أن نعتبر كل خبر أو مجموعة من الأخبار قصة، فلأجل أن يصبح الخبر قصة يجب أن تتوفر فيه خاصيتين معينتين، أولهما أن يكون لها أثر كلي بمعنى أن تتصل تفاصيل الخبر أو أجزاءه مع بعضها البعض، بحيث يكون لمجموعها الأثر الكلي أو المعنى الكلي وثانيهما أن يسعى كاتب الأفضوصة إلى إبراز صورة واضحة المعالم بينة القسمات لقطاع من الحياة، يجب أن يؤدي إلى إبراز فكرة معينة"<sup>1</sup>

ويرى الدكتور عبد الله الركبي أن: "القصة القصيرة هي التي تعبر عن المواقف أو لحظة معينة من الزمن في حياة الإنسان، ويكون الهدف هو التعبير عن تجربة إنسانية نقنعنا بإمكان وقوعها"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - فن القصة القصيرة: رشاد رشدي، دار العودة، بيروت، ط2، 1975م، ص33.

<sup>2</sup> - القصة الجزائرية القصيرة: عبد الله الركبي، دار العربية للكتاب، ليبيا\_تونس، ط3، 1977م، ص152.

وتكاد تتفق معظم الآراء على أن القصة القصيرة تتميز بخصائص أساسية هي: (الحدث، الخبر القصصي أو الموضوع، الشخصية، البيئة، النسيج القصصي)<sup>1</sup>

وبالتالي فإن القصة القصيرة تتناول قطاعا من الحياة تعالج فيه جانبا أو جوانب أو موقفا، تاركة انطبعا وأثرا في نفسية القارئ.

### ب\_ الشعرية:

إن مصطلح الشعرية من بين المصطلحات التي يصعب تحديد مفهومها نظرا لاختلاف مفاهيمها من دارس لآخر، وسنقتصر الأمر من البداية ولن نورد ذلك الكم الهائل من التعريفات والآراء المتضاربة أحيانا والمتكاملة أحيانا أخرى.

ينظر أبو ديب إلى الشعرية على أنها: "خصيصة علائقية، أي أنها تجسيد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركة المواشجة مع مكونات أخرى لهما السمة الأساسية ذاتها إلى فاعلية خلق الشعرية ومؤشر على وجودها"<sup>2</sup>

إن الشعرية عند كمال أبو ديب تنتج حين تخرج الكلمات عن معانيها القاموسية المتجمدة<sup>3</sup>

وبالتالي فإن الشعرية تلحق الكلام فتخرجه من سواكنه إلى عالم هائم، ليثير دلالات جديدة مستقاة من مختلف الثقافات ما كان ليصل إليها بدونها.

<sup>1</sup> - ينظر: القصة والرواية: عزيزة مريدن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص25، و ينظر: البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة: شريبط، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2009م، ص52، وينظر: فن القصة القصيرة بالمغرب في النشأة والتطور والاتجاهات: محمد المدني، دار العودة، بيروت، ص37.

<sup>2</sup> - في الشعرية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص14.

<sup>3</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص125.

## ج. العتبات النصية:

العتبات النصية أول ما يشد انتباه القارئ، لأنها تساعد على بناء توقعات للنص، لذلك أهتم بها ولعل ذلك من أسباب نجاح النص، فهي مفاتيح الدخول إلى عالم النص.

وقد أولى جرار جنيت العتبات عناية بالدرس المعمق على مستوى التنظير، إذ خصص له كتابا كاملا، فيرى الحمداني أن مفهوم العتبات عند جنيت: "... ظل مرتبطا في الغالب بكل ما يمهّد إلى الدخول إلى النص أو يوازي النص"<sup>1</sup>، والمناص هو كل ما يجعل: "من النص كتابا يقترح نفسه على قرائه أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة نقصد به هنا تلك العتبة والبهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع عنه"<sup>2</sup>

فالعتبات مجموعة من العلاقات أو الدلالات التي تعد بمثابة مداخل تسبق المتن النصي وتمهد له، فلا تكتمل دلالاته إلا بها: "في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في ضمان قراءة سليمة"<sup>3</sup> وقد بينت الدراسات الحديثة أهمية العتبات في بناء النص: "فهي تشغل وظائف نصية وتركيبية تفسر أبعادا مركزية من استراتيجية الكتابة والتخييل"<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> - عتبات النص الأدبي (بحث نظري): حميد الحمداني، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة، مج 12، ع 46، شوال 1423هـ، ص8.

<sup>2</sup> - مدخل إلى عتبات النص: عبد الرزاق بلال، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2000م، ص16.

<sup>3</sup> - اللغة الثانية: تامر فضل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص75.

<sup>4</sup> - من النص إلى العنوان: محمد بوعزة، مجلة علامات في النقد، جدة، مج 14، ع 53، رجب 1425هـ، ص410.

وقد بين الدارسون مختلف هذه العتبات النصية والتي قد تتداخل أحيانا من حيث الدلالة وهي: "...المطلع، الافتتاحية، المقدمة، التنبيه، التوطئة، التمهيد، المدخل، الإهداء، الشكر، بل يمكن أن نذهب بعيدا في فهم دور العتبة ليشمل ذلك أيضا العنوان ومحتويات الغلاف وكل العبارات والأقوال الاستهلاكية المقتبسة التي يفضل كثير من الكتاب تصدير أعمالهم بها، وتكون لها علاقة مباشرة بموضوع النص وأبعاده"<sup>1</sup>

هذه العتبات أو كما يصطلح عليها النص الموازي هو كل: "ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه وعموما على الجمهور"<sup>2</sup>

ميز جرار بين نوعين من النص الموازي: **النص المحيط** peritexte ويتعلق بالعناوين الداخلية والخارجية المدونة على ظهر الغلاف، المقدمات، الإهداءات، التصديرات، الفهارس، الهوامش، والنوع الثاني وهو **النص الفوقي** epitexte ويدرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج النص من حوارات واستجابات وقراءات نقدية ومسودات..... والنص المحيط طبعا يمثل فضاء النص، أما النص الفوقي فيمثل ما هو خارج النص.

### د المجموعة القصصية حائط رحمنة لعبد الله كروم<sup>3</sup>:

المجموعة القصصية "حائط رحمنة" لعبد الله كروم هي سرد قصصي يستمد ثيماته وصوره من الواقع الصحراوي، إذ وظفت المجموعة التراث المادي واللامادي لمنطقة توات بأدرار، فجاءت القصص السبع تبرز لغة المكان الصحراوي، فتسمع فيها خريز الفقارات وصدى الأساطير وأهازيج الفلكلور الشعبي وسمات المجتمع

<sup>1</sup> - عتبات النص الأدبي (بحث نظري): حميد الحمداني، مرجع سابق، ص 08.

<sup>2</sup> - Gerard Genette ; Seuils ; coll poetique ; seuil ; 1987 ; p 07

<sup>3</sup> - عبد الله كروم أستاذ بقسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب واللغات بجامعة أحمد دراية بأدرار.



القائمة على التعاون والمحبة من خلال التوزيع وفي المجموعة يُعتبر المكان القرية بؤرة إشعاعية لتوليد المعنى ومتواليه السرد.

## 2 دراسة في العتبات:

### أ الغلاف/ الواجهة:

واجهة المؤلف تعمل على إثارة الواجهة الخلفية للقارئ، إذ: "ما دامت الواجهة الأمامية هي التي تثير الواجهة الخلفية وأنه على ضوء هذه الأخيرة سوف تتحدد القيمة الدلالية والوظيفية الجديدة التي اكتسبتها العناصر المنتقاة في السياق الجديد، فإن العلاقة بين الواجهتين الأمامية والخلفية لا يمكنها أن تكون ستاتيكية بل ستصبح جدلية"<sup>1</sup>، ولأن القارئ لا يكون خالي الذهن بل تكون له قراءات سابقة والقراءة الجديدة يكون هناك ربط بين صورتين مدركة ومرئية، فيتقابل الذهني والحسي والشعر والرسم والإحساس والرؤية مع مراعاة السامع المتلقي في كل ذلك. وهذا ما يجعله يستفرغ ما في ذهنه لفهم النص الجديد، فالنص: "يتألف من كتابات متعددة تنحدر من ثقافات عديدة تدخل في حوار وتحاكي وتتعارض"<sup>2</sup> ومن هنا يجد القارئ نفسه مستقيدا من معرفته الخلفية وهذا يبعث بالقارئ إلى تفكيك الداخل النصي، فالعلاقة بين النص والقارئ علاقة جدلية، فالنص يصيح فضاء مفتوحا، والقارئ هو من يلج هذا الفضاء ليكشف عن مستوياته الدلالية وذلك من خلال فك شفراته.

<sup>1</sup> - مقدمة حول إشكالات القراءة والتأويل في النظريات الأدبية الغربية الحديثة: عبد الكريم شرفي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م/2002م، ص 161-162.

<sup>2</sup> - اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي: فاضل تامر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994م، ص130.

العنوان

أول ما نلاحظ من على غلاف الكتاب أو النص باعتباره: "...مظهرا من مظاهر العتبات ذو وظيفة مرجعية، لأنه يحيل إلى النص كما أن النص يحيل إليه"<sup>1</sup>، إذ هو العتبة الأولى يملك أهمية كبيرة في فك لغز النص، ففي غالب الأحيان ما يكون للعنوان القدرة على التأويل الممكن للنص.

والعنوان وإن كان مجرد عتبة فإنه: "لا يمكن الولوج إلى عالم النص إلا بعد اجتياز هذه العتبة، إنها تمفصل حاسم في التفاعل مع النص... باعتباره سما وترياقا في آن واحد، فالعنوان عندما يستميل القارئ إلى اقتناء النص وقراءته يكون ترياقا محفزا لقراءة النص، وحينما ينفر القارئ من تلقي النص يصير سما يفضي إلى موت النص وعدم قراءته"<sup>2</sup>

ونجد أن المبدع عبد الله كروم قد عنون مجموعته القصصية بـ "حائط رحمونة" وهي بمثابة تسمية الكل بالجزء، لأنه عنوان لأحد قصصه الموجودة بالمجموعة، ذلك أن كل العناوين التي وظفها لها علاقة بالقرية التواتية والحائط كان ما يميز هذه القرية، كان مكان الجلوس ومكان المسامرة، يحتل موقعا أساسيا استراتيجيا في القرية احتل موقعا يستطيع المرء أن يتأمل كل جزئيات القرية وما يحدث فيها، حتى أنه خُصصت فيه جهات أحدها خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء، كما حظي الصبيان والشيوخ والشبان بأوقات خاصة للجلوس أمامه والاتكاء عليه، فكان مكانا للراحة ولتبادل أخبار القرية.

انتقى عبد الله كروم المركب الإضافي "حائط رحمونة" عنوانا لمجموعته القصصية اختزالا للمجتمع القروي بأحواله وتحولاته، ومن خلال الحائط يرصد

<sup>1</sup> - عتبات النص الأدبي (بحث نظري): حميد الحمداني، مرجع سابق، ص 21.

<sup>2</sup> - من النص إلى العنوان: محمد بوعزة، مجلة علامات في النقد، مرجع سابق، ص 408.

القاص مجتمعه وحركة الحياة بالقرية والتحويلات المجتمعية التي جعلت من المجتمع القروي متمدنا وناسيا لذاكرته العامرة بترائه وتقاليده وعاداته التي بدأت تتساقط كما سقط جدار رحمونة.

اختار كروم حائط رحمونة عنوانا لمجموعته وجسده من خلال غلافها الملون بالبنّي المائل إلى اللون القرميدي وهو الترابي الذي تتميز به بنايات منطقة أدرار وكأن الغلاف هو هذا الحائط الذي يعنيه المؤلف، فتبدت شعرية العنوان وهو يتجسد من خلال الغلاف ليعبر الصامت عما تحمله المجموعة من معان، ليصور للقارئ لوحة فنية انطباعية جميلة تُحدث أولى شرارات التواصل.

القصة الأولى: "ماء من دم" تصوير لجفاف الفقارة وتراجع منسوبها وضياح إرثها الاقتصادي والثقافي على الرغم من أنها جاءت بالعرق والتعب، بل من الدم، الفقارة التي ضحى من أجلها الكثير، ومنهم الطيب بطل القصة الذي قضى شهيدا من أجل قطرة الماء، فكان الماء مقابل دمه، وهذا ما عناه كروم بقوله ماء من دم.

القصة الثانية: "مزمار العنبة" توظيف أسطوري للفلكلور المحلي والتراث الشعبي الغني بالحكايا الأسطورية مثل حكاية التنسيم، قصة المزمار الذي وُجد بعنبة القصر.

القصة الثالثة: "حائط رحمونة" وهو الذي اختاره كروم عنوانا للمجموعة.

القصة الرابعة: "الواحة المنسية" تصور الحرمان والبؤس الذي تعانيه القصور رغم ما تحت أرضها من معادن وخيرات، وإهمالها وعدم الاهتمام بها رحل البعض منها وتُركت الواحة عرضة للنسيان.

القصة الخامسة: "رقصة الشمس" هي استحضار للفولكلور الشعبي خلال موسم المولد النبوي الشريف واختلاط منظومة القيم بين المقدس والمدنس، رقصة

الشمس هي عبارة كانت تطلق في يوم المولد النبوي الشريف فلعظمة هذه الذكرى الكل يرقص حتى الشمس ترقص.

القصة السادسة: "القرصنة البريئة" هي استحضار للألعاب الصبيانية وتوظيفها في قصص تحمل البعد المكاني للمجتمع القروي بكل حمولاته وشحناته الوجودية واللسانية والدلالية، هي أخطاء وصفها المؤلف بالبريئة نظرا لأنها ناتج عن صبيان في أول عمرهم لا تزال البراءة ترسم على وجوههم.

القصة السابعة: "تويزة" وقصة عودة الفقارة\_ الماء عن طريق التعاون والتكافل الاجتماعي بطريقة "التويزة"، هي تويزة بكل ما تحمله من معاني التعاون والتآزر.. زغاريد النساء، تحضير الشاي وهكذا حتى يحدث الفرج، وما هذا إلا مظهرا من مظاهر التماسك في المجتمع التواتي.

وبالتالي ومن خلال هذه الإطلالة على قصص المجموعة، نستنتج أن القاص عبد الله استعمل "حائط رحمونة" عنوانا لمجموعته الذي هو أحد قصص المجموعة وهي القصة الثالثة حسب ترتيبها ضمن المجموعة وذلك من باب تسمية الكل بالجزء، لأن القارئ ومن خلال هذه العتبة الأولى سيدرك تماما من خلال قراءته للمجموعة أن القصص في مجملها تعبر عن التحول والانتقال، فالتحول الزمني والتحول الاجتماعي و... وحائط رحمونة هذا العنوان الذي كُتب باللون الأبيض وسط الغلاف ذي اللون الترابي وكأنه راية مرفوعة أمام المتلقي تنبؤه بالتغيير، بتحول المكان من ريف إلى منطقة متمدنة، فهو تحول جذري يمس جميع جوانب المجتمع، كما يمثل الحائط مكان الإلهام والرؤية بالنسبة للقاص، فهو الأثر المتبقي من الحياة الماضية قبل التحول.

وهذه علاقة ضمنية بين العنوان والمجموعة القصصية ككل، فالعنوان قد

تتاص مع المتن النصي.

اسم المؤلف

تتعدد مواقع كتابة اسم المؤلف في المؤلفات وتختلف: " فوضع الاسم في أعلى الصفحة لا يعطي الانطباع نفسه الذي يعطيه في الأسفل، لذلك غلب تقديم الأسماء في معظم الكتب الصادرة حديثاً في الأعلى"<sup>1</sup>

ففي "حائط رحمونة" يقف اسم المؤلف (عبد الله كروم) متربعا على نصه في أعلى الغلاف من الوهلة الأولى، فهو مصدر النص، وهو مرسل تلك الإشعاعات الشعرية التي تثبت الذات.

وكان الغلاف الأخير امتدادا لاسم المؤلف، ومكملا له، إذ أُلحق بصورة فوتوغرافية للقاص، متبوعة بمقطع مقتبس من كلمة الناقد الشريف الأدرع حول الذات المبدعة في طريقة نسج عناوين قصصه، وهذا تتناص مع أحد العتبات الداخلية للقصة، متبوع بعبارة كُتبت فيها (طُبع على نفقة دار الثقافة لولاية أدرار)، وهي عبارة توحى بالدور الذي تلعبه دار الثقافة في نشر الإبداعات، وهي إهداء لعبد الله كروم وتكريم له.

كما أُدمج في جزء آخر من الغلاف الأخير المقتطف الأول من القصة الأولى (ماء من دم) عبارات تتم بشعرية الطبيعة الصحراوية وما تحمله من معاني الحياة (الماء، الرمل، نخل وواحات.....)

ب الإهداء:

يضم إقرارا بعرفان أو إبلاغ عاطفة، وقد يكون: "عتبة نصية تحمل داخلها إشارة ذات دلالات توضيحية، فهي تشي بوجهة نظر مفتوحة"<sup>2</sup>، فالإهداء يحمل

<sup>1</sup> - تداخل النصوص في الرواية العربية، بحث في نماذج مختارة: حسن محمد حماد، الهيئة المصرية للكتاب،

مصر، 1997م، ص64.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص64.

عبارات منتقاة ذات دلالات مقصودة، إنه: "عتبة نصية لا تخلو من قصدية في اختيار المهدي إليه/إليهم وكذلك اختيار عبارات الإهداء"<sup>1</sup> وقد حدد جينيت أنواع الإهداء في ثلاثة أقسام<sup>2</sup>:

\_ الإهداء العام/ إهداء العمل: وفعل رمزي ذو طابع عام، فيكون لذوي العلاقات العامة والاجتماعية والثقافية التي يتشارك معها الكاتب في وجهة النظر أو يكن لهم الاحترام.

\_ الإهداء الخاص: ويكون للأشخاص المقربين من الكاتب كأفراد أسرته وأصدقائه وأحبته.

\_ الإهداء الذاتي: وهو يحمل توقيع المؤلف المباشر سواء اقترن بالكتاب أم المخطوط وهو فعل حميمي تواصلية خاص يحمل دلالة من نوع خاص ونادر الوجود.

وفي "حائط رحمونة" فضل القاص أن يكون إهداؤه إهداء خاصا، موجه إياه إلى والده فقط، والده الذي بكته السعفة اليابسة في واحة النخيل وقطرة الماء الغائرة في الفجارات \_ كما ذكر القاص \_، وكأن هذه المكونات الطبيعية الحية قد تعلق بالوالد لشدة تعلقه بها، فهي جزء أساسي من حياته.

وقد أتبع المؤلف الإهداء بثلاث عتبات أخرى وهي بمثابة نصوص موازية، أحدها تتمثل في تقديم وهي كلمة لمدير دار الثقافة بأدرار السيد عبد الكريم يمينه، فيها إشادة بعمل عبد الله، ودعوة إلى الإبداع الجاد، خاصة وأن دار الثقافة هي من تحمل نفقة هذا العمل.

<sup>1</sup> -Gerard ;seuils, p123

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، وينظر أيضا: العنوان وسيميويقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، ص45.

والعتبة الأخرى والمتمثلة في كلمة بقلم الناقد الشريف الأدرع الذي قام بقراءة هذا العمل قراءة نقدية، وهو تناص في حقيقة الأمر، وقد بدأ كلمته بعبارة: "أما هذا فليس إلا حكايات الحاليين"، إذ هي قصص لأحداث كانت في زمن مضى لم يبق منه إلا حكايات، فكما ذكر الإهداء وهو يحمل معان ودلالات توحى بطابع ذاتي، ذكرت كلمتي مدير دار الثقافة والناقد واللذان تحملان دلالات توحى بالطابع الموضوعي، وبالتالي كان التزاوج في العتبات بين الذاتي والموضوعي. وكانت عتبة أخرى وعنوانها القاص بتبئير، هي لحظة مهمة في حياة المؤلف، تمثل بؤرة هذا العمل الإبداعي، الحائط كان القاص قد اتكأ عليه حقيقة في صباه، ليعود ويتكى عليه في رواه، ليكون مصدر إلهامه، لأن الحائط أصبح خيالاً لأنه زال بحكم الزمن، وبين الحائط الحقيقي والحائط الخيالي أحلام وآمال يصورها المبدع في مجموعته.

### ج. الاستهلال والنهاية:

الاستهلال من العتبات المهمة، فهو ما يبدأ به النص، وهو ذلك: "الفضاء من النص الافتتاحي liminaire بدئياً كان preliminaire أو ختامياً postliminaire والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص لاحقاً به أو سابقاً له، لهذا يكون الاستهلال البعدي أو الخاتمة postface مؤكدة لحقيقة الاستهلال"<sup>1</sup> ومع ذلك فإن البداية تختلف عن الخاتمة إذ: "الخواتم مع ذلك تتميز عن المداخل من حيث إن بلوغها لا يعني نهاية النص مثلما تعني المقدمات والمطالع والعناوين بداية النصوص، ومن البديهي أن نتصور القارئ وقد أنهى قراءته للنص

<sup>1</sup> - الاستهلال فن البدايات: ياسين النصير، ص 15.

وقد وجد نفسه لا يزال مشغولاً بعوالمه مما يدل على أن الخاتمة ليست بالضرورة نهاية اشتغال النص<sup>1</sup>

فقد تكون النهاية بداية لتصور أحداث جديدة تثير القارئ، فالخاتمة تدل على إغلاق النص وإن لم يبلغ نهايته.

بدأ عبد الله كروم مجموعته بقصته الأولى "ماء من دم" والتي استهلها بوصف لمظاهر الحياة الصحراوية، بيئة تمسك بها أصحابها وسلبتهم بسحرها، الماء، النخلة... يقول: "في البدء كان الماء.. وأرض الظمأ والقحط تغازل ريح المطر.. سر استمرار الإنسان على أديمها ماء الفقارات، ينساب تحت الأرض في أنفاق مستقيمة تتربط بين الآبار وتتدافع فيها المياه جارية....."<sup>2</sup>، هي كلها عبارات اختارها الكاتب ليبدأ بها عنله، عبارات تحمل من معاني الحياة ما يجعل الإنسان متشبهاً بها، هي عبارات تثير مشاعر القارئ وتجعله يستمر في القراءة دون ملل، هو استهلال حقيقي مستمد من وحي الطبيعة الصحراوية، فكانت البداية شعرية صور من خلالها ملامح الحياة الجميلة والبيئة الخلابة التي تحمل دلالات إيحائية داخل العمل كله، عبر عنها المؤلف بلغة شعرية طافحة بالدلالات المتعددة.

يحدد القارئ من خلال هذا الاستهلال ملامح البيئة الصحراوية حتى وإن لم يزرها في حياته، وهو نقطة العبور إلى الحقل القصصي.

أما عن نهاية النص فهي العتبة الهدف عند القارئ، فكل قارئ يتشوق إلى خاتمة القصة، وعبد الله كروم قد أنهى مجموعته بقصته "التوزيع"، التي تمثل مظهراً من مظاهر التضامن الاجتماعي لدى التواتيين، والتي ختمها بقوله: "استمر الحال

<sup>1</sup> - عتبات النص الأدبي: مرجع سابق، ص 29

<sup>2</sup> - حائط رحمونة: عبد الله كروم، مقامات للنشر والتوزيع والإشهار، ط1، 2011م، ص 17.



ثلاثة أيام "ويو عيسى" مزارا للتعاون والتآزر. وجاء الفرج، وعادت المياه إلى مجاريها. ونسي الناس الأحقاد، وتصالحوا وتصافوا. وعادت لعمي الصالح بسمته ويكى من شدة الفرج. وقالوا جميعا: رب ضارة نافعة، ربما كانت المحنة محنة<sup>1</sup> أنهى الكاتب قصته بسرد بسيط فيه علاقة النهاية بالبداية، فكما بدأ عمله بوصف الحياة الهادئة والماء المتوفر، ختم عمله بالفرج الذي عم القرية، بإصلاح الفقارة وعودة الماء وهدوء الأوضاع.

### خاتمة:

وخاتمة القول فإن عبد الله كروم استطاع أن يوظف عناصر العمل السردي الإبداعي جميعها للوصول إلى غايته وهي جلب انتباه القارئ وضمان قراءة عمله، استعمل العتبات باختلاف مستوياتها والتي طرحت صوراً شعرية كانت همزة وصل بين العمل والقارئ، كما تتبدى غاية المؤلف من خلال عمله وإن كانت ضمنية في الحفاظ على تراث أسلافه تمجيدياً لهم ولماضيهم.

### المصادر والمراجع:

1. البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة: شريط، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2009م.
2. تداخل النصوص في الرواية العربية، بحث في نماذج مختارة: حسن محمد حماد، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1997م.
3. حائط رحمونة: عبد الله كروم، مقامات للنشر والتوزيع والإشهار، ط1، 2011م.
4. فن القصة القصيرة بالمغرب في النشأة والتطور والاتجاهات: محمد المدني، دار العودة.
5. فن القصة القصيرة: رشاد رشدي، دار العودة، بيروت، ط2، 1975م.
6. في الشعرية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م.
7. القصة الجزائرية القصيرة: عبد الله الركبي، دار العربية للكتاب، ليبيا\_تونس، ط3، 1977م.
8. القصة والرواية: عزيزة مريدن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

<sup>1</sup> -حائط رحمونة: المصدر نفسه، ص63.

9. عتبات النص الأدبي (بحث نظري): حميد الحمداني، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة، مج 12، ع 46، شوال 1423 هـ .
10. اللغة الثانية: تامر فضل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.
11. مدخل إلى عتبات النص: عبد الرزاق بلال، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2000م.
12. من النص إلى العنوان: محمد بوعزة، مجلة علامات في النقد، جدة، مج 14، ع 53، رجب 1425 هـ.
13. مقدمة حول إشكالات القراءة والتأويل في النظريات الأدبية الغربية الحديثة: عبد الكريم شرفي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م/2002م.

## ملاح الحياة الأندلسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال بعض مدونات النوازل

د/ طاهر بن علي  
جامعة غرداية - الجزائر

### الملخص

تميز المجتمع الأندلسي بكثرة التأليف النوازلي، وذلك لحركيته الزمنية المتوترة، التي أسلمته إلى حقب تاريخية مليئة بالتقلبات، ولتفاعلاته الثقافية المتنوعة والمستمرّة، وخصوصيته المالكية التي دأبت مدرستها على حسن التعامل مع المستجدات، والنوازل، وتقليب النظر فيها. وكوّنت هذه النوازل حقلا تراكميا لاتّجاه معرفي مميز اجتمعت فيه كلّ المنطلقات والمعطيات في العلوم الاجتماعية والإنسانية. وكوّنت حقلا للبحث التاريخي الذي ينطلق من إشكال معرفي يتأسّس من السؤال التالي: ما هي ملاح الحياة في الأندلس التي يمكن أن نستخلصها من نوازل القرنين الخامس والسادس؟.

### Abstract:

The literature of crisis had shaped most of artistic writings in Muslim Spain or Andalusia. This is so because the historical context from which this literature operated had been extremely exceptional in terms of crises, wars and conflicts. This literature had actually pushed the boundaries of crisis literature world wide. In this sense Andulsian literature can be considered as epestimelolgically interesting.

### مقدمة:

إنّ التوجّهات الحديثة في الدراسات التاريخية التي اتّخذت الحياة الاجتماعية والاقتصادية مواضيع للاهتمام والدراسة تطلّبت الجديد من المصادر، والمزيد من النصوص والوثائق، إذ لم تعد نصوص التاريخ العامّ تلبي حاجة البحث، وتشبع نهم الباحث.

وكانت مدونات الفقه الإسلامي أهمّ هذه النصوص المطلوبة، وأوفر هذه الوثائق المنشودة. ومن هذه المدونات كتب النوازل، التي صارت حاجة المؤرخ في تناول جزئيات الحياة، ودقائق العلاقات داخل المجتمع. كما اعتبرت أبارا في توجّهات النصية في الكتابة التاريخية.

وقد تميّز المجتمع الأندلسي بكثرة التأليف النوازلي، وذلك لحركيته الزمنية الكثيرة، وكونت هذه النوازل حقلاً تراكمياً لاتّجاه معرفي مميّز اجتمعت فيه كلّ المنطلقات والمعطيات في العلوم الاجتماعية والإنسانية. وكونت حقلاً للبحث التاريخي الذي ينطلق من إشكال معرفي يتأسّس من السؤال التالي: ما هي ملامح الحياة في الأندلس التي يمكن أن نستخلصها من بعض نوازل القرنين الخامس والسادس؟.

وتتضمّن الإجابة عليه المحاور التالية: تعريف النوازل لغة واصطلاحاً، ثمّ ذكر دور النوازل في البحث التاريخي، ثمّ بيان أهميّة النوازل الأندلسية وخصوصيتها، ليخلص البحث منها لنوازل القرنين الخامس والسادس متمثلة في مدونة الحكام الكبرى لابن سهل، وفتاوى ابن رشد، ثمّ نوازل ابن الحاج، مستخلصاً في آخره النتائج.

## 1- مفهوم النوازل

### أ- النوازل لغة:

جمع نازلة<sup>(1)</sup>، والنازلة الشدة<sup>(2)</sup> أو الشديدة<sup>(3)</sup> من شدائد الدهر<sup>(4)</sup>،

1- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط 02، دار المعارف، مصر 1393هـ / 1973م، ج 02، ص 915.

2- أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (ت 458هـ / 1066م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ / 2000م، ج 09، ص 47.

3- ابن منظور محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1211م): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة د ت، ج 06، ص 4401. والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ / 786م): كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب عبد

الحميد هنداي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ / 2003م، ج 04، ص 213.

4- أحمد رضا: معجم متن اللغة، د ط، مكتبة الحياة، بيروت 1380هـ / 1960م، م 05، ص 442.

تنزل<sup>(1)</sup> بالناس<sup>(2)</sup>. أو هي المصيبة الشديدة تنزل بهم<sup>(3)</sup>، أو الداهية تحدث لهم<sup>(4)</sup>. وجاء عند ابن فارس في مقاييسه: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة نذلّ على هبوط الشيء ووقوعه... والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل"<sup>(5)</sup>.

وقد جعل الثعالبي النازلة في الدواهي وقال: "قد جمع حمزة من أسمائها - يعني الدواهي - ما يزيد على أربعمائة ... يقال: نزلت بهم نازلةً، ونايئةً، وحادثةً، ثمّ أبدةً، وداهيّةً، وياقعةً، ثمّ بائقةً، وحاطمةً، وفاقرةً، ثمّ غاشيةً، وواقعةً، وقارعةً، ثمّ حاقّةً، وطامةً<sup>(6)</sup>، وصاخّةً"<sup>(7)</sup>. وجعلها صاحب المخصّص في باب الدواهي والشرّ والشرّ كذلك، فقال: "النازلة، يقال دهرهم أمر، أي نزل بهم"<sup>(8)</sup>.

#### ب- النوازل اصطلاحاً:

هي "المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلب اجتهاداً وبيان حكم"<sup>(9)</sup>، و"مسائل

- 1- الجوهري إسماعيل بن حماد (ت393هـ/1003م): الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 03، بيروت 1404هـ/1984م، ج 06، ص 1829.
- 2- أحمد بن فارس أبو الحسين بن زكريا (ت395هـ/1004م): المجمل، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط 02، مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ/1986م، ص 864.
- 3- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام الرافعي: د ط، المطبعة البهية المصرية، القاهرة د ت، ج 02، ص 158.
- 4- علي بن جعفر بن علي السعدي أبو القاسم المعروف بابن القطّاع (ت515هـ/1121م): كتاب الأفعال، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2003م، ص 490. وقد جاءت بصيغة الماضي في المصدر المذكور وأثبت بها على صيغة المضارع لتناسب السياق.
- 5- أحمد بن فارس أبو الحسين بن زكريا (ت395هـ/1004م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر العربي، بيروت 1399هـ/1979م، ج 05، ص 417.
- 6- وهذه كلّها صفات لأحوال. أنظر:
- قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1405هـ/1985م، صفحات 250-252.
- 7- أبو منصور بن إسماعيل الثعالبي: فقه اللغة، د ط، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1885م صفحات 321-322.
- 8- أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده: المخصّص، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، س 12، ص 144.
- 9- محمد بن حسين الجيزاني: فقه النوازل "دراسة تطبيقية تأصيلية"، د ط، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية 1427هـ/2006م، ص 21.

و"مسائل وقضايا دينية، ودينية، تحدث للمسلم، ويريد أن يعرف حكم الله فيها"<sup>(1)</sup>، فيها"<sup>(1)</sup>، و"المسائل والوقائع التي تستدعي حكماً شرعياً"<sup>(2)</sup>، و"جميع الحوادث التي التي تحتاج لفتوى أو اجتهاد ليتبين حكمها الشرعي سواء كانت هذه الحوادث متكررة أم نادرة، وسواء أكانت قديمة أم جديدة"<sup>(3)</sup>.

أو هي "القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقاً للفقهاء الإسلامي"<sup>(4)</sup>، الإسلامي"<sup>(4)</sup>، و"مشكلة عقائدية أو أخلاقية أو ذوقية يصطدم بها المسلم في حياته حياته اليومية، فيحاول أن يجد لها حلاً يتلاءم وقيم المجتمع بناء على قواعد شرعية"<sup>(5)</sup>.

أو هي مفرد نوازل من القضايا والظواهر التي تقع للفرد أو الجماعة من جزاء العلاقات أو الروابط أو السلوكات سواء تعلقت بالفرد كذات، أو به كموضوع، تجعله في حالة اضطرابية تقتضي تدخّل غيره ممّن يعتقد أنّه أعرف منه وأكثر دراية بتصريف الأفعال وفق معايير الشريعة، أي أنّ الفرد يصاب بحالات تؤثر وخوف وقلق في ممارساته الحياتية، فيحتاج إلى من يقيه على وفاق مع محيطه الثقافي والنفسي والاجتماعي دون الإخلال بالأساس الشرعي والعقدي"<sup>(6)</sup>.

و"هي جملة قضايا وأحكام فقهية صادرة عن القضاة والفقهاء المفتين، على شكل أجوبة عن تساؤلات ترد من عموم المسلمين حول حكم الشريعة في مسائل

- 
- 1- محمّد حجّي: نظرات في النوازل الفقهية، ط 01، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب 1420هـ/1999م، ص 11.
  - 2- مسفر بن علي بن محمّد القحطاني: منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، ط 01، دار الأندلس الخضراء، جدّة، السعودية 1424هـ/2003م، ص 87.
  - 3- نفسه، ص 88.
  - 4- عبد العزيز بن عبد الله: "القضاء المغربي وخصائصه"، دعوة الحق، ع 224، ص 24، الرباط 1402هـ/1982م، ص 48.
  - 5- عبد العزيز خلوف: "قيمة فقه النوازل التاريخية"، البحث العلمي، ع 29-30، ص 16، الرباط 1399هـ/1979م، ص 76.
  - 6- إدريس كرم: العلاقات الاجتماعية من خلال النوازل الفقهية في المغرب، ط 01، الدار البيضاء 1426هـ/2005م، ص 22.

فرعية بعينها، أو في حوادث مستجدةً لحادثة لأشخاص معينين في سياق زمني ومكاني محدّد<sup>(1)</sup>.

ويستقرّ عندي أنّ النازلة هي حكاية إشكال التلبّس بالمسألة<sup>(2)</sup> من حال خاصّ محدث طرأ على حياة الفرد، أو الجماعة<sup>(3)</sup>، واستدعى التمثّل الفقهي من أجل تكييفه بالمقتضى الشرعي لتتكوّن هيئة التدين، التي هي صورة الشريعة في حركة الحياة<sup>(4)</sup>.

إنّ البناء المعرفي للنازلة يؤسّس على المعنى السيكلوجي التي تحتمله، ويؤكد على معادلة التدين في توصيف الواقعة. فمقتضى التمثّل الفقهي للحادثة يتطلب إيراد كلّ جزئيات النازلة مع مراعاة ترتيبها الحركي بمناوبة الزمني والسيكلوجي، أي كتلة التوتّر<sup>(5)</sup> بكلّ قيمها النفسية والتاريخية.

## 2- دور النوازل في البحث التاريخي

من هذا المفهوم التأسيسي في توصيف النوازل تكوّنت نظرية كثير من الباحثين والمؤرّخين، الذين اعتنوا بخبرة الشاهدات في الدراسات التاريخية، حيث

- 1- عبد الرحيم العلمي: الاجتهادات الفقهية في نوازل الوقف عند المالكية، أوقاف، ع 12، س 07، الكويت 1428هـ/2007م، ص 39.
- 2- أي أصبحت المسألة لحظة وجود. تأمل قول الإمام مالك حينما سأله رجل من المغرب عن حكم الشرع في قضية حلّت بهم: "ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة ببلدنا". أنظر:
- إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي(790هـ/1388م): الموافقات في أصول الفقه، تحقيق عبد الله دراز، د ط، دار المعرفة، بيروت، ج 04، ص 287.
- 3- تستبين أهمية هذا التعريف حينما ينظر في إشكال مرادفات النوازل، ويتبين كيف نتجاوز حدود التعريفات الأسرة للمفاهيم، ونزائل الفقهي في متضمّنها لنؤسّس للزمني الذي يكون التاريخ.
- 4- تتحوّل الظروف الطارئة مباشرة إلى مسألة مستعجلة البيان والحكم، ولذلك يقال نزلت مسألة، فيعبّر بالمسألة عن النازلة باعتبار ما سيكون. أنظر بتمعن:
- أبو القاسم بن أحمد البلوي البرزلي، المصدر السابق، ج 04، ص 113.
- 5- أقصد بالتوتّر الحركة الإيجابية المودعة في الكائن البشري وفي غيره، والتي عليها بنيت حركة الكون والتاريخ.

النازلة مناط الإشكال المزدوج<sup>(1)</sup> الذي كوّن التواصل بين زمنية الحدث وزمنية المؤرخ، وأتاح باستدعائه لفكر المؤرخ إحالته على صميم الواقعة. وفي العصور الحديثة تكوّن اعتماد المؤرخين على محمول النوازل، باعتبارها من نوافذ التجديد في البحث التاريخي<sup>(2)</sup>، فقد التبس الخبر بها، واحتملت نصوصها من الزمني حكاية عن الحياة الفردية، والجماعية، ممّا هيأها أن تكون شهادات بمثقال ما تحمل منها، وبمثقال تحديدها للحدث حسب التمثّلات المعاصرة له.

وبهذا المحمول خرجت من حيز النصوص الأغفال<sup>(3)</sup>، و"اعتمدت كأساس لمعرفة أحداث فترة زمنية"<sup>(4)</sup>، و"استمرّ المؤرخون يستعملون مثل هذه الكتب في إنتاجهم ومؤلفاتهم"<sup>(5)</sup>. و"كلّهم اعتبروا كتب النوازل كمصادر للتاريخ"<sup>(6)</sup>، و"أخذوا منها معلومات حول قضايا زمنية مضبوطة ومحدودة"<sup>(7)</sup>.

فهي إذن "من المصادر الأصيلة القيّمة، لما تتضمنه من مادّة غنيّة في مجال الدراسات التاريخية والحضارية. فالنوازل قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع إلى القضاة ورجال الفتوى للنظر فيها، وهي عادة ما تذكر القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها ووقائعها واسم القاضي أو المفتي الذي رفعت إليه

- 
- 1- إذا كانت النازلة إشكالا واقعيا، صار حوار المؤرخ للنازلة إشكالا على إشكالها، وهكذا يكون إشكالا مزدوجا.
  - 2- عمر بن حمّادي: النوازل بين طرافة القضايا، ومشاكل النسخ، وصعوبات التحقيق، مجلة دراسات أندلسية، ع 44، تونس 2010، ص 39.
  - 3- أحمد السعيد: تداخل التاريخ بالفقه، نموذج النوازل الفقهية، التسامح، ع 28، مسقط، عمان 1430هـ/ 2009م، ص 301.
  - 4- محمّد مزين: مساهمة علماء مكناس وفقهائها في حلّ مشاكل المجتمع المغربي عبر كتب النوازل الفقهية خلال بداية العصر الحديث، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بكناس، مكناس 1988، ص 254.
  - 5- محمّد مزين: حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية، ندوة البحث في تاريخ المغرب. حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط 1989، ص 75.
  - 6- محمّد مزين، المرجع السابق، ص 254.
  - 7- محمّد مزين، المرجع السابق، ص 75.



وأحيانا تاريخ وقوع النازلة"<sup>(1)</sup>.

إنّها "مصدر زاخر لدراسة الحياة الاجتماعية بمختلف أوجهها من العادات والتقاليد فالعبادات والعقليات إلى الممارسات والمعاملات التجارية وغيرها"<sup>(2)</sup>، أي الحياة بمنطلقها النفسي وتاريخها الاجتماعي. فكانت بحقّ مرآة عصرها<sup>(3)</sup>، وصورة وصورة موضعها لارتباطها بالمنطقة التي نشأت فيها<sup>(4)</sup>، وحملها من عاداتها وأعرافها<sup>(5)</sup>. وبالنازل يمكن "التعرّف على مجتمعاتنا من الداخل من خلال وثائقها التي استلزمت الرجوع إلى القاضي أو المفتي"<sup>(6)</sup>.

أي من خلال "حصيلة خبرة المفتي أو القاضي النظرية منقولة إلى مواقع العمل في المجتمع تطبيقا وتنفيذا في البيوت والأسواق والطرق والبيوت المال، وقضايا التجارة والصناعة والزراعة والملاحة، وميادين القتال والجهاد، إلى غير ذلك من مناحي الحياة اليومية"<sup>(7)</sup>.

و"تكتسي في ميدان الدراسات التاريخية بعدا هاما يتجلّى في أنها تعكس من خلال السؤال والجواب أوضاعا تاريخية دقيقة من جهة، وتتميّز بغفويتها وبراعتها من جهة ثانية لأنّها لم تصدر من سلطة رسمية، ولم تتلّون بلون

- 
- 1- كمال أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريسي-، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997، ص 08.
  - 2- فاطمة الزهراء قشّي: الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون - أو عرض كتاب النوازل"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57-58، تونس جويلية 1990، ص 319.
  - 3- أحمد بن محمد فكير: من أعلام فقه النوازل في سوس: القاضي عيسى بن عبد الرحمان السكتاتي، مجلة المذهب المالكي، ع 04، إنزكان المغرب 2007، ص 188.
  - 4- الحسن العبادي: خصائص فقه النوازل بسوس، ضمن ندوة التراث الإسلامي في سوس، ط 01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1430هـ / 2009م، ص 294.
  - 5- محمد البوشواري: قضايا العمل السوسي في أجوبة الفقيه المالكي داود التلملي (ت 899هـ)، مجلة المذهب المالكي، ع 03، إنزكان، المغرب 2007، ص 156.
  - 6- فاطمة الزهراء قشّي، المرجع السابق، ص 319.
  - 7- عبد الواحد دنون طه: كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسي، المجلة العربية للثقافة، ع 27، تونس 1994، ص 95.

إيديولوجي أو سياسي" (1). كما "تتسم بصحة الرواية وصدق المخبرين ونزاهتهم وبعدهم عن التزوير وقلب الحقائق" (2).

فالنوازل بهذا المقدار من القيم المعرفية في منهج التاريخ وثائق، محمولها "صورة للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والديني للدولة، في حقبة من الحقب التاريخية" (3)، وفي منطقة معينة (4)، ونصوصها مناط المقاربات الوصفية لازدواجية الاقتصاد والمجتمع.

وتشكل مدخلا مهماً في استجلاء تاريخ العالم الإسلامي من خلال مفهوماتها عن ملامح الحياة، ومقاربتها لكل واقعي (5) وحقيقي (6)، عرضه أو فرضه الوجود التاريخي (7)، حتى غدت عند غير المسلمين نصوص التمثلات لواقعهم (8)، ومعرفة جوانب التطور في حياتهم (1)، ومفاتيح الدراسات الإسلامية

1- إبراهيم القادري بوتشيش: النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي، (ق 5-6 / 12-13م)، التاريخ العربي، ع 22، الرباط 1423هـ / 2002م ص 254.

2- محمد بن يونس السويسي التوزري العباسي: الفتاوى التونسية في القرن الرابع عشر الهجري، ط 01، دار ابن حزم، بيروت 1430هـ / 2009م، ج 01، ص 254.

3- منهم من يجعلها أحسن ما يدرس به العالم الإسلامي ما قبل المعاصر، أنظر:

David (S. Powers) : « Fatwas as sources for legal and social history : A dispute over endowment revenues from fourteenth-century Fez » in: AL-QANTARA, V 11, F 02, Madrid 1990, p 298.

4- الحسن الزين الفيلاي: النوازل الفقهية قيمتها التشريعية والفكرية، ندوة النوازل الفقهية وأثرها في الفتوى والاجتهاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء 2001، ص 59.

5- المكّي بن أحمد أقلينة: "كتب النوازل مصدرا للمعلومات عن العالم الإسلامي"، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرباط 1424هـ / 2004م، م 03، ص 265.

6 - Claude (Cahen) : Les nawazil d'ibn Sahl, in : Hespéris Tamuda, V 14, Rabat 1973, p 07.

7 - Rahma (Bourqia) : Droit et pratiques sociales. Le cas des Nawazil au XIXe siècle, in : Hespéris Tamuda, V 37, F 02, Rabat 1997, p 132.

8 - Maria (Isabel) e Calero (Secall) : Referencias a Malagha en el Miyar Al-Mughrib de Al-Wansarisi, in: Multaqà al-dirāsāt al-Magribiyya al-Andalusiyya. Tayārāt al-fiqr fi l-Magreb wa-l-Andalus. Tetuán: Univ. Adel Malek Saadi, 1995.

لحقبه مخصصة، أو صقع معين<sup>(2)</sup>.

فكانت مصدرا مهماً جداً للمعلومة التاريخية المختلفة، "استعان المؤرخ بها لتحديد معنى، واستفاد منها عالم الاجتماع والأنثروبولوجي والأثري وعالم النقود... وأصبحت منها ينهل منه الكلّ حسب التخصصات، وأهداف البحث."<sup>(3)</sup>

### 3- أهمية النوازل الأندلسية

تميّز المجتمع الأندلسي بكثرة التأليف النوازلي وذلك لحركيته الزمنية المتوتّرة، التي أسلمته إلى حقب تاريخية مليئة بالتقلّبات، ولتفاعلاته الثقافية المتنوّعة والمستمرّة، وخصوصيته المالكية التي دأبت مدرستها على "حسن التعامل مع المستجدّات والنوازل وتقليب النظر فيها"<sup>(4)</sup>.

وكونت هذه النوازل حقلاً تراكمياً لاتّجاه معرفي مميّز اجتمعت فيه كلّ المنطلقات والمعطيات في العلوم الاجتماعية والإنسانية. رغم أنّها لم تؤلّف لغرض تاريخي، إلا أنّ أصحابها لم يدعوا "مجالاً من مجالات الحياة إلاّ وعالجوه المعالجة الشرعية المناسبة، فبحثوا في الأصول النظرية من الأمّهات الفقهية وربطوها بالواقع المعيش بكلّ ملابساته وخصوصياته"<sup>(5)</sup>.

وهكذا جاءت نصوصها -وهي الفقهية بغرض التدوين، ومسالك البحث والنظر- تاريخاً بكلّ حيثيات المعنى الحركي للزمن البشري. وصارت في نظر

1- جان سوفاجيه-كلود كاهن: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلّوجي وعبد الوهاب علوي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، القاهرة 1998، ص 78.

2-(Devin (Stewart) : The identity of The Mufti of Oran, Abu L-Abbas Ahmed B. Abi Jumah Al-Maghrawi Al-Wahrani (D. 917/1511), in: AL-QANTARA, V 27, F 02, Madrid 2006, p 266.

3- محمّد الغضبان: نصّ للمازري بين النسخ والتحقيق: اختلافات المعطيات والنصّ واحد، مجلة دراسات أندلسية، ع 37، محرّم-جمادى الأولى 1428هـ/ جانفي-جوان 2007، ص 73.

4- صحراوي خلواتي: خصائص المدرسة المالكية المغربية، مجلة المذهب المالكي، ع 04، إنزكان، المغرب 2007، ص 156.

5- مصطفى الصمدي: فقه النوازل بالأندلس تاريخاً ومنهجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف عتيّ النماري، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، السنة الجامعية 1421-1422هـ/ 2000-2001م، ص 208.

الباحثين الاجتماعيين والإنسانيين موضوعاً منهجياً يستدعي الدراسة بمكوّنه المعرفي الخالص المبني على أسس منهجية ومعرفية خاصّة، هي أقرب إلى الفكر القانوني من خلال تأسيساتها، وبمحموله الذي يتمثّل الزمني بتوقيعات الفقه وهو "ينصهر مع خصوبة المجتمع الأندلسي"<sup>(1)</sup>.

وفي جدلية المنهج في تحديد المصادر التي يعتمدها المؤرّخ في تناول قضايا المجتمع الأندلسي تصبح النوازل مصادر موازية لمصادر التاريخ، كما تصبح مصادر التاريخ عينها، إذ تعلّقت بقضاياها التي غابت عن المصادر التاريخية، ثمّ لحملها معنى الماضي -وهو موضوع التاريخ- بتكوّنها أو بتكوّن محمولها<sup>(2)</sup>.

واستقام الملحظ إلى "دقّة هذه المصادر في تصوير واقع الحياة وقضايا المجتمع ممّا جعلها تحظى باهتمام المؤرّخين باعتبارها من أصدق الوثائق وأضبطها"<sup>(3)</sup>. فالمقاربة الابدستولوجية لهذه المصادر تبيّن أنّها "الأكثر قرباً من الوقائع اليومية المكشوفة"<sup>(4)</sup>، وغير المكشوفة بالمعنى السيكولوجي الذي ينطوي على حركة النفس.

وهي تمنح التاريخ الاجتماعي صور الحياة اليومية، متعدّدة الظواهر، مختلفة الأوجه، حيث تجمعها منقطات بسردية الزمن، مؤتلفات بالقيم النفسية والثقافية، متّسقة في الاتجاه الاجتماعي بتكرارها، أو ناشئة عن المكوّن الثقافي بتحوّلها. ويصير للتاريخ الاجتماعي بمحمولها منهج التحليل في موضوع "التغيّرات والاستمراريات في تجربة الناس العاديين"<sup>(5)</sup>.

ومن خلال نوازله الكثيرة يكون المجتمع الأندلسي قد دوّن كلّ مراحلها،

1- نفسه.

2- امحمد بن عبود: مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره، د ط، منشورات عكاظ، الرباط 1989، ص 80.

3- مصطفى الصمدي: فقه النوازل بالأندلس، ص 209.

4- عمر بنميرة، المرجع السابق، ص 57.

5- بول كارتلوج: ما التاريخ الاجتماعي الآن؟، ضمن ما التاريخ الآن، تحرير ديفيد كانادين، ترجمة قاسم عبده

قاسم، ط 01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2006، ص 65.

كما دون كلّ تغييراته وتحولاته، وأبان عن كلّ موروثاته المترابطة على عصوره، ووقع بالنفسي والاجتماعي عن الزمني المترتب على وجوده، وصار الموضوع المنعكس على نصوصها.

إنّها أشبه بالسجلات اليومية التي يدون فيها الناس المشهد أو الشهادة، وأشبه بالتقارير عن الأحوال اليومية المتجددة بالمعنى الزمني، أو المعنى العملي، وأشبه بالقرارات والمراسيم التي تحمل الإجراءات وتعكس الإطار القانوني على حركية الناس.

ومنها يقوم الاستدلال الاستقرائي على كلّ التطورات التي يشهدها المجتمع على مستواه الفردي أو الجماعي، بصورة ثقافته، أو بحركة اجتماعه واقتصاده. ومنها تكون المقاربات لتفهم سياق تطوره، كما تقوم بها المقارنات بين مفاصله الزمنية. ومنها تستبين المفارقات في تحولاته الناجمة عن تفاعلاته الإيجابية والسلبية مع الزمان والمكان ومستجداتهما.

وربما كان لبعض مدونات النوازل كلّ الشروط لتكون دليلا تاريخيا على عصر محدّد، وملحا جيّدا على تطوره، ومرآة صقيلة تنعكس عليها مظاهره الحضارية، لتصل إلينا مدونة من غير مقصدية الكتابة التاريخية. فلم تكن انتقائية بقدر ما كانت تلقائية، ولم تكن موجزة بقدر ما كانت مفصلة. كما كانت خاصة بخصوصية الفردية، وعامة بعمومية الجماعة.

ومنها نستدلّ بزخم مسائلها على حركية المجتمع، وتوجهاته العامّة في تحقيق الوجود الفاعل. كما نستدلّ على كلّ التغيرات التي تحدث داخله، بدءا من النفسية على مستوى الشخصية الفردية، وانتهاء بالتحولات الاجتماعية الكبرى على مستوى الشخصية الثقافية للدولة.

#### 4- الأحكام الكبرى لابن سهل

تستوي مدونة<sup>(1)</sup> ابن سهل الجياني (486هـ / 1093م)<sup>(1)</sup> مجموعة وثائقية من

1- المسماة بالإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، ويطلق عليها الأحكام الكبرى.

حيث كونها المنقول عن صورة الحياة التي عاشها وعاشها ابن سهل من خلال مهنته التي مكّنت له التنقل في البلاد الأندلسية عبر بعض مدنها، والتبصر بما يحدث للناس من مستجدّات التفاعل الثقافي والاجتماعي.

إنّها تكوّن وثيقة من الطراز الأول حول الطبائع والأنظمة كما تبدو من خلال الوقائع الحيّة للقضاء، حيث إلى جانب الحالات النظرية، يقدّم ابن سهل قضايا تعرّف عليها أثناء أدائه لمهامه القضائية التي مارسها في كثير من مدن الأندلس، وأخرى استمدّها من أرشيف الوثائق في عصره، والعصور التي سبقت<sup>(2)</sup> وبإثبات كلّ ذلك في مدوّنته جمعا واستقصاء، مع الاختيار الواجب لمقصد الكتابة، وفنّ الطرح، يكون ابن سهل قد حقّق غاية أخرى من غايات التأليف، سواء قصدها، أم لم يقصدها، وأودع كتابه ملامح جليلة من الحياة الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية لعصره، وللعصور من قبله.

فمن الحياة الثقافية أورد كثيرا من التراجم لعلماء الأمصار<sup>(3)</sup>، ومنحنا معلومات زاخرة عن تفاعلاتهم الثقافية وحياتهم الفقهية والعلمية، فجاءت مدوّنته معلّمة للفقه والفقهاء في بلاد الغرب الإسلامي. كما جاءت موحية إلى جملة من المعارف والعلوم التي يمثّلها أصحاب الذكر فيها<sup>(4)</sup>.

1- محدّث من جلة الفقهاء، وكبار العلماء، حافظا للرأي، ذاكرة للمسائل، بصيرا بالأحكام، تولّى قضاء غرناطة، توفّي سنة 486هـ/1093م. أنظر ترجمته في:

أحمد بن عميرة الضبي (ت 599هـ/1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ/1997م، ص 352. وأبو القاسم بن بشكوال (ت 578هـ/1183م): كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط 01، المكتبة العصرية، بيروت 1423هـ/2003م، ص 349.

2 -Thami (El Azemmouri) : Les nawazil d'Ibn Sahl section relative a l'Ihtisab, in : Hespéris-Tamuda, Rabat 1973 , V 14, p 20.

3- أنظر تحصيل ذلك في:

محمد عبد الوهّاب خالّف: تراجم في تسمية فقهاء الأندلسي وتاريخ وفاتهم مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 21، الرباط 1981، ص 296-312.

4- تتبّع ذلك ببيان تخصّص كلّ الذين ذكروهم في:

ومن صور التفاعل المعرفي مع الإشكالات الواردة على العقل الفقهي المؤطر للفتوى، اختلاف المخرج المقاصدي للتأصيل في الاستدلال على حكم معين، يترادف فيه النص من أصول المذهب، وورود الأقوال المثبتة للاجتهاد<sup>(1)</sup>، وحكايته في النازلة توثيق ملمح للثقافة وبنائها في أطر الأجوبة المقدمة لمناط الإشكال.

وبمحملها من الأرشيف أمثلة للتصيص، أو الاستدلال، أو الاستقراء، ثم بمحملها من الواقع صارت وثيقة فقهية، ومعرفية، واجتماعية لما بعدها<sup>(2)</sup>، حيث بناء نصّها موروث ثقافي يستند إلى تراكمية الإنتاج المعرفي الأندلسي خاصّة، والغرب الإسلامي عامّة.

ولما تحمل نصوصها من أحكام نصّتها أجوبة فقهية على وقائع جرت أحداثا على جغرافية الأندلس، وتفاعلت بها عناصر شبكة العلاقات الاجتماعية التي كوّنت نسيج المجتمع الأندلسي، صارت ميدانا لإنشاء الوثائق، وتركيب النصوص للدلالة على الأحداث، أو البحث في حركة الحياة<sup>(3)</sup>، أو التأمل في الظواهر الاجتماعية<sup>(4)</sup>.

ومن أهميتها الأرشيفية أنّها صارت مرجعية ووثائقية تنشأ منها المدونات المتخصصة حسب ميادين البحث العلمي، أو حسب الحالات المخصّصة للدراسة.

---

محمد عبد الوهاب خلّاف: تراجم في تسمية فقهاء الأندلس وتاريخ وفاتهم مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 23، الرباط 1982، ص 263-288.

1- أنظر مثال ذلك في:

عيسى بن سهل الجبّاني أبو الأصبح (ت 486هـ / 1093م): الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكّام، تحقيق يحيى مراد، د ط، دار الحديث، القاهرة 1428هـ / 2007م، ص 385، 619.

2- أنظر قائمة الاقتباسات في:

سمير القُدوري: الفقيه عيسى بن سهل الأسدي الجبّاني (ت 486هـ)، التاريخ العربي، ع 37، الرباط 2006م، ص 320.

3- نريمان عبد الكريم أحمد: ببوع ابن سهل الأندلسي، المجلة التاريخية المصرية، م 45، القاهرة 2007م، صفحات 263-293.

4- محمد عبد الوهاب خلّاف: وثيقة في أحكام مسؤولية مالك الحيوان أو المكلف بحراسته في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 25، الرباط 1982، ص 148-164.

مثل أحكام القضاء والإجراءات القانونية<sup>(1)</sup>. وقد حملت الكثير منها؛ إذ جرّدها صاحبها لمثل ذلك، وأخرى ليستأنس بها القضاة. وبذلك كانت نصوصها ميدانا لإنشاء المعارف الخاصة بالقضاء وما يتعلّق به مثل الشورى، وغيرها<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك تمتاز بخصوصية تاريخية كبيرة، حيث ترتبط بطبيعة المجتمع في بنيته التي تشكّل شبكة علاقاته، وثقافته، والتي تتمثّل في وضعية أهل الذمّة في المجتمع<sup>(3)</sup>. وقد حملت هذه الوضعية ظاهرة اجتماعية، وثقافية، وقانونية في آن واحد، وكلّ الذين تناولوا هذه القضية كانت النوازل مرتكزهم الوثائقي. لذلك أفردت لها الدراسات منها<sup>(4)</sup>، لتتأسس الشواهد على الوقائع، كما تتأسس الشواهد على الأحكام الخاصة بها.

وفي التأريخ العام لأحداث القرن الخامس الهجري، تكون مدوّنة ابن سهل مصدرا لإحالات تحرير التاريخ إلى المستند الوثائقي، وترسم بقضاياها الاجتماعية، والاقتصادية أديم الحياة في قرطبة بجزئياتها التي لا تلامسها دواوين التاريخ العام، حيث لا يجد الباحث بداً من اتّخاذها مرجعية وثائقية دقيقة على مفصليات الحياة<sup>(5)</sup>.

وينصّ محمولها على كثير من الظواهر البيئية منها<sup>(6)</sup>، والبشرية، وكثير من صور الحياة اليومية التي تحملها النوازل من الواقع إلى الفتيا والقضاء، فتدوّن

1- محمد عبد الوهّاب خلّاف: وثائق في أحكام القضاء الجنائي مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، د ط، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة 1980.

2- (David (Pelaez Portales) : La Sura en al-Andalus , in : Anaquel de estudios arabes, Madrid 1998, N° 09, pp 136, 137.

3- ابن سهل، المصدر السابق، ص 594-628.

4- محمد عبد الوهّاب خلّاف: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمّة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، د ط، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة 1980.

5- أنظر تطبيق ذلك في:

محمد عبد الوهّاب خلّاف: قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي-الخامس الهجري: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، د ط، دار التونسية للطبع، تونس 1984.

6- ابن سهل، المصدر السابق، ص 605.



بفعل حركية ازدواجية الاجتماعي-الديني، وتبرز بذلك دقائق التفاعل الذي يغيب عن المؤرخ فيجئح إلى اعتمادها نصوصاً مردفة لنصوصه.

من هذه الصور الانتكاس الثقافي الذي طرأ على المجتمع الأندلسي، فقد ظهرت اتجاهات سوسيوثقافية نشزت عن التوجه العام الذي رسمته الثقافة الأندلسية التي رامت الاستقامة على نهج ديني قويم<sup>(1)</sup>، وعلى قاعدة اجتماعية متزنة في التدبّر ونمط العيش المكوّنين لصور الحياة. وأطلق عليها اسم البدع تقرّيباً دينياً واجتماعياً لمقترفيها، وتتفيرا لغير المتلبّسين بها أن يواقعوها. فحكّت النوازل صورها، واحتملت وثائقها.<sup>(2)</sup>

ومن هذه الصور كذلك ما تنقله عن الطرق المستخدمة في تولية المناصب، حيث يستعان بخدمة السلطان لإثبات ذلك<sup>(3)</sup>، أو الميل عن القضاة إلى غيرهم إذا كان الحكم غير مرض<sup>(4)</sup>، أو الفتور الذي يصيب أهل الحرف فتزول فنية الصنعة بأيديهم<sup>(5)</sup>، ويذهب إتقانها.

وحملت مع كلّ هذا الإشارات الدقيقة لأحوال مرّت بها الأندلس أثناء الثورات والفتن التي شهدتها المجتمع الأندلسي، وأظهرت بلمحية التطوّرات الرهيبة التي طرأت على الحياة، مثل تحويل الأحرار إلى عبيد، وبيعهم في السوق، في فتنة ابن حفصون<sup>(6)</sup>، وهو ما يبيّن العمق الذي تحدّثه النوازل في الوقائع من خلال

1- محمّد بن محمّد المقرّي (ت 758هـ / 1357م): نفع الطيب في غصن أندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت 1408هـ / 1988م، ج 01، ص 220.

2- استطاع الدكتور عبد الوهّاب خلّاف أن يحفر في نوازل ابن سهل ويستخرج منها وثائق صحيحة وخطيرة في التأريخ الاجتماعي والثقافي للأندلس. أنظر:

محمّد عبد الوهّاب خلّاف: ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبح عيسى بن سهل الأندلسي، ط 01، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة 1981.

3- ابن سهل، المصدر السابق، ص 603.

4- نفسه، ص 407.

5- نفسه، ص 601.

6- إبراهيم عبد القادر بوتشيش: أوضاع الفئات المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط: نموذج من الأندلس، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 01، مكناس 1406هـ / 1986م، ص 47.

خلال ما تثير من قضايا تخفى على كتب التاريخ أحيانا<sup>(1)</sup>.

### 5 نوازل أبي الوليد بن رشد

وتأتي نوازل أبي الوليد بن رشد<sup>(2)</sup> (ت 520هـ/1126م) بمدّ موسوعي يتوغّل من خلال الفقه إلى مناحي الحياة في الجزئيات المتشعبة مع الفردية في التميّز والاختيار، وفي شمولية الحركة في المذهب والاتّجاه. ذلك أنّها التقطت المجتمع بزمنيته إشكالات ترتبت على قطبين؛ الجماعة بكلّيتها، والفدّ بخصوصيته. فقد جمعت "عددا هاما من الفتاوى يصل إلى 660 فتوى، تثير قضايا تهّم مجالات الحياة بكلّ حيويّتها وتوّعها وتشابكها. فألى جانب قضايا العقيدة والمذهب الأشعري ورموزه ومسائل العبادات، نقف على مسائل الأحوال الشخصية، بما تعرفه من علاقات وما تطرحه من مشاكل الزواج والطلاق والنسب والإرث والخصومات. كما نقف على قضايا المعاملات التجارية والمالية والفلاحية، وما كانت تعرفه من أنظمة وعقود ومشاكل، إضافة إلى بعض الفتاوى التي تمسّ السياسة والجهاد وما له علاقة بخصوصيات المجتمع الأندلسي في علاقاته<sup>(3)</sup>

1- لا بدّ من الإشارة إلى أنّنا لا ننتبى كلّ ما حملته النوازل تاريخا، وإنّما إشكالا قائما بين توجّهات التاريخ إثباتا أو نفيا. وهي بإشكالاتها ترفد التاريخ بنصوص يكمل بها محاولته الإحاطة بالحدث.

2- كان فقيها، عالما حافظا للفقه، مقدّما فيه على جميع أهل عصره، إذ كان أوحد زمانه في طريقته، وزعيم فقهاء وقته، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم، يفرغ إليه في المشكلات. من تأليفه كتاب البيان والتحصيل، والمقدّمات لأوائل كتب المدوّنة، واختصار مشكل الآثار. أنظر ترجمته في:

أحمد بن عميرة الضبيّ (ت 1202هـ/599م): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ/1997م، ص 43، وابن بشكوال، الصلة، ص 450، وعياض، الغنية، ص 54، ومحمد بن حارث الخشني (361هـ/971م): أخبار الفقهاء والمحدّثين، تحقيق ماريا لوبيسا أبيلا ولويس مولينا، مطبوعات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1991، ص 119.

3- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ/1126م): فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر النليلي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1407هـ/1987م، ج 03، ص 1423.

بالنصاري<sup>(1)</sup>.

لذلك تمثل هذه النوازل "اتساعا في الزمان والمكان والموضوع؛ أما من الناحية الزمنية فإنها تتناول جانبا من عصر ملوك الطوائف وقضاياه وأحداثه ثم عصر المرابطين حتى حدود سنة 518، وأما من حيث المكان فإنها ترتبط بأكثر المدن الأندلسية وبعض بلدان العدة المغربية، وأما من حيث الموضوع فإنها تثير مسائل في شتى شؤون الحياة"<sup>(2)</sup>.

فهي تحمل الواقع الأندلسي في أسئلتها وأجوبتها، من حيث شمولها من جهة، ومن جهة أخرى لاقتربها في معظمها بأحداث واقعية<sup>(3)</sup>، اجتمعت في ديوان واحد ليس من وحدة الموضوع، ولا من وحدة الزمن، وإنما من وحدة موقعية صاحبها الذي قام البناء المعرفي فيها على محوريتها، لمكانته العلمية المتميزة، ولرفعة أسرته التي استحوذت على القضاء<sup>(4)</sup> باقتدار وكفاءة.

وباتساعها وشمولها تسطّحت في المتناول التاريخي لها، حيث "إنها تصوّر الحياة العامة في الفترة التي عاش فيها ابن رشد، أواخر عصر دول الطوائف وبداية عصر المرابطين، سواء أكانت جوانب سياسية حيث أبرزت علاقة المسلمين بأعدائهم، أو نواحي اجتماعية من العادات، والتقاليد، والاحتفالات، والألبسة، والأطعمة، أو النظم الاقتصادية، أو النواحي العلمية"<sup>(5)</sup>.

ومن هذا التوجّه في تناول النوازل معرفة خارج إطار الفقه الذي تناول

1- محمّد المغراوي: مسائل العملة والصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال "فتاوي ابن رشد"، التاريخ وأدب النوازل، تنسيق محمّد المنصور ومحمّد المغراوي، ط 01، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995، ص 59.

2- إحسان عباس: بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، م 02، ص 425.

3- نفسه، م 02، ص 425.

4- Rachid (El Hour) : Cordoba frente a lo Almorovides: familias de cadies y local, in : Al-Andalus, Revista del instituto egipcio de estudios islamicos en Madrid, Madrid 1997, V XXIX, p 199.

5- منيرة بنت عبد الرحمان الشرقي: الأحباس في الأندلس من خلال فتاوى ابن رشد، مجلة كلية الآداب، ع 55، الإسكندرية 2006، ص 74.

القضايا فيها بالنظر والإسقاط المنهجي، تكون نوازل ابن رشد نصوصا للحفريات التي يجب "أن يعكف عليها الباحثون في غير الفقه من المؤرخين السياسيين والاجتماعيين، ليستكملوا بذلك ما تفتقر إليه الدراسات التاريخية والأدبية من تصوير البيئة، والكشف عن المجتمع، والوقوف على مشكلات تلك العصور"<sup>(1)</sup>.

وفي منصوصها أوليات التأسيس المنهجي والمعرفي لمجتمع الغرب الإسلامي، حيث تناولت القضايا الجوهرية في منهج الاعتقاد وطرق تناول الأحكام التي يقتضيها الدين، مثل الموقف من العقيدة الأشعرية<sup>(2)</sup> التي يتبناها كثير من أعلام الفقه، وعلماء الكلام. وفيها بيان عن البنية العقيدية التي كان عليها أهل الغرب الإسلامي، والتي توحى إلى محلّ الاتجاه الأشعري في المنظومة المالكية بجهود أئمة مالكيين مثل أبي الوليد الباجي (ت474هـ / 1081م).

كما أنّها توحى بأزمة الموقف السياسي الديني في عصره، والتي تمثلت في "مشكل العقيدة بالمغرب والأندلس خلال بداية القرن الهجري السادس...-حيث- أنّ المسألة المذهبية قد اكتسبت حينذاك بالخصوص، صبغة سياسية حادة بسبب دعوة ودعاية ابن تومرت...-و- أنّ الأزمة المذهبية هي السبب الأول في انهيار دولة الملمّنين، وأنّ فقهاء تلك الدولة وأمرائها على السواء كانوا معارضين ورافضين بتاتا لعلم الكلام والأشعرية"<sup>(3)</sup>.

ورسمت نوازل ابن رشد المشهد المذهبي الأندلسي في أواخر القرن الخامس وبداية السادس، وبيّنت كيف أنّ المذهبية الأندلسية لم تتأثر بالدعوات المذهبية الأخرى، وأنّ بنية العقل الأندلسي ظلّت وفيّة المنهج لمذهب الإمام

1- عبد العزيز الأهواني: مسائل ابن رشد، مجلة معهد المخطوطات العربية، م 04، ج 01، القاهرة شوال 1377هـ/ مايو 1958، ص 73.

2- أبو الوليد بن رشد، المصدر السابق، ج 02، ص 802، 1060.

3- رضوان مبارك: حول بعض القضايا المذهبية والعقيدية في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد، ضمن التاريخ وأدب النوازل، تنسيق محمد المنصور ومحمد المغراوي، ط 01، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995، ص 74.

مالك(ت179هـ/ 795م). فحملت إشكال قبول شهادة من يعتقد الظاهر<sup>(1)</sup> على طريقة ابن حزم (ت476هـ/ 1083م).

وهذه الفتوى وإن "ألمحت إلى المذاهب الدينية الغربية على المجتمع الأندلسي، والتي اعتنقها قلة من الأندلسيين، مما أثار قلق فقهاء المالكية"<sup>(2)</sup>، إلا أنها تحفر في بنية الضمير الأندلسي الذي حوّل المبادئ العقيدية والأفكار الدينية إلى حركة اجتماعية. مع التأكيد "على تلازم المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، هذا التلازم الذي فرضته مرحلة طويلة من الصراع بين المذاهب السنّية، والمذهب الشيعي"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا السبيل من الأمور المتعلقة بالدين وفقهه، تلمح نوازل ابن رشد إلى الوسائط المعرفية والمناهج العلمية التي يعتمدها المرء الذي لا علم له بتنزيل الفقه، تنزيل الخبير المشتغل عليه. وفيها بيان واضح لبناء الفتوى في حال غياب المجتهد.<sup>(4)</sup> وهذه ملمحية مهمّة في معرفة بنية الفكر الأندلسي وتركيبته.

ومن الجوانب الاجتماعية فقد تعرّضت النوازل لبعض طبقات المجتمع وأهمّ المشكلات الأسرية (مثل مشكلة زواج المتعة والطلاق وحضانة الأطفال)<sup>(5)</sup>، والعلاقات بين الحيران والمنازعات التي تنشأ بينهم، علاوة على إشارات تتعلّق ببعض الاحتفالات الأسرية، وجوانب من العادات والتقاليد الأندلسية، ودور المرأة في العصر المرابطي وإسهاماتها في الحياة الأدبية والعلمي<sup>(6)</sup>.

ومنها تعرّضت النوازل إلى ظاهرة الشعوذة في المجتمع، حيث بعض الممارسات التي تحوّلت إلى مهن مثل النزر في خطّ الرمل وأخذ الأجرة عليه، مع

1- أبو الوليد بن رشد، الفتاوى، ج03، ص 1437.

2- كمال السيّد أبو مصطفى: صور من المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي، المجلة التاريخية المصرية، م 37، القاهرة 1990، ص 13.

3- محمّد المغراوي، المرجع السابق، ص 60.

4- أبو الوليد بن رشد، الفتاوى، ج03، ص 1620-1621..

5- أبو الوليد بن رشد، الفتاوى، ج02، ص 1046-1047، وج 03، ص 1490.

6- كمال السيّد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 12.

التأصيل له من الأحاديث وسيرة السلف. وتبين من طول جوابه أهمية شيوع الظاهرة مع الاستدلال لها.<sup>(1)</sup>

"ومن الناحية الاقتصادية تزودنا النوازل بإشارات قيّمة لا ترد عادة إلا في كتب الفتاوى والحسبة، وخصوصا ما يتعلّق بوصف الأرحاء وكيفية بنائها، ومدى اهتمام الأندلسيين باستصلاح الأراضي البور وتحويلها إلى حدائق وبساتين مزدهرة، ولم تغفل النوازل الإشارة إلى ملامح الريف الأندلسي، والعملية<sup>(2)</sup> المتداولة في بلاد الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين، وأثمان بعض العقارات"<sup>(3)</sup>. ويكلّ هذا الذي تلمح إليه نوازل ابن رشد، يستطيع المؤرّخ أن ينشئ وثائقه التي يحاول من خلالها السيطرة على الحدث الذي لم تحمله رواية خبرية، ولا توصيف جغرافي، ومن هذا السبيل تكوّن النوازل نصوصا ذات أهمية من حيث أنّها المكملّ الوثائقي لكلّ النصوص التي يستثمرها الباحث.

### 6- نوازل أبي عبد الله بن الحاج

ومنها نوازل القاضي أبي عبد الله بن الحاج<sup>(4)</sup> (ت 529هـ / 1134م)، التي التي تمثّل نصّا مضافا إلى نصّ ابن رشد لتكمّل مدوّنة الوثائق حول عصري الطوائف والمرابطين. ولأهمّيتها كانت لدى المهتمّين بتاريخ الأندلس من "نوادير

1- أبو الوليد بن رشد، الفتاوى، ج 01، ص 249-261.

2- محمّد المغراوي، المرجع السابق، ص 59-69.

3- كمال السيّد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 13.

4- أحد الفقهاء الفضلاء، وكبار العلماء، كان معدودا في المحدثين والأدباء، ومن المطبوعين في الفتيا، تدور عليه عليه في وقته لثقته وديانته، كما كان مقدّما في الشورى، مع العناية بالحديث والآثار، مقيدا للعلم طول حياته. ولي القضاء بقرطبة مرّتين. أنظر ترجمته في:

شهاب الدين أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني (ت 1041هـ / 1631م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1361هـ / 1942م، ج 03، ص 61، وعياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ / 1149م): الغنية، تحقيق ماهر زهير جزار، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1402هـ / 1982م، ص 47، وعلي بن عبد الله بن الحسن النباهي (ت بعد 793هـ / 1314م): كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، ط 05، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1403هـ / 1983، ص 102.

النصوص الخطّية في عصر المرابطين<sup>(1)</sup>.

وذلك أنّ "المعلومات التي توجد في هذا المخطوط عن عصري الطوائف والمرابطين تختلف عن المعلومات الواردة في جميع المصادر الأخرى التي تطرقت لهذه الحقبة التاريخية مثل الكتب التاريخية وكتب الطبقات أو المصادر الأدبية والجغرافية"<sup>(2)</sup>.

ونوازل ابن الحاج "تمدّنا بسيل من النصوص الفقهية التي تخدم التاريخ. فعلاوة على كون ابن الحاج يتعرّض لنوازل وقعت لبعض أمراء المرابطين كعلي بن يوسف وتميم بن يوسف، فإنّه يتصدّى كذلك لقضايا همّشها المؤرّخون وعملوا على تغييبها في كتبهم، كوضعية الأرض، والعملة وتقلّباتها، والمعاملات الاجتماعية داخل الأسرة الصغيرة والمجتمع ككلّ، كذا المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد"<sup>(3)</sup>.

وقد تفرّدت هذه النوازل "عن غيرها من النوازل على المستوى التوثيقي بنقلها النصوص الأصلية لعدد من العقود التي يعود تاريخها إلى عصري الطوائف والمرابطين...-حيث-أئنا لا نتوقّر على مثل هذه النصوص في المصادر الأندلسية الأخرى نظرا لقلّة الوثائق الاقتصادية والاجتماعية التي وصلتنا"<sup>(4)</sup>.

فالنصّ في نوازل ابن الحاج يسحب التاريخ على مساحات واسعة من الجغرافيا، وعلى فئات كثيرة من المجتمع، والتي لم تتماسّ مع نصوص التاريخ التقليدية، فهو مثلا "يثيري تاريخ البادية بالمغرب والأندلس، وينير بعض ما يلقّه من

1- محمّد الأمين بلغيث: دولة المرابطين بالأندلس-من مدينة السياسة إلى مدينة العلم-، ط 01، دار الوعي، الجزائر 2009، ص 09.

2- امحمّد بن عبود ومصطفى بنسباع: جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج، مجلة كآبة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 07، تطوان 1994، ص 46.

3- إبراهيم القادري بوتشيش: مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمّية مادّته التاريخية، مجلة دار النياية، ع 21، الرباط 1989، ص 27.

4- امحمّد بن عبود ومصطفى بنسباع، المرجع السابق، ص 47.

غموض<sup>(1)</sup>، وبذلك يكتسي "أهمية كبرى في الكشف عن جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"<sup>(2)</sup> للأندلس.

فأما الاجتماعية منها فقد ألمحت نصوصه إلى كثير مما يخصّ فئة العبيد في المجتمع<sup>(3)</sup>، وأفصحت عن طبيعة الاحتواء الاجتماعي لهذه الفئة ضمن معيارية خاصّة أنتجها المجتمع حينذاك من جرّاء ثقافة متداخلة التأثيرات. كما ألمحت إلى حالات اليتيم وما يتصل بها<sup>(4)</sup> من إنفاق أو حرمان<sup>(5)</sup>، ممّا يبيّن الحالة الاجتماعية للأسرة الأندلسية من جهة، وحالة الالتزام الأخلاقي من جهة أخرى، والذي يبيّن النوازل في نصوصها تدهوره وسيران الفساد<sup>(6)</sup> في كثير من الحالات التي أعطت النوازل صوراً منها.

ومن الناحية الاقتصادية تقدّم نوازل ابن الحاج معلومات دقيقة عن طبيعة الملكيات الزراعية وظروف استغلالها، ويمكن القول: إنّ ما تتضمنه بعض نوازل الإرث والبيع والمعاوضة وما يرد عرضاً من إشارات في أبواب فقهية أخرى، يكشف عن وجود أصناف من الملكيات الزراعية، كالملكية الجماعية للأرض، وأراضي الأحباس، والملكية العمومية، فضل عن الملكية الخاصة التي نجدها في

- 1- إبراهيم القادري بوتشيش: «مخطوط نوازل ابن الحاج» مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ندوة البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1999، ص 30.
- 2- امحمد بن عبود ومصطفى بنسباغ: تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 08، تطوان 1997، ص 69.
- 3- إبراهيم القادري بوتشيش: مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دراسات، ع 07، أكادير 1995، ص 35.
- 4- أبو عبد الله بن الحاج التجيبي: النوازل، نسخة مصوّرة عن مخطوطة من سوس بحوزة الباحث، ورقة 72 ظهر.
- 5- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط 02، مطبعة الخليج العربي، تطوان 2004، ص 68.
- 6- نفسه، ص 101.



كلّ مكان<sup>(1)</sup>.

كما تلمح نوازل ابن الحاج إلى حركة السوق بكلّ الإحداثيات الاجتماعية، من حيث البيان عن بنية المجتمع وشرائحه، والطوائف الدينية<sup>(2)</sup>، كلّ أولئك في دينامية الاقتصاد المحرّك للفاعليات الاجتماعية، والإحداثيات الاقتصادية، من حيث البيان عن العملة المتداولة<sup>(3)</sup>، وتدخّل الدولة أحيانا لتحديد أسعار السلع<sup>(4)</sup>، وغيرها من المظاهر التي ترسم ملامح الاقتصاد المتداخل مع توجّهات المجتمع. ومن الناحية الدينية الاعتقادية فقد حملت نوازل ابن الحاج همّ العام الذي كان يعاود المسلمين في الأندلس بشيوع الاتجاه الأشعري<sup>(5)</sup> في تناول قضايا العقيدة، ومنهج النظر العقلي التأويلي الذي بدأت الدراسات الأصولية، ودراسات علم الكلام تفرضه على منظومة الفكر والفقّه. كما حملت حكاية قضية إرادة شاب الزواج من شيعية<sup>(6)</sup> وقعت على عهد الفقيه أبي إسحاق التونسي، حيث خاف الشاب من عنت أهله، وفيها ملتح إلى المذهبية وموقعها من العلاقات الاجتماعية.

### خاتمة

يستنتج من الدراسة أهميّة كتب النوازل في الدراسات التاريخية والاجتماعية، حيث أنّها تحمل من جزئيات الحياة اليومية التي تمنح للمؤرّخ صور

- 1- أحمد اليوسفي شعيب: أهميّة الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجاً)، ندوة الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات، ط 01، مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض 1417هـ/1996م، ج 01، ص 391.
- 2- مصطفى بنسباغ: ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي، ندوة الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات، ط 01، مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض 1417هـ/1996م، ج 05، ص 297.
- 3- إبراهيم القادري بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط 01، دار الطليعة، بيروت 2002، ص 106.
- 4- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط 01، دار الطليعة، بيروت 1998، ص 211.
- 5- أبو عبد الله بن الحاج التجيبي: النوازل، ورقة 12 وجه.
- 6- نفسه، ورقة 13 وجه.

التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، التي لا تتقاطع مع منهج الكتابات التاريخية العامة. كما تؤلف منظورا تستطيع الدراسات الاجتماعية أن تتفاعل معه إشكالا لظواهر اجتماعية، وثقافية تميز مجتمعا معينًا.

وتمثل نوازل القرنين الخامس والسادس في الأندلس مدونة وثائقية مهمة عن اليومي الأندلسي الذي يحدّد معالم المجتمع الثقافية، ويبرز الخلفيات السيكولوجية والسوسولوجية التي تصنع الحدث الذي يتشكّل مظهرًا تاريخيًا. ومنها يستطيع المؤرّخ أن يبني معرفة تاريخية في كلّ توجّهات التخصص، التي تفرضها الدراسات الحديثة، حيث تفرّعت المناهج من أجل أن تتمكن من الإحاطة بالوقائع، وتقاربها في أدقّ جزئياتها، كما يحاول التاريخ الجزئي، والتاريخ المحلي.

#### الببليوغرافيا

##### المصادر:

- 1- ابن بشكوال خلف أبو القاسم (ت578هـ/1183م): كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوّاري، ط 01، المكتبة العصرية، بيروت 1423هـ/2003م.
- 2- البغدادي قدامة بن جعفر الكاتب: جواهر الألفاظ، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1405هـ/1985م.
- 3- الثعالبي أبو منصور بن إسماعيل (ت429هـ/1038م): فقه اللغة، د ط، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1885م.
- 4- الجوهري إسماعيل بن حمّاد (ت393هـ/1003م): الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 03، بيروت 1404هـ/1984م.
- 5- ابن الحاج أبو عبد الله التجيبي (ت529هـ/1134م): النوازل، نسخة مصوّرة عن مخطوطة من سوس بحوزة الباحث.
- 6- الخشني محمّد بن حارث (ت361هـ/971م): أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، مطبوعات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1991.
- 7- ابن رشد محمّد بن أحمد أبو الوليد (ت520هـ/1126م): فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1407هـ/1987م.
- 8- رضا أحمد: معجم متن اللغة، د ط، مكتبة الحياة، بيروت 1380هـ/1960م.
- 9- ابن سهل عيسى الجيّاني أبو الأصبغ (ت486هـ/1093م): الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكّام، تحقيق يحيى مراد، د ط، دار الحديث، القاهرة 1428هـ/2007م.

- 10- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458/1066م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ/ 2000م.
- 11- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصّص، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- 12- الضبّي أحمد بن عميرة (ت 599/1203م): بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ/ 1997م.
- 13- ابن فارس أحمد أبو الحسين بن زكريا (ت 395/1004م): المجمل، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط 02، مؤسّسة الرسالة، بيروت 1406هـ/ 1986م.
- 14- ابن فارس أحمد أبو الحسين بن زكريا (ت 395/1004م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر العربي، بيروت 1399هـ/ 1979م.
- 15- الفراهيدي الخليل بن أحمد (ت 170/786م): كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم، ترتيب عبد الحميد هندراوي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/ 2003م.
- 16- الفيومي أحمد بن محمّد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام الرافعي: د ط، المطبعة البهية، القاهرة د ت.
- 17- ابن القطّاع علي بن جعفر بن علي السعدي أبو القاسم (ت 515/1121م): كتاب الأفعال، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 2003.
- 18- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط 02، دار المعارف، مصر 1393هـ/ 1973م.
- 19- المقرّي شهاب الدين أحمد بن محمّد التلمساني (ت 1041/1631م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1361هـ/ 1942م.
- 20- ابن منظور محمّد بن مكرم (ت 711/1211م): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة د ت.
- 21- النباهي علي بن عبد الله بن الحسن (ت بعد 793/1314م): كتاب المراقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، ط 05، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1983.
- 22- اليحصبي عياض بن موسى السبتي (ت 544/1149م): الغنية، تحقيق ماهر زهير جرّار، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1402هـ/ 1982م.

#### المراجع العربية:

- 1- أحمد نريمان عبد الكريم: بيوع ابن سهل الأندلسي، المجلّة التاريخية المصرية، م 45، القاهرة 2007.
- 2- أحمد اليوسفي شعيب: أهميّة الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجًا)، ندوة الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات، ط 01، مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض 1417هـ/ 1996م.
- 3- أقلّينة المكّي بن أحمد: كتب النوازل مصدرًا للمعلومات عن العالم الإسلامي، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرباط 1424هـ/ 2004م.

- 4- الأهواني عبد العزيز: مسائل ابن رشد، مجلة معهد المخطوطات العربية، م 04، ج 01، القاهرة شوال 1377هـ/ مايو 1958.
- 5- بلغيث محمد الأمين: دولة المرابطين بالأندلس- من مدينة السياسة إلى مدينة العلم-، ط 01، دار الوعي، الجزائر 2009.
- 6- بنسباع مصطفى: ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الوشريسي، ندوة الأندلس قرون من التقاليد والعطاءات، ط 01، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض 1417هـ/ 1996م.
- 7- بوتشيش إبراهيم القادري: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط 01، دار الطليعة، بيروت 2002
- 8- أوضاع الفئات المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط: نموذج من الأندلس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 01، مكناس 1406هـ/ 1986م.
- 9- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط 01، دار الطليعة، بيروت 1998.
- 10- مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية، مجلة دار النيابة، ع 21، الرباط 1989.
- 11- «مخطوط نوازل ابن الحاج» مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ندوة البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1999.
- 12- مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دراسات، ع 07، أكادير 1995.
- 13- المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط 02، مطبعة الخليج العربي، تطوان 2004.
- 14- النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالمغرب الإسلامي، (ق 5-6هـ / 12-13م)، التاريخ العربي، ع 22، الرباط 1423هـ/ 2002م.
- 15- اليوشواري محمد: قضايا العمل السوسي في أجوبة الفقيه المالكي داود التلملي (ت 899هـ)، مجلة المذهب المالكي، ع 03، إنزكان، المغرب 2007.
- 16- الجيزاني محمد بن حسين: فقه النوازل "دراسة تطبيقية تأصيلية"، د ط، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية 1427هـ/ 2006م.
- 17- حجّي محمد: نظرات في النوازل الفقهية، ط 01، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب 1420هـ/ 1999م.
- 18- ابن حمّادي عمر: النوازل بين طرافة القضايا، ومشاكل النسخ، وصعوبات التحقيق، مجلة دراسات أندلسية، ع 44، تونس 2010.
- 19- خلاّف محمد عبد الوهّاب: تراجم في تسمية فقهاء الأندلسي وتاريخ وفاتهم مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 21، الرباط 1981.
- 20- تراجم في تسمية فقهاء الأندلسي وتاريخ وفاتهم مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 23، الرباط 1982.

- 21- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للفاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، ط 01، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة 1981.
- 22- قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي-الخامس الهجري: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، د ط، الدار التونسية للطبع، تونس 1984.
- 23- وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، د ط، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة 1980.
- 24- وثائق في أحكام القضاء الجنائي مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، د ط، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة 1980.
- 25- وثيقة في أحكام مسؤولية مالك الحيوان أو المكلف بحراسته في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، المناهل، ع 25، الرباط 1982.
- 26- خلواتي صحراوي: خصائص المدرسة المالكية المغربية، مجلة المذهب المالكي، ع 04، إنزكان، المغرب 2007.
- 27- خلود عبد العزيز: قيمة فقه النوازل التاريخية، البحث العلمي، ع 29-30، س 16، الرباط 1399هـ / 1979م.
- 28- السعيد أحمد: تداخل التاريخ بالفقه، نموذج النوازل الفقهية، التسامح، ع 28، مسقط، عمان 1430هـ / 2009م.
- 29- سوفاجيه جان - كاهن كلود: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوي، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، القاهرة 1998.
- 30- السيد كمال أبو مصطفى: صور من المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي، المجلة التاريخية المصرية، م 37، القاهرة 1990.
- 31- الشرقي منيرة بنت عبد الرحمان: الأحياس في الأندلس من خلال فتاوى ابن رشد، مجلة كلية الآداب، ع 55، الإسكندرية 2006.
- 32- الصمدي مصطفى: فقه النوازل بالأندلس تاريخاً ومنهجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف عقي النماري، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، السنة الجامعية 1421-1422هـ / 2000-2001م.
- 33- طه عبد الواحد ذنون: كتب الفتاوى مصدراً للتاريخ الأندلسي، المجلة العربية للثقافة، ع 27، تونس 1994.
- 34- العبادي الحسن: خصائص فقه النوازل بسوس، ضمن ندوة التراث الإسلامي في سوس، ط 01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1430هـ / 2009م.
- 35- عباس إحسان: بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، م 02.
- 36- ابن عبود امحمد: مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره، د ط، منشورات عكاظ، الرباط 1989.

- 37- ابن عبود امحمد وينسباغ مصطفى: تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 08، تطوان 1997.
- 38- جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 07، تطوان 1994.
- 39- ابن عبد الله عبد العزيز: القضاء المغربي وخصائصه، دعوة الحق، ع 224، س 24، الرباط 1402هـ/1982م.
- 40- العلمي عبد الرحيم: الاجتهادات الفقهية في نوازل الوقف عند المالكية، أوقاف، ع 12، س 07، الكويت 1428هـ/2007م.
- 41- الغضبان محمد: نصّ للمازري بين النسخ والتحقيق: اختلافات المعطيات والنصّ واحد، مجلة دراسات أندلسية، ع 37، محرّم-جمادى الأولى 1428هـ/جانفي-جوان 2007.
- 42- فكير أحمد بن محمد: من أعلام فقه النوازل في سوس: القاضي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، مجلة المذهب المالكي، ع 04، إنزكان المغرب 2007.
- 43- الفيلاي الحسن الزين: النوازل الفقهية قيمتها التشريعية والفكرية، ندوة النوازل الفقهية وأثرها في الفتوى والاجتهاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء 2001.
- 44- القحطاني مسفر بن علي بن محمد: منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، ط 01، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية 1424هـ/2003م.
- 45- القدوري سمير: الفقيه عيسى بن سهل الأسدي الحباني (ت486هـ/)، التاريخ العربي، ع 37، الرباط 2006م.
- 46- قشّي فاطمة الزهراء: الحياة الفكرية في قسنطينة خلال العهد العثماني مساهمة عائلة الفكون - "أو عرض كتاب النوازل"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 57-58، تونس جويلية 1990.
- 47- كارتلوج بول: ما التاريخ الاجتماعي الآن؟، ضمن ما التاريخ الآن، تحرير ديفيد كانادين، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط 01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2006.
- 48- كرم إدريس: العلاقات الاجتماعية من خلال النوازل الفقهية في المغرب، ط 01، الدار البيضاء 1426هـ/2005م.
- 49- مبارك رضوان: حول بعض القضايا المذهبية والعقيدية في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد، التاريخ وأدب النوازل، تنسيق محمد المنصور ومحمد المغراوي، ط 01، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995.
- 50- محمد بن يونس السويسي التوزري العباسي: الفتاوى التونسية في القرن الرابع عشر الهجري، ط 01، دار ابن حزم، بيروت 1430هـ/2009م.
- 51- مزين محمد: حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية، ندوة البحث في تاريخ المغرب. حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط 1989.

- 52- مساهمة علماء مكناس وفقهائها في حلّ مشاكل المجتمع المغربي عبر كتب النوازل الفقهية خلال بداية العصر الحديث، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، مكناس 1988.
- 53- أبو مصطفى كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي -من خلال نوازل الوشريسي-، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997.
- 54- المغراوي محمّد: مسائل العملة والصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال « من خلال فتاوي ابن رشد»، التاريخ وأدب النوازل، تنسيق محمّد المنصور ومحمّد المغراوي، ط 01، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995.

## المراجع الأجنبية:

1. Cahen (Claude): Les nawazil d'ibn Sahl, in : Hespéris Tamuda, V 14, Rabat 1973.
2. Bourqia (Rahma): Droit et pratiques sociales. Le cas des Nawazil au XIXe siècle, in : Hespéris Tamuda, V 37, F 02, Rabat 1997.
3. Isabel (Maria) e Secall (Calero) : Referencias a Malagha en el Miyar Al-Mughrib de Al-Wansarisi , in: Multaqà al-dirasat al-Magribiyya al-Andalusiyya. Tayarat al-fiqr fi l-Magreb wa-l-Andalus, Tetuán: Univ. Adel Malek Saadi, 1995.
4. Devin (Stewart): The identity of The Mufti of Oran, Abu L-Abbas Ahmed B. Abi Jumah Al-Maghrawi Al-Wahrani (D. 917/1511), in: AL-QANTARA, V 27, F 02, Madrid 2006.
5. El Azemmouri (Thami): Les nawazil d'Ibn Sahl section relative a l'Ihtisab, in : Hespéris-Tamuda, Rabat 1973.
6. David (Pelaez Portales): La Sura en al-Andalus , in : Anaquel de estudios arabes, Madrid 1998, N° 09.
7. El Hour (Rachid): Cordoba frente a lo Almorovides: familias de cadies y local, in : Al-Andalus, Madrid 1997, V XXIX.
8. David (S. Powers): Fatwas as sources for legal and social history : A dispute over endowment revenues from fourteenth-century Fez, in: AL-QANTARA, V 11, F 02, Madrid 1990, p 298.





## فقه السياسة الشرعية، أبعاده وتجلياته

أ. ضيف محمد الصالح  
جامعة أحمد دراية - أدرار - الجزائر

### ملخص:

يُعدُّ الفقه السياسي من بين أهم مجالات الفقه التي ساهمت في إثراء الفكر الإسلامي، حيث اهتم الفقهاء ببيان أحكامه ومعالجة الوقائع والنوازل السياسية، بعد أن ظهرت معالمه منذ بداية التشريع الإسلامي ليزدهر ويتطور، وتنتعش بعد ذلك حركة التأليف وترسخ لفقه يحكم وظائف الدولة، وتوصل لفكر متميز ارتبطت أحكامه بالواقع الاجتماعية السياسي للأمة.

إن الفقه السياسي يراعي في أحكامه المصلحة الشرعية باعتبار أثرها في قوام أمر الأمة، بل يجعل منها معيارا وقيدا رئيسيا في ممارسة وظيفة الولاية قياما بمصالح الناس وإصلاح دينهم وديناهم.

ومن هنا يمكننا القول بأن السياسة الشرعية تعتمد في منهجها على علم المقاصد، وتجعل منه قسما مهما من أقسام المقاصد الشرعية الخاصة؛ لأنها تختص بما يهدف إلى تحقيق مقاصد الشريعة في أحد المجالات الانسانية الحيوية.

### Résumé :

La jurisprudence politique est l'un des domaines les plus importants qui ont enrichi la pensée islamique, elle a pris un essor après l'apprentissage de la loi divine, et s'est développée avec les publications ayant pour objectif de gérer l'Etat ayant trait à la réalité socio-politique de la nation.

Cette science mise dans ses lois l'intérêt juridique vu son importance dans la continuité de la Nation, elle en fait même un critère principal dans l'exercice du Pouvoir Politique au service des citoyens.

On peut dire donc que la politique devine se base dans sa méthode sur l'éthique faisant d'elle une partie prenante ayant pour objectif la concrétisation des objectifs divins dans l'un des domaines primordiaux de la vie humaine.

مقدمة:

تعددت مسميات مجالات الفقه الإسلامي تبعا للعلاقة الناشئة بين الإنسان وغيره حسب مستويات المعالجة الفقهية، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو الدولة. فالتشريع المنظم لعلاقة الإنسان بربه يسمى فقه العبادات؛ وينظمه فقه الحلال والحرام، أما التشريع المرتبط بعلاقة الإنسان بمجتمعه فينظمه ما يعرف بفقه المعاملات، سواء تعلق الأمر بعلاقة الفرد بمحيطه الأسري وهو ما يعرف بفقه الأحوال الشخصية أو أحكام العائلة كما يسميها الطاهر بن عاشور<sup>1</sup>، أو ما تعلق منها بمحيطه الاجتماعي في معاملاته ومبادلاته وعلاقاته المختلفة، فتتظمه التشريعات والقوانين المعروفة في عصرنا بالقانون المدني والقانون التجاري والتشريع الجنائي، وغيرها من تلك الأطر القانونية والتشريعية المختلفة.

أما التشريع المرتبط بعلاقة الفرد بالدولة أو علاقة الراعي بالرعية، فينظمه ما يعرف بالفقه السياسي، أو فقه السياسة الشرعية؛ الذي يشمل ما يصطلح عليه في عصرنا بالفقه الدستوري والمالي والإداري والدولي وغيره، حيث تبرز أهميته الشرعية فيما يلي:

1/- إن هذا القسم من الفقه الإسلامي هو من أهم المباحث الفقهية الذي استوعبت أحكامه الحياة الإنسانية من جميع جوانبها، فقد تناوله الفقهاء بالبحث ضمن مباحث الفقه العام، كما تناولوه في كتب متخصصة جعلت منه مبحثا خاصا من

1- الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية (المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر- د.ت): 155.

مباحث الفقه الإسلامي؛ يراعي ضمن مقاصد التشريع العامة المصلحة باعتبار أثرها في قوام الأمة.

2/- إن السياسة الشرعية تستهدف صلاح أحوال البشر وعمارة الدنيا وإقامتها على أسس الحق والعدل، وتحقيق التكافل الإنساني في مختلف مجالات الحياة، والتعاون المثمر بما يكفل أسباب الأمن والاستقرار على الصعيد الدولي، ولذلك اعتبرها الغزالي أصل من أشرف الأصول التي لا قوام للعالم إلا بها<sup>1</sup>.

3/- لقد اهتم علماء المسلمين بمتابعة واقع الحركة السياسية ومعالجة الوقائع والنوازل السياسية، في حركة هي شبيهة بالتنظير للواقع السياسي، باعتبار ما يميز هذا الفقه من ميزة جعلت منه فقها مرتبطا بواقع حياة الناس، ومسيرا للتطورات السياسية والاجتماعية من خلال حركة الاجتهاد الفقهي في الوقائع التي لا نص فيها ولا إجماع ولا نظير لها على وجه يحقق المصلحة العامة للأمة ويتفق مع قواعد الشريعة السمحة.

ومن هنا فالسياسة الشرعية تساعد على إيجاد الحلول لما يستجد من الأقضية والنوازل بما يتفق مع الشريعة الإسلامية، تبعا لتغير الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة والمصالح<sup>2</sup>.

وهذا من أعظم فوائد السياسة الشرعية، إيفائها بمتطلبات الحياة المتجددة، وذلك باستتباب الأحكام للوقائع والحوادث المنظمة للحياة السياسية.

1- أبو حامد الغزالي: ميزان العمل (حققه وقدم له الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى: 1964م): 329، عبد الرحمان خليفة: في علم السياسة الإسلامي (دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية- ط: 1989م): 50.

2- عبد العال أحمد عطوة: المدخل إلى السياسة الشرعية (دار الإمام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض- الطبعة الأولى: 1414هـ/1993م): 64 وما بعدها.

لقد انتعشت حركة التأليف في الفقه السياسي منذ القرن الخامس الهجري، ابتداء من الماوردي (ت 450هـ) وأبو يعلي الفراء (ت 458هـ) والإمام الجويني (ت 476هـ)، مروراً بابن تيمية (ت 728هـ) وتلميذه ابن القيم الجوزية (ت 751هـ) وابن جماعة (ت 749هـ) وكذا ابن الأزرقي الغرناطي المالكي (ت 895هـ) وغيرهم، وأصلت لهذا الفقه ووضعته معالمه لترتسم مباحثه العلمية وقواعده التشريعية، ثم بعد ذلك بدأ أثره واضحاً في خدمة الحياة العامة وتوجيهها، وإيجاد الحلول لمشكلاتها وفق مبادئ الشريعة وتعاليمها، بالرغم من الظروف التاريخية والأوضاع السياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية، والتي فرضت واقعا جديدا طوعت فيه الشريعة لخدمة السلطة السياسية وتقلص فيه دور السلطة العلمية بسبب الاستبداد الفكري وقيام القطيعة والجفوة بين العلماء والأمراء، مما أدى إلى ضمور الفقه السياسي واشتغال العلماء بالبحوث الفلسفية والنظرية ومعالجة المسائل الفرعية<sup>1</sup>.

وبالرغم من ذلك لم تستطع السلطة أن تتجاهل دور الفقهاء في الحياة السياسية، وإقحامهم في مجمل النشاطات السلطانية، علاوة على المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتقهم، والتي تشكل جملة الواجبات الشرعية التي تفرض على الفقهاء التدخل لتوجيه الحكام الوجهة التي يريدها الإسلام، واتخاذ موقف

1- محمد الغزالي: الإسلام والاستبداد السياسي (تحقيق وتعليق الأستاذ مسعود فلوسي، دار ربحانة للنشر والتوزيع-الجزائر- الطبعة الأولى: 1420هـ/1999م): 243 وما بعدها، عبد المجيد الصغير: الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام (دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ/1994م): 125 وما بعدها.  
وراجع ما ذكره صاحب الكتاب بخصوص النقد اللاذع الذي وجهه الإمام الجويني للماوردي: ص: 396 وما بعدها.

المساعدة أو المعارضة تبعاً لمواقف السلطة في الالتزام أو التنكّر للحقوق والمبادئ الشرعية<sup>1</sup>. وهذا من أهم العوامل التي ساهمت في إثراء الفقه السياسي. واستمرت كتابات العلماء والمفكرين في العصر الحديث في السياسة الشرعية، ولكن مازالت بعض المحاولات لم تخرج عن طريقة التأليف القديمة، فأعدت صياغته بمصطلحاته وآرائه دون التمييز بين الثوابت والمتغيرات<sup>2</sup>، إلا ما كان من محاولات البعض في صياغته في ثوب جديد يحاكي به الأنظمة السياسية المعاصرة، أو بعض الكتابات لبيان موقف الإسلام من بعض القضايا، أو المقالات التي أخذت شكل الردود على المتطاولين على الإسلام بغرض إبعاده من أن يكون له دور في الحياة السياسية العامة.

وتجدر الإشارة بأن هناك كتابات اهتمت بمعالجة بعض المواضيع المهمة ذات الصلة بالواقع السياسي المعاصر، كموضوع حقوق الإنسان، وقد كتب فيه العديد من المعاصرين كالشيخ الغزالي وغيره، كما كتب الشيخ راشد الغنوشي حول موضوع: "الحريات العامة في الإسلام" والدكتور فهمي هويدي حول موضوع أهل الذمة في كتابه: "مواطنون لا ذميون"، أو بعض الدراسات التي أخذت منحنى المقارنة بين الفكر السياسي الإسلامي وغيره من النظم الوضعية<sup>3</sup>.

- 
- 1- خليل الكبيسي: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة (دار البشائر الإسلامية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م): 91 وما بعدها.
  - 2- د. جمال الدين عطية: نحو تفعيل مقاصد الشريعة الإسلامية (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق-سوريا، الطبعة الأولى: 1422هـ/2001م): 233.
  - 3- من أهم هذه الدراسات ما كتبه الدكتور عبد الحميد الأنصاري عن "الشورى والديمقراطية" والدكتور هاني الدريدي عن "نظام الشورى الإسلامية مقارنا بالديمقراطية النيابية المعاصرة" وما كتبه الدكتور سليمان الطماوى عن "السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي" وغيرها.

كما لم تقتصر بعض الدراسات على مجرد الوصف أو التحليل أو التفسير لما هو قائم، بل تعدت إلى تقييم الواقع ومحاولة إصلاحه، باعتبار أن السياسة قيام للأمر بما يصلحه، فطرح أفكارها وفق رؤية تجديدية بدأت تضع معالمها لتشكيل نظرية متكاملة في الفقه السياسي الإسلامي. ولعل من أهم هذه الدراسات ما طرحه الدكتور سيف الدين عبد الفتاح حول مفهوم التجديد وربطه بالمجال السياسي من خلال كتابه: "التجديد السياسي والواقع العربي المعاصر"، وما كتبه العلامة أبو الأعلى المودودي من رسائل جمعت في كتاب: "نظرية الإسلام وهدية في السياسة والدستور" وكذلك الدكتور ضياء الدين الريس في: "النظريات السياسية الإسلامية"<sup>1</sup>.

ونظرا للأهمية البالغة التي اكتسبها الفقه السياسي وخطورة موضوعه وصلته بمصير الأمة ومصالحها، فقد رأيت من الأهمية أن أتناول موضوع فقه السياسة كعلم عالجتة ونظمتة الشريعة الإسلامية، باعتبارها شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية من خلال إشكالية مفادها:

- ما مدى اهتمام الفقهاء بالأحكام السياسية، وعلاقة ذلك بالمصلحة العامة الضابطة للسلوك السياسي؟

- وإذا كانت المصلحة كمقصد من مقاصد الشريعة هي هدف السياسة، فإلى أي قسم من أقسام مقاصد التشريع تتدرج أحكام الفقه السياسي؟

وسأطرق في هذه المعالجة إلى محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال العنصرين الآتيين وهما:

1- عن كتابات العلماء والمفكرين في الفقه السياسي الإسلامي ينظر كتاب الشيخ يوسف القرضاوي: السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها (مكتبة وهبة-القاهرة- الطبعة الأولى: 1419هـ/1998م): 22 وما بعدها.

أولاً: أبعاد الفقه السياسي من خلال:

- 1- إبراز الجوانب السياسية في الفقه الإسلامي.
- 2- ترشيد تصرفات الحكام.
- 3- إظهار مقاصد السياسة كمقاصد خاصة.

ثانياً: تجليات فقه السياسة الشرعية.

أولاً: أبعاد الفقه السياسي.

الفقه السياسي يتناول بالخصوص علاقة الفرد بالدولة وإصلاحها في ظل علاقة تهدف إلى استقرار الأمة وانتظام أحوالها، فهي علاقة هدفها إصلاح الراعي والرعية كما يدل على ذلك تسمية كتاب ابن تيمية في السياسة الشرعية. كما يهدف هذا الفقه إلى إحياء المبادئ الإسلامية في الحكم، مراعيًا في ذلك الأوضاع الاجتماعية القائمة.

وبما أن للإسلام منهجه المتميز في إقامة الحياة ضمن مؤسسة الدولة والمجتمع، فلا شك أن لهذه الخصوصية دوراً في إبراز وتشكيل رؤية سياسية نابذة من قواعد الإسلام ومقرراته، وهذه الرؤية تشمل قضايا السياسة الشرعية كأحد جوانب فقهنا الإسلامي الرحب، الذي يستوعب الحياة الإنسانية كلها.

1- إبراز الجوانب السياسية في الفقه:

لقد تناول فقهاؤنا الحديث عن الأحكام المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي، والذي تناولت أحكامه ضبط تصرفات الحاكم والمحكوم وتنظيم هياكل الدولة، وكل ما له علاقة بالشأن العام والمصالح العامة للأمة؛ من مسائل اندرجت في مجالات متعددة، لا تخرج عن فرع من فروع القانون المعاصر، لشمولها جميع شؤون الأمة مما يحتاجه الولاة والحكام لتدبير أمور الرعية وإدارة شؤونها، ويحقق

لها النفع العام كالنظم المالية والإدارية ونظام الحكم والقضاء والعلاقات الخارجية وغيرها.

وإذا كانت السياسة الشرعية هي جزء من الفقه، حيث أن النسبة بينهما العموم والخصوص الوجهي كما يقول الدكتور عبد العال عطوة<sup>1</sup>، فإن الأحكام الثابتة بغير الأدلة الأربعة هي من الفقه فضلا عن أن أحكام السياسة الشرعية لا تقتصر فقط على ما لم يرد به النص<sup>2</sup>.

والعموم والخصوص بينهما ليس من جهة تعلقهما بالأدلة فيجتمعان في الأحكام الثابتة بغير الأدلة الأربعة وهي أحكام السياسة الشرعية، وإنما العموم والخصوص بالنظر إلى طبيعة الأحكام التي يتوقف تنفيذها على الوازع السلطاني وتدخل في صلاحيات الولاية، وبين ما لا يختص به أولوا الأمر وليس داخلا في تدابيرهم بالولاية.

والحقيقة أن السياسة هي ممارسة للفعل السياسي، تشمل القرارات والأحكام الصادرة عن ولي الأمر، سواء استندت إلى الاجتهاد أو اعتمدت على النصوص الثابتة بغرض حراسة الدين وسياسة الدنيا، فهي "تدبير لشؤون الدولة الداخلية والخارجية بما فيه مصلحة للأمة، وفقا لنصوص الشريعة الإسلامية وأصولها العامة"<sup>3</sup>.

1- د. عبد العال عطوة: المدخل إلى السياسة الشرعية: 63.

2- ذكر الماوردي صلاحيات الأمير ومنها إقامة الحدود وهي من حقوق الله تعالى كحد الزنا جلدا ورجما، وقال: "إن ذلك داخل في قوانين السياسة". الماوردي: الأحكام السلطانية: (تحقيق أحمد جاد الله، دار الحديث- القاهرة- ط: 1427هـ/2006م): 62.

3- هذا التعريف مأخوذ من استقراء مؤلفات السياسة الشرعية ذات المنهج الفقهي العام كالأحكام السلطانية للماوردي، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، والطرق الحكيمة لابن القيم وغيرهم.



إن اعتبار الفقهاء العمل بالسياسة الشرعية أمر لا يمكن إنكاره، إذ لا تخلو المراجع الفقهية في عامة المسائل المتعلقة بالمصالح العامة، أو التي يتوقف تنفيذها على ولي الأمر، أو تفتقر إلى حكم الحاكم، من الإشارة إلى ما يدل على أن هذا الحكم اقتضته السياسة، أي أن حكمها ليس مرتبطاً بمعرفة الحكم الشرعي، وإنما بالمصالح الخاضعة للسلطة التقديرية الممنوحة لولي الأمر في المجالات التي تركها النص للملائمة بينها وبين الواقع، فهي تتعدى مجرد الأحكام الشرعية وتنفيذها، ولكنها اجتهاد مرتبط بالتدبير والتخطيط واختيار أنسب الأحكام المحققة للمصلحة العامة، وهذا من قبيل الاجتهاد بمعناه الواسع.

لقد كان منهج أئمة المذاهب الفقهية في القضايا العامة التي لم يرد فيها حكم نصي، أن يحيلوا النظر فيها إلى ولي الأمر ليقرروا حكمها<sup>1</sup>، وقد رأيت أن أقتصر على بعض النماذج من تلك المسائل مأخوذة من كتب المذاهب الأربعة:

أ/- أمثلة من السياسة الشرعية عند الحنفية:

- نقل أبو يوسف في كتاب الخراج قول أبي حنيفة، أن إحياء الأرض الموات يتوقف على إذن وإجازة الإمام، ثم قال: "وللإمام أن يقطع كل موات وكل ما كان

1- الفقه السياسي عند الفقهاء كانت له صورة نظرية للحاكم فاشتروا أن يكون قد بلغ درجة الاجتهاد ليتمكن من تنفيذ شريعة الإسلام، لأن هدف السياسة صيانة الدين، والحنفية على عدم اشتراط ذلك وإنما يكفي عندهم أن يكون على معرفة كافية بالشرع. ويرى بعض المعاصرين أن الأمر إنما يحتاج إلى الخبرة المتجددة والواعية بحاجات الأمة، وهذا لا يستلزم توفر الشروط العلمية اللازمة للمجتهد، بل يحتاج الأمر إلى العلم بمكونات الموضوع المبحوث، وهو الإمام بشتى العلوم والمعارف المتعلقة بالعلوم السياسية. إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام الطاهر بن عاشور (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثانية: 1426هـ/2005م): 405، عبد الرزاق السنهوري: أصول الحكم في الإسلام (مراجعة وتعليقات وتقييم الدكتور توفيق محمد الشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2003م): 97، رشيد رضا: الخلافة (موقف للنشر-الجزائر - ط: 1992م): 26.

ليس لأحد فيه ملك وليس في يد أحد، ويعمل بالذي يرى أنه خير للمسلمين وأعم نفعاً<sup>1</sup>.

- وفي لسان الحكام ورد قولهم: لو أظهر المستأجر في الدار الشر والفتنة كشرب الخمر وأكل الربا والزنا واللواطه وإيذاء الحيوان يؤمر بالمعروف، وليس للمستأجر ولا لجيرانه أن يخرجوه من الدار بذلك، ولا يصير عذرا في فسخ الإجارة، ولا خلاف فيه للأئمة الأربعة، وفي الجواهر إن رأى السلطان أن يخرجته فعل.

وقال ابن حبيب المالكي لو أظهر الفسق في دار نفسه ولم يتمتع بالأمر بالمعروف، ويقول داري أنا آتي فيها ما شئت تباع عليه داره<sup>2</sup>.

- وفي حاشية ابن عابدين "أن من أصول الحنفية، ما لا قتل فيه عندهم، مثل القتل بالمتقل والجماع في غير القبل إذا تكرر فلإمام أن يقتل فاعله، وكذلك له أن يزيد على الحد المقدر إذا رأى المصلحة في ذلك، ويحملون ما جاء عن النبي وأصحابه من القتل في مثل هذه الجرائم على أنه رأى المصلحة في ذلك، ويسمون القتل سياسة"<sup>3</sup>.

- وقال ابن نجيم فيمن يسرق أكفان الموتى بعد الدفن، "أن ما روي في ذلك هو محمول على السياسة لمن اعتاده، فيقطعه الإمام سياسة لا حدا"<sup>4</sup>.

1- أبو يوسف: كتاب الخراج (دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ط: 1399هـ/1979م): 64-66.

2- ابن الشحنة: لسان الحكام في معرفة الأحكام (مطبعة البابي الحلبي-القاهرة- طبعة: 1393هـ/1973م): 376.

3- حاشية ابن عابدين (دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت- ط: 1421هـ/2000م): 215/4.

4- ابن نجيم: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (دار المعرفة-بيروت- د.ت.): 60/5. وينظر محمود العيني: البناية في شرح الهداية (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت- الطبعة الثانية: 1411هـ/1990م): 405/6.

## ب/- أمثلة مما جاء منها عند المالكية:

- عقد الإمام الونشريسي في كتاب الولايات فصلا ذكر فيه المسائل التي تفتقر إلى حكم الحاكم ويتوقف نفاذها على وجود السلطة السياسية درءا للفساد، بعد أن أحكمها بضابط فقهي دقيق قائلا: "إن كل ما يحتاج إلى نظر وتحرر وبذل جهد في تحرير السبب ومقدار مسببه وتحقيق حاله وصورته فلا بد فيه من حكم... كجباية الجزية وأخذ الخراج من أراضي العنوة إذا رجعت إلى العامة وكافة الخلق لفساد الحال، وقسمة الغنائم وإن كانت معلومة المقادير وأسباب الاستحقاقات، إذ لو فوضت لجميع الناس لدخلهم الطمع وأحب كل إنسان لنفسه من كرائم الأموال ما يطلبه غيره فيؤدي إلى الفتن والشحناء... ويلحق بذلك الحدود وإن كانت مقاديرها معلومة، لأن تفويضها لجميع الناس يؤدي إلى الفتن والقتل وفساد الأنفس والمال، وكذلك التعزيرات لافتقارها إلى تحرير الجناية وحال الجاني والمجني عليه، وكذلك استيفاء القصص، وما جرى هذا المجرى من كثير من الأحكام"<sup>1</sup>.

- ومثله ابن الأزرقي في بدائع السلك عقد بابا كاملا في واجبات ما يلزم السلطان بسياسته: من حفظ أصول الدين، وقال: "إن ذلك هو المقصود الأعظم من السلطان"، وكذا تنفيذ الأحكام وقطع الخصام بين المتنازعين، فتحدث عما يسوغ للحاكم في هذا المقام رعايا للسياسة المعتبرة، وإقامة الحدود والتعزيرات والنظر في العقوبات السياسية، وما يلزم من النظر في رعاية أهل الذمة<sup>2</sup>.

1- الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية (نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، د.ت.): 65-66.

2- ابن الأزرقي: بدائع السلك في طبائع الملك (تحقيق وتعليق أ.د. على سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة- الطبعة الأولى: 2007): 579/2 وما بعدها.

- ورد في موطأ مالك أن التفيل في الغنيمة موكل إلى اجتهاد الإمام<sup>1</sup>، وأن نصيب العامل يحدده الإمام<sup>2</sup>، وأن تقدير عوض الجناية على الأعضاء يرجع إلى تقدير الحاكم<sup>3</sup>.

- ونقل ابن رشد في بداية المجتهد قول مالك في مقدار ما يعطى للمسكين الواحد من الصدقة، قال: "فلم يحد مالك في ذلك حداً وصرفه إلى الاجتهاد"<sup>4</sup>، أي اجتهاد الحاكم.

- وقال ابن عبد البر: 'جائز للإمام عند قلة الطعام وارتفاع السعر وعدم القوت، أن يأمر من عنده طعام يفضل عن قوته بإخراجه للبيع، ورأى أن إجباره على ذلك من الواجب لما فيه من توفيق الناس، وصلاح حالهم وإحيائهم والإبقاء عليهم"<sup>5</sup>.

وقد برز المالكية في العمل بالسياسة الشرعية، قال ابن القيم: "وأما كلام مالك وأصحابه في ذلك فمشهور"<sup>6</sup>. ولذا نجد إماماً مثل ابن فرحون يعقد في القسم الثالث من كتابه المشهور تبصرة الحكام كتاباً في القضاء بالسياسة الشرعية، وذكر فيه كثيراً من الأمثلة في شتى أبواب الفقه<sup>7</sup>.

1- مالك بن أنس: الموطأ (تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-مصر - د.ت.): 455/2.

2- المصدر نفسه: 456/2.

3- المصدر نفسه: 859/2.

4- ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده-مصر - الطبعة الرابعة: 1395هـ/1975م): 277/1.

5- ابن عبد البر: الاستذكار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (تحقيق سالم عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية-بيروت- ط: 2000م): 372/8.

6- ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا- بيروت، ط: 1407هـ/1987م): 378/4.

7- ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، بهامش فتح العلي المالك للشيخ عليش (دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، د.ت.): 328-154/2.

## ج/- أمثلة لما جاء منها عند الشافعية:

أما الشافعية فإن اعتبارهم للسياسة الشرعية ظاهر في كتبهم، من ذلك:

- ما جاء في الأحكام السلطانية في الفرق بين نظر الأمراء ونظر القضاة، بيان أحكام الجرائم التي تقتضيها السياسة الدينية، بأن الجرائم لها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية فتخضع لنظر واختصاص الأمراء، ولها حال استيفاء عند ثبوتها وصحتها توجب الأحكام الشرعية، فهي من اختصاص القضاة بالأحكام<sup>1</sup>. - ذكر الجويني في الغياثي أن المقصد العام فيما يتعلق بأحكام السياسة إنما هو الاعتصام بحقائق الدين ومسالك الهداية وكف الناس عن الفساد ونوازع الهوى، وأن ما يطلب من الحكام من الأمور الكلية أمرين أساسيين: الأول: ما يتصل بأمور الدين، والثاني: ما يتصل بأمور الدنيا<sup>2</sup>.
- ما ذكره الشافعي في الأم: "أن الزكاة تعطى للمؤلفة قلوبهم على قدر ما يرى الإمام على اجتهاد منه"<sup>3</sup>.
- وجاء في نهاية المحتاج: "أن غالب الأحاديث لا تكاد تخلو عن حكم أو أدب شرعي أو سياسة دينية"<sup>4</sup>.

1- الماوردي: الأحكام السلطانية: 322 وما بعدها.

2- الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم (تحقيق ودراسة الدكتور مصطفى حلمي والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار العقيدة، للطباعة والنشر والتوزيع-الإسكندرية- الطبعة الأولى: 1427هـ/2006م): 156 وما بعدها.

3- الشافعي: الأم (دار المعرفة-بيروت- ط: 1393هـ): 75/2.

4- الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت- ط: 1404هـ/1984م): 239/8.

## د/- أمثلة لما جاء منها عند الحنابلة:

- ذكر أبو يعلى الحنبلي في الأحكام السلطانية حكم الأسرى، "أن الإمام مخير فيهم في فعل الأصلح من أحد أربعة أشياء: القتل أو الاسترقاق، وإما الفداء بمال أو أسرى، أو المنّ بغير فداء، ... فيكون خياره في الأربعة على وجه الأخط والأصلح"<sup>1</sup>.

- كما ذكر ابن القيم أمثلة لاعتبار الإمام أحمد للسياسة الشرعية، من ذلك: قوله: "فيمن شرب خمرا في نهار رمضان أو أتى شيئا نحو هذا، أقيم الحد عليه وغُظ عليه مثل الذي يقتل في الحرم دية وثلاث".

ونصه: "فيمن أسلم وتحتته أختان فإنه يجبر على اختيار أحدهما فإن أباي ضرب حتى يختار".

ثم قرر رحمه الله قاعدة في هذا الباب وهي: "أن كل من وجب عليه حق فامتنع من أدائه فإنه يضرب حتى يؤديه"<sup>2</sup>. إما امتثالا للشيعة أو خضوعا للسياسة والقضاء، ولذا يقول ابن تيمية: "ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد... فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين. ولهذا كان في الأزمان المتأخرة الكتاب للعلماء والعباد والميزان للوزراء والكتّاب وأهل الديوان، والحديد للأمراء والأجناد"<sup>3</sup>.

1- أبو يعلى الحنبلي: الأحكام السلطانية (صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، ط: 1421هـ/2000م): 141-142.

2- ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين: 4/377-378.

3- ابن تيمية: الخلافة والملك (تحقيق حماد سلامة وراجعته الدكتور الدكتور محمد عويضة، مكتبة المنار-الزرقاء- الأردن، الطبعة الثانية: 1414هـ/1994م): 41.

وبصورة أو بأخرى يريد ابن تيمية أن يقول بضرورة السلطة السياسية، لأنه لا قيام للدين إلا بها.

فهذه بعض النماذج من الأحكام الثابتة بطريق السياسة الشرعية مما هو منشور في كتب الفقه العامة، والتي تبرز الجوانب السياسية في الفقه الإسلامي. وأحب أن أنبه أن بعض العلماء قد أفرد بعض المؤلفات الفقهية وخصّصها بأحد مجالات السياسة الشرعية، من ذلك: "كتاب الخراج" لأبي يوسف تعرّض فيه لثبوت الخراج باجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعني أنه ثابت بطريق السياسة الشرعية، و"كتاب الأموال" لأبي عبيد، وهما كتابان في الاقتصاد السياسي والمالية العامة.

وما أفرده ابن القيم الجوزية من طرق القضاء في كتابه "الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية"، وما خصص به إبراهيم خليفة المعروف بدده أفندي "كتاب السياسة الشرعية" بموضوع التعزيز، ومحمد بن الحسن الشيباني في "كتاب السير وهو كتاب في العلاقات الدولية والقانون الدولي.

## -2- ترشيد تصرفات الحكام:

إن تصرفات الحاكم تستلزم النظر في المصالح والمفاسد العامة، وجلب ما أمكن من تلك المصالح المتعلقة بالأمة ودفع المفاسد عنها، وتهيئة البيئة التي توفر لها الحياة الكريمة، وتمكينها من أداء رسالتها في خلافة الله في الأرض، وتبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم. ولا يمكن تحقيق هذه المقاصد إلا بسلطة لها القدرة على إلزام الغير، وذلك بحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخرى والدينية كما قال ابن خلدون<sup>1</sup>. فالسلطة هي التي تباشر عملية حمل

1- ابن خلدون: المقدمة (دار الجيل-بيروت-لبنان، د.ت.): 211.

الكافة، بحكم سلطتها الشرعية وما تملكه من أسباب القوة والقهر، إما بالنظر والاجتهاد لتحديد الحكم الشرعي الذي ينبغي تنفيذه والمصلحة التي ينبغي السعي إلى تحقيقها، وإما بسلطة الإلزام في تنفيذ ما تتخذه من قرارات سياسية بناء على ذلك الاجتهاد والنظر المصلحي، ولذلك أوجب الإسلام على الحاكم رعاية شؤون المسلمين بالأحكام الشرعية، وما يلزم ذلك من سن القوانين التي تكفل تحقيق مصالح المسلمين الدينية والدنيوية.

فالسطة هي الأداة الفعلية لتنظيم المجتمع وتدبير شؤونه، لأنها وحدها صاحبة الصلاحية في ذلك والمسؤولة أمام الله تعالى، لما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته..."<sup>1</sup>.

ويقول الشافعي: "منزلة الإمام من الرعية منزلة الولي من اليتيم"<sup>2</sup>، يتصرف في شؤون الأمة على وفق ما تقتضيه مصلحة الرعية، ولذلك كان من أهم القواعد التي صاغها الفقهاء لبيان أهمية المصلحة وتقييد الولاية العامة بها ومسؤولية الحاكم عند ممارسة السلطة، قاعدة: "تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"<sup>3</sup>. ويقصد بالمصلحة هنا الخاضعة لمقومات النظر الشرعي والعقلي، فتجب طاعة ولي الأمر فيه، ويستثنى من ذلك ما نهت الشريعة عنه وأنكرته الفطرة السليمة مما ليس فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين.

1- رواه البخاري: كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده (تحقيق د. محب الدين الخطيب وآخرون، المكتبة السلفية-القاهرة- الطبعة الأولى: 1400هـ): 178/2.

2- السيوطي: الأشباه والنظائر (تخريج وتعليق وضبط خالد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة-بيروت-لبنان): 158.

3- المصدر نفسه: 158، ابن نجيم: الأشباه والنظائر(دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط: 1400هـ/1980م): 123.



وهذا محور وظيفة السلطة وشرعية تأسيسها أن تتقيد بالمصلحة فتكون بذلك قيذا ومعيارا على تصرفات الحاكم، وبناء عليه فقد أفتى العلماء بأنه لا يجوز للإمام الأذن فيما يضر بالمسلمين<sup>1</sup>.

فجميع التصرفات الصادرة من أي جهة تمثل السلطة السياسية إذا تخلفت فيها المصلحة تكون تصرفات باطلة، لأن من شرطها أن تكون هادفة إلى تحقيق مقاصد الشرع، يقول العز بن عبد السلام: "كل تصرف تقاعد عن تحقيق مقصوده فهو باطل"<sup>2</sup>.

ولقد بلغ من حرص الإسلام لتحقيق مصالح الرعية في المجال السياسي، أن وضع أسسا وقواعد لضبط وترشيد تصرفات الأمراء والحكام حماية للرعية من تجاوزات السلطة وسيطرة الدولة على المجتمع، وهذا يتطلب وجود قيم سياسية

1- فرع الفقهاء على ذلك فروعا كثيرة منها:

- أنه لا يجوز لأحد من أولياء الأمور أن ينصب إماما للصلوات فاسقا، وإن صحت الصلاة خلفه لأنها مكروهة، وولي الأمر مأمور بمراعاة المصلحة، ولا مصلحة في حمل الناس على فعل المكروه.
- ومنها: لو عفا السلطان عن قاتل من لا ولي له لا يصح عفو ولا يسقط القصاص لأن الحق للعامة والإمام نائب عنهم وهو خلاف المصلحة، بل إن رأى المصلحة في القصاص اقتصر أو في الدية أخذها.
- وقال أبو يوسف في كتاب الخراج قاعدة في شأن تصرف الإمام: "ليس للإمام أن يخرج شيئا من يد أحد إلا بحق ثابت معروف". ابن قدامة: **المغنى** (تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع-الرياض- الطبعة الثالثة: 1427هـ/1997م): 89/12. الزركشي: **المنثور في القواعد** (تحقيق د. تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت- الطبعة الثانية: 1405هـ): 309/1، السيوطي: **الأشباه والنظائر**: 158، أبو يوسف: **الخراج**: 65-66.

2- ابن عبد السلام: **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** (مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1419هـ/1998م): 293/2، السيوطي: **الأشباه والنظائر**: 359.

وأشكال تنظيمية تقيم التوازن بين السلطة باعتبارها ضرورة اجتماعية، وبين حرية وإرادة الأفراد، وتؤسس لطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع<sup>1</sup>.

ومن هنا ندرك سبب نشأة ما يسمى بولاية المظالم، حماية لمصالح الرعية من انحراف السلطة وترشيدها وتقويماً لتصرفات الولاة والأمراء. وهذه الولاية تشبه ما يسمى اليوم بالقضاء الإداري، وفي بعض البلاد العربية تعرف بمجلس الدولة<sup>2</sup>، ولهذا كان من أهم أسباب نجاح السلطة تفعيل دور الرقابة الإدارية والمتابعة القضائية كمبادئ على مسؤولية الولاية العامة، وهي مبادئ مهمة أرساها التشريع الإسلامي من أجل تقويم أداء السلطة، وترشيدها تصرفاتها بغرض الوقوف على مواطن الخلل والضعف في مختلف أجهزة الدولة، وهذا ما أشار إليه الماوردي عندما عقد باباً خاصاً استوعب فيه وجوه المتابعة والمراقبة لناظر المظالم في تعدي الولاة على الرعية وجور العمال فيما يجبونه من الأموال<sup>3</sup>، وغير ذلك مما توصلت إليه أحدث النظريات في العلوم الإدارية<sup>4</sup>.

وقد أرسى التشريع الإسلامي هذا المبدأ استناداً إلى قاعدة "أن لا طاعة في معصية"<sup>5</sup>، فإذا خرج الحاكم عن حدود ما تجب طاعته فيه، يكون للرعية حق

- 
- 1- د. هشام جعفر: الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1416هـ/1995م): 207، ود. صبحي عبده السعيد: الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي (دار الفكر العربي-القاهرة- ط: 1985م): 195.
  - 2- ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (دار النفائس-بيروت- الطبعة الثالثة: 1407هـ/1987م): 554/2-555.
  - 3- الماوردي: الأحكام السلطانية: 134 وما بعدها.
  - 4- ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي: 555/2.
  - 5- صحيح البخاري: كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد: 355/4، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية-الرياض- ط: 1419هـ/1998م): 769.

توجيهه وتقويمه، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه"<sup>1</sup>.

ويترتب على مبدأ الرقابة على موظفي الهيئات السياسية في الدولة محاسبة كل من يتعدى حدود وظيفته أو يقصر في أدائها، بحيث يخضع إلى ما يشبه اليوم بهيئات المحاسبة ومجالس التأديب، ومنه توقيع العقوبة الإدارية اللازمة (الإنذار أو التوبيخ أو التنزيل في الرتبة أو العزل... إلخ)، علاوة على تحمل المسؤولية المدنية أو الجنائية بسبب ذلك، فقد نص الفقهاء على أن الحاكم مؤاخذ بتصرفاته وضامن لما أتلّف من أموال المسلمين إذا تصرف على خلاف المصلحة<sup>2</sup>.

نقل الشيخ عليش قول صاحب الإكمال أنهم اختلفوا فيمن مات من التعزير، فقال الشافعي عقله على عاقلة الإمام وعليه الكفارة، وقيل على بيت المال. وقال الجمهور لا شيء عليه، ثم نقل قول ابن شاس وابن الحاجب أن التعزير جائز بشرط سلامة العاقبة، وإلا ضمن إن ترتب على ذلك تلف<sup>3</sup>.

وإذا كان منطق التشريع الإسلامي يقضي بأن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، فإنه بات من الواجب حماية مصالح الرعية من تجاوزات السلطة والتقصير في واجباتها، وترشيد تصرفاتها وضبط مجمل السلوك السياسي، ولا يتأتى ذلك إلا بإنشاء هياكل تنظيمية وسياسية وتفعيل دورها في متابعة وتقويم أداء

1- رشيد رضا: الخلافة: 228.

2- حاشية ابن عابدين: 337/2، ابن نجيم: الأشباه والنظائر: 124.

3- عليش: منح الجليل على مختصر خليل (دار الفكر للنشر والتوزيع-بيروت- ط: 1409هـ/1989م): 359/9-

360، وينظر: الشافعي في الأم: 88/87/6، والمغني لابن قدامة: 35/12 و503-504.

السلطة، وقد يستدعي ذلك إعادة النظر في تشكيل بنية مؤسسات الدولة خاصة في الأنظمة الشمولية.

### -3- إظهار مقاصد السياسة كمقاصد خاصة:

الفقه السياسي هو أحد الجوانب المهمة في الفقه الإسلامي، بحيث تختص أحكامه بما ينظم علاقة الفرد بالدولة، وقد ارتبطت فروع ومسائله بأصول الشريعة وكلياتها ومقاصدها العامة في تحقيق مصلحة الأمة وفق أحكام الشريعة وأصولها. وتتميز هذه الأحكام بانتظامها في عقد خاص يجمعها، فهي مرتبطة بمراعاة المصلحة العامة في أحكامها، وفي عملية الاجتهاد ومراعاة أحكام الوقائع السياسية المتجددة.

إن أحكام الفقه السياسي تندرج ضمن أحكام فقه المعاملات المرتبط بمفاهيم مقاصد الشريعة وبفكرة المصلحة، إذ الأصل في العادات والمعاملات الالتفات إلى الحكم والمعاني كما يقرره الشاطبي<sup>1</sup>.

ونستطيع القول بأن السياسة الشرعية تهدف بدورها إلى تحقيق المصالح العامة للدولة، أو تحقيق جملة الأهداف التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في المجال السياسي، والمتمثلة في إحقاق الحق وإقرار العدل وتدبير شؤون الرعية الدينية والدينية وحفظ النظام العام وحماية مقاصد الشريعة، وغير ذلك مما هو خاص بأحكام السياسة والعائدة إلى عموم الأمة أو أغلبها، وهي المقاصد المرتبطة بتدبير السلطة السياسية، وهذا ما يعطي لهذه المقاصد خصوصيتها وتميزها عن سائر مقاصد أبواب المعاملات الأخرى في الفقه الإسلامي.

1- الشاطبي: الموافقات (تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى:

1417هـ/1997م): 513/2.

وبالنظر إلى تقسيم العلماء مقاصد الشريعة إلى عامة وخاصة، فلا شك أن المقاصد السياسية هي من قسم المقاصد الخاصة؛ لتعلقها بباب معين من أبواب الفقه<sup>1</sup>.

وبالرغم من أن الشيخ الطاهر بن عاشور وفي سياق عرضه للمقاصد الخاصة لم يفرّد باباً خاصاً بأحكام السياسة الشرعية، إلا أنه أشار في بعض أحكام الأبواب الفقهية المنوطة بتصرفات الأمة ومعاملاتها، إلى البعد السياسي للمصالح باعتبار آثارها في قوام أمر الأمة، فتعرض لبيان مال الأمة وهو المرصود لإقامة مصالحها وما تتعلق به الحاجة لإقامة الحياة ودفع العدو عنها<sup>2</sup>، كما تكلم عن مقاصد السلطة القضائية وما يلزم ولاية الأمصار الإسلامية من تنصيب القضاة وعزلهم، وما يجب عليهم من إقامة العدل وإيصال الحقوق إلى أصحابها، ومعاقبة الجناة لإصلاح أحوال الأمة وحفظ نظامها<sup>3</sup>، وذلك يستوجب أن يكون للأمة ولاية يسوسون مصالحها ويقيمون العدل فيها وينفذون أحكام الشريعة بينها، وهذا من أعظم مقاصد السياسة الشرعية<sup>4</sup>.

وتعود المقاصد السياسية إلى ما من أجله شرع إقامة الدول وتنصيب الحكام، والمتمثل في حراسة الدين وإصلاح دنيا الناس بالدين، فلا تخرج الأحكام والتدابير السياسية على نطاق غايات الشريعة وأهدافها من العدل والرحمة وحسن

1- ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور في مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات المقاصد المتعلقة ببعض الأبواب الفقهية كمقاصد أحكام العائلة ومقاصد التصرفات المالية والمعاملات المنعقدة على عمل الأبدان والمقاصد الخاصة بعقود التبرعات وختمها بمقاصد القضاء والشهادة وأحكام العقوبات الشرعية. مقاصد الشريعة الإسلامية: 143-207.

2- المرجع نفسه: 170-182.

3- المرجع نفسه: 194-205.

4- المرجع نفسه: 193.

تدبير الشؤون العامة، تحقيقاً للمصالح ودرءاً للمفاسد التي يستهدفها نشاط السلطة السياسية.

ويرتبط الفقه السياسي بفقه المقاصد ومراعاة المصالح أكثر من غيره، نظراً لقلّة النصوص الشرعية التفصيلية المنظمة للشأن السياسي. فقد أحال الشرع للأمة حرية تنظيم الحياة السياسية والتوسعة في ذلك، مع مراعاة الأحكام الشرعية والمبادئ الكلية وصيانة الحقوق والحريات العامة<sup>1</sup>، وهذا ما أشار إليه ابن فرحون المالكي نقلاً عن الإمام القرافي قوله: "إن التوسعة على الحكام في الأحكام السياسية ليس مخالفاً للشرع، بل تشهد له الأدلة وتشهد له القواعد، ومن أهمها كثرة الفساد وانتشاره والمصلحة المرسلّة التي قال بها مالك وجمع من العلماء"<sup>2</sup>.

والقول بالمصلحة المرسلّة في الفقه الإسلامي يعطي للدولة مساحة واسعة ومجالاً رحباً في التفكير السياسي والتدبير المصلحي للحكام والأمراء. ومما يؤكد خصوصية الفقه السياسي وسعة اعتماده على المقاصد ما نقله ابن القيم في الطرق الحكمية عن ابن عقيل الحنبلي قوله: "السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به وحي"<sup>3</sup>.

- 
- 1- يوسف القرضاوي: الدين والسياسة-تأصيل ورد شبهات (دار الشروق-القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م): 171 وما بعدها، ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي (الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ط: 1979م): 208، رائف النعيم: الفكر السياسي عند الإمام الجويني (دار البصائر-الجزائر- الطبعة الأولى: 1429هـ/2008م): 288 وما بعدها.
- 2- ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأفضية والأحكام بهامش فتح العلي المالكي: 150/2 وما بعدها.
- 3- ابن القيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (تحقيق الشيخ بهيج عزوي، دار إحياء العلوم-بيروت-د.ت): 19-20.

فقد وضع رحمه الله السياسة ضمن إطار مرجعي يعود إلى اعتبارين

أساسيين تنقيد بهما تصرفات الحكام وهما:

- ألا تكون السياسة الشرعية مخالفة لما نطق به الشرع.
- وأن تكون مقيدة بالنظر في المصالح والمفاسد، وذلك بجلب ما أمكن من المصالح العامة ودفع ما أمكن من المفاسد العامة حماية لمقاصد الشريعة الإسلامية<sup>1</sup>.

ويرى فقهاء السياسة أن المصلحة التي تعمل الولاية العامة على تحقيقها تتركز حول إصلاح الدين وإصلاح شؤون الدنيا التي لا يقوم الدين إلا بها<sup>2</sup>، فجعلوا من المصلحة العامة هدف الولايات ومقصودها، وهذا محصلة ما ذهب إليه علماء المقاصد وأصول الفقه الإسلامي، والمنطق الذي سارت عليه أحكام الشريعة في شكلها العام.

وعلى هذا الأساس تتحدد وظيفة الحاكم بالنظر إلى تقسيم العلماء لها وفق مراعاة مقصدي حراسة الدين وسياسة الدنيا بناء على قواعد مصلحة هي ألصق بموضوع المقاصد، فلا تصلح الدنيا وتصير أحوالها منتظمة ولا أمورها ملتزمة إلا بها، أجلمها الماوردي بقوله: "دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دار، وأمل فسيح"<sup>3</sup>.

1- علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (منشورات علال الفاسي-الدار البيضاء- الطبعة الخامسة: 1429هـ/2008م): 58-59.

2- الماوردي: الأحكام السلطانية: 15، ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (الزهراء للنشر والتوزيع-الجزائر- الطبعة الأولى: 1990م): 29 وما بعدها، ابن خلدون: المقدمة: 241.

3- الماوردي: أدب الدين والدنيا (اعتنى به وخرج أحاديثه أبو الخير السيد ومحمد الشرفاوي، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م): 130.

إن المقاصد التي اختصت بها السياسة الشرعية هي غاية الحكم ومقصود الولاية في الإسلام، تعود كلها إلى إصلاح الدين والدنيا وقيام الناس بالقسط في حقوق الله والعباد وإعلاء كلمة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ النظام العام<sup>1</sup>، وهذا ما يعطي لمقاصد الشريعة بعدا مهما للبحث في المجال السياسي.

### ثانيا: تجليات فقه السياسة الشرعية.

يتجلى الفقه السياسي حيث تكون الدولة، وقد نشأت السياسة الشرعية بنشأة الدولة الإسلامية التي ظهرت معالمها بالمدينة المنورة، وامتدت إلى شبه الجزيرة العربية وإلى آفاق أخرى تكونت منها الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي السياسي، وكان لابد لهذا المجتمع من نظام يتناول كل شؤونه الداخلية وعلاقاته الخارجية في حالتي السلم والحرب.

لقد برز مجتمع المدينة المنورة في صورة جماعة سياسية تمارس كل خصائص الدولة، وتستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية كمصدر للسلطة، مارس فيها النبي صلى الله عليه وسلم دورا سياسيا باعتباره أعظم من تولى منصب الإمامة العظمى كما ذكر ذلك الإمام القرافي<sup>2</sup>.

1- محمد المبارك: آراء ابن تيمية في الدولة (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت- ط: الثالثة:1970م): 31-32.

2- فرّق العلماء بين تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه نبيا ورسولا مبلغا، وبين تصرفاته بوصفه قاضيا وتصرفاته بوصفه إماما وقائدا للمسلمين. قال القرافي في الفرق السادس والثلاثون: "أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإمام الأعظم والقاضي الأحكم والمفتي الأعلم... فجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى إليه في رسالته وهو أعظم من كل من تولى منصبا منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة". القرافي: الفروق (ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ/1998م): 1/357.



إن هذا البعد السياسي في تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم بدأ واضحا في مراحل بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، من خلال سياسته في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والذي اعتبره بعض المعاصرين اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، بل بداية الطور السياسي الذي كان يهدف من خلاله الوصول إلى بناء وحدة سياسية ونظامية<sup>1</sup>.

واستكمل النبي صلى الله عليه وسلم معالم هذه الدولة في بداية نشأتها بكتابة وثيقة المدينة المنورة، فوضع الخطوط العامة لنظام الدولة وما تحتاجه لتسيير شؤونها الداخلية والخارجية، فكانت بحق وثيقة سياسية تجلت من خلالها سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في وضع ما تحتاجه الدولة من مقومات دستورية وإدارية.

على أن ما تضمنته هذه الوثيقة من أحكام في المجال السياسي، رسخت لفكرة أن المجتمع الإسلامي قام منذ بداية نشأته على أسس دستورية، أصلت لعلاقة المواطنة بين أفراد الدولة وعلاقة المومنين مع غيرهم، كما أرست بعض القيم السياسية ذات البعد الأخلاقي، فجعلت من مبدأ المساواة والحكم بالعدل أساسا للتشريع السياسي الإسلامي، بل إن هذه الوثيقة كما يقول الدريني: "تصلح أن تكون ميثاقا دوليا من حيث مفاهيمه العامة لإقامة علاقات دولية في عصرنا هذا، لما يمتاز به من خصائص إنسانية عامة، وبما يقوم عليه من العدل المطلق والمساواة بين البشر في الاعتبار الإنساني<sup>2</sup>.

1- د. حسين فوزي النجار: الإسلام والسياسة، بحث في أصول النظرية السياسية ونظام الحكم في الإسلام (مطبوعات الشعب، د.ت): 131.

2- د. فتحي الدريني: خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم (مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: 1429هـ/2008م): 275.

والمأمل في بنود هذه الوثيقة يستطيع أن يدرك حقيقة ما احتوته من فقه سياسي قائم على أساس فكرة الدولة، وبناء مقوماتها المتمثلة في الوحدة السياسية وفكرة الأمة الواحدة، وحفظ النظام العام وانتظام أمر الدولة من خلال الأحكام التنظيمية التي سنها التشريع الإسلامي، وتحقيق الأمن الداخلي والخارجي والعمل على استقرار الدولة<sup>1</sup>.

ومن بين المحطات التي تجلّى فيها الفقه السياسي في مرحلة التشريع النبوي، الهدنة التي وقعها النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش بالحديبية، وانتهت بإقرار وثيقة الصلح بعد المفاوضات السياسية من مندوب قريش وهو سهيل بن عمرو ورسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتفقوا على وضع بنود المعاهدة<sup>2</sup>.

يتضح لك أن هذه المعاهدة السياسية وبالرغم مما احتوته من شروط مجحفة إلى حد أن استبد القلق والضيق بالصحابة رضي الله عنهم، إنما كانت تخفي من ورائها أهدافا سياسية، وتوصل لبعض القواعد والأحكام الضابطة لفقه السياسة الشرعية. يقول ابن القيم: "أن مصالحه المشتركة ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناها"<sup>3</sup>.

ولعل من أهم المصالح والمكاسب السياسية التي حققتها هذه المعاهدة، الاعتراف بالكيان السياسي للمسلمين، وكذا الحد من النشاط السياسي والعسكري لقريش والتفرغ بعدها للدعوة ومواجهة القبائل المناوئة للمسلمين، والأعظم من ذلك

1- يرجع إلى بنود هذه الوثيقة إلى سيرة ابن هشام (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت- ط:

1411هـ): 31/3 وما بعدها.

2- المرجع نفسه: 284/4 وما بعدها.

3- ابن القيم الجوزية: زاد المعاد (مؤسسة الرسالة-بيروت- الطبعة السابعة والعشرون: 1415هـ/1994م): 306/3.

أنها هيأت لهدف سياسي وعسكري أكبر وهو فتح مكة، فكانت هذه الهدنة كما يقول ابن القيم: "مقدمة للفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا"<sup>1</sup>.

فالهدف من السياسة الشرعية هو تقصي ما فيه مصلحة الأمة الدينية والدنيوية، ويتجلى ذلك واضحا من خلال الأحكام الشرعية السياسية التي أمكن استخلاصها من خلال هذه الهدنة، وأهمها:

-مشروعية مهادنة العدو إذا كان ذلك يحقق مصلحة للمسلمين.

-جواز تحالف المسلمين مع غيرهم ولو كانوا على الشرك ضد عدو مشترك، فقد حالف النبي صلى الله عليه وسلم قبيلة خزاعة وهي على الشرك.

-مشروعية الشورى كأمر رباني وسنة نبوية وقيمة أخلاقية وحكمة بالغة في سياسة الأمة.

ولقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم وفهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحكام السياسة وتصرفاته بوصفه إماما وقائدا، كما فقهوا عنه سائر الأحكام التشريعية، فأجمعوا على ضرورة تنصيب إمام يتولى أمور الأمة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، في إطار مرجعية تستهدف تحقيق الوظيفة النبوية وتسعى إلى ضرورة استمراريتها، بعدما وجدوا أنفسهم أنهم ورثوا دولة؛ أي نظاما سياسيا. فبادروا إلى تنصيب إمام يقوم بمهمة الخلافة عن الله تعالى والنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبل أن يقوموا بدفن جثمانه الشريف، وأجمعوا على إقامة الخلافة وإن وقع منهم الاختلاف في بداية الأمر فيمن يتولى هذا المنصب، ولكنهم لم يختلفوا في ضرورة تنصيبه واعتبار ذلك من أولى الواجبات الشرعية،

1- المصدر نفسه: 309/3-310.

وأفضل المهمات حتى تنتظم أمور الرعية لتوقف كثير من المصالح الشرعية على ذلك<sup>1</sup>. وهذا ما يفسره قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "ألا وإن محمداً قد مات، وأنه لابد لهذا الدين من إمام يقوم به"<sup>2</sup>. فأقام الصحابة نظام الخلافة، واستمر إجماعهم على ذلك كما هو معروف في التاريخ الإسلامي.

وهديهم في العمل بالسياسة الشرعية واستكمال معالم بناء الدولة الإسلامية معلوم، فقد ساسوا الأمة على وفق ما فهموه من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فعالجوا مشكلات بيئتهم وعصرهم ووضعوا الخطط وسنوا القوانين ودونوا الدواوين ووزعوا المهام على حسب الاختصاصات والوظائف الحكومية<sup>3</sup>، وأصدروا الأحكام في كثير من القضايا المستجدة، وقد برز ذلك واضحاً في اجتهاداتهم السياسية<sup>4</sup>.

### خاتمة

والذي نستخلصه من مضمون هذه الدراسة ما يلي:

- إن الفقه السياسي يعد من أبرز المواضيع التي اعتنى بها فقهاء المسلمين، بغرض تنظيم الحياة السياسية وترشيد تصرفات الحكام وتنظيم الحياة العامة وإصلاح العلاقة بين الحاكم والمحكوم وانتظام أحوال الأمة، في علاقة هدفها إصلاح أحوال الناس الدينية والدنيوية.

1- التفتازاني: شرح العقائد النسفية (حققه كلود سلامة، مطبعة وزارة الثقافة-دمشق- ط: 1984م): 172-173.

2- محمد بن بحر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (تحقيق محمد غسان نصوح عرقول، دارالحاوي-بيروت- ط: 1998م): 397.

3- سمي ابن خلدون هذه الوظائف والاختصاصات بالخطط الدينية والخلافة والخطط السلطانية، وتوزع مهامها ووظائفها على رجال الدولة.

ابن خلدون: المقدمة: 241.

4- ابن القيم الجوزية: الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية: 21 وما بعدها.

ولهذا فقد كان للفقهاء حضور بارز ودور فعّال في التشريع السياسي وصياغة الضوابط والقواعد المنظمة لتصرفات الحكام، بغرض ضبط الحياة السياسية بأحكام الشريعة الإسلامية.

- لقد تجلت مظاهر الفقه السياسي منذ استقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، فأنشأ حكومة مركزية وعين حكاما على الأقاليم المختلفة وأقام المعاهدات السياسية وأرسل السفراء إلى البلاد المجاورة وخاض الحروب ونظم الشؤون الداخلية والخارجية.

واستمر هذا النشاط السياسي بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، واستطاع الصحابة رضي الله عنهم بعده أن يوسعوا رقعة الدولة الإسلامية التي أنشأها وأن يرسوا قواعدها ويثبتوا أركانها.

- إن اهتمام علماء الشريعة بمباحث السياسة الشرعية بدأ منذ بداية حركة التدوين في الفقه الإسلامي، وقد خلف لنا الفقهاء ثروة هائلة من الأحكام السياسية في بطون كتب الفقه، ثم جمعت مادتها العلمية في مؤلفات الأحكام السلطانية والنظم الإسلامية وغيرها، فكانت بدورها اللبنة الأولى لاستمرار حركة التأليف في علم السياسة الشرعية.

- يقتضي التدبير السياسي النظر فيما تهدف إليه السياسة الشرعية من تحصيل المصالح ودرء المفاسد، وهو ما عبر عنه الفقهاء بقولهم: "أن تصرف الحاكم على الرعية منوط بالمصلحة".

ويقصد بالمصلحة في المجال السياسي الجالبة للمنفعة لعموم الأمة، وهذا يقتضي أن تكون المصلحة معيارا وقيدا لتصرفات الحاكم، فكانت هذه القاعدة من أعظم ما سبق إليه الفكر السياسي الإسلامي، وذلك بفرض آليات الرقابة على تصرفات الحكام لترشيد وتقويم أداء السلطة وحماية مصالح الرعية، ولهذا اختص

موضوع السياسة الشرعية بما تملكه من أدوات اجتهادية وعملية بحماية مقاصد الشريعة، والمتمثلة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، فكانت بذلك من قسم مقاصد التشريع الخاصة.

- تعتبر المقاصد السياسية من قسم المقاصد الخاصة لانتظامها ضمن قاعدة المصلحة وتميز أحكامها المرتبطة بالسياسة والحكم، فهي المقاصد المتعلقة بتدبير السلطة السياسية والهادفة إلى تحقيق المصالح العامة للدولة.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأزرقي: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق أ.د. على سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة- الطبعة الأولى: 2007.
2. ابن الشحنة: لسان الحكام في معرفة الأحكام، مطبعة البابي الحلبي-القاهرة- طبعة: 1393هـ/1973م.
3. ابن القيم الجوزية:  
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، ط: 1407هـ-1987م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة-بيروت- الطبعة السابعة والعشرون: 1415هـ-1994م.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق الشيخ بهيج عزوي، دار إحياء علوم الدين-بيروت-د.ت.
4. ابن تيمية:  
- الخلافة والملك، تحقيق حماد سلامة وراجعه الدكتور الدكتور محمد عويضة، مكتبة المنار-الزرقاء-الأردن، الطبعة الثانية: 1414هـ/1994م.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الزهراء للنشر والتوزيع-الجزائر- الطبعة الأولى: 1990م.
5. ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل-بيروت-لبنان، د.ت.
6. ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده-مصر- الطبعة الرابعة: 1395هـ-1975م.
7. ابن عابدين: حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت-ط: 1421هـ-2000م.
8. ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ط: 1979م.
9. ابن عبد البر: الاستذكار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، تحقيق سالم عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-ط: 2000م.

10. ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1419هـ/1998م.
11. ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام بهامش فتح العلي المالك للشيخ عليش، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، د.ت.
12. ابن نجيم الحنفي:  
- الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط: 1400هـ-1980م.  
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة-بيروت-د.ت.
13. ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت-ط: 1411هـ.
14. أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، حققه وقدم له الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى: 1964م.
15. أبو يعلى الحنبلي: الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه حامد الفقي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط: 1421هـ-2000م.
16. أبو يوسف: كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان. ط: 1399هـ-1979م..
17. إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية. الطبعة الثانية: 1426هـ-2005م.
18. البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرون، المكتبة السلفية-القاهرة-الطبعة الأولى: 1400هـ.
19. التفتازاني: شرح العقائد النسفية، حققه كلود سلامة، مطبعة وزارة الثقافة-دمشق-ط: 1984م.
20. جمال الدين عطية: نحو تفعيل مقاصد الشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق-سوريا، الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.
21. الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق ودراسة الدكتور مصطفى حلمي والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار العقيدة، للطباعة والنشر والتوزيع-الإسكندرية-الطبعة الأولى: 1427هـ/2006م.
22. حسين فوزي النجار: الإسلام والسياسة، بحث في أصول النظرية السياسية ونظام الحكم في الإسلام، مطبوعات الشعب. د.ت.
23. خليل الكبيسي: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، دار البشائر الإسلامية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م.
24. رائف محمد عبد العزيز النعيم: الفكر السياسي عند الإمام الجويني، دار البصائر-الجزائر-الطبعة الأولى: 1429هـ/2008م.
25. رشيد رضا: الخلافة، موفم للنشر-الجزائر-ط: 1992م.
26. الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت-ط: 1404هـ-1984.

27. الزركشي: **المنثور في القواعد**، تحقيق الدكتور تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت-الطبعة الثانية: 1405هـ.
28. السيوطي: **الأشباه والنظائر**، تخريج وتعليق وضبط خالد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة-بيروت-لبنان.
29. الشاطبي: **الموافقات**، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.
30. الشافعي: **الأم**، دار المعرفة-بيروت-ط: 1393هـ.
31. صبحي عبده السعيد: **الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي**، دار الفكر العربي-القاهرة-ط: 1985م.
32. الطاهر بن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-د.ت.
33. ظافر القاسمي: **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، دار النفائس-بيروت-الطبعة الثالثة: 1407هـ-1987م.
34. عبد الرحمان خليفة: **في علم السياسة الإسلامي**، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-ط: 1989م.
35. عبد الرزاق السنهوري: **أصول الحكم في الإسلام**، مراجعة وتعليقات وتقييم الدكتور توفيق محمد الشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2003م.
36. عبد العال عطوة: **المدخل إلى السياسة الشرعية**، دار الإمام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض-الطبعة الأولى: 1414هـ-1993م.
37. عبد المجيد الصغير: **الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام**، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ/1994م.
38. علال الفاسي: **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، منشورات علال الفاسي-الدار البيضاء- الطبعة الخامسة: 1429هـ/2008م.
39. عليش: **منح الجليل على مختصر خليل**، دار الفكر للنشر والتوزيع-بيروت-ط: 1409هـ-1989م.
40. فتحي الدريني: **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم**، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: 1429هـ-2008م.
41. القرافي: **الفروق**، ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.
42. مالك بن أنس: **الموطأ**، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-مصر-د.ت.
43. الماوردي:
- **أدب الدين والدنيا**، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو الخير السيد ومحمد الشرفاوي، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان،



الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م.

- الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد الله، دار الحديث-القاهرة-ط: 1427هـ-2006م.

44. محمد الغزالي: الإسلام والاستبداد السياسي، تحقيق وتعليق الأستاذ مسعود فلوسي، دار ربحانة للنشر والتوزيع-الجزائر - الطبعة الأولى: 1420هـ/1999م.

45. محمد المبارك، آراء ابن تيمية في الدولة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-ط: الثالثة: 1970م.

46. محمد بن عمر بحرق: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان نصوح عرقول، دار الحاوي-بيروت-ط: 1998م.

47. محمود العيني: البناية في شرح الهداية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-الطبعة الثانية: 1411هـ-1990م.

48. مسلم: الجامع الصحيح، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية-الرياض-ط: 1419هـ-1998م.

49. هشام جعفر: الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1416هـ-1995م.

50. الوثنريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، د.ت.

51. يوسف القرضاوي:

- الدين والسياسة-تأصيل ورد شبهات، دار الشروق-القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م.

- السياسة الشرعية في ضوء الشريعة ومقاصدها، مكتبة وهبة-القاهرة-الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

## المذهب الديني للقبائل الهلالية عند دخولها بلاد المغرب

تيرس نوح

باحث دكتوراه

جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس - الجزائر

### ملخص:

إن وصول بني هلال، القادمون من الحجاز، حلفاء القرامطة، وهي طائفة شيعية إسماعيلية، سيعطي مظهرا آخر انعكس على الصعيد الجيني واللغوي للشعوب المنتشرة ليس فقط في المملكة الزيرية، وإنما في جميع أنحاء شمال إفريقيا. وعلى أساس الدراسات التاريخية، سنحاول في هذا الدراسة التعرف على المذهب الديني لقبائل بني هلال: هل كانوا من السنة، أم كانوا أتباعا للطائفة الشيعية؟

### Résumé :

L'arrivée des banus hilals, venus du Hedjaz, alliés des karamites, qui est une faction chiite ismaélites, a donné un autre aspect qui s'est reflété sur l'aspect génétique et linguistique des populations réparties non seulement dans le royaume ziride, mais dans toutes l'Afrique du Nord. Sur la base des études historiques, nous tenterons dans la présente recherche d'identifier la doctrine religieuse des tribus des Bani Hilal. Notre problématique est la suivante : étaient-ils des sunnites ou des adeptes de la secte chiite ?

### - مقدمة:

عندما تثار قضية دخول القبائل الهلالية أرض المغرب، فإننا سنواجه سيلا من المؤلفات والبحوث والدراسات ومئات بل الآلاف من المقالات، أسهبت كلها في الحديث عن هذا الحدث التاريخي الهام في المغرب الإسلامي، لأنه اتخذ عدة اتجاهات وطرح فيه الكثير من الإشكاليات وحيكت حوله القصص والأساطير التي تناولت هذا القدوم بالبحث والتتقيب، فوجدنا أن ما كتب وقيل عن هذه الواقعة التاريخية أخذ اتجاهين رئيسيين:

الأول يرى في هذا الزحف العربي الكبير إنجازا عظيما أسهم في تعريب السكان البربر وعمل على امتزاجهم مع العادات والتقاليد العربية، بالتزاوج والمصاهرة والعيش المشترك فتعرب البربر وتبربر العرب كما قيل.

أما الاتجاه الثاني والذي سار فيه أغلبية من دونوا لهذه الفترة، واصطف وراءه كل من تبعهم من الكتاب والمؤلفين العرب مع نخبة كبيرة من المستشرقين. رأوا في هذا القوم شيئا سلبيا نتج عنه دمارا وفوضى، إذ تم القضاء فيه على العديد من المعالم والمدن والمدن، وطمست الجوانب الحضارية التي كانت قائمة وشاهدة على وجود فعلي لمؤشرات نهضة حضارية جديدة ناشئة في بلاد المغرب، على امتداد مساحته الشاسعة التي تنوعت ما بين طبيعة تربة بلاد المغرب الخصبة إلى مصادر مياهه التي لا تنضب ووفرة سبل العيش مثلما دلت عليه كتابات المؤرخين والزحالة العرب الأوائل والجغرافيين الذين زاروا هذه المنطقة ونقلوا لنا بكل صدق وأمانة الجانب العمراني والاجتماعي لبلاد المغرب بداية من القرن الثالث للهجرة. كل هذا أصبح أثرا بعد عين وآل كل شيء جميل إلى الاندثار والزوال مع مرور واستقرار هذه القبائل البدوية المتوحشة أو جحافل الأعراب الرُّحل التي لم تكن تعرف معنى للحضارة أو التمدن.<sup>1</sup>

والملاحظة الهامة التي خرجنا بها، ونحن نحاول الإجابة على هذه الإشكالية هو أن جُل ما كتب عن الزحفة الهلالية تم بأقلام مشرقية متأثرة بالفكر الغربي، لم تخلوا كتاباتهم في غالبيتها من الميل والتحيز وعدم الموضوعية عند الحديث عن القوم الهلالي إلى بلاد المغرب بحكم عوامل عدة، منها الدينية

<sup>1</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1407م)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة ومراجعة، سهيل زكار، نشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1421هـ - 2001م) بيروت، لبنان، ص، 188. و ينظر محمد الباجي المسعودي، أبي عبد الله، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، الطبعة 2، مطبعة بيكار، تونس، 1323هـ/190 بيكار، تونس (1323هـ/1902م)، ص، 47. وكذلك الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية في المغرب، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمه إلى العربية، حمادي الساحلي، الجزء 1 الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (1992)، ص، 245.

والقومية وحتى العقائدية. ذلك لأن كثيرا من الأعلام كانت ولا تزال تكن كرها تاريخيا غير مسبوق لكل ما هو عربي أو يمت بصلة إلى الإسهام العربي في الحضارة الإسلامية والنماذج على ذلك كثيرة ومتعددة ولا يسعنا المجال هنا لذكرها، فكانت أحكامهم في الغالب خدمة لما كانت تراه يخدم قضيتها وأفكارها ومصالحها. كما ساهم نفر كبير من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة تاريخ المغرب الإسلامي في العصور الوسطى بهذه الهجرات العربية فاعترت بحوثهم وكتاباتهم عدة نقائص، ولم يجهدوا أنفسهم في فهم وإدراك أسباب الحضور العربي إلى هذه المنطقة، إنما تناولوها كحدث مدمر وطوفان عارم ابتليت به بلاد المغرب مُستتدين ومبررين مواقفهم بما دونه ابن خلدون في كتابيه المقدمة والعبر أو ابن الأثير في تاريخه فراحوا يرصدون كل ما قيل عن مساوئ العرب وما خلفوه من آثار أثناء حلولهم أو ترحالهم بأية منطقة كانت وما كانوا يمارسونه من سلب ونهب وقتل وغيرها<sup>(2)</sup>.<sup>1</sup>

ونحن وبالقدر الذي يمكن أن يدفعنا إلى الإجابة على الكثير من هذه التساؤلات. إلا أننا سنركز اهتمامنا على أحد أهم العناصر التي تم إهمالها من قبل

<sup>1</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفتاوى وشهادة: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، المجلد 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1431هـ/2001م)، ص، 16-17. وقد جاء فيها كلاما عن طبيعة هذه القبائل وسيرتها في أطراف العراق والشام وأماكن إنتاجها. ينظر أيضا، الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المجلد 2، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص، 185.

(\*) - كان علينا العودة إلى كتاب الفرد بل "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم" وعدُّ هذا المستشرق من قبل العديد من المؤرخين العرب أو الأوروبيين أحد أهم القامات في التاريخ الإسلامي وأثنوا على كتاباته ووصفوها بالقيمة والمختصة وأن جهوده فاقت كتب المسلمين في ما تناوله وقدمه للمسلمين من دراسات وأعمال وبحوث. إلا أننا وجدناه مثل غيره لا يتورع في إعطاء صورة قائمة عن الإسلام والمسلمين ويوزع لاتهمات وكثيرا من المغالطات، فهو وصف العرب الهلالية بالعصابات واستعمل مصطلح الغزاة والمحتلين في العديد من المرات، وقطاع الطرق وغيرها من المفردات التي تنتافي مع مكانة كاتب لا نجد فضله في إعطاء دفع كبير للأبحاث التاريخية في العصر الوسيط. ينظر، الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة: عبد الرحمن بدوي الطبعة الثالثة (1987)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص، 211-321.

جُل المؤرخين والمؤلفين سواء منهم المتقدمين أو المتأخرين، ولم نجد لها أثرا في ما تناولناه من أمهات الكتب والمصادر التي أرخت لتلك الفترة، اللهم إلا النزر القليل أو بعض الإشارات العارضة لدى ابن خلدون أو المصادر الإسماعيلية التي لم توليها الاهتمام والعناية الخاصة بها رغم كونها، مثلت منعرجا حاسما في تاريخ بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، وأسهمت وإلى اللحظة في إبقاء الصبغة العربية الإسلامية الممزوجة بالموروث البربري الذي أضفى على المجتمعات المغاربية ميزتها الخاصة والمنفردة عن غيرها من المجتمعات الإسلامية. كما تجدر الإشارة إلى بقاء بعض المناطق من المغرب الأوسط والتي استقرت فيها العديد من البطون الهلالية المُشكلة من العنصر العربي الوافد، محافظة على نقاءها العرقي ولسانها العربي الفصيح مع تقاليدها وما حملته من عاداتها.<sup>1</sup>

فلقد ظل الاتجاه الديني والعقدي لهذه القبائل في حكم المجهول، واقتصر ما كتب عنها على الجانب الحربي وتوزيعها الجغرافي ومن بعدها تمازجها وانصهارها في بوتقة المجتمع المغاربي ودخولها في خدمة الدول القائمة ومساهمتها في الجهاد إلى جانب البربر والعنصر العربي المتواجد في الأندلس من قبل، وبلاءها الحسن المشهود له. لكن ماذا كان عن نحلتها المذهبية عند ما تقرر إرسالها إلى بلاد المغرب؟ هل كانت فعلا في خدمة المذهب الإسماعيلي الذي بفضلها سُمح لها بجواز نهر النيل والتوجه إلى بلاد المغرب؟ هل كان الثأر للخلفاء الفاطميين لما لحقهم من تمرد الزيريين على حكمهم وملاحقتهم لكل منتسب أو معتنق للمذهب الإسماعيلي، هو الهدف الذي من أجله قدموا بلاد المغرب؟

<sup>1</sup> - ينظر ابن خلدون، المجلد 6، القسم الأول من المجلد الذي أوفى فيه ابن خلدون بتقديم تعريف شامل وكامل لهذه القبائل حيث تتبع تاريخهم منذ الجاهلية، فأفرد تفاصيل وافية عنها وعن أفعالها بطونها وعشائرها، مع تحديد مضاربيها وتحالفاتها وظروف معيشتها، ثم يشرح حالها في ضل دولة الإسلام وما بعدها على عهد الأمويين والعباسيين ثم إلى غاية استيلاء الفاطميين على مصر وما جرى من حروب ووقائع مع القرامطة حتى دخولهم بلاد المغرب.

وهل مزج هؤلاء الأعراب بين عقيدة القرامطة الذين حاربوا في صفوفهم وناصروا دعوتهم في البحرين والشام مع ما جاء به الفاطميون ؟ أم أنهم أخذتهم العصبية القبلية لنصرة إخوانهم من العرب كون الفاطميين هم من أصل قرشي ؟. وهل كان لهم دور في إعادة بث روح التشيع وإحياء ما حُورب بالأمس القريب من قبل المعز بن باديس بمباركة من مشايخ القيروان ؟. علما بأنهم كانوا يرفعون أعلام وشعارات الفاطميين أثناء دخولهم بلاد المغرب.

إن الإجابة على مثل هاته التساؤلات، تطلبت منا مراجعة العديد من المصادر والكتب واستخلاص بعض النتائج من خلال المعلومات الشحيحة التي لم تكن لتفي بالغرض، لنتبين حقيقة المذهب الديني لهؤلاء الأعراب وطبيعة التوجه الديني الذي حملوه هل كان سنيا أم شيعيا ؟ أم أنهم كانوا مسلمين وحسب.

#### - القبائل الهلالية: تعريفها وأسباب دخولها بلاد المغرب:

كانت القبائل الهلالية خليطا من القبائل العربية من بينهم سليم أقواها عنصرا وأعرقها وأغناها، وهلال التي غلب اسمها على مجموعها وبطونها وهم من أصل عدناني. محلتهم الأصلية منطقة نجد (الحجاز) ودخلوا في نزاعات وحروب طويلة مع القحطانيين الذين كانوا يُجاورونهم. وغداة ظهور حركة القرامطة (\*\*\*) دخلوا في صفوفهم وأصبحوا جندا لهم وقدموا إلى البحرين وعمان ودخلوا في حروب ضد الدولة الفاطمية. وقد اعترف لهم الكثير بالقوة والمنعة وبلاتهم في كل الحروب التي خاضوها، عندئذ سعى الفاطميون إلى استمالتهم، ونجحوا في ذلك

(\*\*\*) - القرامطة: هي تسمية لفرقة شيعية ظهرت في العراق سنة (890م) بمدينة واسط، أسسها شخص يدعى حمدان قرمط فجعل من هذه المنطقة مكانا لدعوته وأنشأ فيها مركزا سماه "دار الهجرة" قسُمي أتباعه بالقرامطة. عرف عنهم لتطرف والغلو والتحلل من تكاليف الشرع وفرائض الدين ومن أهم عقائدهم الإيمان بقرب ظهور الإمام المهدي لذي سيملاً الأرض عدلا بعدما ملأت جورا. انظر موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد 2، الطبعة 1 (1995م) نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص، 380-381. و ينظر، الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، المجلد 2، الجزء 1، الطبعة 2، (1417هـ/ 1996م)، دار الفكر العربي، مصر، ص، 14-15.

بعد قضائهم على ثورة القرامطة وتم نقلهم إلى صعيد مصر على ضفاف النيل واقطعوا أراضي خصبة كمكافئة لهم. إلا أن السبب الحقيقي كان لدرء خطرهم "لما عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم".<sup>1</sup> أما قبيلة زغبة ورياح اللتان انضمتا إليهم، فهما قبيلتان من العرب كانتا تقيمان على حدود مصر الغربية في إقليم برقة وكانت بينهما حرب وعداوة.<sup>2</sup>

وعن أسباب دخول هذه القبائل إلى بلاد المغرب فقد اتفقت كل المصادر على أن سيرة المعز بن باديس وتحامله على الشيعة بعد المذبحة التي وقعت في القيروان، وملاحقة فلولهم عبر كامل إفريقيا، وقطعه الدعوة الغيبية وتحولها إلى العباسيين مع هدمه الدار الإسماعيلية، تزامن كل هذا مع تولية الوزارة لليازوري أبا محمد الحسن بن علي<sup>3</sup>، الذي خلف أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني المتوفي،

<sup>1</sup> ابن خلدون، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 17. محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، أبي عبد الله المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة 1، مطبعة الدولة التونسية، (1286هـ)، ص، 83. الميلي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 179.

<sup>2</sup> ابن خلدون، العبر، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 6. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الجزء 2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، وزارة الأوقاف لجمهورية مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (1416هـ-1996م)، ص، 215. أحمد عمر مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب (عصر الموحدين وبنى مرين)، ديوان المطبوعات الجامعية، (1982)، ص، 222.

<sup>3</sup> هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري نسبة إلى قرية من قري الرملة بفلسطين، كان أبوه عبد الرحمن أحد وجهائها ومقدما فيها، ولما نمت ثروته انتقل إلى الرملة واستوطنها. شب محمد الحسن في ظل أبيه الذي ولي حكم مدينة الرملة وبعدها اتصل بالوزير الجرجاني ونال عنده الحظوة. بعدها دخل في خدمة أم الخليفة المستنصر إلى أن أصبح الرجل القوي صاحب التدبير المحكم والدهاء الكبير الذي تمكن من الارتقاء إلى منصب الوزارة وهو القادم من أرياف فلسطين من أسرة مغمورة تمتهن الفلاحة والزراعة. انظر المقرئ، إتعاظ الحنفا، الجزء 2، المصدر السابق، ص، 197-198-199-200. و ينظر، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بإبن الصيرفي المصري، الإشارة إلى من تولى الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، طبع، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص العادات الشرقية، القاهرة، مصر، (1923)، ص، 73. كما ويذكر ناصر خسرو: أن اليازوري كان من كبار الدعاة وعمل في نشر المذهب الإسماعيلي قبل أن يستوزر. ينظر، ناصر

فاستخف به المعز ولم يُوفه حقه من التقدير والاعتراف وظن أن البعد الجغرافي سيجعله بمنأى عن أي رد فعل من قبل هذا الوزير المتمرس ولم يُقدّر عاقبة فعلته هاته وما ستجره على ملكه من محن ومصائب إلا عند ما وقعت الفاجعة وذاق وبال الهزيمة في معركة حيدران. وتحقق وعد الخطاب الذي أرسله اليازوري إلى المعز وما حمله من تهديد ووعد أبانت عن حنكة سياسية وذكاء متقد ودهاء كبير، صفات خولت له تولي منصب الوزارة عن جدارة في الخلافة الفاطمية وهو القادم من فلسطين لا يحذوه سوى طموحه ومقدرته العجيبة على التكيف مع الظروف والأحداث ليصبح بعد عناء ومثابرة وصبر كبير أحد ركائز الخلافة الفاطمية. فصدقت مقولته الشهيرة "قد أنفذنا إليكم خيولا فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا.<sup>1</sup> (\*\*\*) فكان العد التنازلي لدولة بني زيري الصنهاجية وبداية لنهايتها بفعل القوم الهاللي، تلك الفكرة التي رسم تفاصيلها

خسرو، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب الطبعة 2، (1993م)، ص، 32.

<sup>1</sup> - هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري نسبة إلى قرية من قري الرملة بفلسطين، كان أبوه عبد الرحمن أحد وجهائها ومقما فيها، ولما نمت ثروته انتقل إلى الرملة واستوطنها. شب محمد الحسن في ظل أبيه الذي ولي حكم مدينة الرملة وبعدها اتصل بالوزير الجرجرائي ونال عنده الحظوة. بعدها دخل في خدمة أم الخليفة المستنصر إلى أن أصبح الرجل القوي صاحب التدبير المحكم والدهاء الكبير الذي تمكن من الارتقاء إلى منصب الوزارة وهو القادم من أرياف فلسطين من أسرة مغمورة تمتهن الفلاحة والزراعة. انظر المقرئ، اتعاظ الحنفاء، الجزء 2، المصدر السابق، ص، 197-198-199-200. و ينظر، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي المصري، الإشارة إلى من تولى الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، طبع، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة، مصر، (1923)، ص، 73. كما ويذكر ناصر خسرو: أن اليازوري كان من كبار الدعاة وعمل في نشر المذهب الإسماعيلي قبل أن يستوزر. ينظر، ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب الطبعة 2، (1993م)، ص، 32.

(\*\*\*) - يختلف ابن خلدون في أمر مكاتبة اليازوري للولاة والأمراء والملوك في أمر توليته الوزارة، الذين لم يولوه بمعنى لم يعترفوا له بأحقيته في شغل منصب الوزارة، لعدة أسباب يطول شرحها هنا، فانف من ذلك واشتد غضبه. ابن خلدون، العبر، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 17.



وأعد خطتها اليازوري، وأقرها الخليفة الفاطمي. انتهت بزوال واختفاء دولة الزيبيين من مسرح الأحداث بعد قيام دولة الموحدين وقضائها على ملكهم.

فما الذي دفع بالوزير اليازوري إلى الاهتداء لفكرة توجيه هاته القبائل التي رُوضت بشق الأنفس، وأدخلت في خدمة الدولة بعد جهد جهيد، وعمل شاق، كلفت الفاطميين كثيرا فأنتت سياسة التقرب من زعماءها ومشايخها بشراء الذمم وإجزال العطايا، ومنحهم أراضي الصعيد الخصبة وغيرها من المزايا، أكلها. وتم لهم في الأخير احتوائها وجعلها في خدمة الدعوة.<sup>1</sup>

إن ما قام به المعز في ازدرائه اليازوري، كان خطأ قاتلا. فالرجل "نظر في الوزارة ومضى فيها مضي الجواد، ونهض مسرعا نهوضا عز به في وجوه من تقدّمه، وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بؤفور حقه".<sup>2</sup> فأظهر تمرسا ومقدرة كبيرة على تسيير شؤون الدولة نظرا للخبرة الكبيرة التي اكتسبها طيلة مشواره السياسي، وإطلاعه بخبايا الحكم والسلطة في السرايا بفضل ملازمته الطويلة لأم الخليفة المستنصر،<sup>3</sup> فأصبح صاحب سرها وخادما الأمين الذي لا غنى عنه، فتدرج في ذلك إلى أن صار أحد أعمدة الحكم في الدولة ودخل التاريخ من بابه الواسع لما ارتبط اسمه بالهلاليين ودوره في إقناع الخليفة الفاطمي بدفعهم نحو بلاد المغرب، التي سيتغير مصيرها ومصير دولها بالكامل عندما يقنع الخليفة ويحرضه على إرسال هاته القبائل إلى بلاد المغرب، لأنها ستعيد للفاطميين مجدهم الضائع، وتنتقم للشيعنة المضطهدين. إلا أن الحقيقة من ردة الفعل القوية للوزير، هي استعادة كرامته المهذورة من قبل المعز الذي لم يكن يدري بأنه يسعى إلى حتفه بيديه.

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 17. الملي، المرجع السابق، ص، 180.

<sup>2</sup> - المقرئزي، الاتعاض، الجزء 2، المصدر السابق، ص، 212.

<sup>3</sup> - هو أبو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله، ولد سنة (420هـ) وكان خامس خلفاء الفاطميين، تولى الحكم بعد وفاة أبيه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، في منتصف شعبان من سنة (427هـ) وقد كان سنه آنذاك سبعة سنين وسبعة وعشرون يوما، واستمرت خلافته لمدة ستين سنة وأربعة أشهر وعدت أطول مدة يتولاها خليفة فاطمي. ينظر ابن خلدون، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 16.

فالمعز في رأينا لم يكتفي بارتكاب هذا الخطأ الجسيم الذي انجر عنه تدفق سيلا عارما من القبائل العربية التي لم يكن على استعداد لمواجهتها وإن غرته الأمانى بذلك. لأنه لما علم بمقدمهم، قدر أن الأمر لا يعدو أن يكون مسألة هجرة مؤقتة فرضتها الظروف الاستثنائية التي كانت تعيشها مصر في تلك الفترة، لما ضربتها مجاعة كبيرة أهلت الضرع والزرع. ودفعت بهاته القبائل للبحث عن المرعى والكلأ لأنعامهم ودوابهم ومواشيهم.<sup>1</sup> وإن كانت فرضية التخلص منهم واردة في هذا الباب.

وقد حاول المعز قبلها أن يزرع الشقاق ويثير القلائل بين الوزير الجرجاني والخليفة الفاطمي، حينما راسله طالبا منه التحالف والوقوف في صفه لما كان يعده سرا وخفية للإيقاع بالشيعة وأولياء الفاطميين في إفريقية، لتحقيق رغبته في إقامة ملك مستقل له. إلا أن الوزير الفاطمي لم ينخدع بعرض المعز.<sup>2</sup> وليس

<sup>1</sup> ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، المجلد 9 (1995م) ص، 236. ابن عذاري، البيان، الجزء 1، المصدر السابق، ص، 293. المقرئ، الاتعاض، لجزء 2، المصدر السابق، ص، 164-233. وكذلك ابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، القسم الرابع، المجلد الثاني، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص، 614.

<sup>2</sup> لم يحتظ المعز ورجال دولته بما كان يبدره له اليازوري، ولم يحسبوا جيدا لحجم الكارثة التي باتت تهدد دولتهم ويبقى موقف المعز المترخي من الهلاليين يثير الكثير من التساؤلات التي لم نجد لها الجواب الكافي. فهل غاب على المعز الذي كان له ممثل مستقر في القاهرة. أن رحيل هذه القبائل بمعية سلاحها وعتادها بصحبة نسائهم وأطفالهم ودوابهم وخيامهم وكل ما يملكون كان هدفا للاستيطان والاستقرار. لأنهم أن أبواب مصر أصبحت مغلقة في وجوههم بمجرد اجتيازهم النيل، فالمسألة إذن هي قضية حياة أو موت بالنسبة لهم. كما أن تملكهم إفريقية من قبل الخليفة زاد من أطماعهم. فكان الأحرى بالمعز أن يحتاط لذلك. و بوسعنا إدراج مراسلة المعز للوزير الجرجاني بأنها مناورة خاسرة، بينت لنا بعض الجوانب المخفية من شخصية الأمير الصنهاجي، والذي وإن كان بطلا مقداما وفارسا شجاعا، ويعود له الفضل في تمكين المذهب المالكي من استرداد موقعه الريادي في إفريقية، إلا أنه قام بأخطاء جسيمة كلفته خسارة ملكه ومحاصرته من قبل العرب إلى أن غلبته الحسرة على ما آل إليه فانسحب تاركا مقاليد الدولة لابنه تميم. ينظر، ابن عذاري، البيان، الجزء 1، المصدر السابق، ص، 297. المؤنس، المصدر السابق، ص، 81. التجاني، المصدر السابق، ص، 19.

مستبعدا أن يكون اليازوري قد التقط جواب الجرجائي، فلما انتصب على رأس الوزارة وبلغه رد المعز واستخفافه به، أراد أن يظهر بأسه وشدته في معالجة هذا النشور والتمرد، فأمعن التفكير لإيجاد وسيلة فعالة لتأديب المعز من دون أن يدفع بالجيش الفاطمي إلى البلاد البعيدة أو ينهك الخزينة. كما أن طائفة كبيرة من هذا الجيش كانت من المغاربة، بل حتى من قاداته ومن نفس قبيلة المعز.<sup>1</sup> فلما انسلخ هذا الأخير بإمارة إفريقية، ثارت ثائرة الخليفة المستنصر بالله، واشتد حنقه على المعز، ووجد اليازوري ضالته في الانتقام، والتخلص من عبئ القبائل العربية، فسلطهم على المغاربة الذين سيتجرعون مرارة نبذهم المذهب الشيعي لجهلهم طبيعة هذه القبائل وشدة مراسها واستحالة ترويضها أو هزمها. الشيء الذي كان يدركه الفاطميون وعلى رأسهم اليازوري لما كان بينهم وبينها من حروب طاحنة ومتواصلة لم يستطيعوا فيها دحرهم ولا التغلب عليهم رغم قوة جندهم وجيشهم الكبير. حينها اجتمع الخليفة المستنصر بزعماء القبائل العربية بعد أن مناهم بالمساعدة المالية وخطبهم قائلاً: "لقد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق، فلا تفتقرون"<sup>2</sup> كان هذا التصريح بمثابة إيذانا بتسريح الهلاليين، لبدأ تغريبتهم إلى إفريقية وفتح باب جديد في عودة قوة أخرى حاملة لشعار الخلافة الفاطمية، حريصة للذود عن حمى الشيعة والانتقام لهم من السنة الغلاة الذين إظطهدهم.

<sup>1</sup> - ينظر تركيبة الجيش الفاطمي في مصر وإستعراضه العسكري في كتاب، سفر نامة، لناصر خسرو، المصدر السابق ص، 109. وعن دور الكتاميين الذين كانوا يعتبرون عماد الدولة الفاطمية وأصل جيوشها، ينظر، القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء 5، ص، 449.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، المجلد 6، ص، 17. ابن حماد أبي عبد الله محمد بن علي، أخبار ملوك بنو عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، ص، 104.

- Ernest mercier. Histoire de l'Afrique septentrionale (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830). Ernest Mercier. Tome second.

Ernest le Roux éditeur. Paris. Éditeur. Paris. (1868) p.19.

## - هل كان الهالليون شيعة:

عندما بدأ الاستعداد والتهيؤ للرحلة الطويلة في اتجاه المغرب، لم يكن الأمر بالبساطة التي يمكن تصوُّرها، أو اختزالها في هجرة جماعية لرهط من الأعراب للتخلص منهم وإبعادهم قدر المستطاع عن مصر ودفعهم إلى مصير مجهول باتجاه أرض غريبة لا يعرفون عنها سوى ما تواتر من أخبار، وما تناقله عرب الفتح عنها. بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى طبيعة هذا العنصر البشري الهام والذي لم يكن كما صورته المصادر بأنه همجي ومصدر إزعاج وهمٍّ مستمر للخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويين. ثم ازدادت شروهم وتمردهم في عهد العباسيين بأن بلغت بهم الجرأة حدَّ قطع الطريق على قوافل الحجاج وبث الفرع في نواحي مكة والمدينة.<sup>1</sup>

لكن ما يجب التنبيه عليه، هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد صاهر هذه القبائل وازداد بها الإسلام قوة ومنعة.<sup>2</sup> وأبلى هذه القبائل البلاء الحسن بعد استحواذها على مناطق شاسعة من بلاد المغرب، وكان لها الفضل الكبير في مجابهة أساطيل وجيوش النورمان المُغيرين على المهدية في عهد الحسن بن علي

<sup>1</sup> - الفرد بل، المرجع السابق، ص، 211.

<sup>2</sup> - خالد بن عبد الحميد، الوجود الهلالي السُّلَيمي في الجزائر، طبع (2003)، دار هومة، الجزائر، ص، 41.

- تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. عرفت في الجاهلية والإسلام بأُم المساكين، وقد تزوجها الرسول (صلعم) في شهر رمضان على راس 31 شهرا من الهجرة، بعد استشهاد زوجها في يوم بدر وكانت الزوجة الرابعة بعد أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب. كما تزوج الرسول الكريم (صلعم) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بدير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة. ويذكر بعض المؤرخين أنها هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، في قوله تعالى "و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي". سورة الأحزاب، الآية 50. وكانت آخر إمرة تزوجها الرسول (صلعم). ينظر، عبد الله بن صفوان النصري، عبد الرحمن بن عمرو، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 1، (1417هـ/1996م)، ص، 237.

بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس. ودارت الدائرة عليهم بعدما تلقفتهم سيوف الأعراب وأبادتهم عن آخرهم في جزيرة الأحاسي وقصر الديماس.<sup>1</sup> فهذه الشدة والمراسة وإتقانهم لفنون الكرّ والفرّ في الحروب، أكسبتهم هيبة ورهبة منذ التحاقهم بخدمة القرامطة الذين تمكنوا من جرهم إلى دعوتهم في بداياتها المبكرة، حين أرسل زكرويه بن مهرويه الذي كان داعية لقرمط. أبناءه إلى نواحي الشام، وبايعه أحد أفخاذ قبيلة كلب وهم بني عليص ابن ضمضم ابن عدي بن جناب، إلى جانب مواليتهم سنة (289هـ). ثم لحقتهم جماعة من عرب بني الأصبح، وأخلصوا لهم، وتسموا بالفاطميين ودانوا بدينهم ودخلوا دعوتهم.<sup>2</sup>

كما استطاع القرامطة أن يضموا إلى دعوتهم الخلط من جشم.<sup>3</sup> ويذكر ابن خلدون أن هذا القبيل كانوا كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين، وتبعهم في ذلك بنو سليم الذين استولوا على البحرين وحكموها باسم الشيعة<sup>(20)</sup>.<sup>4</sup> ويضيف ابن خلدون إنهم كانوا أولي عدد وقوة وصاحبهم في رحلتهم بنو المنتفق الذين يُعدون من بطون جشم والذين حملوا وناصروا الشيعة الفاطميين إلا أن انهزامهم أمام بطون

<sup>1</sup> ابن عذاري، البيان، الجزء 1، المصدر السابق، ص، 309. التجاني، المصدر السابق، ص، 335-336. ينظر، حسين ممدوح، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري سنة (668هـ - 792هـ/1270م-1390م) الطبعة 1، (1419هـ/1998م) دار عمار، عمان، الأردن، ص، 127. و يذكر فيه أهم الجوانب الايجابية التي رافقت الدخول الهلالي إلى بلاد المغرب استشهاده بأراء بعض المستشرقين الذين أنصفوا العرب ولم يحملوهم وزر الأحداث المتعاقبة التي عاشها الشمال الإفريقي، بل أمداو افريقية بدماء فتية ومحاربين لا يزالون يحتفظون بالشجاعة وخشونة البادية، وسيسهمون في الجهاد ضد الخطر الصليبي، لأنهم كانوا أكثر قدرة على ذلك.

<sup>2</sup> الطبري، المصدر السابق، ص، 95. ينظر المقرئزي، إتعاظ الحنفا، الجزء 2، المصدر السابق، ص، 221-222.

<sup>3</sup> وهم مزيج من بطون قرّة والعاصم ومقدم والأثيج وجشم والخلط، فغلب عليهم جميعا إسم جشم فعرفوا به ويعود نسبهم إلى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن. وفي عهد الموحدون تم نقلهم إلى المغرب الأقصى، ومن ثم تم توطينهم في سهل تامسنا بين مدينة سلا ومراكش، وظلوا محافظين على تقاليدهم وبدواتهم ولم يتمكن بنو مرين من غلبتهم إلا بعد وقائع وحروب طويلة. أنظر، ابن خلدون، العبر، المجلد 6، المصدر السابق، ص، 33.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 35. المقرئزي، الاتعاظ، الجزء 2، المصدر السابق، ص، 216. الميلي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 179.

تغلب<sup>1</sup> الموالية للدعوة العباسية، جعلهم يرتحلون إلى إفريقية بدعوة من أبناء عمومتهم الذين سبقوهم. ويشير ابن خلدون أيضا إلى أن بنو سليم كانوا شعوبا كثيرة، وهم يعودون في أصولهم إلى مضر.<sup>2</sup> وعن أحوال بنو سليم فإنهم ضلوا على عقيدتهم القرمطية، منذ نزولهم بالصعيد بعد انهزامهم على يد بني بويه المتحكمين في الخلافة ببغداد فأجازهم المستنصر إلى برقة وبقوا على حالهم إلى أن لحقوا بمن سبقهم من الهلالية. من خلال ما تقدم نكاد نجزم بأن هذه القبائل التي وفدت على بلاد المغرب، ورغم أنها تحركت لأسباب سياسية ورغبة في الانتقام من المعز، إلا أن الأحداث أظهرت أنه لا يمكن الطلب من أعداد كبيرة من الناس الارتحال إلى جهة ما دون أن يكون الدافع لذلك ما تحركه العصبية والغيرة على الدين.<sup>3</sup> وهذا ما أبرزه ابن خلدون حين أشار إلى طبيعة مهمتهم بأنها كانت: "التوليتهم أعمال إفريقية وتقليدهم أمرها ودفعتهم إلى حرب صنهاجة ليكونوا عند نصر الشيعة والسبب في الدفاع عن الدولة".<sup>4</sup> وهذه العصبية هي التي دفعت بعرب ما بعد الفتح الذين كانوا في تعداد جيش المعز إلى الإنسحاب والانضمام إلى إخوانهم في معركة حيدران.

<sup>1</sup> يعدون أحد بطون قبائل ربيعة وهم بنو تغلب بنو وائل وبنو عمومتهم بنو بكر بن وائل، تفرعت عنهم شعوب عدة فمنهم بني شكر وبني حنيفة وبني عجل وبني ذهل وبني شيبان وبنو الله. وتذكر بعض المصادر انه في حرب الجمل، انقسمت بكر بن وائل إلى قسمين، إحداهما ناصرته عائشة رضي الله عنها أما الأخرى فكانت إلى جانب علي وأصبحت من شيعته. ينظر، السرحاني، سلطان طريخم المذهن، جامع انساب قبائل العرب، ص، 29. ابن خلدون العبر المصدر نفسه، ص، 4-35. وأبي العباس احمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة 2، (1402هـ-1982م)، ص، 130-131.

<sup>2</sup> يجمع النسابة العرب على أن ربيعة ومضر هما ابنا نزار بن معد بن عدنان من العرب المستعربة.

<sup>3</sup> يذكر التيجاني، بان العرب رفضوا في بادئ الأمر فكرة الرحيل، وأصرروا على البقاء، منافيا بذلك ما ذكره ابن بسام في الذخيرة حين أشار إلى أن جوازهم إلى المغرب كان بفعل أمنية سرت إليها أطماعهم. ينظر، ابن بسام الذخيرة، المصدر السابق، ص، 614.

<sup>4</sup> ابن خلدون، العبر، المصدر نفسه، ص، 17.

بالنسبة للإسماعيليين، فإن روح التضامن والولاء للمذهب كان من أبرز ما يلحق للمريد والمنتسب، ورأينا خلال مرحلة الدعوة في بلاد المغرب كيف تمكن أبا عبد الله الشيعي من تغليب روح المذهب على الإنتماء القبلي. وهذا ما عايشته البدايات المبكرة للداعي الشيعي أبا عبد الله عند مقدمه من اليمن، هذا البلد الذي لعب دورا كبيرا في تاريخ حركات الشيعة عبر التاريخ، وما تزال فيه إلى أيامنا هاته قبائل عربية تحافظ على مواريتها القرمطية<sup>1</sup> ولما إنتصب عبيد الله الشيعي على أمور الدولة في رقادة أخته المبايعة من القرامطة الذين كانت تربطهم بهم علاقة عضوية ومذهبية من حيث النهل من نفس المشرب.

ونستدل على ذلك ما ذكره الإدريسي خلال وصفه لأحوال بلاد المغرب الاجتماعية والاقتصادية، وحين يتكلم عن الدخول الهلالي إلى إفريقية وتقدمهم إلى المغرب الأوسط على امتداد المراحل التي قطعوها، ووفقا لتطورات المشهد السياسي والحربي الذي لاقوه فإننا نلاحظ أنهم اتبعوا سياسة الأرض المحروقة، لا فكترة أعدادهم كما جاء في وصف ابن خلدون الذي نعتهم "بالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه" ونادوا بشعار الخليفة الفاطمي المستنصر.<sup>2</sup> فاستعملوا نفس الوسائل والأساليب التي أتقنها في الشام واليمن. فليس مستبعدا أن الهدف من وراء إظهار الفساد في الأرض واستباحة البلد وتخريب المباني وغيرها من الأعمال المقيتة كنت بهدف تجويع أهالي إفريقية وإظهار المعز في صورة المهزوم العاجز الذي لا حول له ولا قوة " فنزل بأهل إفريقية بلاء لا يوصف"<sup>3</sup> وهو ما نجحت فيه الهلالية. وعلى ما يذكره الإدريسي الذي وافانا بصورة دقيقة على أوضاع البلاد، وسرد لنا حقائق في غاية الأهمية عن تحرك هذه القبائل على محاور ثلاثة أثناء

<sup>1</sup> - زكار سهيل، القرامطة في الإحساء، الشام، اليمن، العراق، نشر دار إحسان، الط2، (1402هـ/1982م)، ص، 37.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص، 18. المقرزي، الاتعاض، الجزء2، المصدر السابق، ص، 217.

<sup>3</sup> - المقرزي، الاتعاض، الجزء2، المصدر السابق، ص، 215. ابن عذاري، البيان، الجزء1، المصدر السابق، ص، 208.

وُلوجهم أراضي المغرب الأوسط الذي لم تصادفهم فيه مقاومة أو اعتراض خاصة في نواحي مضارب قبيلة كتامة التي ناصرت منذ البداية الدعوة الشيعية واحتضنت أبا عبد الله الشيعي الداعية الفاطمي، الذي تمكن وبفضل رجالاتها من القضاء على حكم الأغالبة وتمهيد الحكم لعبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي الذي أعلن وبصفة رسمية قيام الدولة الفاطمية سنة (297هـ). فقد تم نسج علاقة حميمة وتوطدت العلاقات بين هاته القبائل وسكان مدن هذه الجهة، وعرفت بحسن صلاتها مع العرب، وأنه كانت بينهم معاملات وشراكة في الزراعة والتجارة.<sup>1</sup> وأغلب الظن أنه صدرت توجيهات من قبل الخلافة في مصر إلى زعماء هاته القبائل، بعدم التعرض إلى سكان تلك الناحية وهو ما تم بالفعل. و مما يزيد من تأكيدنا على ذلك الولاء التام الذي كان يحمله الهلاليون للخلفاء الفاطميين بمصر رغم بعد المسافة وتاريخهم الطويل في عدم خضوعهم بسهولة للحكام، إلا أننا نراهم بعد إنتهابهم للقيروان ودخولهم قصور المعز واستحواذهم على ذخائره وأمواله، يرسلون ما غنموه إلى القاهرة، ليراها الناس "فكان ليوم دخولها إلى القاهرة أمر عظيم".<sup>2</sup>

ويتأكد ولاء الهلالية للفاطميين وتمذهبهم بمذهبهم، هو استمرار تدفق العطايا والهدايا على شيوخهم وأمرائهم في بلاد المغرب كما كان الحال مع الأمراء الصنهاجيين. لأنهم وبموجب التكليف الذي أنيطوا به من قبل الخليفة الفاطمي الذي وهبهم ملك المعز، فإنهم أصبحوا هم الأسياد الجدد لإفريقية وأعادوا الدعوة الإسماعيلية بعد أن قطعها المعز بن باديس في كل منابر إفريقية وإمعانا في تأكيد عودة السلطة الفعلية للفاطميين فإنهم أعادوا التعامل بالسكة

<sup>1</sup> - وهو الاستنتاج الذي توصل إليه محمد المبلي عندما تعرض للنزوح الهلالي إلى المغرب، ينظر المبلي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 182.

<sup>2</sup> - المقريري، المصدر السابق، نفس الصفحة.



المستنصرية.<sup>1</sup> وقبلها كان معسكر المعز بدأ يهتز على وقع بعض التخاذل والخيانات وسط معسكره، وهذا ما لمسناه عندما استقبل الأمير العربي مؤنس بن يحيى قائدين من قواد المعز الذين شقا عليه عصا الطاعة واستجاروا به، فاحتفى بهما وأنزلهما منزلة عظيمة عنده، "وأكرمهما وكساهما ثيابا وصلت إليه من مصر وسرّ بقدمهما".<sup>2</sup>

وهناك حادثة غريبة تستحق التأمل والتوقف عندها. بطلها زعيم فخذ من بني سليم، إذ دخل المسجد يوم الجمعة لابسا خفه، فنكر الناس عليه ذلك، فقال: "إني أدخل بها بساط السلطان، فكيف الجامع؟ فاستعظم الناس كلمته، وثاروا به لحينه، فقتلوه في المسجد".<sup>3</sup> وقد إستباح الشيعة في بداية دولتهم على زمن عبید الله بخیولهم أحد المساجد، ولما نبههم قيم المسجد على ذلك. إدعوا أن خيول المهدي بأرواتها وأبوالها طاهرة مثله.<sup>4</sup>

وعندما يتطرق ابن خلدون في مقدمته لقضية اللسان العربي ويخص بالذكر لغة القبائل الهلالية العربية الوافدة إلى بلاد المغرب، فإنه يؤكد على بقاء البلاغة والبيان فيها. و أن ما يثار من حديث عن فسادها وذهاب الذوق الصحيح إنما هي مقالات وكلام قد دسها التشيع في طباعهم.<sup>5</sup> فعد هذا بمثابة اعتراف بتمكن التشيع من عاداتهم وتقاليدهم، لأنهم لما دخلوا في خدمة القرامطة، تأثروا بأفكارهم وعقائدهم، وازداد هذا التأثير حين جلبهم الفاطميون إلى الصعيد لأنهم كانوا حريصين على تواجد العنصر العربي في دولتهم فغمروهم بالهدايا والأموال، فأعطت هاته القبائل ولأثنا لهم وتبنت مذهبهم وصارت في تعداد قواهم. ويزيد ابن

<sup>1</sup> - محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297- 567هـ/910- 1171م).

دار النفائس، الطبعة 2، (1428هـ- 2007م)، بيروت، لبنان، ص، 265.

<sup>2</sup> - التيجاني، المصدر السابق، ص، 96.

<sup>3</sup> - الفرد بل، المرجع السابق، ص، 218.

<sup>4</sup> - ابن عذاري، البيان، المصدر السابق، ص، 284. و يكمن وجه الغرابة في هاتين القصتين، أن الأولى حدثت في سنة (705هـ) أي بعد مضي مدة طويلة على وقوع الأولى إلا أن الوقائع تشابهت إلى حد التطابق.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، 634.

خلدون في كتابه العبر عند الحديث عن المواطن التي إنتجها هؤلاء العرب في بسائط المغرب، وعن أهم بطونهم وسيرتهم فيها. فإنه يُفرد حيزاً للكلام عن شخص شخص من مسلم إحدى شعوب رباح يسمى "سعادة". ارتحل إلى تازة بالمغرب الأقصى وأخذ العلم من صلحائها وفقهائها، وعاد إلى مواطن رباح بفقته صحيح وورع وافر، وبدأ في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره، فاشتهر بذلك وكثر أتباعه وسُمى أصحابه بالسنية.<sup>1</sup>

وعلى ذلك يمكننا أن نقول بأن هذه التسمية كانت تميزاً لهؤلاء عن غيرهم من القبائل العربية التي يغلب الظن أنها كانت تدين بعقيدة الفاطميين أي المذهب الإسماعيلي، وإلا ما كان لابن خلدون أن يخصص كل هذا الكلام للحديث عن هذه الحركة التي وللأسف لم نعثر على تفاصيل أخبارها في المصادر الأخرى التي أرخت لهاته الفترة، سوى عند ابن خلدون الذي يذكر أنه استقل أمرها، وعمت تعاليمها منطقة الزاب بأسرها.

ووفق ما توصل إليه الميلي في دراسته للقبائل الهلالية، وعند ذكره لعلاقاتها ومعاملاتها للسكان، وجد أنه يأخذ منحنيين الأول: هو حسن التعامل مع من كانوا في صف الدعوة الشيعية، فكان يتم التعامل معهم وفق الأعراف السائدة، كالأخوة في الدين وما تجمعهم عليه تعاليم المذهب، وهي مناطق نفوذ كتامة وأحلافها من البربر الذين ناصرُوا بدايات الدولة الشيعية. أما مناطق نفوذ قبيلة صنهاجة، فإنها تعرضت إلى حصار رهيب وبات الناس يجدون صعوبة في التنقل والخروج من حصونهم وعادوا في حالة سيئة فكانت العرب تملك أرضهم، وتمنعهم من الخروج إلا بخفارتهم وتحت حراستهم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، 634.

<sup>2</sup> - الميلي، المرجع السابق، ص، 182.

## - خاتمة:

من خلال هذه المعطيات التي توصلنا إليها، فإننا نكاد نجزم بأن الأكثرية الكبيرة من شعوب وبطون العرب القادمة إلى بلاد المغرب وان كانت لا تحمل معها صفة الدعوة إلى المذهب الشيعي إلا أنها أسهمت وبقدر كبير في نشر موروثاته في كل منطقة حلت بها، مثله مثل بعض العادات والتقاليد التي جلبتها معها من الحجاز ومصر، كالتخضيب بالحناء، وانتشار الأغاني البسيطة التي تولد عنها الشعر الملحون، مع الرقصات القوية واستعمال الطبول الكبيرة التي لم يكن لها ذكر من قبل، وإدخال الجياد العربية الأصيلة. ويبقى تعريب بلاد المغرب أحد أهم نتائج القدوم الهلالي نتج عنه جنسا واحدا لطول المجاورة.<sup>1</sup> و سنرى لاحقا كيف سيتمكن أحد الدعاة البربر المتمكن من العلوم الدينية والحامل لمشروع إصلاح ديني جديد في بلاد المغرب وهو محمد ابن تومرت من إرساء دعائم دولة جديدة تحت عنوان الإصلاح الديني وسمى أتباعه بالموحدين. إلا أن المتمعن والمدقق لمراحل سيرة هذا الرجل والأشواط التي قطعها لنشر أفكاره بين عموم البربر والتعاليم الجديدة التي كان ينادي بها، ستبين لنا ويصدق عن مدى بقاء التأثير الشيعي كامنا في نفوس البربر ومن استوطن بلاد المغرب من القبائل العربية، فهو قد جعل من مبدأ الإمامة والعصمة والمهدوية أهم الركائز التي قامت عليها دعوته وهي نفسها الأسس التي يقوم عليها المذهب الشيعي بشقيه الإمامي والإسماعيلي.

## - قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة، أحمد الزعبي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 2- محمد الباجي المسعودي، أبي عبد الله، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، الط2، مطبعة بيكار، تونس (1323هـ/1902م).

<sup>1</sup> - الإدريسي، الشريف أبو عبد الله، صفة المغرب، من كتاب نزهة المشتاق، نشر دي غويه، ليدن (1866)، ص،

- 3- الهادي روجي إدريس الدولة الصنهاجية في المغرب، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، الجز1، الط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (1992).
- 4- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من الشأن الأكبر، ضبط، خليل سعادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1431هـ/2001م)، المج.6
- 5- المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الج2، تقديم وتصحيح: محمد المليي، المؤسسة الوطن للكتاب، .
- 6- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي الطبعة الثالثة (1987)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- 7- الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، المج2، الجز1، الط2، (1417هـ/1996م)، دار الفكر العربي، مصر.
- 8- محمد بن أبي القاسم الرهيني أبي عبد الله المعروف بابن أبي دينار المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الط1، مطبعة الدولة التونسية، (1286هـ).
- 9- تقي الدين أحمد بن علي المقرزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الج2، تحقيق: محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، (1416هـ/1996م).
- 10- أحمد عمر مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب (عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية) (1982).
- 11- أمين الدين تاج، الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي المصري، الإشارة إلى من تولى الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، مقتطف من مجلة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، المجلد الخامس والعشرون، طبع، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة، مصر، (1923).
- 12- ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية للكتاب، الط2، (1993م)،
- 13- ابن عذارى أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجز1، تحقيق: ليفيروفنسال وج - س كولان، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- 14- أبو محمد عبد الله بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (1981م).
- 15- الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، الج1، ترجمة: محمد حجي، الط2، (1983)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان.

- 16- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1407هـ/1987م)، الم.ج.9
- 17- أبي الحسن علي بن بسم الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس القسم الرابع، المجلد الثاني، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- 18- أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بنو عبید وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع.
- 19- خالد عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، طبع (2003)، دار هومة، الجزائر.
- 20- عبد الله بن صفوان النصري، عبد الرحمن بن عمرو، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الط1، (1417هـ/1996م).
- 21- حسين ممدوح، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري سنة (668هـ- 792هـ/1270م-1390م)، الط1 (1419هـ/1998م)، دار عمار، عمان، الأردن.
- 22- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (310/224هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلد العاشر، الط2، دار المعارف، مصر.
- 23- أبي العباس احمد بن علي القلقشندي، فلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية.
- 24- زكار سهيل، القرامطة في الإحساء، الشام، اليمن، العراق، نشر دار إحسان، الط2، (1402هـ/1982م).
- 25- الإدريسي، الشريف أبو عبد الله، صفة المغرب، نزهة المشتاق، نشر دي غويه، ليدن (1866).
- 24- Ernest mercier. Histoire de l'Afrique septentrionale (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830). Ernest Mercier. Tome second. Ernest le Roux éditeur. Paris. Éditeur. Paris. (1868).

## تطبيق الحوكمة واتفاقية بازل 3 كأحد الحلول لتفادي الأزمات المالية

سارة بركات باحثة دكتورة ل.م.د.  
جامعة بسكرة - الجزائر

### المخلص:

لقد أثرت الأزمة المالية العالمية الأخيرة بشدة على الاقتصاد العالمي حيث أبرزت نقاط الضعف في القوانين المنظمة للعمل البنكي وبينت أوجه القصور في مقررات بازل 2 وخاصة فيما يخص: مشكلة سوء أداء الأسواق المالية، والسيولة، ووكالات التصنيف..الخ.

فكانت إجابة المنظم بسن ما عرف باتفاقية بازل 3 التي تعتبر ضرورية للحد من احتمال وشدة الأزمات في المستقبل والهدف الأساسي منها هو إجبار البنوك على زيادة رأس المال.

ومن أجل تفادي الوقوع في أزمات مستقبلية يعتبر اتباع نظام حوكمة سليم وسيلة للتأكد من دقة وحسن أداء المؤسسات المالية والبنكية ما يسمح بضمان تحقيق الأهداف والربحية والنمو للاقتصاد ولمؤسسات الأعمال.

فمن خلال هذه الورقة البحثية حاولنا إبراز دور الأخذ بمبادئ الحوكمة الرشيدة وتطبيق المعايير الدولية للمخاطر ومراقبتها و التي تم البدء في تنظيمها منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا وصولاً إلى وضع المبادئ الدولية للحوكمة واتفاقية بازل 3 للإجراءات الاحترازية، وهذا تماشياً ومستجدات النظام الاقتصادي والمالي العالمي والظرفية المحيطة به للتقليل من الأزمات الدورية التي يتعرض لها الاقتصاد، وتفادي حدتها التي تعيد الاقتصاد إلى الصفر في نهاية كل دورة، ما يستوجب الوقوف بشدة أمام هذه الإجراءات التي من شأنها أن تحافظ على توازن الاقتصاد العالمي والعمل على تطبيق توصياتها بما يتناسب والبيئية الهيكلية لكل اقتصاد.

**الكلمات المفتاحية:** الحوكمة البنكية، الإجراءات الاحترازية، الأزمة المالية

**Résumé :**

La dernière crise financière internationale a eu un grand impact sur l'économie mondiale et a mis en évidence les faiblesses du cadre réglementaire applicable.

Elle a ainsi mis en exergue les carences et les insuffisances du dispositif de Bâle II : problèmes de mauvais fonctionnement des marchés financiers, de liquidité, des agences de notations, etc.

La réponse des régulateurs, connue sous le nom de « Bâle 3 », est donc une réforme indispensable pour réduire la probabilité et la gravité des crises à venir. Son principe est d'obliger les banques à se financer davantage.

Dans cette étude, nous tentons de mettre en évidence le rôle de l'introduction des principes de bonne gouvernance et l'application des normes internationales du risque, qui ont été développées depuis le XIXe siècle jusqu'à nos jours.

**Les Mot clés : la gouvernance bancaire, la réglementation prudentielle, la crise financière.**

**مقدمة:**

لقد سلطت الأزمة الآسيوية في أواخر التسعينات وانهيار "انرون" الضوء على الحاجة الماسة الى حوكمة الشركات، حيث تربط هذه الدراسة بين الأزمة المالية العالمية الأخيرة والتي حدثت في عام 2008 وحوكمة الشركات أين أدى عدم تطبيق آليات الحوكمة إلى أزمة الرهن العقاري، كما أن تطبيق الأطر الفاعلة لحوكمة الشركات يضمن المحافظة على استقرار وسلامة النظام المالي لمواجهة الأزمة المالية العالمية والتصدي لها على مستوى العالم.

تأتي هذه الدراسة لتأكيد أهمية العلاقة المتبادلة بين الأزمة وحوكمة الشركات وتطبيق اتفاقية بازل 3 حيث أن الأزمة العالمية كشفت حالات كثيرة للفشل في قواعد الحوكمة وتركيبية مجالس الإدارة وإدارة المخاطر. حيث بدأ في التفكير في آليات تحصن النظام البنكي العالمي من انتكاسات مستقبلية أخرى، ففي سبتمبر 2010 أقرت لجنة بازل للإشراف البنكي في سويسرا حزمة جديدة من المعايير هي

الثالثة منذ عام 1988 عرفت ببازل III والتي أدخلت تعديلات جوهرية واسعة على الدعامات الثلاثة لبازل II.

ومن خلال ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن أن يساهم تطبيق بازل 3 والحوكمة في التقليل من الأزمات المالية؟

والتي سنحاول الإجابة عليها في هذه الورقة البحثية من خلال النقاط التالية:

أولاً: آليات حوكمة الشركات لتفادي الأزمات

ثانياً: الحوكمة العالمية لتفادي مخاطر الأزمات المالية العالمية

ثالثاً: تعزيز إدارة المخاطر والحوكمة وتفادي الأزمات من خلال تطبيق

بازل 3

أولاً: آليات حوكمة الشركات لتفادي الأزمات

في عام 1976 قام كل من "Jensen et Meckling" بالاهتمام بمفهوم حوكمة الشركات وإبراز أهميته في الحد أو التقليل من المشاكل التي قد تنشأ من الفصل بين الملكية والإدارة و التي مثلتها نظرية الوكالة. ولاحق ذلك مجموعة من الدراسات العلمية و العملية والتي أكدت على أهمية الالتزام بمبادئ حوكمة الشركات وأثرها على زيادة ثقة المستثمرين في أعضاء مجالس إدارة الشركة. وبالتالي قدرة الدول على جذب مستثمرين جدد سواء محليين أو أجانب وما يترتب عليه ذلك من تنمية اقتصاديات تلك الدول.<sup>1</sup>

فقد عرفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OCDE الحوكمة على أنها: "نظام يتم بواسطته توجيه منظمات الأعمال والرقابة عليها، حيث تحدد هيكل وإطار توزيع الواجبات والمسؤوليات بين المشاركين في الشركة مثل مجلس الإدارة والمديرين

<sup>1</sup> -محمد مصطفى سليمان، حوكمة الشركات و معالجة الفساد المالي و الإداري، الدار الجامعية، مصر، 2006، ص



وغيرهم من أصحاب المصالح، وتضع القواعد والأحكام لاتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون الشركة.<sup>1</sup>

فالمصطلح يشير إلى طريقة توجيه الشركة وإدارتها وممارسة الرقابة الذاتية فيها، كما أنها النظام الذي يتم بموجبه إدارة الشؤون اليومية للشركة، بما في ذلك واجبات أعضاء مجلس الإدارة في ضمان الإدارة السليمة دون تجاوز للضوابط المصادق عليها من قبل الجمعية العمومية.

ومنه تساعد الحوكمة السليمة للشركات في دعم الأداء، وزيادة العلاقات التنافسية، وجذب الاستثمارات للشركات، وتحسين الاقتصاد بشكل عام، وتدعيم استقرار الأسواق المالية والأجهزة البنكية و ذلك من خلال:

- تحقيق العدالة والشفافية وحق المساءلة بما يسمح لكل ذي مصلحة أن يستجوب الإدارة.

- حماية المساهمين بصفة عامة سواء أقلية أو أغلبية وتعظيم عائدهم.
- منع المتاجرة بالسلطة في الشركات ومنع متاجرة أصحاب السلطة التعسفية.

- مراعاة مصالح المجتمع العمال.
- تدفق الأموال المحلية والدولية وتشجيع جذب الاستثمار.<sup>2</sup>
- ضمان مراجعة الأداء المالي وتخصيص أموال الشركة ومدى الالتزام بالقانون والإشراف على مسئولية الشركة الاجتماعية في ضوء قواعد الحوكمة الرشيدة.

- ضمان وجود هياكل إدارية تمكن من قابلية محاسبة إدارة الشركة أمام مساهميها.

<sup>1</sup> - دهمش نعيم، إسحق أبو زر عفاف، تحسين وتطوير الحوكمة المؤسسية في البنوك، مجلة البنوك في الأردن، العدد العاشر، المجلد الثاني والعشرون، ديسمبر 2003، ص 27.

<sup>2</sup> - مجلة اقتصاد وأسواق، -العدد(57)، مارس 2008، السنة الخامسة، ص 16

- وجود المراقبة المستقلة (من غير العاملين بالشركة) على المديرين والمحاسبين وصولاً إلى قوائم مالية ختامية على أسس ومبادئ محاسبية عالية الجودة.
  - وجود المعاملة العادلة والمتساوية لجميع المساهمين خاصة لو كان هناك مساهمين مسيطرين على الشركة.
  - الكفاءة والشفافية بما يسمح بالرقابة على الشركة.
  - التأكد من الإفصاح عن النتائج المادية أو نتائج نشاط الشركة وعوامل المخاطرة المتوقعة والصفقات التي تعقد مع أطراف أخرى وأي ترتيبات تمكن مساهمين بعينهم من الحصول على سيطرة لا تتناسب مع ملكيتهم في رأس المال وأي معلومات عن أعضاء مجلس الإدارة وكبار المديرين التنفيذيين بما يحصلون عليه من مكافآت والمعلومات التي تصف هياكل قواعد وإدارة الشركة وسياساتها.
  - إمكانية اللجوء إلى التشريع والقوانين في حالة حدوث مخالفة لمبادئ العدالة في المعاملات.
  - التأكد من قدرة المساهمين في ممارسة سلطتهم بالتدخل في حالة ظهور المشاكل، و مساندة جهود الإدارة على المدى الطويل.<sup>1</sup>
- أما فيما يخص **حوكمة البنوك** فيعرفها **بنك التسويات الدولية** بأنها " الأساليب التي تدار بها البنوك من خلال مجلس الإدارة والإدارة العليا والتي تحدد كيفية وضع أهداف البنك والتشغيل وحماية مصالح حملة الأسهم وأصحاب المصالح مع الالتزام بالعمل وفقاً للقوانين والنظم السائدة وبما يحقق حماية مصالح المودعين"<sup>2</sup>.
- كما أنها تتضمن أيضاً الأساليب والإجراءات الخاصة بكيفية إدارة مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين لشؤون وأنشطة البنك والتي تشتمل على:<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- عبد الوهاب نصر على شحاته السيد شحاته، مراجعة الحسابات وحوكمة الشركات، الدار الجامعية، مصر، 2006/2007، ص ص 78،79

<sup>2</sup>- الحوكمة في المصارف. مقال متاح على الموقع الإلكتروني:

<http://www.idbe-egypt.com/doc/governance.doc> Consulter le 1/03/2010 a 22.48

<sup>3</sup>- محمد مصطفى سليمان، مرجع سابق، ص 244

- وضع الأهداف الإستراتيجية للبنك.
- تشغيل عمليات البنك بشكل يومي.
- كفية الوفاء بمسؤولياتهم تجاه المساهمين و أصحاب المصالح.
- كفية تنظيم أنشطة البنك بشكل آمن و سليم و متفق مع اللوائح و القوانين.
- حماية مصالح المودعين.
- I. المعايير الأساسية للحوكمة :

### 1) معايير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:

يستند تطبيق الحوكمة على مجموعة من المعايير والمبادئ المقبولة دوليا، وقد توصلت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD إلى تلك المعايير وأصدرتها عام 1999 تحت عنوان " مبادئ حوكمة الشركات" وتتكون من خمسة معايير وفي سنة 2004 أصبحت ستة ومبادئ أساسية تلخص فيما يلي:<sup>1</sup>

- أ. **ضمان وجود أساس لإطار فعال لحوكمة الشركات:** وينبغي أن يشجع هذا الإطار على الشفافية وكفاءة الأسواق، كما يجب أن يكون موافقا مع حكم القانون، وأن يحدد بوضوح توزيع المسؤوليات فيما بين السلطات الإشرافية والتنظيمية والتنفيذية.<sup>2</sup>
- ب. **ضمان حقوق المساهمين:** يجب أن يوفر إطار حوكمة الشركات حماية لضمان لحقوق المساهمين من ناحية الحق في الحصول على كافة المعلومات الهامة عن الشركة وفي الوقت المناسب، وحقهم في نقل ملكية الأسهم وحقهم في حضور الجمعيات العامة للشركة العادية وغير العادية وإتاحة الفرصة لهم للتصويت والمشاركة الفعالة في اتخاذ قرارات الجمعية العامة للشركة، وحقهم في تعيين واختيار وعزل أعضاء مجلس الإدارة، وكذلك حقهم في المشاركة في اتخاذ العديد من القرارات الإستراتيجية التي تخص الشركة مثل إصدار أسهم إضافية أو اندماج الشركة أو إجراء تعديلات هامة وجوهية في النظام الأساسي للشركة أو عقد الشركة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الوهاب نصر على، شحاته السيد شحاته، مرجع سابق، ص 80.

<sup>2</sup> - **حوكمة الشركات و أسواق المال العربية**، بحوث و أوراق عمل مؤتمر "متطلبات حوكمة الشركات و أسواق المال العربية" المنعقد في شرم الشيخ- جمهورية مصر العربية في ماي 2007، ص 97.

<sup>3</sup> - عبد الوهاب نصر على، شحاته السيد شحاته، مرجع سابق، ص 86

- ج. ضمان نفس المعاملة العادلة بين كافة المساهمين: وتعني المساواة بين حملة الأسهم داخل كل فئة، وحمائيتهم من أي عمليات استحواذ أو دمج مشكوك فيها، أو من الاتجار في المعلومات الداخلية<sup>1</sup>.
- د. احترام دور كافة أصحاب المصالح في حوكمة الشركات: يجب أن يضمن إطار حوكمة الشركات احترام دور كافة الأطراف ذوي المصلحة في حوكمة الشركات مثل الدائنين والموردين وعملاء والعاملين بالشركة وكافة الجهات الحكومية، وتوفير المعلومات اللازمة لهم بصورة وفي الوقت المناسب، وحققهم في إخطار مجلس الإدارة بأي تصرفات أو مخالفات غير قانونية أو غير أخلاقية دون أن يترتب على هذا الإخطار أي مساس بحقوق تلك الأطراف تجاه الشركة.<sup>2</sup>
- هـ. الإفصاح والشفافية: ضمان القيام بالإفصاح السليم والصحيح في الوقت المناسب عن كافة الموضوعات الهامة المتعلقة بالشركة بما في ذلك المركز المالي والأداء و حقوق الملكية و حوكمة الشركات.<sup>3</sup>
- و. التأكيد على مسؤولية مجلس الإدارة : يجب أن يؤكد الإطار العام للحوكمة على مسؤولية مجلس الإدارة في تصميم و تشغيل نظم رقابة فعالة مع التأكيد على مسؤولية مجلس الإدارة أمام المساهمين وجميع أصحاب المصلحة في الشركة و يجب أن يتخذ مجلس الإدارة القرارات السليمة التي تحقق أفضل مصلحة للشركة وللمساهمين وكافة الأطراف ذات المصلحة، ويجب أن يطبق مجلس الإدارة معايير أخلاقية تراعي مصلحة المساهمين وأن يلتزم بالقوانين واللوائح ذات الصلة، وأن يضع الخطط والإستراتيجيات والموازنات التقديرية سواء التشغيلية أو الرأسمالية وقياس الأداء الفعلي وتحديد الانحرافات واتخاذ القرارات التصحيحية اللازمة لتدعيم الانحرافات الموجبة والقضاء على الانحرافات السالبة غير الملائمة، كما يجب على مجلس الإدارة تحديد طريقة تعيين وعزل وكذلك تحديد حوافز ومكافآت المديرين التنفيذيين.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد حسن يوسف، مرجع سابق، ص 8

<sup>2</sup> - عبد الوهاب نصر على، شحاته السيد شحاته، مرجع السابق

<sup>3</sup> - حوكمة الشركات و أسواق المال العربية، مرجع سابق، ص 98

<sup>4</sup> - عبد الوهاب نصر على، شحاته السيد شحاته، مرجع سابق، ص 90، 91

(2) معايير مؤسسة التمويل الدولية:<sup>1</sup>

وضعت مؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك الدولي في عام 2003 توجيهات وقواعد ومعايير عامة تراها أساسية لدعم الحوكمة في المؤسسات، سواء كانت مالية أو غير مالية، وذلك على مستويات أربعة كالتالي:

- 1- الممارسات المقبولة للحكم الجيد.
- 2- خطوات إضافية لضمان الحكم الجيد الجديد.
- 3- إسهامات أساسية لتحسين الحكم الجيد محليا.
- 4- القيادة.

## II. المعايير الخاصة بالحوكمة في الجهاز البنكي:

تهتم لجنة بازل بالحوكمة في الجهاز البنكي حيث وضعت لها في عام 1999 إرشادات خاصة بها في هذا المجال والتي كانت بعنوان " تحسين الحوكمة المؤسسية للبنوك " "Enhancing corporate governance for banking organization" ثم أصدرت نسخة معدله منه عام 2005 وفي فيفري 2006 أصدرت نسخة محدثة كجزء من الجهود المستمرة للتطرق لمواضيع الإشراف البنكي، وهي تركز على النقاط التالية:

- (1) قيم الشركة وموائيق الشرف للتصرفات السليمة وغيرها من المعايير للتصرفات الجيدة والنظم التي يتحقق باستخدامها تطبيق هذه المعايير .
- (2) إستراتيجية للشركة معدة جيدا، والتي بموجبها يمكن قياس نجاحها الكلي ومساهمة الأفراد في ذلك.
- (3) التوزيع السليم للمسئوليات ومراكز اتخاذ القرار متضمنا تسلسلا وظيفيا للموافقات المطلوبة من الأفراد للمجلس.
- (4) وضع آلية للتعاون الفعال بين مجلس الإدارة ومدقي الحسابات والإدارة العليا.
- (5) توافر نظام ضبط داخلي قوي يتضمن مهام التدقيق الداخلي والخارجي وإدارة مستقلة للمخاطر عن خطوط العمل مع مراعاة تناسب السلطات مع المسئوليات ( Checks & Balances ).

<sup>1</sup>-فؤاد شاكر، الحكم الجيد في المصارف والمؤسسات المالية العربية حسب المعايير العالمية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر المصرفي العربي لعام 2005 " الشراكة بين العمل المصرفي والاستثمار من أجل التنمية "، منشورة في: Egyptian Banking Institute, Corporate Governance in the Banking Sector Workshop, March 2006

- (6) مراقبة خاصة لمراكز المخاطر في المواقع التي يتصاعد فيها تضارب المصالح.
- (7) الحوافز المالية والإدارية للإدارة العليا التي تحقق العمل بطريقة سليمة، وأيضاً بالنسبة للمديرين أو الموظفين سواء كانت في شكل تعويضات أو ترقية أو عناصر أخرى.
- (8) تدفق المعلومات بشكل مناسب داخليا أو إلى الخارج.
- وقد أصدرت أيضا لجنة بازل عدة أوراق عمل حول مواضيع محددة، حيث تم فيها التركيز على أهمية

الحوكمة المؤسسية وتشمل هذه الأوراق مايلي:<sup>1</sup>

- (1) مبادئ إدارة مخاطر معدل الفائدة (سبتمبر 1998).
  - (2) تحسين شفافية البنك (سبتمبر 1998).
  - (3) إطار لنظم الرقابة الداخلية في المنظمات البنكية (سبتمبر 1998).
  - (4) مبادئ إدارة مخاطر الائتمان (ماي 1998).
- وقد بينت هذه الأوراق حقيقة أن الاستراتيجيات والأساليب الفنية والتي تعتبر أساسية للحوكمة المؤسسية السليمة داخل الجهاز البنكي تتكون من عدة عناصر، نذكر منها:

- (1) توافر دليل عمل ومعايير للسلوك الملائم، ونظام لقياس مدى الالتزام بهذه المعايير.
- (2) توافر إستراتيجية واضحة للمؤسسة، يتم على ضوءها قياس نجاح المنشأة ككل، ومدى مساهمة الأفراد في هذا النجاح.
- (3) التوزيع السليم للمسؤوليات ومراكز اتخاذ القرار، متضمنا نظام هرمي لسلطات الاعتماد المتدرجة بداية من الأفراد وحتى مجلس الإدارة.
- (4) وضع آلية للتعاون والتفاعل بين مجلس الإدارة والإدارة العليا ومراجعة الحسابات.

<sup>1</sup> - Comité de Bale sur le control bancaire (Septembre 1999) « **Renforcement de la gouvernance d'entreprise pour les organizations bancaires** », Banque des reglements internationaux Bâle, Suisse ,pp 3,4

(5) توافر نظم قوية للرقابة الداخلية، تتضمن وظائف المراجعة الداخلية والخارجية، ووظائف إدارة المخاطر.

(6) رقابة خاصة لمراكز المخاطر في المواقع التي يتصاعد فيها احتمال تضارب المصالح، بما في ذلك علاقات العمل مع المقترضين المرتبطين بالبنك وكبار المساهمين والإدارة العليا ومتخذي القرارات الرئيسية في المؤسسة.

(7) الحوافز المالية والإدارية للإدارة العليا والتي تحقق العمل بطريقة ملائمة، وأيضا بالنسبة للموظفين سواء كانت في شكل مكافآت أو ترقيات أو أي شكل آخر.

(8) تدفق مناسب للمعلومات سواء إلى داخل البنك أو خارجه.

### III. العناصر التي تميز العمل البنكي من وجهة نظر الحوكمة.

يتميز العمل البنكي بأعماله المحفوفة بالمخاطر مما يستدعي إلى معرفته على طريقة كفيلة تسمح بتوزيع هذه المخاطر مع المحافظة على ربحيته، وعلى ثقة الزبائن والعملاء الذين يتعامل معهم<sup>1</sup>، وهذا ما يجعل تطبيق الحوكمة على مستوى البنوك يتميز بقليل من التعقيد والتميز عن تطبيقه في باقي القطاعات وذلك نظرا لأنها أوسع وأشمل حيث تنظر إلى مصالح الجميع بما فيهم المساهمين والمودعين، كما أن قياس الحوكمة بالبنوك يعتبر جد صعب وهذا ما يعطيها طابع الغموض "غموض البنوك وهو مرتبط بصعوبة قياس الأداء وتحديد المخاطر والذي يدعو إلى البحث عن مؤشرات تمكن من التقرب إلى واقع ممارسة السلطة داخل وخارج المستويات العليا للقرار البنكي<sup>2</sup>.

كما يجب التركيز على مجموعة من النقاط عند تطبيق الحوكمة بالبنوك والمتمثلة في:

<sup>1</sup> -Christian Noyer, "Corporate gouvernance et banque: les banques se gouvernent-telles comme d'autre Entreprises", communication au séminaires sur « **Droit, économie et justice dans le secteur bancaire** », 10 Octobre 2005, p 03.

<sup>2</sup> - Karim Ben Kahla et al, "Systèmes financiers, gouvernance bancaire et facilitation du commerce en Afrique du Nord: états des lieux et conditions de réussite des réformes", Forum pour le développement en Afrique du Nord sur « **la gouvernance des institutions financières** », Marrakech 19-20 Février 2007, p29,30.

- (1) **عنصر الثقة:** أي ثقة الجمهور في سلامة العمليات فأى شك سيقابله رد فعل والذي يتمثل في سحب الأموال و هروب المودعين ومنه انعدام الثقة في النظام البنكي ككل مما ينتج عنه الميل إلى استخدام المقايضة، وهذه الظاهرة نجدها بكثرة في اقتصاديات بعض الدول النامية.<sup>1</sup>
- (2) **تضارب المصالح:** ففي البنوك نجد هذا التضارب في النزاع الداخلي بين الربحية على المدى القصير وخطر عدم السداد، ويتم حل هذا التضارب من خلال تنفيذ نظام اتخاذ القرار الذي يحد من المخاطر ويكون مالي أكثر منه قانوني.
- (3) **تعقد الهياكل والعمليات البنكية:** مما يؤدي إلى السهولة للتعرض للأخطاء والتي تضر بالبنك.<sup>2</sup>
- (4) **أهمية السيطرة على الموارد المالية:** حيث تمثل حجم الأموال المتدفقة عن طريق الودائع تحدياً دائماً بالنسبة للبنوك. ومنه يجب تطبيق قواعد داخلية صارمة لمواجهة مخاطر الأخطاء والغش. لذا يعتبر نظام الرقابة الداخلية كعنصر أساسي للسيطرة على المخاطر التشغيلية.
- (5) **الأثر النظامي للإفلاس أو الفشل:** بما أن البنوك تشكل فيما بينها نظاماً يرتبط عن طريق مجموعة من العلاقات (إعادة التمويل، الضمانات، تقاسم المخاطر، التعاون في أنظمة الدفع...) ومنه ففشل أحد البنوك قد يؤدي إلى إفلاس المجموعة بأكملها ومنه إلى فشل النظام البنكي ككل. آثار سوء الحوكمة له أيضاً تأثير سلبي مضاعف، حيث أن أي نقص داخل البنك يؤدي بسرعة إلى فشل سلسلة الرقابة الداخلية لأن الحوكمة الجيدة تلعب دوراً رئيسياً في الحفاظ على الممارسات السليمة.

<sup>1</sup>- La Commission Bancaire en France, **Le Gouvernement d'entreprise et les établissements de crédit et entreprises d'investissement**, Étude du rapport annuel, 2005, p 171.

<sup>2</sup>- Ibid, p 172 .



#### IV. متطلبات للتقليل من مخاطر سوء الحوكمة في البنوك: <sup>1</sup>

من أجل سلامة النظام البنكي وسلامة عملياته يجب على الدول سن قوانين ووضع أدوات رقابة مناسبة، لذلك سوف يتم إدراج بعض القواعد والتي نعتبرها أساسية للتقليل من مخاطر سوء الحوكمة في البنوك والمتمثلة في:

1. يجب احترام بعض الشروط التي تخص سمعة المسير.
2. تقاسم السلطة :حيث أنه لا يجب ان يكون المسير لوحده.
3. مشاركة جيدة للمساهمين في رقابة الإدارة
4. سن القوانين واللوائح التي تلزم هيئات إدارة البنك على الامتثال لإجراءات معينة تتجاوز الالتزامات العامة .

#### ثانيا: الحوكمة العالمية لتفادي مخاطر الأزمات المالية العالمية

إن من أهم أسباب انهيار الشركات خلال الأزمة الأخيرة هو افتقار إدارتها إلى الممارسة السليمة في الرقابة والإشراف ونقص الخبرة والمهارة بالإضافة إلى نقص الشفافية وعدم إظهار البيانات والمعلومات الحقيقية التي تعبر عن الأوضاع المالية لهذه الشركات والمؤسسات الاقتصادية، لذا تعتبر الحوكمة المخرج السريع والحل المتكامل والفعال لكل هذه السلبيات .

#### I. أثر الأزمات المالية العالمية على تطور نظم الرقابة والحوكمة:

لقد كانت الحوكمة دائما وليدة الأزمات، بمعنى أن تطوير وتحسين قواعد الحوكمة كان دائما ناجما عن محاولة السلطات التشريعية والرقابية وضع قواعد وقوانين تحد أو تمنع من تكرار حدوث تلك الأزمات. فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- بعد أزمة أسعار الصرف في الولايات المتحدة الأميركية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أجاز الكونجرس الأمريكي عقب الاضطرابات المالية في عام 1907م قانون الاحتياطي الفيدرالي، الذي

<sup>1</sup> Christian NOYER, « Corporate governance et banque : les banques se gouvernent-elles comme d'autres entreprises », prononcé dans le cadre du cycle de séminaires **Droit, économie et justice dans le secteur bancaire** , Lundi 10 octobre 2005,p 5,6.

يقسم البلاد إلى اثنتا عشرة ولاية لكل ولاية بنك احتياط لتنظيم الائتمان والسياسات النقدية في الولايات المتحدة.

■ في عام 1933م وعقب أزمة 1929م صدر قانون الأوراق المالية السندات المالية الذي ينص على نشر كل المعلومات ذات العلاقة بالأوراق المالية والسندات إلى المستثمرين، منع الاحتيال الممنوع في بيع عمليات بيع السندات والأوراق المالية.

كما صدر قانون فلاس ستيقول (Glass-Steagall) الذي يفصل نشاط البنوك التجارية عن بنوك الاستثمار ويحظر على البنوك التجارية المتاجرة في الأسهم والسندات المدرجة في سوق الأوراق المالية وبتأسيس مؤسسة المودعين الاتحادية للتأمين وقد صدر هذا القانون لحماية البنوك حيث انهارت الآلاف منها وأعلن إفلاسه في أزمة 1929م بسبب خسارتها للأصول الضخمة في البورصات الأمريكية التي كانت تمتلكها. كما قامت السلطات الأمريكية بتأسيس هيئة تداول الأوراق المالية (SEC) عام 1934م ومنحتها سلطات واسعة لضمان سلامة الأسواق المالية وحماية مصالح المستثمرين من الغش والتلاعب والاحتيال.

■ في عام 1939م صدر قانون (Trust Indenture Act) والذي يحظر تداول السندات إلا بموجب عقود رسمية بين المستثمر ومصدر السند<sup>1</sup>.

■ وفي عام 1935م تم تأسيس اللجنة البنكية البلجيكية (Commission Bancaire Belge) وفي عام 1967م تم تأسيس لجنة عمليات البورصة

الفرنسية. (Commission des opérations des bourse Francaise).

■ في عام 1973م على إثر أزمة الطاقة الأولى وما أدت إليه من اضطرابات في أسواق المال العالمية تم تأسيس لجنة معايير المحاسبة

<sup>1</sup>- الهادي هباني، على الموقع الإلكتروني:

الدولية (IASB) على يد المؤسسات المحاسبية الرائدة في عشر دول وهي استراليا، وكندا، فرنسا، ألمانيا، اليابان، المكسيك، هولندا، المملكة المتحدة، إيرلندا، الولايات المتحدة الأمريكية وتمثل اللجنة في الوقت الحاضر 104 مؤسسة محاسبية مهنية من 78 بلدا وهي الهيئة المستقلة الوحيدة التي عهدت إليها المؤسسات المحاسبية المهنية الأعضاء بمسؤولية وسلطة إصدار معايير محاسبية دولية ويقوم بإدارة أعمال اللجنة مجلس يضم ممثلين عن 13 بلدا تساعد الأمانة الدائمة المتفرعة.

■ في عام 1989م صدرت عن بنك التسويات (SIB) اتفاقية بازل (1) عقب أزمة الديون في 1982م، وكذلك عقب أزمة الاثنين الأسود في عام 1987م والتي انهارت فيها كل بورصات العالم تقريبا، وتم تطويرها عقب أزمة النمرور الآسيوية وأزمة فقاعة شركات الإنترنت إلى ما يعرف حاليا باتفاقية بازل (2).

■ بعد الأزمة المالية التي عصفت باقتصاديات دول آسيا عام 1998م قامت العديد من الدول، منها كوريا وماليزيا، بوضع ضوابط لحوكمة الشركات أثبتت فاعليتها لاحقا وساهمت بشكل فعال في تحول هذه الاقتصاديات من بؤس الركود الاقتصادي إلى نعيم النمو الحقيقي.

■ وعقب الفضائح المالية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية للشركات الكبرى مثل فضيحة شركة انرون وآرثر أندرسون، وما تمخض عنها من اتهامات لمجلس إدارة شركة إنرون بالفساد وضلوع معظم أعضائه في صفقات مشبوهة، ومكتب آرثر أندرسون بالتواطؤ، جاء قانون ساربنز اوكسلي (Sarbanes-Oxley) عام 2002م لضبط أطر الحوكمة المعمول بها في الولايات الأمريكية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الموقع الإلكتروني:

[http://www.sudanile.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=7472:-----&catid=34:2008-05-19-17-14-27&Itemid=55](http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=7472:-----&catid=34:2008-05-19-17-14-27&Itemid=55)

## II. أسباب الأزمة المالية الحالية من منظور الحوكمة :

من خلال إطلاعنا على العديد من الأسباب المشار إليها في العديد من الكتابات والتحليل أردنا استخلاص الأسباب التي نتجت عن قلة تطبيق الحوكمة.

### 1. غياب الرقابة المالية الفعالة: والذي يعتبر السبب الحقيقي للأزمة المالية

العالمية حيث ومع استمرار الانهيارات المالية المتتالية اتضح أن أحد أسباب الأزمة الرئيسية كان في غياب الرقابة الكافية على أعمال بنوك الاستثمار، ووكالات التأمين الخاصة. ناهيك عن الإهمال الجسيم الذي نسب إلى شركات التقييم المالي التي اتحدت مصالحها مع المقرضين.

### 2. غياب الشفافية: ويتجلى ذلك في قيام البورصات والبنوك بالتستر على

خسائرها، وعدم إظهار المعلومات الحقيقية في قوائمها المالية.

### 3. فساد الإدارة العليا: وهو واقع الكثير من المؤسسات، مما جعلها لا تهتم كثيرا

بالقواعد البنكية، وأصبحت تبحث عن أكبر ربح، فأفرطت في تقديم القروض للأفراد وخاصة في صيغة الرهن العقاري، دون دراسات استعلامية عنهم، ودون اعتبار للسيولة وكفاية رأس المال، بل ركزت اهتمامها فقط على المرتبات والمكافآت، حيث وصلت مرتبات ومكافآت رئيس بنك " ليمان براذرز "في 2007 حوالي 486 مليون دولار.<sup>1</sup>

### 4. فساد وكالات التقييم Agences de notation: حيث أصبح التقييم لا يعبر

عن حقيقة الجدارة الائتمانية للبنوك (استثمارية وتجارية) وشركات التأمين وشركات إعادة التأمين وشركات التمويل العقاري أي القطاع المالي بأكمله.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عبد السلام عقون، كمال رزيق، الأزمة المالية الراهنة جذورها رأسمالية و حلولها إسلامية، الملتقى العلمي

الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، جامعة فرحات عباس- سطيف-، أيام

20-21 أكتوبر 2009

<sup>2</sup> -راضية بوزيان، الأزمة المالية و آثارها على إقتصاديات العالم العربي، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية

و الاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، مرجع سابق، ص 14

### 5. فساد المديرين ومكاتب المحاسبة والمراجعة في بعض الشركات العملاقة:

في عام 2005 انتشر خبر التلاعب في بيانات كبرى الشركات الأمريكية وإفلاس بعض هذه الشركات ووصول بعضها إلى مرحلة شفا الإفلاس. وقد بدأت هذه الأوضاع المتردية بإعلان شركة " إنرون " العملاقة في مجالات الطاقة، وقد أدين مكتب المحاسبة والمراجعة الأمريكي العالمي " آرثر أندرسون " بتدمير الوثائق والمستندات الخاصة بشركة " إنرون "، كذلك أعلنت شركة " زيروكس " الرائدة في مجال أجهزة تصوير المستندات أنها خفضت إيراداتها بحوالي 6 مليار دولار وذلك بعد قيامها بعملية مراجعة لحساباتها عن السنوات 2001/1997.

أما شركة " وورلد كوم " وهي ثاني أكبر شركة للاتصالات في العالم، فقد اعترفت بالتحايل لإخفاء نفقات بحوالي 3,8 مليار دولار، أما عن أسهم الشركة فقد انخفضت قيمة السهم من 60 دولار إلى 10 سنت ومن ثم خسر حملة أسهم الشركة حوالي مائة مليار دولار، وزادت مديونيتها إلى أكثر من 30 مليار دولار في شكل سندات عجزت عن سدادها.

إن التلاعب في بيانات بعض الشركات الأمريكية تمثل في تقليل النفقات الحقيقية وتضخيم الإيرادات الحقيقية ومن ثم إظهار أرباح وهمية وبالتالي يستفيد مديرو هذه الشركات نتيجة تضخيم مكافآتهم السنوية ومكافآت نهاية الخدمة في الوقت الذي لا يبالون فيه بالخسائر التي تلحق بحملة الأسهم و أصحاب المعاشات من جراء إفلاس الشركات أو هبوط أسعار الأسهم في البورصة<sup>1</sup>.

### III. حلول الأزمة المالية الحالية من وجهة نظر الحوكمة

لقد أثبتت عدة دراسات وأبحاث أهمية الحوكمة البنكية في معالجة الأزمات البنكية والمالية، ولعل الأزمة المالية الراهنة التي يشهدها الاقتصاد العالمي أعادت طرح هذا الموضوع بشكل بارز، وجعلت التطبيقات السليمة في مجال إدارة المخاطر وممارسة

<sup>1</sup>-راضية بوزيان، مرجع سابق، ص 15

رقابة بنكية فعالة ضمن أولويات تطبيق حوكمة جيدة ومن خلال هذه الدراسة حاولنا البحث على الحلول الممكن تطبيقها من منظور الحوكمة لحل أو تفادي مخاطر الأزمة المالية الحالية أو أي أزمة كانت ومن بينها يمكن ذكر ما يلي:

- ✓ تفعيل دور الرقابة الصارمة على البنوك وعلى أسواق المال العالمية، وإعطاء مزيد من الشفافية على معاملاتها وردع أصحاب الصفقات المشبوهة.
- ✓ وضع ضوابط أكبر على عمليات الإقراض العقاري، وعلى عمليات تداولها بين البنوك كأصول مستثمرة، كما أنه لا بد من تصحيح هامش الإقراض العقاري مع تغير قيمة العقار في السوق.
- ✓ مكافحة الجشع والطمع.<sup>1</sup>
- ✓ إلزام كافة البنوك والشركات بالمزيد من الإفصاح والشفافية فيما يخص البيانات المالية وقوائمها.<sup>2</sup>
- ✓ العمل على خلق لجان للحوكمة على مستوى البنوك تحت إشراف البنك المركزي.<sup>3</sup>
- ✓ ربط مكافآت المسؤولين التنفيذيين وهيكلية الحوافز بكل من الأداء على المدى البعيد، ومستوى المخاطر بالنسبة للشركة، كما ينبغي توفير مزيد من الإفصاح والشفافية بشأن نظام مكافآت المسؤولين التنفيذيين، ويجب أن تقوم الشركات بإخضاع نظام المكافآت لتدقيق المساهمين وموافقتهم.
- ✓ تعزيز ممارسات حوكمة الشركات، لاسيما من خلال تطوير كفاءات ومسؤوليات أعضاء مجالس الإدارة، الذين يجب أن يبقوا على إطلاع دائم

<sup>1</sup> - حسين بورغدة، الأزمة المالية العالمية: الأسباب، الآثار و الحلول المقترحة لمعالجتها، الملتقى العلمي الدولي

حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، مرجع سابق، ص 18

<sup>2</sup> - حول الأزمة المالية ودور أجهزة الرقابة المالية على الموقع الإلكتروني:

<http://www.libyansai.gov.ly/modules/publisher/item.php?itemid=6> 13/04/2010

<sup>3</sup> - شريقي عمر، دور و أهمية الحوكمة في استقرار النظام المالي، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية

والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، مرجع سابق، ص 12.

على أحدث مستجدات القطاع المالي ليتمكنوا من القيام بالمهام المسندة إليهم، كما يمكن أن يخضعوا إلى التدريب عند الضرورة. ويجب على مجالس الإدارة إجراء تقييم سنوي لأداء أعضائها الذين يجب أن يكونوا مسئولين أمام المساهمين<sup>1</sup>.

✓ على الدولة بمعناها الواسع أن تضطلع بدور بالغ الأهمية في هذه العملية نظرا إلى دورها في حماية المصلحة العامة التي تغلب على المصالح الفكرية أو الجزئية التي تظهر داخل المجتمع، فالدولة هي صانعة القواعد القانونية وهي المسؤولة عن مراقبة تنفيذها وهو ما يوجب دعم أجهزة الرقابة البنكية على المؤسسات المالية.

✓ ضرورة إعادة توجيه نظام إدارة الأسواق صوب حوكمة أفضل تتمتع بشفافية أكبر، وعلى الصعيد الدولي لابد من إعادة التفكير في دور وتركيب وإدارة العولمة الاقتصادية والمالية وتعزيز القواعد المنظمة بشكل متعقل.

✓ ضرورة أن ينهض القانون بدور هام في مراقبة النظام المالي الذي يحكم الأدوات المالية المبتكرة.

✓ عملية التنظيم في وقت الأزمة سوف تساعد على إنعاش الاقتصاد ولكن يجب أن يلاحظ في ذات الوقت أن كثرة القواعد التنظيمية قد يكون من شأنه أن يخنق الاقتصاد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - مريم الشريف جحنيط، علاقة الالتزام بمعايير الحوكمة بالأزمة المالية العالمية. الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، مرجع سابق. ص 20

<sup>2</sup> - أحمد فتحي سرور، محاضرة منشورة حول دور القانون في حل الأزمة المالية و الاقتصادية، واشنطن، نوفمبر

ثالثاً: تعزيز إدارة المخاطر والحوكمة وتفادي الأزمات من خلال تطبيق بازل 3

### I. إتفاقية بازل I

قد قامت لجنة بازل، إدراكاً منها إلى أن سلامة القطاع البنكي إنما تتوقف على حسن مواجهة المخاطر التي تتعرض لها البنوك، بإصدار اتفاقية كفاية رأس المال في 1988 Balle Capital Accord حيث حددت نسبة 8% كحد أدنى لكفاية رأس المال لمواجهة مخاطر الائتمان في البنوك. وقد أخذت الدول الصناعية - بشكل عام - بالانصياع إلى هذه القواعد ولم يلبث أن أصبحت هذه الأحكام من القواعد والمعايير العامة التي أخذت بها مختلف الدول خارج الدول الصناعية<sup>1</sup>. وكانت هذه التوصيات مبنية على مقترحات تقدم بها "كوك COOKE"، والذي أصبح بعد ذلك رئيساً لهذه اللجنة، لذلك سميت تلك النسبة السابقة لكفاية رأس المال بنسبة بال، أو نسبة كوك، ويسمىها الفرنسيون أيضاً معدل الملاءة الأوروبي KRSE ويمكن أن نوضح كيفية حساب معدل كفاية رأس المال حسب إتفاقية بازل في المعادلة التالية:<sup>2</sup>

$$\text{معدل كفاية رأس المال} = \frac{\text{رأس المال ( الشريحة الأولى + الشريحة الثانية )}}{\text{مجموع التعهدات و الالتزامات بطريقة الخطر المرجح}} \leq 8\% .$$

مجموع التعهدات و الالتزامات بطريقة الخطر المرجح

بحيث:

- رأس المال = رأس المال الأساسي (الشريحة الأولى) + رأس المال المساند (الشريحة الثانية) .

• تتكون الشريحة الأولى من حقوق المساهمين بالإضافة إلى الاحتياطات المعلنة.

<sup>1</sup> - الملامح الأساسية لاتفاقية بازل 2 و الدول النامية، دراسة قدمت إلى الاجتماع السنوي الثامن والعشرين لمجلس

محافظي المصارف المركزية. ومؤسسات النقد العربية والذي عقد في القاهرة بجمهورية مصر العربية في

سبتمبر 2004، صندوق النقد العربي، أبوظبي، ص 14.

<sup>2</sup> - عبد المطلب عبد الحميد، العولمة و اقتصاديات البنوك، الدار الجامعية، مصر، 2000، ص 96.



- أما الشريحة الثانية تتكون من الاحتياطات غير المعلنة و احتياطات اعادة التقييم بالإضافة الى المخصصات العامة / احتياطات الديون المشكوك في تحصيلها و القروض المساندة متوسطة وطويلة الأجل
- الأصول المرجحة بأوزان المخاطرة = تبويب الأصول إلى مجموعات × أوزان المخاطرة المخصصة

## II. اتفاقية بازل II : Balle II

بعد وضع النسبة السابقة (Balle I)، رأّت البنوك ضرورة إعادة النظر في احتساب كفاية رأس المال لديها، وذلك مقابل المخاطر المتنوعة التي أصبحت تتعرض لها، خاصة في ظل انتشار التعامل بالأدوات المالية الحديثة كالمشتقات، لذلك أصدرت اتفاقية خاصة لاحتساب الملاءة المتعلقة بمخاطر السوق فقط سنة 1996، وهي مطروحة منذ سنة 1998م. وفي جوان 1999م نشرت لجنة بازل اقتراحات أولية لإطار جديد لقياس الملاءة البنكية (كفاية رأس المال) يحل محل اتفاقية عام 1988م، وتدخل فيه معايير تأخذ في الاعتبار ويشكل أكثر دقة وشمولية معامل المخاطرة في ميزانيات البنوك، وهو الذي عرف باتفاقية (بازل II).

يقوم الاتفاق الجديد على ثلاثة أسس هي :

- 1- طريقة مستحدثة لحساب كفاية رأس المال المرجح بالمخاطر واللازم لمواجهة مخاطر السوق ومخاطر التشغيل ومخاطر الائتمان.
- 2- ضمان وجود طريقة فعالة للمراجعة والمراقبة، أي أن يكون للبنك أو غيره من المؤسسات المالية الخاضعة لإشراف الجهات الرقابية الآلية للتقييم الداخلي لتحديد رأس المال الاقتصادي، وذلك من خلال تقييم المخاطر المرتبطة بذلك.
- 3- نظام فعال لانضباط السوق والسعي إلى استقراره، وهذا يتطلب من أي بنك أو مؤسسة مالية أن تقوم بالإفصاح عن رأسمالها ومدى تعرضها للأخطار، والطرق المتبعة لتحديد حجم الخطر حتى يكون عملاء هذه المؤسسات ودائنو ها

على علم بها، وليمكنوا من تقدير المخاطر التي يواجهونها نتيجة تعاملهم مع هذه المؤسسات.

بالنسبة لكفاية رأس المال سمحت الخطة الجديدة للبنوك بوضع نماذج داخلية لتحديد رأس المال اللازم لمقابلة مخاطر السوق، والتي قد تختلف من بنك لآخر، كما منحت لها المرونة في التطبيق، إذ تعطي هذه الاتفاقية البنوك حرية اختيار مناهج مبسطة أو أكثر تعقيدا في هذا التحديد حسب حجم البنوك وقدرتها على التعامل مع تلك المخاطر<sup>1</sup>.

إذن العلاقة المعدلة لحساب كفاية رأس المال أصبحت كما يلي :

$$\frac{\text{إجمالي رأس المال ( شريحة 1 + شريحة 2 + شريحة 3 )}}{\leq 8\%}$$

الأصول المرجحة بأوزان 0 لمخاطرة + مقياس المخاطرة السوقية  $\times 1,5$  2

- الشريحة الأولى: رأس المال المدفوع+الاحتياطيات+الأرباح المحتجزة
- الشريحة الثانية: رأس المال المساند
- الشريحة الثالثة: الدين متأخر الرتبة قصير الأجل

### ❖ بازل II نهج شامل لتنظيم العمل البنكي

إن مبادئ لجنة بازل تشكل دليل (أو مرشد) عالمي للحيطه تهدف إلى فهم أفضل للمخاطر، والالتزامات البنكية وربطها برأس مال كل بنك، وتعمل من أجل تحقيق التقارب الدولي لأنماط تنظيم الأنشطة البنكية وتوحيد نهج المخاطر وهي تركز وتكمل بازل I انطلاقا من نظرة أكثر عالمية وديناميكية للمخاطر والرغبة في تعزيز إدارة أفضل لهذه الأخيرة، وقد تضمنت هذه الاتفاقية محاور ثلاثة هي:

<sup>1</sup> -سليمان ناصر، النظام المصرفي الجزائري واتفاقيات بازل، ملتقى المنظومة المصرفية الجزائرية و التحولات الاقتصادية، واقع وتحديات، يومي 14 و 15 ديسمبر 2004، جامعة الشلف، ص ص 290، 291

- (1) يجب على مؤسسات الإقراض احترام الحد الأدنى من رأس المال لتغطية المخاطر الإقراضية والتشغيلية والسوقية ( المتطلبات الدنيا لرأس المال).<sup>1</sup>
- (2) يجب أن تضمن البنوك المركزية بأن المؤسسات الإقراضية تمتلك أدوات تمكنها من إدارة المخاطر وتوفر المستوى الكاف من رأس المال<sup>2</sup>، (متابعة السلطات الإشرافية لكفاية رأس المال) ويستند هذا المحور إلى مبادئ أربعة أساسية وهي:<sup>3</sup>
- المبدأ الأول:** يتعين قيام البنوك بعملية تقييم شاملة لمدى كفاية وتناسب رأس مالها مع حجم وطبيعة المخاطر التي تواجهها.
- المبدأ الثاني:** ينبغي على المراقبين أن يقوموا بمراجعة وتقييم التقديرات الداخلية للبنوك بشأن كفاية رأس المال بالإضافة إلى قدرتها على الإشراف وضمان التزامها بمعدلات رأس المال.
- المبدأ الثالث:** ينبغي على المراقبين أن يتوقعوا قيام البنوك بتحقيق مستويات من رأس المال أعلى من الحدود الدنيا الواجب الاحتفاظ بها وأن يكون لهؤلاء المراقبين القدرة على مطالبة البنوك بتوفير أية احتياجات إضافية مطلوبة من رأس المال.
- المبدأ الرابع:** ينبغي على المراقبين التدخل في مراحل مبكرة لمنع انخفاض رأس مال البنك عن الحدود الدنيا الواجب الاحتفاظ بها ولهم أن يطلبوا اتخاذ الإجراءات اللازمة لعلاج جوانب القصور وبحيث يتم استيفاء نسب رأس المال المطلوب على وجه السرعة.
- (3) يجب على مؤسسات الإقراض نشر معلومات موثقة ومنتظمة حول المخاطر المحتملة، كذلك حول أدوات السيطرة عليها وحول كفاية رؤوس أموالها.

### ❖ من بازل 2 إلى بازل 3

<sup>1</sup> -Ben Kahla,K et al (Février 2007), «Systèmes financiers gouvernance bancaire et facilitation du commerce en Afrique du Nord : états des lieux et conditions de réussite des réformes», CEA,pp 30,31

<sup>2</sup> - Ben Kahla,K et al ,op.cit

<sup>3</sup> -أحمد غنيم، أحمد غنيم، الأزمات المصرفية و المالية، بدون دار النشر، 2004، ص 44،43

بازل III هي اتفاقية تم إصدارها بعد اجتماع محافظي البنوك المركزية والمسؤولين الماليين الممثلين للأعضاء الـ 27 للجنة بازل بعد توسيعها، وذلك في مقر اللجنة في بنك التسويات الدولية (BIS) في مدينة بازل السويسرية في 12 سبتمبر 2010،<sup>1</sup> وذلك بعد الأزمة المالية "أزمة الرهن العقاري" التي عاشها العالم، والذي كان المتسبب الرئيسي بها البنوك والمؤسسات المالية، والتي كان لا بد من إعادة النظر في القوانين والقواعد الدولية التي تنظم عمل البنوك، فقامت لجنة بازل بدراسة مقررات بازل II وذلك بهدف تعديلها وإعادة تنظيمها لتغطية العوامل التي أدت إلى هذه الأزمة المالية.<sup>2</sup> وبالتالي فهو يعتبر بمثابة مجموعة شاملة من الإجراءات الإصلاحية حيث لا بد للبنوك أن تمتثل تدريجياً لبازل 3، على الرغم من أنه ليس من المتوقع أن يكون التنفيذ الكامل لكل القواعد الجديدة قبل عام 2019.<sup>3</sup>

كما أصدرت لجنة بازل للإشراف البنكي ثلاث وثائق تعكس عملية اصلاح بهدف تقوية قاعدة رأس المال والسيولة وتعزيز مرونة القطاع البنكي والتي تمثلت فيما يلي:<sup>4</sup>

1. بنك التسويات الدولية، اتفاقية بازل 3: الإطار الدولي للعمل الإشرافي لتعزيز مرونة البنوك والقطاعات البنكية في مختلف دول العالم، ديسمبر 2010.
2. بنك التسويات الدولية، اتفاقية بازل 3: اطار العمل الدولي لقياس مخاطر

<sup>1</sup> - محمد بن بوزيان وآخرون، "البنوك الإسلامية و النظم و المعايير الاحترازية الجديدة: واقع و آفاق تطبيق لمقررات بازل 3"، المؤتمر العالمي الثامن للاقتصاد و التمويل الإسلامي النمو المستدام و التنمية الإسلامية الشاملة من منظور إسلامي، 19-21 ديسمبر 2011، الدوحة، دولة قطر، ص 28.

<sup>2</sup> - فلاح كوكش، أثر اتفاقية بازل 3 على البنوك الأردنية، مقال متاح على الموقع:

<http://www.ibs.edu.jo/files/Falah%20kokash.pdf>, le 07/03/2013, à 14:00

<sup>3</sup> - البنك المركزي المصري، "ما هي بازل 3"، مفاهيم مالية، العدد الخامس عشر، ص 1.

<sup>4</sup> - إصدار لجنة بازل للإصلاحات والمبادئ والمعايير التي تتكون منها اتفاقية بازل الثالثة Basel III بإطارها، الطبعة الثالثة عشر، نوفمبر 2011، ص 655

2. BIS, Basel III :International Framework for Liquidity risk Measurement, Standards and Monitoring, December 2010. السيوولة ومعاييرها وكيفية الرقابة عليها، ديسمبر 2010.
3. البيان الصحفي، الحد الأدنى للمتطلبات الخاصة بضمان امتصاص الخسائر عند التعسر، مرجع رقم (2011/2) بتاريخ 13 يناير .
3. Press Release, Minimum requirements to ensure loss absorbency at the point of nonviability, Ref .No 02/2011, dated January 13, 2011

يهدف إطار عمل بازل III إلى:

- ❖ تحسين قدرة البنوك على امتصاص الصدمات التي تنشأ عند حدوث الأزمات المالية والاقتصادية وتقليل خطر انتقال الآثار من القطاع المالي إلى الاقتصاد الحقيقي.<sup>1</sup>
  - ❖ ترسخ بشكل أساسي المعايير العالمية الخاصة برأس المال .
  - ❖ ضمان الاستقرار والنمو المالي على المدى البعيد.<sup>2</sup>
  - ❖ تعزيز إدارة المخاطر والحوكمة، وتقوية قدرة البنوك على إتباع مبادئ الشفافية والإفصاح.<sup>3</sup>
- ويشكل أكثر تفصيلاً، فقد ركزت التعديلات على الدعامات الأولى من «بازل 2»، وفق ما يلي:

- تغييرات على إطار مخاطر السوق؛
- تغييرات على إطار التسديد؛

<sup>1</sup> -إصدار لجنة بازل للإصلاحات والمبادئ والمعايير التي تتكون منها اتفاقية بازل الثالثة Basel III بإطارها، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - معهد الدراسات المصرفية، إضاءات، العدد 5، نشرة توعوية، دولة الكويت، ديسمبر 2012، ص 2 متاحة على الموقع:

[http://www.kibs.edu.kw/pdf-doc/publications/Edaat/EDAAT\\_Dec\\_2012\\_Basel\\_III.pdf](http://www.kibs.edu.kw/pdf-doc/publications/Edaat/EDAAT_Dec_2012_Basel_III.pdf),

le 28 /02/2013, à 10:08h.

<sup>3</sup> -البنك المركزي المصري، مرجع سابق

- تحسين نوعية رأس المال، وزيادة احتياطات رأس المال، وتخفيض الدورية لمتطلبات رأس المال؛
  - السعي لتدعيم المشرفين على البنوك بأدوات أكثر فعالية لملاءمة متطلبات رأس المال بحسب وضعية المخاطر في كل بنك.
- كذلك أجريت تعديلات واسعة على **الدعامة الثانية** شملت التركيز على المخاطر في جميع أنحاء البنك، ومواضيع محددة تتعلق بقياس وإدارة المخاطر، ومخاطر السمعة. وشملت التعديلات **الدعامة الثالثة** لجهة التشدد في الإفصاح من قبل البنوك، بما يؤدي إلى صورة أكثر شمولاً لمخاطرها، وهذا الأمر يشكل ضغطاً بشكل غير مباشر على البنوك التي تتمتع برأسمال غير كافٍ مقابل مستوى مخاطرها.<sup>1</sup>

#### ❖ النقاط الرئيسية للمعيار الجديد لرأس المال:

تنفيذ بازل 3 سوف يقوم ب:<sup>2</sup>

- **تحسن كبير في نوعية رأس مال البنوك :** إن تحسين نوعية رأس المال يؤدي إلى تحسين القدرة على استيعاب الخسائر وبالتالي متانة وصلابة البنوك في وجه الأزمات.
- **زيادة كبيرة في متطلبات رأس المال بالنسبة للبنوك:** يعتبر من أهم المعايير المعتمدة لقياس متانة المؤسسات البنكية من الناحية المالية، حيث يتوجب من جهة الرفع في الحد الأدنى لرأس المال من 2% إلى 4.5%.

<sup>1</sup>- جوزف طربية، خريطة طريق الى بازل 3، جريدة الشرق الأوسط، يوم 11.06.2012 على الساعة 23:49 متاحة على الموقع:

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=6&article=596406&issueno=11683>

<sup>2</sup> -Jaime Caruana , **Bâle III : vers un système financier plus sûr**, 3<sup>e</sup> Conférence bancaire internationale Santander Madrid, le 15 septembre 2010,p2

أما بالنسبة لرأس المال الأساسي (أي الشريحة 1) سيتوجب رفعها من 4% إلى 6%، ومن جهة أخرى يجب على البنوك أن تمتلك صندوقاً احتياطي رأس المال الإضافي الذي يقدر بـ 2.5% من أسهمها المشتركة ليمنحها قوة أكبر لمواجهة أزمة اقتصادية في المستقبل طبعاً هذه الاحتياطات يتم تكوينها خلال فترات الانتعاش الاقتصادي، كما يتوجب على البنوك زيادة الاستثمار في الأصول قليلة المخاطر من جهة والحد من التعرض للأصول التي تحمل مخاطر عالية من جهة أخرى هذا طبعاً قد يقلص من الأرباح التي يجنيها البنك لكنه سيسمح له بالتركيز على دوره الاقتصادي وهو إقراض الاقتصاد بدلاً من العمل على جني مكاسب من خلال المتاجرة بأدوات مالية عالية المخاطر، كما يسمح هذا الاحتياطي للبنك بدعم عملياته في فترات الضغط.

وبالتالي إن الزيادة في الحد الأدنى لرأس المال في البنوك وعلى المستوى العالمي كان من أجل استيعاب الخسائر (امتصاص الخسائر) في فترة الأزمات دون النزول تحت الحد الأدنى .

حيث تم الرفع من معدل الملاءة لرأس المال من 8% إلى 10.5% وهذا معناه تقليل حجم الديون المسموح تحملها من قبل البنوك و يعني كذلك أنه يجب على البنوك الالتزام بهذا البند وتوفير رؤوس أموال إضافية.

• **خفض المخاطر النظامية:** التعديل الذي شمل رأس المال يهدف من جانب آخر إلى مواجهة الخطر الذي يسبب اضطرابات في النظام المالي وبالتالي زعزعة الاستقرار للإقتصاد الكلي.

وبالتالي فإن تعزيز متطلبات الحيطة في القطاع المالي على النحو المقترح من طرف لجنة بازل سيكون لها تأثير كبير على تمويل الإقتصاد وخاصة المؤسسات. تطرقت الاتفاقية الجديدة لعنصر آخر مهم ويتمثل في متطلبات الحد الأدنى للسيولة حيث تفرض على البنوك الإحتفاظ بنسب سيولة كافية لـ 30 يوماً لتغطية الإستحقاقات قصيرة الأجل هذا الأمر قد يحد من قدرة البنك على القيام بعمليات

إقراض فورية، ومن الواضح أن لجنة بازل ترغب في بلورة معيار عالمي للسيولة وتقترح اعتماد نسبتين.

- معيار السيولة على المدى القصير: يعرف بنسبة تغطية السيولة (LCR)، وسيتم تنفيذه ابتداءً من 1 جانفي 2015 وهو يهدف إلى جعل البنك يلبي ذاتيا احتياجات السيولة في حال طرأت أزمة.
- معيار السيولة على المدى الطويل (NSFR): ويهدف إلى أن يتوفر للبنك مصادر تمويل مستقرة لأنشطته.

#### • إتاحة الوقت الكافي للإنتقال إلى النظام الجديد:

اتفاقيات بازل 3 توفر الإدخال التدريجي لهذه المعايير الاحترازية الجديدة إلى غاية جانفي 2019 يمكن أن تظهر الآثار الكاملة للوائح الجديدة

**الخاتمة:**

من خلال هذه الورقة تم التوصل الى النتائج التالية:

- تعد اتفاقية بازل 3 فرصة وكذلك تحدياً للبنوك، حيث ستؤثر لوائح اتفاقية بازل 3 الجديدة على جميع البنوك، إلا أن شدة هذا التأثير قد تختلف تبعاً لاختلاف نوع وحجم البنوك.
- من المجالات الرئيسية التي ركزت عليها لجنة بازل هي: التشديد على اضطلاع مجلس الإدارة بمسؤوليته الكلية عن البنك، بما في ذلك استراتيجية أعماله ومخاطره وتنظيمه والسلامة المالية والحوكمة، إضافةً إلى قيام الإدارة العليا بالتأكد من أن نشاطات البنك تتفق مع استراتيجية الأعمال وتحمل المخاطر والسياسات التي وافق عليها المجلس وكل ذلك تحت توجيه مجلس الإدارة، ناهيك عن وجوب أن يكون لدى البنك وظيفة مستقلة لإدارة المخاطر مع سلطة ومكانة واستقلالية وموارد كافية وإمكان إبلاغ معلوماتها إلى المجلس، فضلاً عن نظام التعويضات والمكافآت، والإفصاح والشفافية .



■ تنفيذ مبادئ الحوكمة السليمة في البنوك والمؤسسات والأسواق المالية يعتبر أمر ضروري للحفاظ على استقرار القطاع البنكي والمالي، إذ يشكل أحد أهم أسس استقرار الاقتصاد الوطني ويعزز حماية حقوق المستثمرين، ويقوّي نظم الرقابة ومكافحة الفساد ونجاح القطاع الخاص، والعمل على تفادي الأزمات المالية والاقتصادية.

■ لقد كشفت الأزمة المالية العالمية عن نقاط ضعف كبيرة في ممارسات حوكمة الشركات لدى البنوك حول العالم. وتركيبية مجالس الإدارة وإدارة المخاطر، بالإضافة إلى فشل الجهات التنظيمية والرقابية في كثير من الدول في تقدير حجم المخاطر بصورة سليمة وصحيحة ولم تترجمها إلى إجراءات تنفيذية واضحة.

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الدراسات تظهر أن هناك العديد من الإصلاحات والتحسينات المطلوبة لتحقيق الاستقرار المالي في الاقتصاد الإفريقي والاقتصاديات النامية، التي قد تكون أهم من متطلبات بازل 3 وتتضمن الآتي:

1. تعزيز الإفصاح عن المعلومات عالية الجودة.
2. استخدام قواعد المحاسبة المقبولة دولياً والتي تتصف بالشفافية.
3. في عصر الأزمات أصبح لزاماً على البنوك أن تطور أنظمة الحوكمة فيها من أجل بلورة استراتيجياتها وآليات صنع القرار فيها بالكيفية والسرعة اللازمتين للتعامل مع العالم الخارجي، بما في ذلك البنوك الدولية.
4. زيادة الالتزام بجوهر قواعد بازل الخاصة بالإشراف البنكي الفعال، وأخيراً تقوية الإطار القانوني والدستوري من خلال تقديم نظام إدارة الأزمات وحل المشكلات.
5. تقبل التغيير والالتزام بخط واضح في أخذ المخاطر، وعدم الانجراف نحو الريح السريع لتحقيق التفوق في المدى القصير، وتحمل مسؤوليات القرارات واعتماد الشفافية في التعامل مع السلطات الرقابية، والانفتاح على ما يحصل في الأسواق الأخرى والإفادة منها، والتخطيط لما قد يحصل

وزيادة الرسملة فوق الحدود الدنيا، وزيادة السيولة للتعامل مع السحوبات غير المنتظرة وتأمين استمرارية الإدارة بإعطاء الصلاحيات للعناصر القيادية لتأمين حسن الأداء مستقبلاً.

## ❖ المراجع باللغة العربية:

### 1. الكتب:

1. محمد مصطفى سليمان، حوكمة الشركات و معالجة الفساد المالي و الإداري، الدار الجامعية، مصر، 2006.
2. عبد الوهاب نصر على، شحاته السيد شحاته، مراجعة الحسابات و حوكمة الشركات، الدار الجامعية، مصر، 2007/2006.
3. عبد المطلب عبد الحميد، العولمة و اقتصاديات البنوك، الدار الجامعية، مصر، 2000.
4. أحمد غنيم، الأزمات المصرفية و المالية، بدون دار النشر، 2004.

### 2. الملتقيات

1. حوكمة الشركات و أسواق المال العربية، بحوث و أوراق عمل مؤتمر "متطلبات حوكمة الشركات و أسواق المال العربية" المنعقد في شرم الشيخ- جمهورية مصر العربية في ماي 2007.
2. فؤاد شاكر، الحكم الجيد في المصارف و المؤسسات المالية العربية حسب المعايير العالمية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر المصرفي العربي لعام 2005 " الشراكة بين العمل المصرفي والاستثمار من أجل التنمية"، منشورة في: Egyptian Banking Institute, Corporate Governance in the Banking Sector Workshop, March 2006
3. عبد السلام عقون، كمال رزيق، الأزمة المالية الراهنة جذورها وأسمايها و حلولها إسلامية، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية و الحوكمة العالمية، جامعة فرحات عباس- سطيف-، أيام 20-21 أكتوبر 2009.
4. راضية بوزيان، الأزمة المالية و آثارها على إقتصاديات العالم العربي، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية و الحوكمة العالمية، مرجع سابق.
5. حسين بورغدة، الأزمة المالية العالمية: الأسباب، الآثار و الحلول المقترحة لمعالجتها، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية و الحوكمة العالمية، مرجع سابق.
6. شريقي عمر، دور و أهمية الحوكمة في استقرار النظام المالي، الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية و الحوكمة العالمية، مرجع سابق.
7. مريم الشريف جحنيط، علاقة الالتزام بمعايير الحوكمة بالأزمة المالية العالمية. الملتقى العلمي الدولي حول: الأزمة المالية و الاقتصادية الدولية و الحوكمة العالمية، مرجع سابق.
8. سليمان ناصر، النظام المصرفي الجزائري و اتفاقيات بازل، ملتقى المنظومة المصرفية الجزائرية و التحولات الاقتصادية، واقع و تحديات، يومي 14 و 15 ديسمبر 2004، جامعة الشلف.

9. محمد بن بوزيان وآخرون، "البنوك الإسلامية و النظم و المعايير الاحترازية الجديدة: واقع و آفاق تطبيق لمقررات بازل 3"، المؤتمر العالمي الثامن للاقتصاد و التمويل الإسلامي النمو المستدام و التنمية الإسلامية الشاملة من منظور إسلامي، 19-21 ديسمبر 2011، الدوحة، دولة قطر .

### 3. المجالات والدوريات

1. دهمش نعيم، إسحق أبو زر عفاف، تحسين وتطوير الحاكمية المؤسسية في البنوك. مجلة البنوك في الأردن، العدد العاشر، المجلد الثاني والعشرون، ديسمبر 2003 .
2. مجلة اقتصاد و أسواق، -العدد(57)، مارس 2008، السنة الخامسة .
3. الملامح الأساسية لاتفاقية بازل 2 و الدول النامية، دراسة قدمت إلى الاجتماع السنوي الثامن والعشرين لمجلس محافظي المصارف المركزية. ومؤسسات النقد العربية والذي عقد في القاهرة بجمهورية مصر العربية في سبتمبر 2004، صندوق النقد العربي، أبوظبي .
4. البنك المركزي المصري، "ما هي بازل 3"، مفاهيم مالية، العدد الخامس عشر .
5. إصدار لجنة بازل للإصلاحات والمبادئ والمعايير التي تتكون منها اتفاقية بازل الثالثة Basel III بإطارها، الطبعة الثالثة عشر، نوفمبر 2011 .
6. معهد الدراسات المصرفية، إضاءات، العدد 5، نشرة توعوية، دولة الكويت، ديسمبر 2012، ص 2 متاحة على الموقع:  
[http://www.kibs.edu.kw/pdf-doc/publications/Edaat/EDAAT\\_Dec\\_2012\\_Basel\\_III.pdf](http://www.kibs.edu.kw/pdf-doc/publications/Edaat/EDAAT_Dec_2012_Basel_III.pdf),  
le 28 /02/2013, à 10:08h.

### 4. المقالات

1. الحوكمة في المصارف .مقال متاح على الموقع الإلكتروني:  
<http://www.idbe-egypt.com/doc/governance.doc> Consulter le 1/03/2010 a 22.48
2. حول الأزمة المالية ودور أجهزة الرقابة المالية على الموقع الإلكتروني:  
<http://www.libyansai.gov.ly/modules/publisher/item.php?itemid=6> le 13/04/2010
3. أحمد فتحي سرور، محاضرة منشورة حول دور القانون في حل الأزمة المالية و الإقتصادية، واشنطن، نوفمبر 2009 على الموقع الإلكتروني : le 13/04/2010  
[www.parliament.gov.eg/NR/rdonlyres/298CD1FF-5800.../Unnamed.pdf](http://www.parliament.gov.eg/NR/rdonlyres/298CD1FF-5800.../Unnamed.pdf)
4. فلاح كوكش، أثر اتفاقية بازل 3 على البنوك الأردنية، مقال متاح على الموقع:  
<http://www.ibs.edu.jo/files/Falah%20kokash.pdf>, le 07/03/2013, à 14:00
5. جوزف طربية، خريطة طريق الى بازل 3، جريدة الشرق الأوسط، يوم 11.06.2012 على الساعة 23:49 متاحة على الموقع:  
<http://www.aawsat.com/details.asp?section=6&article=596406&issueno=11683>

## ❖ المراجع باللغة الأجنبية:

1. Comité de Bale sur le control bancaire (Septembre 1999) « **Renforcement de la gouvernance d'entreprise pour les organizations bancaires** », Banque des reglements internationaux Bâle, Suisse.
2. Christian Noyer, "Corporate gouvernance et banque: les banques se gouvernent-elles comme d'autre Entreprises", communication au séminaires sur « **Droit, économie et justice dans le secteur bancaire** », 10 Octobre 2005.
3. Karim Ben Kahla et al, "Systèmes financiers, gouvernance bancaire et facilitation du commerce en Afrique du Nord: états des lieux et conditions de réussite des réformes", Forum pour le développement en Afrique du Nord sur « **la gouvernance des institutions financières**», Marrakech 19-20 Février 2007.
4. La Commission Bancaire en France, **Le Gouvernement d'entreprise et les établissements de crédit et entreprises d'investissement**, Étude du rapport annuel, 2005.
5. Christian NOYER, « Corporate governance et banque : les banques se gouvernent-elles comme d'autres entreprises », prononcé dans le cadre du cycle de séminaires **Droit, économie et justice dans le secteur bancaire** , Lundi 10 octobre 2005.
6. Ben Kahla,K et al (Février 2007), «**Systèmes financiers gouvernance bancaire et facilitation du commerce en Afrique du Nord : états des lieux et conditions de réussite des réformes**», CEA.
7. Jaime Caruana , **Bâle III : vers un système financier plus sûr**, 3<sup>e</sup> Conférence bancaire internationale Santander Madrid, le 15 septembre 2010

## ❖ مواقع الأنترنت

الهادى هباني، على الموقع الإلكتروني:

<http://www.sudanray.com/Forums/showthread.php?p=19181> le 09/04/2010

الموقع الإلكتروني:

[http://www.sudanile.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=7472:-----7-----&catid=34:2008-05-19-17-14-27&](http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=7472:-----7-----&catid=34:2008-05-19-17-14-27&)

## إباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي

الأستاذة: كابوية رشيدة

جامعة أحمد دراية أدرار - الجزائر

### ملخص البحث

يعتبر الحق في السلامة الجسدية من الحقوق اللصيقة بالإنسان والمرتبطة بشخصه وصحته، وأمنه، وأساس استقراره، وبالتالي يشكل المساس بالتكامل الجسدي اعتداء يمعنه الشرع ويحظره القانون، إلا أنه ولدواعي علاجية يمكن إباحة الأعمال الطبية، وعدم تقرير مسؤولية الطبيب الذي يساهم في حفظ الصحة والقضاء على المرض.

واختلفت التشريعات القانونية في بيان مفهوم الأعمال والنشاطات الطبية والتي على أساسها تقرر المسؤولية الجنائية، ذلك أن المفهوم التقليدي للعمل الطبي يختلف عن المفهوم المعاصر له، والشروط الخاصة بإباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي تختلف عن شروط الإباحة في القانون الوضعي.

فأصبح من الأهمية بما كان وضع حدود للممارسات الطبية بتحديد مضمونها في ظل التطور العلمي والتكنولوجي والطبي للحد من المساس بالتكامل الجسدي للإنسان، وتقرير المسؤولية الطبية عن الأخطاء المهنية.

### Résumé

Le droit à la protection corporelle est un privilège préservé pour l'être humain ; lié à sa personnalité ; sa santé et sa sécurité. Toute menace à son bien être est une agression interdite par la loi et la chariaa ;

Pour des raisons de soin, les médecins peuvent intervenir sans subir aucune responsabilité pénale.

En conséquence, l'ensemble des législations ne se sont pas concertées sur le genre des pratiques médicales sur lesquelles se base la responsabilité pénale ; puisque la notion traditionnelle de la pratique

médicale est différente de celle de la notion contemporaine ;et les conditions spécifiques liées à la permission de ces pratiques médicales dans la chariaa défèrent de celles de droit positionnel ; d'où l'importance de mettre des limites à ces pratiques et les distinguer afin de ne pas toucher à la sécurité de l' être humain .

## مقدمة

تحرص الشريعة الإسلامية الغراء على حماية الحق في السلامة الجسدية للإنسان وصيانة التكامل الجسدي، باعتبار الإنسان كائن مقدس ومستخلف في الأرض فهو أعظم المخلوقات وأحسنها. فالنفس البشرية إحدى المقاصد الضرورية التي يتعين الحفاظ عليها بتحريم الإعتداء عليها أو الإضرار بها إلا تحقيقاً لمصلحة معتبرة شرعاً وممالا شك فيه أن للأطباء دور فعال في حفظ الصحة بتحقيق منفعة الشفاء ودفع مفسدة المرض.

والقوانين الوضعية أقرت الحق في السلامة الجسدية واعتبرته «مركز قانوني يخول شاغله» - في حدود القانون- الاستثناء بتكامله الجسدي، والمستوى الصحي الذي يعايشه، وبسكينته البدنية والنفسية<sup>1</sup> وبالتالي كل ما من شأنه المساس بالتكامل الجسدي والنيل من الصحة البدنية والنفسية يعتبر انتهاكاً للسلامة الجسدية، وقد تؤدي الأعمال الطبية والعمليات الجراحية والفحوصات التشخيصية للأمراض والتي يجريها الأطباء والجراحون على جسم الإنسان إلى المساس بالسلامة الجسدية والراحة البدنية للمريض؟ كما قد تؤدي أحياناً كثيرة إلى إيذائه وعجزه عوض علاجه وشفاءه، ومع ذلك تنتفي المسؤولية الجزائية عن الطبيب أو الجراح، إذا ما كان عملهما مطابقاً للأصول الفنية والقواعد الشرعية للمهنة، والتزاماً شروط

<sup>1</sup> -عصام أحمد، محمد، النظرية العامة للحق في سلامة الجسم، دراسة جنائنة مقارنة" ( دار الفكر والقانون،

المنصورة، الطبعة الأولى، 2008م)، المجلد الأول، ص 112.

ممارسة الأعمال الطبية. فما هي الحدود الشرعية والقانونية للقول بجواز الاعتداء

على حق السلامة الجسدية لممارسة الأعمال الطبية؟

ولقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.

المطلب الثاني: شروط إباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون

الوضعي.

المطلب الثالث: إباحة الأعمال الطبية في التشريع الجزائري.

**المطلب الأول: مفهوم الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي:**

تعتبر الأعمال الطبية السبيل الوحيد لإقرار المسؤولية الجزائية للطبيب وتباينت

المفاهيم الخاصة بالأعمال الطبية حسب صفة القائم بها من جهة، ومضمون

العمل الطبي وغايته القانونية والإنسانية من جهة أخرى.

**الفرع الأول: مفهوم العمل الطبي في الفقه الإسلامي:** عرّف الطب على أنه

«علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ

الصحة حاصلة ويستردها زائلة»<sup>1</sup>.

أي أن العمل الطبي هو العلم القائم على حفظ صحة الإنسان الموجودة، وهو الذي

يحرص على استردادها حال الإعتلال.

أما الطبيب " فهو الذي يفرق ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره

تفرقه، أو ينقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة

<sup>1</sup> - نائل محمد يحي، المسؤولية الجنائية عن خطأ التأديب والتطبيب" دراسة فقهية مقارنة" رسالة للحصول على

درجة الماجستير في الفقه المقارن، جامعة الأزهر، غزة، 2012م، ص 130.

المفقودة أو يحفظها بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحماية<sup>1</sup>.

وعرّف العمل الطبي على أنه « كل فعل يرد على جسم الإنسان أو نفسه ويتفق في طبيعته مع الأصول والقواعد الثابتة المتعارف عليها نظرياً وعملياً في علم الطب، ويقوم به طبيب مصرح له قانوناً بمزاولة ذلك العمل بقصد الكشف عن الأمراض وتشخيصها وعلاجها لتحقيق الشفاء، أو تخفيف آلام المرضى، أو الحد منها، أو منع الأمراض، ويهدف إلى المحافظة على صحة الأفراد، أو تحقيق مصلحة اجتماعية شريطة أن يتوافر رضا من يجري عليه هذا العمل الطبي»<sup>2</sup>

والتعريف الأخير مناسب لتحديد مفهوم الأعمال الطبية من الوجهة الشرعية كونه ركز على الهدف من مباشرة الأعمال الطبية وهو تحقيق المصلحة الفردية دون إهمال المصلحة الاجتماعية، كما أنه تناول مضمون ومراحل العلاج، ومصلحة المريض بضرورة الحصول على رضاه. ويعتبر التطبيب واجباً كفاً كفاً كلما وجد أكثر من طبيب في بلدة واحدة، وإذا لم يوجد إلا واحد فالتطبيب فرض عين عليه أي: أنه واجب غير قابل للسقوط<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - بن قيم الجوزية، الطب النبوي، (مؤسسة المعارف، لبنان، الطبعة الأولى 2003)، ص: 8.

<sup>2</sup> - منصور عمر المعاينة، المسؤولية المدنية والجنائية في الأخطاء الطبية، (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى 2004)، ص: 15.

<sup>3</sup> - عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، (دار الكتاب العربي، بيروت)، ج1، ص520.



## الفرع الثاني: مفهوم العمل الطبي في القانون الوضعي:

### أولاً: التعريف الفقهي:

العمل الطبي هو « ذلك النشاط الذي يتفق في كيفية وظروف مباشرته مع القواعد المقررة في علم الطب، ويتجه في ذاته، أي وفق المجرى العادي للأمر - إلى شفاء المريض، والأصل في العمل الطبي أن يكون علاجياً، أي يستهدف التخلص من المرض أو تخفيف حدته، أو مجرد تخفيف آلامه، ولكن يعد كذلك من قبيل الأعمال الطبية ما يستهدف الكشف عن أسباب الصحة أو مجرد الوقاية من المرض»<sup>1</sup>

### ثانياً: التعريف القانوني: ويمكن الاعتماد على التعريفات الآتية:

1. العمل الطبي «كل عمل يكون ضرورياً أو ملائماً لاستعمال الطبيب حقه في ممارسة المهنة الطبية»<sup>2</sup> والتعريف ربط العمل الطبي بصفة القائم به، ألا وهو الطبيب دون بيان مفهوم العمل الطبي في حد ذاته.
2. العمل الطبي « يتحدد له نطاق رجل متخصص في علوم الطب يقوم بفحص المريض وتشخيص الداء ووضع العلاج، على أن يكون ذلك متفقاً مع الأصول العلمية الحديثة" ومن هنا فإن كل عمل طبي يقوم به أحد المتخصصين في علم الطب، يستند في أدائه لعمله لأصول مستقرة لذلك العلم يعد من الأعمال الطبية الفنية»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني (القسم العام)، (دار النهضة العربية 1984)، ص 201-202.

<sup>2</sup> - شريف الطباخ، جرائم الخطأ الطبي والتعويض عنها في ضوء الفقه والقضاء، (دار الفكر الجامعي الطبعة الأولى، 2003)، ص: 87-88.

<sup>3</sup> - سمير عبد السميع الأوزن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعديهم، مدنياً وجنائياً وإدارياً ( منشأة المعارف، الإسكندرية 2004) ص: 12.

### الفرع الثالث: مضمون الأعمال الطبية في التشريع الجزائري:

لم يتبن المشرع الجزائري في نصوصه القانونية مفهوماً محدداً للأعمال الطبية، وإن كان قد ركّز على المهام المنوطة بالأطباء والمتخصصين في علم الطب، فتنص المادة 195 من قانون حماية الصحة وترقيتها على أنه: «يتعين على الأطباء والصيدالة وجراحي الأسنان القيام بما يأتي:

- السهر على حماية صحة السكان بتقديم العلاج الطبي الملائم لهم،
- المشاركة في التربة الصحية،
- القيام بتكوين مستخدمي الصحة وتحسين مستواهم وتحديد معلوماتهم، والمشاركة في البحث العلمي، طبقاً للتنظيم الجاري به العمل.
- ونصت المادة 8 من نفس القانون « يشمل العلاج الصحي الكامل ما يأتي:
- الوقاية من الأمراض في جميع المستويات.
- تشخيص المرض وعلاجه،
- إعادة تكييف المرضى،
- التربة الصحية»<sup>1</sup>

**المطلب الثاني: شروط إباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي:** يتعامل الطبيب ومن في حكمه بصفة مباشرة مع جسم الإنسان وبالتالي هو حر في كيفية وطريقة علاجه وتسهيل شفاؤه ضمن أصول ومبادئ فنية طبية متعارف عليها ومقاصد شرعية يجب مراعاتها.

<sup>1</sup> -المادتين (8)، و (195) من القانون رقم (85-05) المؤرخ في 16 فبراير 1985، الجريدة الرسمية (08)،<sup>1</sup> المؤرخة في 17 فبراير 1985، المعدل والمتمم.

## الفرع الأول: شروط إباحة الأعمال الطبية في الفقه الإسلامي

أولاً: شروط الإباحة المتعلقة بإذن الله: لانتفاء المسؤولية عن التدخل الطبي يجب أن يصدر عن ذي صفة، وأن تستدعيه حالة المريض لغاية العلاج، كما يجب أن تتم الممارسة الطبية داخل الرسم المتبع في أمثاله.<sup>1</sup>

**1. صفة المعالج:** فيجب أن يكون الطبيب مرخصاً له بمزاولة المهنة، ففي عهد الدولة الإسلامية الأول كان المجتمع يعاني من قلة الأطباء، ولم تكن مزاولة مهنة الطب خاضعة للترخيص من قبل الدولة آنذاك واستمر الأمر كذلك في عهد فجر الإسلام، واكتفى بتضمين الطبيب الجاهل والمعتدي في المزاولة، ولعل قول الرسول صلى الله عليه وسلم " ومن تطيب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن"<sup>2</sup> هو نص صريح لما يعرف في عصرنا بالإجازة الطبية.<sup>3</sup>

**2. قصد العلاج:** يجب أن يكون الباعث على عمل الطبيب هو علاج المريض أو بصفة عامة رعاية مصلحة مشروعة، وهذا هو السبب الذي من أجله رخص له الشارع بممارسة عمله، ويسأل الطبيب إذا استهدف بعمله عرضاً آخر غير علاج المريض، فإذا طلب شخص منه أن يقطع شيئاً سليماً من جسده حتى يعفى من الخدمة العسكرية مثلاً ففعل، حقت عليه المساءلة بعكس ما إذا كان القطع تستدعيه ضرورة إنقاذ حياة الشخص أو صحته.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الكريم مأمون، حق الموافقة على الأعمال الطبية وجزاء الإخلال به "دراسة مقارنة"، (دار النهضة العربية، القاهرة، 2006)، ص: 22.

<sup>2</sup> - أخرجه: - ابن ماجة، السنن، باب ' من تطيب ولم يعلم من طب ' رقم الحديث ( 3466 )، ج 2، ص: 1148 .

أبي داود، السنن، باب ' فيمن تطيب بغير علم فأعنت ' رقم الحديث ( 4586 )، ج 4، ص : 195 .  
و قال الألباني حسن .

<sup>3</sup> - سامي جميل الفياض الكبيسي، رفع المسؤولية الجنائية في أسباب الإباحة، ( دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 2005)، ص 165-166.

<sup>4</sup> - أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، ( الطبعة الثانية، 1987 )، ص 48-49.

ثانياً: شروط الإباحة المتعلقة بإذن المريض: اتفق الفقهاء على ضرورة إذن المريض أو وليه إذا كان قاصراً، أو كان في حال لا يتمكن فيها من إذن الطبيب... فإن لم يكن له ولي، وجب استئذان الحاكم لأنه ولي من لا ولي له... وهذا لا يغني عن إذن عام لهذا الطبيب بمزاولة مهنة الطب .<sup>1</sup>

الفرع الثاني: شروط إباحة الأعمال الطبية في القانون الوضعي:

أولاً: ضرورة الترخيص لتبرير العمل: فلا يباح العمل الطبي إلا إذا كان من أجراه مرخصاً له بذلك قانوناً، وإلا فإنه يكون مسؤولاً عن أعمال الإيذاء الواقعة طبقاً للقواعد العامة، فضلاً عن معاقبته لارتكابه جرم مزاولة مهنة الطب بلا ترخيص، إلا إذا كان أمام حالة ضرورة بشروطها القانونية.<sup>2</sup>

ثانياً: احترام المبادئ والأصول المتبعة في ممارسة المهنة: يشمل التزام الطبيب بمراعاة القواعد المتبعة في ممارسة مهنة الطب نوعين من القواعد؛ أولهما تلك القواعد العامة المتعلقة بتنظيم الحياة الاجتماعية ككل، والتي تشمل واجب الحيطة والحذر الملزم به كافة أفراد المجتمع، بحيث يؤدي الإخلال بهذه القواعد في حالة تحقق الضرر إلى قيام المسؤولية، كتسريح الطبيب للمريض من المستشفى قبل أن يكتمل علاجه، أو قيام الجراح بإجراء عملية جراحية دون مراعاة الشروط الخاصة بنظافة المكان، أو دون تعقيم الأجهزة والوسائل المستخدمة، وقد يكون السبب شخصياً كأن يزاول الطبيب أو الجراح عمله وهو في حالة لا تساعد على ذلك، كحالة السكر، مما قد ينجم عنه أضرار للمريض. وهذا ما يعرف في لغة القانون بالخطأ المادي للطبيب أو الجراح.

<sup>1</sup> - أحمد هبة، موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التجريم والعقاب، (عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1985)، ص 99.

<sup>2</sup> - عبد الكريم مأمون، حق الموافقة على الأعمال الطبية وجراء الإخلال به، ص: 34.

أما النوع الثاني من القواعد فهو يشمل القواعد والأصول الطبية المعروفة، وهي ما استقر عليه أهل الطب في ممارستهم اليومية حسب التخصصات وبشكل الإخلال بها ما يسمى بالخطأ الفني أو المهني.<sup>1</sup>

### ثالثاً: مزاولة عمل طبي أو جراحي:

يباح للمرخص بمزاولة العمل الطبي، كل ما يلزم لعلاج المرضى، من إبداء مشورة طبية، أو عيادة مريض، ووصف دواء له، أو إجراء عملية جراحية وغير ذلك.

ويثور الخلاف حول عمليات التجميل والتعقيم والإجهاض، ونقل الدم وزرع الأعضاء وليس من شك الآن في مشروعية الجراحات التجميلية؛ فقد أصبحت من العمليات المعترف بها في جميع الدول، ويتخصص بها الأطباء، فهي إن لم تكن علاجاً لمرض جسماني، فإنها علاج لعدة نفسية، وقد يصل التشويه إلى درجة تصبح حياة من يشكو منه عبئاً قد يدفعه للانتحار، أما عمليات التعقيم والإجهاض، فلا يباح للطبيب القيام بها، إلا إذا كانت ضرورية أو لازمة لانقاذ المريض.<sup>2</sup>

وبالنسبة لنقل الدم والأعضاء فلا شك في مشروعيتها بالنسبة لمن ينقل إليه الدم أو العضو لأنها تعد علاجاً أما بالنسبة لمن ينقل منه الدم أو عضو من الأعضاء فإنه يشكل مساساً بالجسم بغير قصد العلاج، وبالتالي لا تعتبر مبررة على أساس

<sup>1</sup> - عبد الكريم مأمون، حق الموافقة على الأعمال الطبية وجراء الإخلال به، ص: 34.

<sup>2</sup> - كامل السعيد، شرح الأحكام العامة في قانون العقوبات/ المكتبة القانونية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار العالمية للنشر والتوزيع، (2002)، ص 189-190.

ممارسة الأعمال الطبية، وإن كان يمكن تبريرها على أساس الرضا، أو الإعفاء من العقوبة عنها على أساس حالة الضرورة إذا توافرت شروط أيهما.<sup>1</sup>

رابعاً: رضا المريض أو ممثليه بالعلاج أو توافر الضرورة:

لا يستطيع الطبيب أن يخضع المريض لأي عمل طبي دون الحصول مقدماً على رضائه بهذا العمل. ولكن هذا الرضا يجب أن يكون مستتيراً أي صادر عن نية تامة، وهو ما لا يتأتى إلا إذا كان المريض قد حصل من طبيبه على معلومات كافية تمكنه من أن يتخذ قراره بقبول العلاج أو رفضه عن فهم وإدراك كاملين.<sup>2</sup>

وحتى يكون الرضا صحيحاً وله محل، يتعين على الطبيب ابتداءً أن يبصر المريض أو ذويه بالعواقب المحتملة للعمل الطبي وخصوصاً في الأعمال الجراحية التي قد تنطوي على أخطار، ولكن الطبيب ليس ملزماً بأن يذكر للمريض، أو من يمثله كل النتائج وتفصيلات العمل الطبي وآثاره بصورة دقيقة، لأن القول بذلك قد يفوت الغرض من تبرير العمل الطبي.<sup>3</sup>

وقد يقوم الطبيب بالعمل الطبي دون توقف على رضا المريض وذلك في حالتين:

**الحالة الأولى:** حالة انتشار الأوبئة، حيث يقوم الطبيب بالعمل الطبي ولو رفض المريض ذلك، وعندئذ لا تستند إلا باحة إلى استعمال الحق، وإنما تستند إلى تنفيذ القانون، أو استعمال السلطة.

**الحالة الثانية:** حالة الضرورة إذا كان المريض مهدداً بخطر جسيم حال على حياته، وكان غير قادر على التعبير عن إرادته وليس هناك من يمثله، وهنا ينتفي

<sup>1</sup> - علي عبد القادر قهوجي، قانون العقوبات "القسم العام" (الدار الجامعية 1988)، ص: 155.

<sup>2</sup> - جابر محمود علي، دور الإرادة في العمل الطبي "دراسة مقارنة"، (دار النهضة العربية، القاهرة)، ص 82.

<sup>3</sup> - نظام توفيق المجالي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، (جامعة مؤتة كلية الحقوق، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998)، ص 185.

مسؤولية الطبيب ليس استناداً إلى سبب إباحة وإنما استناداً إلى حالة الضرورة التي تعتبر مانعاً من موانع المسؤولية الجنائية.<sup>1</sup>

**خامساً: أن يكون تدخل الطبيب بقصد العلاج:**

لا يكون العمل الطبي مشروعاً إلا إذا قصد به علاج المريض، أما إذا لم يتوافر قصد العلاج زال حق الطبيب وانعدم قانوناً بانعدام علته وزوال أساسه، وجرى عليه حكم القانون أسوة بسائر الناس فيسأل عن فعله جنائياً.<sup>2</sup>

فيجب أن تكون الأعمال الطبية التي يباشرها الطبيب على المريض يهدف منها شفاء المريض من مرض ألم به أو علة يشكو منها، ويكفي توافر القصد حتى يعتبر تدخل الطبيب مبرر وتقوم مسؤوليته إذا كانت الأعمال التي باشرها بهدف إجراء تجربة علمية معينة، أو الانتقام أو الاعتداء.<sup>3</sup>

أما الطبيب الذي يقوم بالقتل راحة للمريض من آلامه، يعتبر مرتكباً لجريمة قتل مقصود، ولا يجد به نفعاً رضاء المجني عليه، لأن حق الإنسان في الحياة لا يعتبر من الحقوق القابلة للتصرف فيها، ولا يكون المساس به مبرراً إلا لفائدة الإنسان ذاته، وكذلك الطبيب الذي يقوم بعملية جراحية لامرأة يستأصل بها مبيض التناسل لديها بغير مقتضى، يكون مستحقاً للعقاب على جريمة مقصودة ولو كان ذلك بناء على طلبها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- محمد القبلاوي، المسؤولية الجنائية للطبيب، (دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2004)، ص 26.

<sup>2</sup>- شريف الطباخ، جرائم الخطأ الطبي والتعويض عنها، ص 93.

<sup>3</sup>- علي عبد القادر قهوجي، قانون العقوبات القسم العام، ص 160.

<sup>4</sup>- كامل السعيد، شرح الأحكام العامة في قانون العقوبات، ص 197.

## المطلب الثالث: إباحة الأعمال الطبية في التشريع الجزائري:

المشرع الجزائري شأنه شأن التشريعات القانونية ربط أساس مزاولة الأعمال الطبية بشروط خاصة منها ما يتعلق بالترخيص القانوني كأساس للإباحة والتدخل الطبي، ومنها ما يتعلق بالهدف من استعمال حق التطبيب وهو قصد شفاء المريض

أ/ الترخيص القانوني والكفاءة المهنية: فتتص المادة (197) من قانون حماية الصحة وترقيتها على " تتوقف ممارسة مهنة الطبيب والصيدلي وجراح الأسنان على رخصة يسلمها الوزير المكلف بالصحة، بناءً على الشروط التالية:

- أن يكون طالب هذه الرخصة حائزاً، حسب الحالة، إحدى الشهادات الجزائرية: دكتور في الطب أو جراح أسنان أو صيدلي، أو شهادة أجنبية معترفاً بمعادلتها،

- أن لا يكون مصاباً بعاهة....مرضية منافية لممارسة المهنة،

- أن لا يكون قد تعرض لعقوبة مخلة بالشرف،

- أن يكون جزائري الجنسية، ويمكن استثناء هذا الشرط على أساس المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها الجزائر أو بناء على مقرر يتخذه الوزير المكلف بالصحة،

- كما نصت المادة (198) من نفس القانون " لا يجوز لأحد أن يمارس طبيب اختصاصي أو جراح أسنان اختصاصي، أو صيدلي اختصاصي إذا لم يكن حائز شهادة في الاختصاص الطبي، أو شهادة أجنبية معترفاً بمعادلتها، زيادة على الشروط المنصوص عليها في المادة (197) أعلاه<sup>1</sup>

ب/إتباع أصول مزاولة مهنة الطب: فنصت المادة (14) من مدونة أخلاقيات الطب "يجب أن تتوفر للطبيب أو جراح الأسنان في المكان الذي يمارس فيه مهنته، تجهيزات ملائمة ووسائل تقنية كافية لأداء هذه المهمة، ولا ينبغي للطبيب

<sup>1</sup> - المادتين (197)، (198) من قانون حماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم.



أو جراح الأسنان، بأي حال من الأحوال، أن يمارس مهنته في ظروف من شأنها أن تضر بنوعية العلاج أو الأعمال الطبية".<sup>1</sup>

**ج/ رضا المريض بالعلاج:** أكد المشرع الجزائري ضرورة تبني شروط الرضا في الممارسات الطبية، باعتبار الرضا أساس إباحة التدخل الطبي.

فنصت المادة (154) من قانون حماية الصحة وترقيتها " يقدم العلاج الطبي بموافقة المريض أو من يخولهم القانون إعطاء موافقتهم على ذلك".<sup>2</sup> أي أن الرضا يجب أن يصدر من ذي صفة سواءً الولي وأو من ينوبه قانوناً.

ونصت المادة (44) من مدونة أخلاقيات الطب " يخضع كل عمل طبي، يكون فيه خطر جدي على المريض لموافقة المريض موافقة حرة ومتبصرة أو لموافقة الأشخاص المخولين منه أو من القانون، وعلى الطبيب أو جراح الأسنان أن يقدم العلاج الضروري إذا كان المريض في خطر أو غير قادر على الإدلاء بموافقة"<sup>3</sup>

**د/ أن يكون الهدف من التدخل الطبي حصول العلاج:** اشترط المشرع الجزائري أن يكون هدف الطبيب من مزاولة العمل الطبي شفاء المريض، وإزالة سقمه وعلته وبالتالي تقوم مسؤولية الطبيب الجنائية إذا كان هدفه من إجراء العملية أو التدخل الطبي القيام بتجربة علمية أو اكتشاف دواء جديد.

ونصت المادة (7) من مدونة أخلاقيات الطب « تتمثل رسالة الطبيب وجراح الأسنان في الدفاع عن صحة الإنسان البدنية والعقلية، وفي التخفيف من المعاناة، ضمن احترام حياة الفرد وكرامته الإنسانية دون تمييز من حيث الجنس والسن

<sup>1</sup> - المادة (14) من المرسوم التنفيذي رقم (92-276) المؤرخ في 6 يوليو 1992 المتضمن مدونة أخلاقيات الطب، الجريدة الرسمية، عدد (52) مؤرخ في 8 يوليو 1992م.

<sup>2</sup> - المادة (154) من قانون حماية الصحة وترقيتها المعدل والمتمم.

<sup>3</sup> - المادة (44) من مدونة أخلاقيات الطب.

والعرق والدين والجنسية والوضع الاجتماعي والعقيدة السياسية أو أي سبب آخر في السلم أو الحرب»<sup>1</sup>. فالهدف من العمل الطبي عموماً تحقيق العلاج دون مراعاة للفوارق الدينية والسياسية .

**الخاتمة:** بعد سرد المفاهيم الخاصة بالأعمال الطبية يمكن الجزم بالمفهوم القانوني الخاص بالتدخل الطبي الذي يحصر الأعمال الطبية في مختلف الأنشطة والممارسات المهنية والفنية والإنسانية التي يقوم بها رجال الطب عموماً.

فالتشريعات القانونية الحديثة جانباً المفهوم التقليدي للعمل الطبي والمرتب بتحقيق العلاج فقط، وضمنت النشاط الطبي كل ما من شأنه الحفاظ على الصحة العامة للأفراد من فحص، وتشخيص، وعلاج ورقابة.

فالعمل الطبي هو " النشاط الذي يقوم به رجل الطب المتخصص بهدف الوقاية من الأمراض، أو علاجها تحقيقاً لمصلحة عامة في إطار احترام القواعد والأصول المقررة في الطب".

ويرتبط العمل الطبي في الفقه الإسلامي بشروط الإباحة والتي لا يمكن الحيدة عنها وإلا إهمالها والمتمثلة في حق الله تعالى - والخاص بمنح صفة المعالج " الطبيب الحاذق" على الشخص المزاول للطب وأن يكون تدخل الطبيب حماية لمصلحة مشروعة.

وحق الفرد في العمل الطبي بضرورة الموافقة على كل ما من شأنه المساس بجسمه أو التعرض لصحته. وتتفق القوانين الوضعية مع الفقه الإسلامي في ضرورة ربط الأعمال الطبية بشروط تبرر إباحتها، ويتعلق الأمر باحترام المبادئ والأصول المتبعة. في ممارسة المهنة وأن يكون العمل الطبي لغرض مزاوله الطب

<sup>1</sup> - المادة (7) من مدونة أخلاقيات الطب

أو الجراحة، وأن يكون التدخل برخصة قصد العلاج؛ مع اشتراط موافقة المريض أو من ينوب عنه بالعمل الطبي.

أما المشرع الجزائري فلم يتبن مفهوم محدد يحصر النشاطات الطبية، وإن ركز في نصوصه المتعلقة بحماية الصحة على بيان المهام المنوطة بالأطباء والمتخصصين في علم الطب، وربطها بالشروط العامة المقررة للأعمال الطبية. وتميزت الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية في أساس إباحة الأعمال الطبية، كونها اعتبرت الطب من فروض الكفاية الواجب على فريق من الأمة القيام بها تحقيقاً لمصلحة الشارع في معالجة الأبدان وشفاء الأسقام فالغاية من ممارسة الأعمال الطبية حفظ السلامة الجسدية عن طريق الجمع بين ضرورة الوقاية من المرض من جهة، وضرورة دفعه بعلاجه من جهة أخرى.

### قائمة لمصادر والمراجع:

#### أ- القوانين:

- 01- القانون رقم (85-05) المؤرخ في 16 فبراير 1985، الجريد الرسمية (08)، المؤرخة في 17 فبراير 1985، المعدل والمتمم
- 02- المرسوم التنفيذي رقم (92-276) المؤرخ في 6 يوليو 1992 المتضمن مدونة أخلاقيات الطب، الجريدة الرسمية، عدد (52) مؤرخ في 8 يوليو 1992م.

#### ب- المراجع:

- 01- إبن قيم الجوزية، الطب النبوي، (مؤسسة المعارف، لبنان، الطبعة الأولى 2003).
- 02- أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، ( الطبعة الثانية 1987).
- 03- أحمد هبة، موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التحريم والعقاب، ( عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 1985).
- 04- جابر محمود علي، دور الإرادة في العمل الطبي " دراسة مقارنة"، (دار النهضة العربية، القاهرة).
- 05- سامي جميل الفياض الكبيسي، رفع المسؤولية الجنائية في أسباب الإباحة، ( دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 2005).

- 06- سمير عبد السميع الأوزن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعدتهم، مدنياً و جنائياً وإدارياً ( منشأة المعارف، الإسكندرية 2004 ).
- 07- شريف الطباخ، جرائم الخطأ الطبي والتعويض عنها في ضوء الفقه والقضاء، ( دار الفكر الجامعي الطبعة الأولى، 2003).
- 08- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ( دار الكتاب العربي، بيروت).
- 09- عبد الكريم مأمون، حق الموافقة على الأعمال الطبية وجزاء الإخلال به دراسة مقارنة، ( دار النهضة العربية، القاهرة، 2006).
- 10- عصام أحمد، محمد، النظرية العامة للحق في سلامة الجسم، دراسة جنائية مقارنة" ( دار الفكر والقانون، المنصورة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، 2008).
- 11- علي عبد القادر قهوجي، قانون العقوبات "القسم العام" (الدار الجامعية 1988).
- 12- كامل السعيد، شرح الأحكام العامة في قانون العقوبات، ( المكتبة القانونية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2002).
- 13- محمد القبلاوي، المسؤولية الجنائية للطبيب، (دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2004).
- 14- محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني (القسم العام)، (دار النهضة العربية 1984).
- 15- منصور عمر المعاينة، المسؤولية المدنية والجنائية في الأخطاء الطبية، ( جامعة نابف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى 2004).
- 16- نائل محمد يحيى، المسؤولية الجنائية عن خطأ التأديب والتطبيب" دراسة فقهية مقارنة" رسالة للحصول على درجة الماجستير في الفقه المقارن، جامعة الأزهر، غزة، 2012.
- 17- نظام توفيق المجالي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، (جامعة مؤتة كلية الحقوق، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998).

### ج- كتب التخريج :

- 1 - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، كتاب السنن ( دار إحياء الكتب العربية).
- 2- أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنن ( المكتبة العصرية، بيروت ) .

## دور المجتمع المدني الجزائري في تمتين شبكة العلاقات الاجتماعية

أ.شاوي رياض

جامعة تبسة

البريد الإلكتروني: riad11h@yahoo.fr

### الملخص:

اكتسب موضوع المجتمع المدني اليوم اهتمامًا واسعًا في مختلف العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خصوصًا. وفي سياق هذا الاهتمام المتزايد حاولنا معالجة مسألة علاقة الحركة الجمعوية بشبكة العلاقات الاجتماعية، التي تعتبر مؤثرًا هامًا على نمو المجتمع وتطوره.

وقد عالجتنا الموضوع من زاويتين: تطرقت الأولى إلى عرض مختلف العوامل التي أثرت في ولادة المجتمع المدني الجزائري وتطوره بعد ذلك. وتناولت الثانية الرهانات المستقبلية لمؤسساته في ضوء الكثير من العوائق الاجتماعية والثقافية والسياسية.

### Résumé:

La société civile revêt aujourd'hui un écho très large en science sociale et en sociologie. Dans ce cadre, nous essayons de traiter le thème du mouvement associatif et sa relation avec le réseau des relations sociales.

Notre article est structuré de la manière suivante: d'une part, nous présenterons les différents facteurs ayant un impacte sur la naissance et la croissance de ce phénomène, et d'autre part, nous discuterons les prochains enjeux de la société civile à la lumière des obstacles socioculturels et politiques.

### مقدمة:

شهد المجتمع الجزائري منذ نهاية ثمانينات القرن الماضي تحولات سوسيوثقافية عميقة، ساهمت فيها العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية المرتبطة بظهور نظام عالمي جديد كانت العولمة إحدى تجلياته. وقد أدت هذه المتغيرات البنائية والوظيفية إلى ولادة مؤسسات المجتمع المدني بشكل واسع جداً لم يسبق له مثيل قبل ذلك في تاريخ المجتمع الجزائري، الذي كان قد تعرف على هذا الشكل من البناءات الاجتماعية أثناء فترة الاستعمار الفرنسي خاصة بعد صدور قانون 1901 المتعلق بالجمعيات.

وان البحث في موضوع المجتمع المدني في الجزائر قد واجه في بداياته العديد من الإشكاليات النظرية والمنهجية تعلقت بأسباب عديدة يمكن أن نذكر منها: حداثة الظاهرة حيث لم تكن هذه المؤسسات قبل التسعينات منتشرة إلا بعدد قليل لم يسمح لها باكتساب دور مؤثر في الحياة الاجتماعية والثقافية، ثم تعقدها مجتمعياً مع وجود تشابكات عديدة لها مع حقول اجتماعية أخرى، فقد شكل المجتمع المدني نقطة تقاطع لثلاث بناءات مختلفة في تكويناتها وامتيازها في أهدافها، أولها النظام السياسي ومختلف النخب التابعة له والذي يسعى للمحافظة على وجوده، وثانيهما قوى المعارضة السياسية الطامحة لبلوغ السلطة ومراكز اتخاذ القرار، وأما الثالثة فهي قوى المجتمع المطالبة بتحسين أوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، حيث حاول كل طرف من هذه الأطراف الثلاثة توظيف المجتمع المدني بما يحقق مصالحه وطموحاته.

وبالإضافة إلى ما قيل سابقاً فقد شكلت الظروف الأمنية التي مرت بها الجزائر خلال التسعينات أحد أهم العوائق أمام تقدم البحوث العلمية حول الحركة الجمعوية، فاعلِب الكتابات في تلك الفترة غلب عليها البعد النظري المحض، مما لم يسمح بالتقصي أكثر حول الظاهرة، وقد جاء مقالنا كمحاولة للمساهمة في تقديم

تصور جديد حول هذا الموضوع المهم من خلال ربطه بمفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية التي اعتبرها مالك بن نبي مؤشر على بقاء المجتمع وتطوره. وكان لتلك المتغيرات السابقة الذكر وعوامل أخرى خارجية التأثير الكبير على طبيعة تكوّن الجمعيات في الجزائر وعلى أداء أدوارها وتحقيق أهدافها بعد ذلك، خاصة وقد حمل المواطنين في أذهانهم منذ لحظات التأسيس الأولى للمجتمع المدني صورة إيجابية حول العمل الجماعي نتيجة للتجارب الايجابية المتراكمة عبر التاريخ الطويل للمجتمع الجزائري، ولم يكن بوسعنا أن نعطي حكماً متسرعاً على دور الحركة الجمعوية في الجزائر دون محاولة البحث والتقصي في كل الظروف المحيطة بهذا الحقل الاجتماعي الجديد، منطلقين من تساؤل أولي حول دور الحركة الجمعوية في إثراء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتفاعل ضمنها كل طاقات المجتمع، ومن ثم نتطرق إلى أهم العوائق التي تواجه الحركة الجمعوية وتحول دون تحقيقها للفاعلية المطلوبة.

### العرض:

شكل البحث في مختلف إشكاليات المجتمع المدني موضوعاً خصباً للدراسات السوسيولوجية ومختلف العلوم الاجتماعية، نظراً لحدائثة الظاهرة في البلدان العربية التي دخلها المفهوم في وقت متأخر جداً بالمقارنة بما حدث في البلدان الأوروبية، حيث أن مفهوم المجتمع المدني قد ظهر في أوروبا خلال القرن الثامن عشر عند عديد المفكرين الفرنسيين والألمان وكذا الإنجليز. وعليه وجب الرجوع إلى هذه الفترة التاريخية ولو بصورة وجيزة لفهم السياق السوسيوثقافي الذي أنتج المفهوم واثّر في دلالاته، ثم نتبع انتقاله بعد ذلك إلى البلدان العربية والجزائر خصوصاً في نهاية القرن العشرين.

**أولاً: السياق السوسيوثقافي لولادة المجتمع المدني الأوروبي.**

ارتبط ظهور مفهوم المجتمع المدني في أوروبا ارتباطاً وثيقاً بولادة المجتمع الرأسمالي، حيث أنه لم يستخدم بصورة ملموسة إلا مع بروز نظام سياسي جديد بعد قيام الثورة الفرنسية وما ترتب عنها من تغيير على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ففي تلك اللحظة التاريخية من مسار تكون المجتمعات الأوروبية تشكلت صورة مجتمع جديد يختلف تماماً عن المجتمع القديم سواءً من جانبه التكويني أو الوظيفي، فقد أعادت الثورات السياسية والاجتماعية والفكرية في أوروبا هيكله جهاز الدولة بالتنسيق مع المؤسسات الإدارية والقضائية والمالية الجديدة، وتكيفه مع المبادئ العامة للمجتمع البرجوازي الجديد وخصائص الدولة الليبرالية، و" هكذا تشكل مجتمع لا يقتصر على كونه منظومة مبادلات داخلية وخارجية فقط، بل هو قبل كل شيء عامل إنتاج لذاته"<sup>(1)</sup>، قادراً على تحقيق أهدافه بعيداً عن كل ممارسات القهر والرقابة والتحكم في مصيره. ومن هنا بدأ الظهور الفعلي للمجتمع المدني الذي كانت أول تجلياته على شكل حركة نقابية اهتمت بنضال الطبقة العمالية وتصديها للاستغلال اللاعقلاني للرأسمالية الصناعية.

ومما ساعد على تبلور مفهوم المجتمع المدني تلك الحركية الفكرية والفلسفية - كانت مصاحبة للتحويلات الاجتماعية والسياسية السابقة الذكر - التي ساهم فيها العديد من الفلاسفة والمفكرين بدءاً بهوبز وجون لوك مروراً بجون جاك روسو وهيجل وماركس ووصولاً إلى انطوني غرامشي في الثلث الأول من القرن العشرين، حيث عُدت مساهمة هيجل في تكريس المجتمع المدني مساهمة مرجعية أصيلة نظراً لعمقها النظري من جهة أولى، ولأنها جاءت في فترة تاريخية شهدت التجسيد الواقعي لمؤسسات المجتمع المدني من جهة ثانية، حيث يرى هيجل في المجتمع

<sup>1</sup> - Touraine (Alain). **Production de la Société**, édition Seuil, Paris, 1973, P 8.



المدني ضرورة لا غنى عنها، دونها يكون الناس مجرد جمهور لا تأثير له، فارتباط الفرد بمختلف هذه الجمعيات يعطي له الأهمية الكبرى ودوره الاجتماعي الفعال، ويقصد هيجل بمؤسسات المجتمع المدني أيضا الحياة المتصلة بالأفراد ونشاطاتهم المتعلقة بالإنتاج والمبادلات التي تساهم في إدماج الفرد وتضمن حمايته، وتجعل منه عنصرا اجتماعيا فعلا يحول انضمامه إلى هذه الجمعيات والمؤسسات دون تعرضه إلى تعسف الدولة عبر أجهزتها العسكرية (1).

وفي حين كان هيجل يرى في وجود الدولة ضرورة ملحة لقوة المجتمع المدني كان كارل ماركس رافضا للدولة في صورتها السياسية المطبوعة بالبعد الإيديولوجي، المرتبط حتمًا بالطبقة البرجوازية المسيطرة، فالدولة السائدة في تلك الفترة أو التي ستسود في كل نظام رأسمالي حسبه هي مجرد وسيلة في خدمة الطبقة المشار إليها سابقا، ويصبح المجتمع المدني في هذه الوضعية مجرد "أساس لاستغلال العمال وإذلالهم، ومن ثمة فليس هناك حيزا مستقلا حقيقياً يتيح للعمال التطوير الكامل لقدراتهم" (2).

وخلال مدة زمنية معتبرة قاربت القرن من الزمان-القرن التاسع عشر- تعرض مفهوم المجتمع المدني إلى جدالات فكرية وفلسفية عديدة، وواجه مواقف متناقضة أثرت على حضوره الاجتماعي كممارسة واقعية إلى غاية الثلث الأول من القرن العشرين لما أُعيد النظر في أهميته الاجتماعية والسياسية وأعطيت له

<sup>1</sup> - بشارة (عزمي). المجتمع المدني: دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ص 45.

<sup>2</sup> - دليو ستفنس. التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ت/ربيع وهبة، نسخة الكترونية، منتدى مكتبة الإسكندرية، ص378

دلالة جديدة، حيث أن "التحول الكبير الذي عرفه المفهوم كان مع المفكر الإيطالي أنطوني غرامشي الذي استخدمه في جميع مؤلفاته تقريبا ودفاتر السجن خاصة" (1)، وكانت نظريته للمجتمع المدني مرتبطة كثيرا بظروف حياته وخاصة دوره السياسي في الحزب الاشتراكي الايطالي، في سياق المقارنة بين الثورة العمالية التي نجحت في روسيا ونظيرتها التي لم تتجح في أوروبا، فأراد توجيه الماركسيين إلى طريق ثانٍ يصلون من خلاله إلى تحقيق الدولة الاشتراكية، فخصوصية الوضع في أوروبا وطبيعة السلطة حسبه تفرض اتخاذ طريق آخر غير الذي اتبع في روسيا، مفاده احتلال المواقع المؤثرة في الفضاء الخاص بالمجتمع المدني واستخدامه لتحقيق الهيمنة الإيديولوجية والثقافية بديلا عن القوة والعنف.

فالفكرة الأساسية عند غرامشي هي أن المجتمع المدني ليس فضاءً للتنافس الاقتصادي كما هو الشأن عند ماركس، ولكنه فضاء للتنافس الإيديولوجي وجزءاً لا يتجزأ من الدولة، التي هي توازن بين السيطرة السياسية لفئة ما وبين مصالح القطاعات الأخرى، فالدولة عنده تساوي مجتمع مدني زائد مجتمع سياسي (2)، فكان إذن ومن خلال هذا الاتجاه الغرامشي أن انتقل الاهتمام بموضوع المجتمع المدني كأحد مجالات البناء الفوقي.

وبعد أن غاب مفهوم المجتمع المدني ومختلف المفاهيم المرتبطة به على المستوى التنظيمي من جهة، وعلى مستوى الممارسة الميدانية من جهة ثانية لفترة

<sup>1</sup> - لبيب (طاهر). " المجتمع المدني في الوطن العربي "، في مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الكويت، عدد 61-62، 1989، ص 249.

<sup>2</sup> - غرامشي (أنطوني). الأمير الحديث، ت/ قيس الشامي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، دون سنة، ص 13.

ليست بالقصيرة، عاد بقوة في النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة لظروف تاريخية واجتماعية يطول الحديث عنها، كانت دافعاً لعودته بقوة إلى الحياة العامة في المجتمعات الأوروبية والغربية بصفة عامة، وبعدها الانتقال إلى الدول الأخرى من العالم وخاصة إلى أمريكا اللاتينية وبعض البلدان العربية. حيث حملت هذه العودة الجديدة معها مفاهيم جديدة أضيفت إلى قاموس المجتمع المدني، أهمها مفهوم "الحركات الاجتماعية الجديدة" الذي أطلقه عالم الاجتماع الفرنسي (الان توران Alain Touraine) على المنظمات والحركات الاحتجاجية في الستينات خاصة بعد الثورة الطلابية لعام 1968، ويرجع الباحث ( نوفو إريك. Neveu Erik ) سبب بروز هذا الشكل الجديد من مؤسسات المجتمع المدني "إلى ظهور طريقة مستحدثة تستعمل لتحديد نماذج أصيلة للتعبئة ظهرت في الستينات من القرن العشرين، وكذلك بروز نماذج نظرية جديدة تستخدم لدراسة الحركات الاجتماعية لم تكن معروفة من قبل"<sup>(1)</sup>، أي أننا أمام أشكال مستجدة من الفعل الجماعي فرضت تطوير سوسيولوجيا جديدة لتتناول هذه الظاهرة سُميت سوسيولوجية الحركات الاجتماعية الجديدة، أتاحت الفرصة لتناول هذا الموضوع بأكثر عمقاً وبصرامة منهجية أدق.

لقد أحدثت التغيرات السابقة ديناميكية جديدة في حقل العمل الجماعي استدعت التفسير والفهم العميق لتأثيراتها الاجتماعية، وحيث " لا يمكن فهم ديناميكية التوسع في الجمعيات والمنظمات من غير ربطها بتطور الترابط

<sup>1</sup>- Neveu (Erik). **Sociologie des Mouvements Sociaux**, edition La découverte, 3ème, édition, Paris, 2002, P66.

الاجتماعي الذي أدى إلى ظهورها ونشاطها وفعاليتها<sup>1</sup>، فقد سُجِّلَ تعدداً كبيراً في اهتمامات الحركات الاجتماعية الجديدة لتشمل المجالات الاجتماعية والثقافية والبيئية... وغيرها، وانخرطت في صفوفها فئات اجتماعية متعددة وجديدة خاصة النساء والشباب المثقف، هذه الفئات ذات المستوى التعليمي المقبول تحمل أفكاراً وتصورات مختلفة حول الحياة الثقافية والسياسية تريد تجسيدها على أرض الواقع، ويملك معظمها وعياً جمعوياً أساسيات الفعل الجموعي الفعال.

### ثانياً: المجتمع المدني العربي: إشكالية التأصيل وعوائق الممارسة

بدأ تداول مفهوم المجتمع المدني عند فئة قليلة من المثقفين العرب كآلية من آليات تحقيق التقدم السياسي والاجتماعي بعد الأزمات العميقة التي اعترضت طريق التنمية الشاملة، التي كانت الطموح النهائي لمختلف الجماهير العربية بعد سنوات النضال ضد الاستعمار الأوروبي، وقد كان دخول مفهوم المجتمع المدني إلى التفكير العربي متأخراً جداً بالمقارنة مع ما حدث في المجتمعات الغربية، ربما يعود هذا إلى أن المثقفين العرب لم يعتبروا هذا المفهوم من الأولويات كقضايا مثل الوحدة القومية والقضية الفلسطينية<sup>(2)</sup>، ثم إن المجتمعات العربية كانت لا تزال تحت نشوة الانتصار وتحقيق الاستقلال الوطني الذي أُعتبر في حد ذاته هدفاً، ولم يُتخذ كوسيلة لتحقيق أهداف حضارية دائمة، فلم تكن أنظمة الحكم العربية حينها ترى ضرورة في وجود المجتمع المدني لأنها رفعت شعاراً شعبوياً يدعي القدرة على تبني كل المطالب

<sup>1</sup> - SUE ROGER. *La société civile face au pouvoir*, Paris, Presses de Sciences Politique 2003

<sup>2</sup> - قنديل أمين (مرسي). *المجتمع المدني في العالم العربي: دراسة الجمعيات الأهلية في الوطن العربي*، دار

المستقبل العربي، القاهرة، 1994، ص 39.

الاجتماعية وتحقيقتها دون مشاركة القوى المجتمعية القاصرة - حسب تصور النخب الحاكمة - على أن تُدرك أهدافها إلا في نطاق سياسة الأنظمة الأحادية.

وقد اتجهت معظم التحليلات السوسولوجية والقراءات الصحفية إلى تحميل الأنظمة السياسية الحاكمة مسؤولية الضعف الذي تعرض له المجتمع المدني، غير أن المسؤولية الكبرى لهذا الأمر حسب وجهة نظرنا تتحملها النخبة المثقفة التي لم تمارس دورها الحضاري المنتظر، ويرجع ذلك لاجتماع جملة من الأسباب نذكر منها: أولاً، ضعفها المعرفي وعدم قدرتها على استيعاب ما يحدث أمامها من تغيرات متسارعة نتيجة انصرافها إلى معالجة قضايا هامشية، وثانياً ضعفها "النفسي" أمام رجال السياسة مما جعلها في تبعية دائمة لهم، وثالثاً وهذا أهم، انقسامها على ذاتها مما شتت جهودها وقلل نفوذها. حيث يمكن الإشارة إلى أن الانقسام في الآراء والاختلاف إلى حد التعارض والصراع الذي تعيشه النخبة العربية على المستوى الفكري والإيديولوجي حول الكثير من القضايا لم يكن وليد القرن العشرين فحسب، إنما تمتد جذوره إلى القرن التاسع عشر حيث بدأ الصراع بين ما يسمى بالنخب التقليدية - ذات المرجعية الدينية في الغالب - والنخب التقدمية، كسبب من أسباب فشل السياسات الثقافية للنهضة الذي أدى إلى هذا الانشقاق المطلق بين ثقافتين وعصرين وحضارتين وأمتين: أمة تقليدية تعيش على الماضي، وأمة حديثة تعيش على حاضر هش وقلق، ولا آفاق لها، يدفعها الالتحاق أكثر فأكثر بالغرب المتطور

"(1).

وامتد الانقسام داخل النخبة العربية ليؤثر في الموقف من المجتمع المدني بين مؤيد ومعارض لتوظيف مفهوم المجتمع المدني، بين من يريد تبني المفهوم

<sup>1</sup> - غليون (برهان). بيان من أجل الديمقراطية، دار بوشان للنشر، الجزائر، ط 1، 1990، ص 185.

على نفس الصورة التي وُظفت في أوروبا وبين من يحاول التعبير عنه بمفاهيم أخرى مستوحاة من التراث الثقافي العربي مثل مفهوم "المجتمع الأهلي"، وذلك تجنباً للمشكلة النظرية المعرفية المتعلقة بغموض المفهوم وضبابيته عند عامة الناس وخاصتهم، حيث سينتقل هذا الغموض إلى الواقع ويجعله على نفس الحال مع وجود مفاهيم أخرى في نفس المستوى من الغموض "لان عولمة المفاهيم السوسيولوجية زادت من غموض صورة الواقع الاجتماعي وتشويهه"<sup>1</sup>، فمفهوم المجتمع المدني نتاج واقع سوسيو تاريخي خاص جداً فإذا ما نقل إلى غير بيئته الأصلية ستنقل معه بعض دلالاته التي طبعت مساره التأسيسي، مثل قضية مقابلته مع المجتمع الديني أو مع المجتمع السياسي وهذا ما لا يتطابق مع الواقع الثقافي العربي.

يتعلق الكلام السابق بحال مفهوم المجتمع المدني من الناحية النظرية، أما من حيث الممارسة الواقعية المتعلقة بمؤسساته، فمن الباحثين من يقول بوجود المجتمع المدني عند العرب منذ القديم، حيث يقول الطاهر لبيب: "... لكن بالنسبة للمجتمع العربي الوسيط فإنه على عكس ما يشاع قد عرف مجتمعا مدنيا، بل أن المجتمع المدني الحالي قد تقلص بالنسبة لما عرفه المجتمع المدني الوسيط"<sup>2</sup>، وأستدل على ذلك بما ورد في مقدمة ابن خلدون، حيث استخدم هذا الأخير مفاهيم من قبيل العمران البشري والاجتماع الإنساني والسياسة المدنية والدعوة والبيعة وغيرها من المفاهيم التي أعتبرها الطاهر لبيب تعبيراً عن شكل من أشكال المجتمع المدني، وأستدل من تبنى رأي الطاهر لبيب بأن التاريخ العربي الإسلامي

<sup>1</sup> - محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005،

ص155

<sup>2</sup> - لبيب ( الطاهر ) . مرجع سبق ذكره، ص 250.

يُخبر عن وجود ما يشبه مؤسسات المجتمع المدني الحالي خاصة من الجانب الوظيفي ضاربين المثال في كل مرة بمؤسسات الوقف. وهناك رأي آخر يعارض فكرة وجود مجتمع مدني عربي في القديم يعتقد أصحابه أن هذه البناءات مجرد أشكالاً تقليدية تحمل سمات تلك المرحلة التاريخية مثل العلاقات القبلية والقربانية، وهي حسب رأيهم بعيدة عن خصائص مؤسسات المجتمع المدني الحالي المرتبطة بالحدثة والعقلانية الأوروبية، وطالما المجتمعات العربية لم تشهد هذا التحول وهذا النظام فلا يمكن الحديث عن المجتمع المدني قبل التحول الاجتماعي والسياسي لهذه المجتمعات. من هذا المنطلق نادى أصحاب الرأي الثاني إلى جعل المجتمع المدني وسيلة لتحقيق تلك الحدثة المنشودة والانتقال من مجتمع المؤسسة الطبيعية-القبلية- إلى مجتمع المؤسسة العقلانية حسب تصنيف الجابري، لذلك ربط هذا الاتجاه مسألة حضور المجتمع المدني وممارساته لأدواره بتحقيق الانفتاح السياسي وقيام مجتمعات ديمقراطية في البلدان العربية.

خلال السبعينات من القرن العشرين تم تبني المجتمع المدني بصورة ملموسة في البلدان العربية نتيجة للتحويلات السياسية الكبرى على الصعيد المحلي والدولي، ليتكسر أكثر مع انتشار ظاهرة العولمة بعد ذلك...، ساعد في ذلك أن تزامنت مع هذه التحويلات أزمة فقدان الثقة بين المجتمعات والأنظمة الحاكمة العاجزة عن مواكبة الطموحات الجماهيرية والتفاعل معها، ولم تحقق آمال مواطنيها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فدخل المجتمع المدني " كموضوع مركزي للتفكير قد ظهر في المناقشات أواخر السبعينات في بلدان المغرب العربي قبل

المشرق وفي صفوف اليسار قبل الأوساط البرجوازية الليبرالية<sup>1</sup>، يعود هذا الاختلاف حسب وجهة نظرنا إلى خصوصيات سياسية وثقافية تميزت بها كل من الدولة والمجتمع في المغرب العربي عنه في مشرقه، حيث كانت أنظمة الحكم في المشرق تقليدية محافظة أكثر من مثيلتها في المغرب العربي، وحيث أن النخب الثقافية في البلدان المغاربية أكثر تماسا مع ما يجري في الغرب، لقربها زمانيا من الاستعمار وقربها الجغرافي من أوروبا اوجد اتصال ثقافي سهل انتقال مفهوم المجتمع المدني.

ويرى الجابري في سياق محاولات تناول هذا الموضوع أن دراسة تشكل المجتمع المدني العربي يجب أن يأخذ في الحسبان مختلف مفاصل المجتمع وتشعبات حراكه الاجتماعي، مستنداً إلى خلفية نظرية تربط الباحث بمعطيات المجتمعات العربية وطبيعة تكوينها ومعرفة مكان الصراع فيها وأنواعه واتجاه الحركة داخلها، بدل أن يبقى الباحث الميداني مشدوداً إلى قياسات ونماذج تجد خلفيتها النظرية وأساسها الاجتماعي التاريخي في واقع آخر<sup>2</sup>. وهي دعوة من الجابري إلى نوع من الانعكاسية (تأملية) المعرفية التي تمكن الباحث في الظاهرة الجمعية من إدراكها من الداخل، بالاستناد إلى كل ما يحيط بها ويؤثر فيها انطلاقاً من مبدأ "الكل المترابط"، وكل هذا ضمن إطار تاريخي يتتبع محطات النشأة والنمو لهذه الظاهرة.

<sup>1</sup> - الكنز (علي). وعي المجتمع: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، إشراف

عبدالله حمودي، دار توفيق، المغرب، ط1، 1998، ص 23

<sup>2</sup> - الجابري محمد عابد. "تساؤلات وأفاق". وعي المجتمع: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق

الديمقراطية، إشراف عبدالله حمودي، دار توفيق، المغرب، ط1، 1998، ص52



## ثالثا: المجتمع المدني في الجزائر وإعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

كان تجلي ظاهرة المجتمع المدني في الجزائر بصورة فعلية خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي، على اعتبار أن وجوده قد ارتبط بوجود نظام سياسي ديمقراطي- تعددي، وهذا لم يحدث قبل الحركة السياسية والاجتماعية التي تلت أحداث أكتوبر 1988، إلا أن هذا لا يعني غيابه التام عن سياق الممارسات الاجتماعية الواقعية في فترات تاريخية سابقة، فقد سُجل وجود العديد من الجمعيات قبل ذلك بشكل من الأشكال خاصة في عهد الاستعمار الفرنسي، لكن على قلتها ومحدودية نشاطها لم يتم تناولها بشكل موسع خلال تلك المرحلة التاريخية، وعموما فإن البحوث السوسولوجية حول المجتمع المدني في الجزائر لم تنزل في مرحلة الانطلاق وتتميز في الغالب بالطابع النظري باستثناء بعض رسائل الدكتوراه والماجستير الجدية خاصة بعد 2006.

فالخطاب العلمي حول الظاهرة الجموعية في الجزائر لم يتجاوز عمره الربع قرن، لارتباط انتشاره بالتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العميقة بعد 1990، التي أوجدت صورة جديدة للنظام السياسي الحاكم، حيث سمح بتعددية حزبية وأيديولوجية ولو شكلية، لذلك فإن "المعالجة العلمية للظاهرة الجموعية في الجزائر لم تصل إلى المستوى المأمول من حيث النظر وأدوات التحليل والتقييم"<sup>1</sup> وهذا الأمر يسري على الأقل إلى غاية عقد ونصف من الزمن بعد نقطة التحول الكبرى في تاريخ الحركة الجموعية، ربما يرجع هذا التأخر إلى حالة الترقب إلى ما

<sup>1</sup> - الزبير عروس. الحركة الجموعية في الجزائر الواقع والأفاق، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا

الاجتماعية والثقافية، دفاتر المركز، عدد13، 2005، ص12

ستؤول إليها الأحداث الأمنية التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة والتي أثرت على جميع الأصعدة، حتى مجال البحث العلمي.

وان كل دراسة موضوعية لهذه الظاهرة ليستدعي حتما النظر في سياقها السوسيوثقافي الذي أوجدها، وصيرورتها التاريخية التي مرت بها، والتعرض لكل مؤثراتها الداخلية والخارجية، فليس غريبا عن المجتمع الجزائري المتميز تاريخه الاجتماعي بالروح الجماعية أن يؤسس مؤسسات للفعل الجماعي تماثل مؤسسات المجتمع المدني الحالية في أدوارها الاجتماعية، يمكن ان نوضحه بشكل مختصر فيما سيأتي:

### 1- البنية السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري خلال المرحلة العثمانية:

فإذا ما رجعنا إلى المرحلة العثمانية سنجد ثراء اجتماعي وثقافي معتبر مع الانتشار الواسع للتعليم بشكله الرسمي والحر، لما اخذ المجتمع على عاتقه مهمة التعليم حين اتجه النظام الحاكم إلى الاهتمام بالأمور العسكرية كأولوية إستراتيجية، وقد ساعد هذا النمو التربوي والثقافي في تشكل بناءات اجتماعية دعمت الترابط الاجتماعي لمجتمع مختلط الأصول العرقية واللغوية، بشكل تجاوز معظم الإشكالات الاجتماعية لتلك الفترة. مع بقاء الصورة العامة المميزة للمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية، حيث شكل الطابع القبلي الإطار العام المنتج للعلاقات الاجتماعية، فكانت القبيلة هي البناء الاجتماعي الأول بعد الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد وبث قيم الولاء للجماعة وخدمتها.

فقد تمايزت القبائل في تلك الفترة إلى قسمين حسب متغير الولاء والقرب من النظام الحاكم، القسم الأول تمثله القبائل المعارضة للنظام، والقسم الثاني تمثله قبائل المخزن الموالية للسلطة العثمانية حيث مارست دور الوسيط - الوساطة هي

أحد أدوار المجتمع المدني الحديث - بين هذه الأخيرة والمجتمع،، ورغم مساهمتها في عملية التمدن من خلال احتلالها لأراضي القبائل المتمردة إلا أن هذا الدور اتجه في معظم الأحيان لخدمة السلطة الحاكمة التي وظفت هذا النوع من القبائل كجهاز لتحقيق السيطرة والهيمنة على القوى الاجتماعية وكسب الشرعية.

وفي نفس الفترة التاريخية مارست مؤسسات الوقف دور جمعي هام، حيث قامت بأدوار عميقة في توطيد الروابط الاجتماعية وتقوية التضامن الاجتماعي، فاعتبرت الأوقاف بحق "أحد المظاهر المؤثرة في أسلوب حياة السكان وطريقة عيشهم، وهذا ما انعكس على العلاقات الاجتماعية وعلى النشاط الاقتصادي والتعامل الإداري وحتى الميول النفسية والقناعات الروحية والثقافية للسكان"<sup>1</sup>، ولأنها كانت متحصنة بالإطار الشرعي فقد تجنبت تدخل السلطة الحاكمة في عملها، هذا المشكل الذي يعيق عمل الحركة الجمعوية الحالية.

## 2- الإدارة الاستعمارية ومحاولات تدمير شبكة العلاقات الاجتماعية.

استمر الدور الإيجابي لمؤسسات الوقف إلى غاية السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي الذي سيعمل على التضييق عليها ثم تصفيتا بصورة شبه نهائية، لما أدرك دورها كأحد عوامل المحافظة على تماسك المجتمع المراد تفكيكه<sup>2</sup>، وسيتمدد الأمر إلى مؤسسات الزوايا التي كانت هي الأخرى تمارس أدوارا اجتماعية متميزة، حيث وضعها المستعمر أمام خيارين: إما الولاء وإما "الفناء" وإنهاء حضورها الديني والاجتماعي مما حول البعض منها إلى أداة في يد الآلة الاستعمارية عملت من خلالها على التوجيه الأخلاقي والذهني لأفراد المجتمع.

<sup>1</sup> - سعيدوني ناصر الدين. الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أعمال ندوة الجزائر، مجلة

دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، 30/29 ماي 2001، دار الحكمة، ص59

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص59

وفي سياق الايدولوجيا الكولونيالية الموجهة لأساليب التحطيم المبرمج للمجتمع الجزائري، عملت الإدارة الاستعمارية على احتواء كل المؤسسات التربوية والثقافية للمجتمع، وذلك بسن العديد من القوانين والتشريعات في مختلف المجالات، وقد وصل حجم التدمير الاجتماعي الاستعماري حداً بعيداً<sup>1</sup>، جعلنا أمام مجتمع مفكك بنائنا ووظيفيا، فُصد من ذلك إعادة بنائه وفق مرجعية ثقافية أوروبية ليستجيب أفراد المجتمع الجزائري بعد ذلك لكل خطط السياسة الاستعمارية الاستغلالية المختفية وراء أكلوبة نقل سمات الحضارة الأوروبية المتقدمة.

وقد كانت المدرسة الأداة الجديدة في يد الإدارة الاستعمارية لتحقيق مشروع المجتمع الجديد، حيث اعتقد منظرو الاستعمار أن التعليم هو أكثر الوسائل قوة وفعالية في استعمار "ذات" الجزائريين وعقولهم، من خلال تكوين طبقة مثقفة مشبعة بقيم الثقافة الأوروبية تكون وظيفتها نقل تلك القيم إلى أفراد المجتمع الآخرين بحكم قربهم اللغوي والوجداني.

جدير بالذكر الإشارة إلى المقاومة الكبيرة التي أبدتها المجتمع الجزائري لسياسة الاجتثاث الثقافي للمستعمر بثتى الوسائل المتاحة، وامتاز رد فعله في أحيان كثيرة بروح جماعية وعقلانية، جعلته يحافظ على أهم مكونات هويته، تجسدت إحدى هذه الوسائل في توظيف بعض البناءات الاجتماعية البعيدة عن يد الإدارة الفرنسية، مثل الجماعات الشريطية في الأرياف التي مارست أدوارا اجتماعية واقتصادية وحتى قضائية<sup>2</sup>، وفي مرحلة ثانية سيستخدم الجزائريون أساليب جديدة

<sup>1</sup> - اجرون شارل روبرت. تاريخ الجزائر المعاصرة، ت/عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1982، ص36

<sup>2</sup> - الأشرف مصطفى. الجزائر: امة ومجتمع، ت/حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص.65.

بعد احتكاكهم بالمعمرين في الداخل، وهجرة البعض منهم إلى الخارج بحثاً عن العمل، والدراسة بالنسبة للفئة المتعلمة "التي دفعتها الأحداث إلى الإقبال على الجامعات سواء القريبة أو البعيدة جداً عن الوطن، للتعبير كل التعبير عن حدة المقاومة الثقافية... ومشاركتهم في إظهار هويتهم وإبراز وجودهم بعدما بلغت المواجهة الثقافية المرحلة الخطيرة"<sup>1</sup>، وقد سمح انضمام الجزائريين إلى الحركات العمالية التعرف على أساليب النضال النقابي فاستشعروا الحاجة لوعي قومي يسمح لهم بإعادة بعث مقومات مجتمعهم المهتد بالزوال، وهنا سيكون الانتباه إلى أهمية الجمعيات والأحزاب السياسية كوسائل لتحقيق المطالب السياسية والاجتماعية والثقافية.

ورغم تلك المقاومة فقد نجحت السياسة الاستعمارية في تحطيم جزء معتبر من البنية الاجتماعية للمجتمع وفك الارتباط بين أفرادها بعد تفكيك شبكة علاقاته الاجتماعية واستبدال المنظومة العلائقية والقيمية الأصلية بأخرى هجينة، نقلت الفاعلين بشكل سريع وعنيف من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات العلاقات القرابية إلى الحياة الجماعية الاصطناعية القائمة على الفردانية<sup>2</sup>. وقد انتبه بعض المثقفين لخطورة هذا الأمر فقدموا مجهودات جبارة في هذا السياق قصد إعادة الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي لترميم شبكة العلاقات الاجتماعية، يمكن أن نشير في هذا السياق إلى الدور الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين مستغلة الغطاء التشريعي لقانون 1901 الذي يختص بالنشاط الجمعي. حيث مكن هذا القانون الجزائريين من تأسيس الكثير من الجمعيات.

<sup>1</sup> - ساري جيلالي. بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ت/عمر المعراجي، منشورات الوكالة

الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 09

<sup>2</sup> - محمد نجيب بوطالب. مرجع سابق. ص 101

### 3- الحركة الجموعية في مرحلة الاستقلال: أسباب تراجع الدور.

أما بعد الاستقلال فقد وجدت الدولة الفتية نفسها أمام واقع اجتماعي متدهور خاصة من الناحية الاقتصادية، ووسط صراع دولي شديد بين المعسكرين الشرقي الاشتراكي والغربي الرأسمالي، وانطلاقاً من مبادئ بيان أول نوفمبر 1954 وميثاق طرابلس اختار أصحاب القرار في تلك الفترة طريق الاشتراكية كنظام اقتصادي وكنهج سياسي وإيديولوجي، وهو ما طبع السياسة الاجتماعية بطابع شعبي اتجه إلى احتواء جميع القوى الاجتماعية وضمها في إطار ما سمي بالمنظمات الجماهيرية، وإقصاء كل من يعارض الاختيارات الأحادية الجانب للنظام الحاكم، وهو ما سيجعله يواجه بمفرده تحمل المسؤوليات الكبرى في مختلف المجالات.

وقد استطاع النظام السياسي خلال فترة السبعينات من كسب ثقة المواطنين نتيجة النجاحات المحققة سواء على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، وزاد النجاح الدبلوماسي الخارجي من دعم هذا الارتباط بين المجتمع والدولة، حيث استمر هذا التقارب ولو بشكل اقل إلى غاية منتصف الثمانينات أين واجه النظام أزمة مالية حقيقية مع الانخفاض الكبير لأسعار البترول منتصف الثمانينات- حينها أصبح شعار " من اجل حياة أفضل" بعيد المنال- وهنا ستبدأ حالة الانفصال بين الطرفين التي ستبلغ الذروة في أكتوبر 1988، ولا يهّم في هذا السياق إن كان للأحداث من يحركها في الخفاء كما يرى البعض، إنما يهمننا من الناحية المعرفية وجود دوافع واستعدادات لدى الأفراد للتعبير بشكل جمعي عن رفضهم لسياسات النظام واختياراته.

وأمام المأزق الذي وقع فيه النظام والغضب الاجتماعي المتنامي ظهرت إلى الساحة القوى السياسية التي كانت تتحين الفرصة المواتية للظهور بشكل

معلن، فاستطاعت التأثير على عدد كبير من المواطنين الطامحين للتغيير، وستكون القوى الدينية المستفيد الأكبر من الوضع الجديد نتيجة قدرتها على التعبئة باستخدام خطاب حماسي عاطفي، وقد كانت قبل ذلك قد دخلت في مواجهات مع السلطة في عديد المرات.

وأمام ضغوطات الداخل وتأثيرات الخارج أدركت السلطة الحاكمة ضرورة إحداث التغيير والذهاب في طريق آخر غير الذي اختير منذ الاستقلال، فمکن التعديل الدستوري في فيفري 1989 من ظهور الأحزاب والجمعيات المدنية بشكل واسع، وسيكون هذا التاريخ نقطة تحول كبرى في تاريخ الحركة الجمعوية في الجزائر التي كانت قبل ذلك تعاني "الأمرين": التضييق الممارس من النظام المنغلق على ذاته، وحالة الضعف والانقسام التي تعانيهما النخبة المثقفة، يُضاف إلى ذلك سيطرة أشكال التعبير التقليدية على النسق السوسيوثقافي للمجتمع والتي لم تستطيع التكيف مع المعطيات الاجتماعية والثقافية الجديدة.

وفي خضم الظهور الكثيف للجمعيات مع بداية التسعينات بدأت المحاولات المعرفية الأولى لتفسير هذه الظاهرة، وهنا برزت قراءتين: الأولى تقول بان المجتمع حاول بناء هياكل تنظيمية جديدة كرد فعل اتجاه الممارسات الاقصائية تارة والاحتوائية تارة أخرى للنظام الحاكم، حتى يفتح لنفسه وسائل جديدة لتحقيق مطالبه الاجتماعية والثقافية، وأما القراءة الثانية ففسرت الأمر بان النظام السياسي انشأ العديد من الأحزاب والجمعيات لجعلها قاعدة إيديولوجية جديدة - أجهزة إيديولوجية حسب تعبير التوسير Althusser- للخروج من أزمة فقدان الثقة واسترجاع القبول الاجتماعي.

والواقع أن المزوجة بين القراءتين يعطي صورة أوضح لفهم ما حدث، فواقع الحال أن كلا الطرفين يريد التغيير وتوجيهه لتحقيق أهدافه، فجعلت

الجمعيات وسيلة في يد الطرفين، حيث سيكون التوظيف "المصلحي" الضيق للحركة الجمعوية احد العوائق أمام فعل جمعي فعال بعد ذلك. وهنا برزت ثلاث صور افتراضية لعلاقة الحركة الجمعوية والنظام: أولها قطيعة وانفصال بين الطرفين لتضارب الأهداف وفقدان الثقة، ثانيهما تبعية الحركة الجمعوية للنظام السياسي الذي يسعى للهيمنة عليها وجعلها في خدمته، وثالث صور العلاقة هي التكامل والمشاركة بين الطرفين لتحقيق التنمية الوطنية الشاملة في جميع المجالات وهو أمل كل المتتبعين والمهتمين بالمجتمع المدني.

إن النظر إلى محطات التغيير التي ميزت تاريخ المجتمع الجزائري خلال الفترات التاريخية السابقة الذكر والتي مست أنظمتها البنائية والوظيفية ومنظومته القيمية والفكرية ستجعلنا أمام أشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية، حيث التقى الأفراد في حياتهم بحقول اجتماعية متغيرة باستمرار ومفتوحة خاصة في الوقت الراهن، وهم يجدون أنفسهم أمام عوالم ثقافية متعددة، تجعلهم يؤثرون في واقعهم الاجتماعي ويتأثرون به، بحسب قدرتهم على أن يكونوا فاعلين<sup>1</sup>، وبحسب ما يستطيعوا تجاوز كل القهريات الاجتماعية التي تجعلهم في تبعية دائمة للسياق الاجتماعي الساعي للمحافظة على شكل بناءه، وكذا النسق السياسي الساعي للمحافظة على مصالحه.

والمأمل في فترة ما بعد التسعينات يرى هذا التغيير يزداد شدة واستمرارية، مع التأثيرات الكبيرة لظاهرة العولمة خاصة في بعدها الثقافي، لما أصبح المجتمع الجزائري أكثر اتصالا مع المجتمعات الأخرى وثقافتها، نتيجة التطورات الحاصلة في وسائل الاتصال وتقنياته التي جعلت الراسمال الاجتماعي وشبكة العلاقات

<sup>1</sup> - جورج سو. مرجع سابق، ص 22



الاجتماعية تتغير وفق الرأسمال الثقافي، حيث يعتقد مالك بن نبي أن جميع العلاقات السائدة بين الأفراد أصولها ثقافية<sup>1</sup>، بمعنى تشكلها في مجموعة من التصورات قبل تجسدها واقعياً.

وقد أصبح الرأسمال الثقافي بدوره في حركية مستمرة نتيجة التدفق السريع للمعلومات والقيم والمعايير الاجتماعية عبر الوسائط الاتصالية الحديثة وبمساهمة المجتمع المدني العالمي وليد مرحلة العولمة، لمّا ستنافس هذه البناءات الاجتماعية الجديدة تلك التقليدية - كالأُسرة والقبيلة والعرش... الخ- في التنشئة الاجتماعية للأفراد.

وحيث أن الحديث عن قوة وفعالية الحركة الجموعية يقودنا إلى الربط بين متغيرين جد مهمين: يتمثل الأول في وجود نسيج سوسيوثقافي يساعد ويدعم الفاعلين في مجال الفعل الجموعي تدعيماً وجدانياً وقيماً وعلائقياً، وهنا بالتحديد تظهر أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية لخلق التفاعل بين عالم الأفكار وعالم الأفراد وعالم الأشياء حسب مقاربة مالك بن نبي، ويتمثل المتغير الثاني في وجود فضاء سياسي مفتوح يقبل اختلاف الآراء وتعدد المواقف ويمنح الاستقلالية للجمعيات، ويجعل منها شريكاً لاحتواء الأفراد والقوى المجتمعية.

وحيث أن الملاحظ لواقع المجتمع المدني الجزائري في الوقت الراهن يسجل تراجعاً كبيراً في فعالية دور جمعياته - بعد الأداء الجيد في بداية تأسيسه في التسعينات- حتى أصبح محل انتقاد وتذمر من السلطات ومن المواطنين على السواء، مما دفع الحكومة إلى اعاءة النظر في قانون 31/90 وإصدار قانون جديد مع بداية سنة 2012. والأمر باعتقادنا يتجاوز بكثير المسائل القانونية، إنما

<sup>1</sup> - بن نبي مالك. ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ت/عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق،

المسألة الأهم ذات أبعاد اجتماعية-ثقافية وأخرى سياسية سنتطرق إلى الحديث عنها ولو بشكل مختصر لفتح المجال للبحث فيها لمن كان له اهتماما بهذا الموضوع.

فأما الأبعاد الاجتماعية-الثقافية لقضية ضعف الفعل الجمعي فتعود إلى طبيعة التحولات في شكل العلاقات الاجتماعية المتجهة نحو فردانية أكبر على غير ما عرف به تاريخ المجتمع الجزائري حيث كانت تسود الروح الجماعية وقيم التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وقد انعكس ذلك على الجمعيات فأنتج ما اشرفنا إليه في دراسة سابقة بغياب "الروح العضوية"، التي من مؤشرات غياب الإحساس بالانتماء وعدم شعور أعضاء الجمعيات بالولاء وبأنهم جزء من الجمعية المنتمين لها تنظيمياً، مما يخلق حالة من اللامبالاة عند هؤلاء فيغيب الاندفاع والحماس اللازمان لتحقيق أهداف الجمعية، على العكس من ذلك فإننا نلاحظهم يتجهون لتحقيق أهدافهم الخاصة بتوظيف الجمعيات كأداة، وساعد على بروز ذلك انتشار الأنانية والقيم "الميكيفيلية" عند الكثير.

وأما البعد السياسي فيتعلق بتأخر ترسيخ قيم الممارسة الديمقراطية الحقيقية التي تتجاوز كل أشكال الاحتواء والإقصاء وبتث ثقافة المواطنة والديمقراطية التي تسمح ببناء منظومة علاقات واضحة المعالم تحمي الحقوق وتدفع للقيام بالواجبات بكل إخلاص وتفاني.

### خاتمة

إن إعادة بعث القوة في المجتمع المدني الجزائري ترتبط حتما بالتطور العام للمجتمع وبما يتيح هذا التطور من هيكلية للأفراد داخل جمعيات المجتمع المدني، والقدرة على الانتقال من مختلف التنظيمات القديمة (القبيلة، العرش، الجماعة...) إلى التنظيمات الحديثة التي تتطلب درجة عالية من الوعي والتعلم ومعرفة جيدة لأحوال

المجتمع ومتطلباته، حتى لا يكون عمل هذه الجمعيات ضعيف ودون جدوى أو ينحرف إلى أهداف غير جموعية، فالإشكالية المطروحة بحدّة بعد عقدين ونصف من ولادة المجتمع المدني في الجزائر تتمركز أساساً حول الوظيفة الأولى لهذا التكوين الاجتماعي الجديد ومدى تحققها في أرض الواقع، طبعاً هذه الوظيفة التي تخص بالدرجة الأولى تحقيق حاجات المجتمع المختلفة اعتباراً من كون مفهوم المجتمع المدني هو " مفهوم عام يشمل مختلف المؤسسات التي ينشئها الناس فيما بينهم لتنظيم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية"<sup>1</sup>. والعمل على أن تكون واسطة بين المجتمع والسلطة، وإن تحقيق هذه الخدمة يفترض وجود مجتمع مدني قوي إلى حد بعيد من حيث البناء التنظيمي الداخلي لكل جمعية، ومن جهة أخرى القدرة على العمل بكل حرية واستقلالية بعيداً عن أي قهريات ثقافية واجتماعية أو حتى سياسية لأداء هذه الوظيفة النبيلة.

### قائمة المراجع:

أ- بالعربية:

- 1- اجرون شارل روبرت. تاريخ الجزائر المعاصرة، ت/عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1982
- 2- الأشرف مصطفى. الجزائر: امة و مجتمع، ت/حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.
- 3- الجابري محمد عابد. " تساؤلات و آفاق "، وعي المجتمع: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، إشراف عبدالله حمودي، دار تويقال، المغرب، ط1، 1998
- 4- الزبير عروس. الحركة الجموعية في الجزائر الواقع والافاق، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دفاتر المركز، عدد13، 2005.
- 5- الكنز علي. "المجتمع في البلدان المغاربية"، وعي المجتمع: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، إشراف عبدالله حمودي، دار تويقال، المغرب، ط1، 1998
- 6- بشارة عزمي. المجتمع المدني: دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998

<sup>1</sup> - الجابري محمد عابد. مرجع سابق، ص39

- 7- بن نبي مالك. ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ت/عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986
- 8- ساري جيلالي. بروز المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ت/عمر المعراجي، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 09
- 9- سعيدوني ناصر الدين. الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أعمال ندوة الجزائر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، دار الحكمة، 30/29 ماي 2001
- 10- غرامشي (أنطوني). الأمير الحديث، ت/قيس الشامي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، دون سنة، ص 13.
- 11- غليون (برهان). بيان من أجل الديمقراطية، دار بوشان للنشر، الجزائر، ط4، 1990
- 12- دليو ستفنس. التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ت/ربيع وهبة، نسخة الكترونية، منتدى مكتبة الاسكندرية، دون سنة
- 13- قنديل أمين (مرسي). المجتمع المدني في العالم العربي: دراسة الجمعيات الأهلية في الوطن العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1994
- 14- لبيب (طاهر). " المجتمع المدني في الوطن العربي "، في مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الكويت، عدد 61-62، نوفمبر 1989
- 15- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005

## ب- بالفرنسية:

- 1- Neveu (Erik). **Sociologie des Mouvements Sociaux**, edition La découverte, 3ème édition, Paris, 2002
- 2- Sue (Roger). **La société civile face au pouvoir**, Paris, Presses de Sciences Politiques 2003
- 3- Touraine (Alain). **Production de la Société**, édition Seuil, Paris, 1973

## المبرد وإثبات الذات من ذخيرة التكوين إلى آليات التفكير

أ.عبد الله كروم

جامعة أدرار - الجزائر

## ملخص:

أحاول في هذه المقالة الكشف عن شخصية أبي العباس "المبرد" الذي عاش في القرن الثالث الهجري، من خلال نقطتين: الأولى إثبات شخصيته في عصر ملئ بالباحثين الكبار في اللغة والأدب، والجدل، واشتداد الصراع بين المراكز العلمية، والصراع بين القديم و الجديد. الثانية هي إبراز الآليات التي تجلي تفكيره الواعي كواحد من اللغويين الفاعلين في الدرس الأدبي والنقدي والبلاغي. كل ذلك ينم عن شخصية المبرد العلمية والمفكرة، المؤتثة على ذخيرة موسوعية، وحقاقة في الرأي، ومكنة في جوانب معرفية مختلفة أهلت شخصه للنبوغ وفكره للذبوع.

## Résumé

Dans le présent article j'essaie de dévoiler la personnalité, Abou Al-abbas "ALMOUBERRIDE" qui a vécu au troisième siècle de l'Hégire, et ce à travers deux points insensieles:

Dans un premier temps, j'essayerai de prouver son caractère dans une époque de grands des chercheurs en langue et littérature arabe, la controverse, et le conflit entre les centres scientifiques, ainsi que la querelle des anciens et des modernes. Et dans un deuxième temps, je mettrai en évidence les mécanismes par lesquels se manifeste sa conscience en tant que linguiste actif dans la littérature, la critique, et la rhétorique. Tout cela dévoilera la personnalité scientifique et encyclopédique de 'ALMOUBERRIDE'.

## مقدمة:

ليس سهلاً أن تحفر اسمك في عصر وصف عند العرب بالعصر الذهبي، وفي قرن بالغ الشأور، تميز بوفرة الإنتاج العلمي والمعرفي والأدبي، وعاش فيه جمهرة من العلماء والأدباء والبلغاء من أمثال ابن السكيت (ت243هـ) والمازني (ت249هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت250هـ)، والجاحظ (ت255هـ) وثعلب (ت291هـ) وغيرهم من أعلام الدرس اللغوي والأدبي

لقد استطاع محمد بن يزيد أبو العباس المبرّد (بكسر الراء المشددة أوفتحها) أن يخلد اسمه ضمن قامات القرن الثالث الهجري، وأن يتوج بلقب خاتمة اللغويين المنضوين تحت يافطة المدرسة البصرية، ويقدم بالإضافة النوعية بتحرير مسائل في أصول النحو وقضايا أدبية ولغوية، و كذا معضلات تأويل النص القرآني.

إن إثبات الذات في عصر ملئ بالجدل والكلام واحتدام الصراع بين المراكز العلمية، واشتداد المنافسة بين القديم والجديد، كل ذلك ينم عن شخصية المبرّد العلمية، المؤنثة على ذخيرة موسوعية، وحذاقة في الرأي، ومكنة في جوانب معرفية مختلفة أهلت شخصه للنبوغ وفكره للذيع.

لقد أتاح التكوين للمبرّد من الإطلاع الواسع على المادة التراثية العربية من أدب جاهلي، وقرآن كريم، وحديث شريف، وأيام العرب، ونحو، وتاريخ، وفصاحة، وبلاغة، ومكتسبات المدرسة البصرية.

وأما التفكير والرأي فقد تشربه من مادة الجدل والكلام والمنطق الذي يظهر توظيفه له من خلال توسعه في العلل النحوية واستكثاره من القياس.

## 1- المبرد التاريخ والجغرافيا :

أ / التسمية والمولد: ويسمى محمداً ولقبه أبو العباس وكنيته المبرِّد، ابن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم، وهو ثمالة، ابن أخلج بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن غوث.<sup>1</sup>

ويؤكد ابن خلكان أن مولوده كان يوم الإثنين عيد الأضحى عام (210 هـ)<sup>2</sup> من شهر ذي الحجة، واختلف المترجمون لسيرته في تحديد سنة الميلاد بدقة، فهناك من قال إنها سنة (207 هـ)، وآخر ادعى أنه ولد في 206 هـ، ويكاد يتفق المؤرخون أن مكان ولادته هو العراق وبالضبط البصرة، كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحموي.<sup>3</sup>

## ب/ النشأة وفعالية الكنية:

نشأ المبرد بالبصرة حيث ولد وترعرع ينهل من مصادر المعرفة المختلفة التي كانت توطر البصرة بوصفها مركزاً إشعاعياً تراكت فيه العلوم منذ نزلها الصحابييان أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك، ثم تداول على تربتها الحسن البصري ومحمد بن سيرين وصولاً لأئمة الدرس اللغوي والأدبي الذين شكلوا مدرسة البصرة وأبانوا عن نماء العقل العربي وتطوره<sup>4</sup> من خلال القضايا التي طرحوها في تععيد اللغة وتلقي الأدب بشقيه النثر والشعر .

<sup>1</sup> - وردت ترجمته في المصادر التالية: وفيات الأعيان، ج4 ص 314، تاريخ بغداد ج3/380 إنباء الرواة ج3،

ص214، الفهرست ص59

<sup>2</sup> - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، بيروت: دار صادر (دط)، ج4، ص 319.

<sup>3</sup> - معجم الأدباء ج19، ص:111.

<sup>4</sup> - فجر الإسلام، أحمد أمين، دار صادر الجزائر، (دط) 2009، ص211.

وفي تلك الأجواء نشأ أبو العباس وبدأ نجمه يصعد، وكانت لكنيته " المبرد" فاعلية تعكس إرهاباته الأولية نحو النبوغ والتفوق، فقد قيل إنه " لما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأل المبرد عن دقيقة وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء، أي المثبت للحق، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء" <sup>1</sup> أي الجميل، فتكون صفة خلقية (بفتح الخاء) لا خلقية علمية ترفع مكانته، ويبدو أن الحسن قد لامسه، فحدث الناس عنه : ما رأى المبرد مثل نفسه.

غير أن الثعالبي ذكر سبيين آخرين لتسميته بـ " المبرد" هما: الأول أنه من باب حظ الأسماء بأصحابها  
( وكل له من اسمه حظ)، واستحق بذلك قول الشاعر:

إن المبرد ذو برد على أدبه      في الجد منه إذا ما شئت أو لعبه  
وقلما أبصرت عيناك من رجل      إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

والثاني أنه لقب بذلك على الضد، كما لقبوا الغراب بالأعور رغم أنه معروف بحدة البصر،<sup>2</sup> ووصفه عبد الله الدينوري بوصف ينحى به لجماله فقال : (( كان حسن الوجه، فصيح العبارة ))<sup>3</sup>.

ج- بين المبرد البصري وثلعب الكوفي: جايل المبرد أحد أئمة اللغة العربية وأعلامها، ألا وهو ثلعب وكانت بينهما معارضات ومنازعات، ولعل بهما ختم

<sup>1</sup> -بغية الوعاة، الحافظ السيوطي، تح: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،

2004م، ج1، ص:222

<sup>2</sup> -مقدمة المقتضب، المبرد، تح: حسن حمد بيروت : دار الكتب العلمية، ط 1، 1420، 1999، ص 7

<sup>3</sup> -وفيات الأعيان، ص314.



تاريخ الأدباء المحققين حسب تعبير ابن خلكان، غير أن المبرد تفرد بذاكرته القوية وكثرة الاستحضار وحسن العبارة وفصاحة اللسان<sup>1</sup>.  
ويبدو أن تلك المماحكة أصبحت مثلاً يضرب لشدتها ولوقوعها من باب المحصل، وإن كان أكثر المتابعين جاروا المبرد وانتصروا له حتى قال السيرافي : (وكان بينه وبين ثعلب من المنافسة ما لا خفاء به، وأكثر أهل التحصيل يفضلونه)<sup>2</sup>.

ومع ذلك فقد استطاعا أن يبلغا شأواً كبيراً عندما أصبحا علمين في جيلهما، يقول ابن أبي الدنيا محفزاً

طلاب العلم<sup>3</sup> :

أيا طالب العلم لاتجهلن      وعذ بالمبرد أو ثعلب  
تجد عند هذين علم الورى      فلا تك كالجمل الأجرى  
علوم الخلائق مقرونة      بهذين في الشرق والمغرب

وكانت العلاقة بين الرجلين على اختلافهما في بعض الرؤى قوية ومؤسسة على الاعتراف المتبادل والإقرار للآخر مما أكسبهما احترام الجميع والتوقف عن المفاضلة بينهما، قال أبو عمر الزاهد: (سألت أبا بكر ابن السراج فقلت : أي الرجلين أعلم : ثعلب أم المبرد فقال : ما أقول في الرجلين العالم بينهما)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، الجزائر، موفم للنشر، (د ط )، 1993 ج 2 ص 328.

<sup>2</sup> - بغية الوعاة، السيوطي، مرجع سابق، ج 1 ص: 223.

<sup>3</sup> - وفيات الأعيان، مرجع سابق، ص 314، ج 4.

<sup>4</sup> - معجم الأدباء ج 5، ص 137

ونقل الزبيدي في طبقات النحويين والبصريين فقال ( كان إذا تلاقيا على ظهر الطريق تساءلا وتواقفا) رحمهما الله<sup>1</sup> .

لكن الشائع بين الناس والذي أصبح مكرساً هو المنافرة والعداوة التي غدت مضرب الأمثال في الخصومة واللدد والاختلاف على المبدأ والمنطلق .كما قال أحد الشعراء<sup>2</sup> :

وكفى حزناً أنا جميعاً ببلدة      ويجمعنا في أرض برشهر مشهد  
وكل لكل مخلص الود وامق      ولكننا في جانب عنه مفرد  
نروح ونغدو ولا تزاور بيننا      وليس بمضروب عنه موعد  
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا      عسير كأننا ثعلب والمبرد

د/ وفاته :

تكاد تتفق المصادر المترجمة لسيرته على أنه توفي رحمه الله يوم الاثنين سنة (285 هـ)،<sup>3</sup> لليلتين بقيتا من شهر ذي الحجة، ودفن بمقبرة باب الكوفة بالعراق في دار اشترت له، ورثاه الشعراء بدمع سخي، قال

أحدهم<sup>4</sup> ( استحضر فيها اسم ثعلب أيضا ) :

ذهب المبرد وانقضت أيامه      وليذهبن إثر المبرد تعلب  
بيت من الآداب أصبح نصفه      خرباً وبقي بيتها فسيخرب

<sup>1</sup> - طبقات النحويين واللغويين ص158.

<sup>2</sup> - بغية الوعاة، ج1ص

<sup>3</sup> - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز أبادي، تح: محمد المصري، القاهرة: دار سعد الدين ط1، 1421،

2000م ص286

<sup>4</sup> - وفيات الأعيان، ج4، ص319

فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا      الدهر أنفسكم على ما يسلب  
وتزودا من ثغلب فبكأس ما      شرب المبرد عن قريب يشرب  
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه      إن كانت الأنفاس مما يكتب

## 2- المدرسة البصرية و تشكل الشخصية :

البصرة مركز إشعاع للغة و الفكر، ولمكانها زخم ألقى بظلاله على ساكنتها بما يوجد فيها من علماء و فرق كلامية وجدل ومناقشات لمختلف القضايا العلمية التي كانت تشغل بال المهتمين بالشأن الثقافي، وهم أهل جدل وكلام واختيارات فقهية و لغوية مختلفة .

واحتلت البصرة مكانتها العلمية منذ الجيل الأول من اللغويين من أضراب أبي عمرو بن العلاء (154هـ)، وهو أحد القراء السبعة، وكان عالماً بالعربية وغريب ألفاظها وبالقرآن و أيام العرب، وعاش بها الخليل ابن أحمد الفراهيدي وسيبويه وغني عن القول إبراز مكانتهما في اللغة العربية نحواً وعروضا ومعجمية وجمعاً للغة. وإن كان بعضهم جعل أول نحاة البصرة الحقيقيين عبد الله بن أبي إسحاق الخضر مي(ت 117هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) لأن الأول كان الرائد في تفعيد النحو ومد القياس وشرح العلل، وأما الثاني فهو أول من صنف في النحو كتابين هما : الإكمال والجامع<sup>1</sup>.

وكان للمدرسة البصرية قصب السبق في إرساء قواعد النحو العربي أكثر من الكوفة، بفضل احتكامها وميلها للقياس وتأطير العربية بنظرية العامل التي يمكن عدها قوام النحو العربي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، مصر، دار المعرفة ن ط6، (د ت) ص121.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص124

وأنتجت مدرسة البصرة كوكبة من فطاحلة علماء اللغة والأدب استطاعوا أن يكونوا تراثاً علمياً وبلاغياً ولغويًا مثل المادة المعرفية لتلامذة المدرسة ومتعلمي الدرس اللغوي يومها .

وفي أحضان المدرسة البصرية نشأ المبرد ينهل من معينها وعلمائها وخاصة الكتاب الأساس في النحو العربي، أعني بذلك (الكتاب) لسيبويه، الذي اعتبره البصريون آية متعالية وسموه (قرآن النحو) تلقاه المبرد عن الجريري ثم عن المازني .

ومن شيوخه البصريين أبو حاتم السجستاني (ت 280 هـ) الذي تخصص في المعجمية و دون أروع كتبه عن (النخل) و(الطير) و(الجراد) و غيرها، وربما كان له الفضل في توجيه المبرد نحو الأدب و قضايا أخرى غير النحو .  
ولشغفه بالعلم فقد كثر مشايخه، منهم الجاحظ (ت 255)، والرياشي، التوزي، وأحمد بن طيفور، وإسماعيل بن إسحاق، ومحمد بن علي البصري .. وغيرهم ذكرهم الأستاذ حسن حمد في مقدمة تحقيقه لكتاب (المقتضب)، وقد زاد عددهم عن الثلاثين و نيف. ( المقدمة ص13).

### 3- الثقافة الموسوعية و التكوين الراسخ :

تأتى للمبرد أن يلم بثقافة عصره وأن يطلع إطلاعا واسعا على التراث العربي من القرآن الكريم، والحديث الشريف، و أيام العرب، و النحو، و البلاغة، و استطاع أن يستوعبها بما وهبه الله عن موهبة الحفظ و الاستذكار قال عنه نبطويه ( ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه )<sup>1</sup>

<sup>1</sup>-بغية الوعاء، ج1، ص 123

وكان يستعرض بحافظته على غريمه ثعلب و يزيد عليه بفضل آخر هو الفصاحة والبيان، ولذلك حكى الرواة<sup>1</sup> عنه محبته للمناظرة والاجتماع بغريمه. تخرج من مدرسة المبرد العديد من العلماء عدهم محقق كتابه "المقتضب"<sup>2</sup> حوالي أربعين عالماً منهم الأخفش الصغير، وابن أبي الدنيا، وأبو بكر الجرجاني، والحكيمي، والخزار، الزجاج، وابن درستويه، وأبو بكر الصولي، وإسماعيل الصفار، ونفطويه، وابن السراج الذي تولى تهذيب وتخفيف تغول كتاب سيبويه، وله كتاب الأصول اعتنى فيه بعلم النحو ومقاييسه، وتبدوعليه آثار دراسة المنطق من خلال تقاسيمه<sup>3</sup>.

وترك المبرد للمكتبة العربية ثروة هائلة من المؤلفات، حقق بعضها ولا يزال البعض الآخر في حكم الضائع، فمن إنتاجاته:

- الاشتقاق.
- إعراب القرآن
- التعازي والمراثي
- الاختيار
- أسماء الدواهي عند العرب
- أدب الجليس
- الحروف في معاني القرآن إلى سوؤة طه
- الرد على سيبويه
- الخط والهجاء
- الحث على الأدب والصدق... إلخ

<sup>1</sup>-بنظر وفيات الأعيان ج 4 ص 314، شذرات الذهب ج 2 ص 192 معجم الأدباء ص 118

<sup>2</sup>-المقتضب، تح: حسن حمد، مج 1-2، ص: 13

<sup>3</sup>-تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ج 4، ص: 147

والباحث يرى من خلال منجز التأليف هذا تنوع المجالات الواسعة التي كتب فيها المبرد ما بين نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وأدب، وأخبار، وعقيدة، وقرآن، وحديث وغيرها، وهي تتم على ثقافة موسوعية، وإن كان غلب عليها درس اللغوي ولاسيما النحو، وتلك ميزة طبعت مدرسة البصرة. فهم " أصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه، بدأ بذلك أبو الأسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الأدباء والقراء"<sup>1</sup>.

وغلب على تأليف المبرد مجال تخصصه وهو اللغة، حيث استحوذ المنجز التألوفي على أكثر من ثمانين بالمئة، خصصت للغة وآدابها، ومع ذلك يسجل الباحث انفتاح المبرد على مجالات أخرى بعيدة عن تخصصه كالعقيدة والحديث والأنساب والأخبار ليكشف قدراته وتنوع معلوماته واتساع ذخيرته العلمية التي احتوت صنوفا من المعرفة المؤطرة لروح عصره وبزاده استطاع أن يحفر اسمه بين كبار العلماء.

ولم يقتصر إنتاج المبرد على جانب التأليف والتصنيف إنما تواصل مع الإبداع وجادت قريحته بالشعر الذي لم يكن مبتذلا أو مرذولا، وقد ذكر الزبيدي<sup>2</sup> صحة قريحته وقوة شعره، وأنه لم يكن من المتقولين أو المنتحلين للشعر، ووصف أشعاره بالكثيرة، وممن عني بقريضه المرزباني<sup>3</sup> في كتابه "معجم الأدباء" ونقل بعض أشعارها ومنها قوله يمدح المعتصم:

جهرت بحلقة لا أتقيها      لشك في اليمين ولا ارتياب  
بأنك أحسن الخلفاء وجها      وأسمح راحتين ولا أحابي

<sup>1</sup>-تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج2، ص:194

<sup>2</sup>-إنباء الرواة، ج3، ص: 247

<sup>3</sup>-معجم الشعراء، ص: 450

وأن مطيعك الأعلى جدوداً ومن عاصاك يهوى في تباب  
ومن شعره أيضاً وقد قام لرجل أتاه على دابة وعلى كتفه طيلسان أخضر فقام  
له المبرد رغم استغراب أحد الحضور فقال:

أينكر أن أقوم إذا بدا لي لأكرمه وأعظمه هشام

ولا تعجب لإسراعي إليه فإن لمثله نذر القيام

ومن شعره أيضاً:

لئن قمت ما في ذلك مني غضاضة علي، ولكن الكريم مذل

على أنها مني لغيرك هجنة ولكنها بيني وبينك تجمل

ونستنتج أن شخصية المبرد كانت قوية من خلال أعماله وإنتاجه العلمي  
والأدبي ونظير ما خلف في عقبه من تلامذة كانوا من فطاحلة الدرس اللغوي  
وأكملوا مشروع أستاذهم وعنوا بالبحث والاستقصاء.

ومما يؤكد قوة شخصيته أنه استطاع أن يوقف تلك الهجمة الشرسة للغويين  
على شعر المحدثين - كما سيأتي - من أضراب أبي تمام الطائي، الذي شكل  
انزياحا وكسرا لاعتيادات اللغة المستمدة من نظرية عمود الشعر، وأن يجيز  
استحضار أشعارهم ويقبل منهم ويرد رغم خلفيته اللغوية.

كما أن المبرد الأزدي استطاع أن يكسر حواجز اللسانيات الجغرافية التي

استبعدت قبيلته

" الأزدي" بوصفهم متاخمين للفرس من الاحتجاج اللغوي عند جامعي اللغة،  
ولكنه تضرع في اللغة حتى تفوق على شيخ المدرسة الكوفية ثعلب في جوانب  
معرفية كالفصاحة و البلاغة والرأي.

كشف المبرد عن مكانته العلمية والنقدية والفكرية عندما ناقش في مؤلفاته، ولاسيما "الكامل" القضايا الأدبية المطروحة في عصره برأي يستدعي الذوق الأدبي والمعرفة والمنطق والتوسط والاستقلال والتقريب والتهذيب.

#### 4- المواقف وأدوات التفكير:

عبر المبرد عن استقلاليته في الرأي وأنه لم يكن من الدهماء يقبل سوقي الكلام وخطيه والشائع بين الناس، وأكد عن أصالة فكره من خلال القضايا التالية:

#### أ- الموقف من الشعر المحدث:

عندما جاء المبرد كانت روح العصر تسيطر عليها نظرة الانتصار للقديم ورفض كل جديد، وعدم الاحتجاج بشعر المحدثين وإن ملحت ولاسيما عند المشتغلين باللغة وجمعها من أمثال ابن الأعرابي، فعمد المبرد إلى الإسراع إلى تبني الشعر المحدث، وأعطاه شيئاً من تعاطفه، واعتمده أصلاً من أصوله، فتراه يدرس لتلميذه ابن المعتز قصيدة لأبي نواس ويشرحها له. وحاول أن ينصف المحدثين على ضعفهم وقلتهم أحياناً إلا أنه توسط بمقولته الرائعة وكشف عن ذائقة أدبية رفيعة عندما قال: "وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق"<sup>1</sup>. والباحث يجد في ثنايا كتبه ميلاً عفويًا في بعض الأحيان اتجاه القديم، لأن صلته بالمحدث قد لا تتجاوز العطف والشفقة، وتجد في كلامه تساوقاً مع

<sup>1</sup> -الكامل، المبرد، تح: د. عبد الحميد هندواوي، ج 1 ص: 58



النظرة القديمة لغلبة سلطانها عليه، وقد يكون ذلك لا شعورياً، ولأنه من صميم ثقافته<sup>1</sup>.

ومع ذلك عقد فصلا في كتابه "الكامل" خاصا بالمولدين وصدورها بعبارة الشهيرة" هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثل، لأنها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب"<sup>2</sup>

#### ب - استعمال القياس :

كان المبرد مولعا بالقياس رغم خلفيته البصرية التي تقدم السماع، ولكنه تمسك بالقياس في تحرير مسائل النحو ووضع قواعده، عندما أراد التفريع من الأصول والتدليل على اختيارات المدرسة البصرية، كما عبر عنه أبو الفتح ابن جني في العبارة السابقة"كان جيلا في العلم، وإليه انتهت مقالات أصحابنا(يقصد البصريين)، وهو الذي نقلها وحررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها". والمطلع على كتابه "الكامل" أو "المقتضب" يلمس نزعة القياس وكثرة استعماله له كأن يقول "ألا ترى أنك تقول: نعم القائد زيد، ولا يجوز نعم الذي قام زيد، فإنما هو بمنزلة قولك: نعم الرجل زيد، وهذا الذي شرحناه متصل في هذا الباب كله، مطرد على القياس"<sup>3</sup>

ج-تعليل الإعراب: أكثر المبرد من تعليقات الأحكام الإعرابية، واستكثر منها في تحرير قضايا النحو وتعيد قواعده، ومعروف أن أبا إسحاق الحضرمي هو

<sup>1</sup>-تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، ط1، 2001م، ص:79

<sup>2</sup>- الكامل المصدر نفسه، ج1، ص:329

<sup>3</sup>- الكامل، تح: حنا الفاخوري، بيروت، دار الجبل، 2005م، ج2، صص:323

أول من مد في القياس وعلل النحو، وتبعه بعد ذلك من جاء بعده، ويغلب على اعتقاد بعض الباحثين أن تعليل الإعراب انتقل إلى الفكر العربي بعد ترجمة كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية في العصر العباسي<sup>1</sup>.

غير أن المبرد أوغل في بسط العلل عندما اشتق الفروع من الأصول، وزاد بأن عمد إلى مباحث جديدة وتعريفات مبتكرة في العوامل المضمرة والظاهرة ومواقع الإعراب، ولكنه أفرط فيها، إذ كل رأي لا بد له من علة أوعلل تسنده<sup>2</sup>.

ويبرز لك فكر المبرد النحوي في تعليقه للإعراب بنفس منطقي وسياق للحجج المقنعة التي تدل على إطلاعه على المنطق ومادة الجدل لشرحه الأسباب والمسببات والشئ ونقيضه، كمناقشته لقول الأعشى معاتباً: هريرة ودعها

### وإن لام لائم

قال المبرد " هريرة منصوب بفعل مضمر وتفسيره، ودعها كأنه قال: ودع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه، وكان ذلك أجود من أن لا يضم، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر أحق به، وكذلك: زيدا أضربه، وزيدا فأكرمه، وإن لم تضمر ورفعت جاز، وليس في حسن الأول ترفعه على الابتداء وتصير الأمر في موضع خبره"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج2، ص: 196

<sup>2</sup> - تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ج4، ص: 147

<sup>3</sup> - الكامل، المصدر نفسه، ج2، ص: 539

د - محاولته الكشف عن السرقات:

حاول المبرد استباق ابن قبية في اكتشاف ظاهرة السرقات الأدبية، وأبان عن حاسة نقدية كبيرة في غير ما موضع من كتابه الكامل حين علق على بعض الأبيات، ومن أمثلة ذلك:

أنه أورد هذين البيتين:

إني شكرت لظالمي ظلمي      وغفرت ذاك له على علمي

ورأيتَه أسدى إلي يدا      لما أبان بجهله حلمي

قال المبرد "إنما أخذ هذا المعنى عن قول رجل من قريش لرجل قال له إنني مررت بقوم من قريش من آل الزبير وغيرهم يشتمونك شتما رحمتك منه. قال: أفسمعتني أقول إلا خيرا، قال: لا، قال: أياهم فارحم"<sup>1</sup> ووقف عند قول إسماعيل بن القاسم:

قد لعمرى حكيت لي غصص الموات وحركتني لها وسكنتنا

قال المبرد "من قول نادب الإسكندر، فإنه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه: حركنا بسكونه"<sup>2</sup>

د - تلقي القرآن الكريم:

ألف المبرد في علوم القرآن كالتقراءات ومعاني الحروف في القرآن وكتابه التام "معاني القرآن" الذي يبدو أنه استقبله في مواضع محددة مما ليس فيه رأي للسابقين استقبالا أعجب من سمعه، قال السيرافي "سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم" وإن صحت نسبة الكلام فهو دليل على تحرر فكر المبرد وأخذه بمبدأ

<sup>1</sup>-الكامل، المرجع السابق، ج2، ص:323

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ج1، ص330

التفسير بالرأي، ويكون بذلك على خلاف مع المدرسة الأثرية التي تستبعد القول بالرأي في القرآن الكريم.

#### هـ- نظرتة لقضية اللفظ والمعنى:

عبر المبرد عن موقفه من قضية اللفظ والمعنى، ولكنه لم ينصاع وراء الإعجاب بأحدهما دون الآخر، وإن حكم عليه الأستاذ إحسان عباس رحمه الله بالتأثر بروح عصره ومصطلحه<sup>1</sup>، إلا أنني أسجل تأكيده على الاختصار واللمحة الدالة، اللفظ القريب المعنى والفهم لدى المتلقي، يقول "من ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة، الحسنة الرصف، الجميلة الوصف كقول الحطيئة:

وذاك فتى إن تأتته في صنيعه إلى ماله لا تأتته بشفيح

وكقول عنتره:

يخبرك من شهد الواقعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم<sup>2</sup>

وعبر عن تفضيله للواضح من الكلام والقول العذب دون استعانة بمزيد الوسائط، لأنه بذلك يتخلص المتكلم من التكلف، ويسلم من التزديد ويبعد عن الاستعانة.<sup>3</sup>

#### و- محاولة تهذيب النحو:

لا يخفى على دارس القيمة العلمية لكتاب سيبويه، والصدمة الكبيرة التي أوقع فيها المتلقي المعاصر له، لما فيه من الفروع والعلل والتخرجات التي فاقت

<sup>1</sup> -تاريخ النقد عند العرب، ص:82

<sup>2</sup> -الكامل، تح: د عبد الحميد هندراوي، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد بيضون،

ط2002، 1م، ج1، ص:56

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ج1، ص:58

الكثير من المستويات، وكان المبرد يقول إذا جاءه أحد يستقرئه الكتاب فيقول

له: هل ركبت البحر؟ تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه.<sup>1</sup>

انبناء الشخصية العلمية المفكرة ذات الرأي المستقل جعلته يتولى تهذيب كتاب سيبويه، الذي استغلق على فهم المتلقي ومساوقة خرائطه المفاهيمية، حتى تناوله وفتح مستغلقه وخفف شحنه وعقل بعض جنونه وبرد سخونته ونشره بين العوام والطلبة قبل أن يأتي تلميذه ابن السراج فيكمل تهذيب الكتاب. وأراد المبرد كسر تلك النظرة التقديسية على كتاب سيبويه فانتقده في غير ما موضع من كتبه مثل "المدخل إلى كتاب سيبويه" وكتاب "الرد على سيبويه" وكتاب "فقر كتاب سيبويه"، ولما رأى استصعاب الناس للنحو سلك طرقاً أخرى في كتابه "الكامل" تتوخى الأخبار والنكت والنوادر دفعا للملل وتسهيلاً لتناول القضايا اللغوية المستعصية، وإن أخذ بعضهم عليه ضعف الوحدة التأليفية لانصرافه إلى توفير ما يدفع السامة على القارئ، وتلك نباهة سبق بها دعاة تيسير النحو في عصرنا.<sup>2</sup>

أما منهجه في النحو فإنه ينم عن منهجية محكمة تبرز التزامه الفكري قبل المذهبي (البصري) وهو يقوم على ما يلي:

- كثرة الاستشهاد بآيات القرآن الكريم
- قلة الاستشهاد بالحديث الشريف باعتبار أن الحديث قد يروى بالمعنى.
- الإكثار من الاستشهاد بالشواهد الشعرية التي ترجع لشعراء معتبرين و لو كانوا محدثين، وقد بلغت الشواهد النحوية في كتابه "المقتضب" حوالي

560 بيتاً

<sup>1</sup>-تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج2، ص:196

<sup>2</sup>-تاريخ الأدب العربي، ح الفاخوري، ص: 756

- استحضار الأمثال العربية والحكم وبعض النثر .
- الالتزام بالقياس التزاما شديدا .

### الخاتمة

بعد رحلة مائة في كتب التراث والسير والتراجم وبعض كتب المبرد اكتشفت فيها جوانب كانت غامضة لدي حول المبرد وشخصيته وأعماله وآرائه في اللغة والأدب، توصلت لجملة من النتائج أهمها

- (1) أسهمت المدرسة البصرية بعلمائها وتراثها العلمي والأدبي في إغناء وإثراء الأدب العربي بشخصيات علمية وفاعلة وأبحاث قيمة.
- (2) يحتفظ أبو العباس المبرد بثقافة موسوعية تأسست على استيعاب ثقافة عصره أهلتها للنبوغ والتفرد
- (3) للمبرد شخصية قوية وملكة علمية وفرت له الاستقلالية والتحرر من الآراء السائدة ومحاولة تكسير الخطية السائدة
- (4) توظيف المبرد للعلل والأقيسة دليل على انفتاحه على ثقافة الآخر وتفاعله مع الفكر الوافد .
- (5) أسهم المبرد وتلاميذه بإنتاجاتهم وأفكارهم في محاولة تهذيب النحو والتقليل من غلوائه من خلال التسهيل ودفع السامة وتبسيط مسائله.
- (6) تلقي القرآن الكريم بأفق انتظار غير مألوف في زمانه ولاسيما الميل إلى القول بالرأي والبحث عن المعنى الذي لم يسبق إليه

### قائمة أهم المصادر والمراجع

1. - فجر الإسلام، أحمد أمين، دار صادر الجزائر، (د، ط) 2009.
2. بغية الوعاة، الحافظ السيوطي، تح: محمد عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
3. المقتضب، المبرد، تح: حسن حمد ن بيروت : دار الكتب العلمية، ط1420، 1-1999.

4. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، بيروت: دار صادر (دط)
5. ، تاريخ أدب اللغة العربية، جرجر زيدان، الجزائر : موفم للنشر، (د ط )، 1993 328.
6. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز أبادي، تح: محمد المصري، القاهرة: دار سعد الدين ط1، 1421، 2000م .
7. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، مصر، دار المعرفة ن ط6، (د ت )
8. الكامل، تح: حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، 2005م
9. الكامل، تح: د عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد بيضون، ط2002، 1م

## النماذج الإنسانية في الآداب العالمية

د.قاسي محمد عبد الرحمان  
جامعة أدرار - الجزائر -

### ملخص:

النموذج الإنساني شكل من السلوك الذهني، حيث تظهر ملامحه من خلال وظيفته الاجتماعية. إن الشخصية من حيث هي نموذج تعكس حقبة زمنية وطبقة اجتماعية ما...

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهمية النماذج البشرية في الدراسات الأدبية المقارنة، وإبراز دورها الفاعل في مختلف الآداب العالمية، وتحديد ملامحها، بالإضافة إلى تبيان قدرة الأديب على توظيف هذه النماذج...

### Résumé:

Le type humain est une variante de caractère, où est mise en relief son profile à travers son rôle social. La personnalité en tant que spécimene est un reflet d'une certaine époque et couche sociales.

Cett recherche vise à jeter la lumière sur l'importance du caractère humain dans la littérature comparée et son rôle prépondérant dans la littérature universelle outre le pouvoir du littarateur dans la mise en exergue de ses capacités.

### مقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن أهمية النماذج البشرية في الدراسات الأدبية المقارنة، ودورها الفاعل في مختلف الآداب العالمية، وتحديد ملامح هذه النماذج، بالإضافة إلى تبيان قدرة الأديب على توظيف هذه النماذج.



يُعرف النموذج الإنساني في الأدب المقارن على أنه " الصورة التي يعطيها الكاتب لشخصية من شخصيات عمله الأدبي، تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التي كانت من قبل في عالم التجريد أو متفرقة في مختلف الأشخاص".<sup>1</sup>

والنموذج الإنساني يهتم بدراسة شخصية الشعوب أو الجماعات الإنسانية مثل شخصية العربي أو الفرنسي أو يقوم بتصوير الجماعات المهنية كشخصية الكاهن أو الأستاذ أو الطبيب أو الفلاح.<sup>2</sup>

إضافة إلى هذا فإن النماذج الأسطورية لها الحظ الوفير في مادة الأدب المقارن؛ لأنها تساعد كثيرا على إبراز الحكايات القديمة التي تشوهت لتقادمها، مثل أسطورة أوديب وجماليون وفاوست، إلى جانب ذلك الحكايات الشعبية التي أنتجها الخيال الشعبي مثل نموذج الساحر والغول والعفريت وما إلى ذلك من الشخصيات الخرافية.

وأهم ما في هذا النوع من الدراسات هو رصد نمو هذه الشخصيات بين أدب وأدب آخر الذي تنسبه العادات والتقاليد إلى هذه الشخصية، بحيث أن الدارس لها في الأدب المقارن يهتم بما يلي:

أ- رصد قدرة الكاتب على تطوير الموضوع.

ب- ملاحظة آراء الكاتب في التبرير أو الحكم على موضوعه وملاحظة قدرته الفنية.

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، دط، 2003م، ص 303.

<sup>2</sup> - داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003م، ص 30 .

ج- رصد التغيير الحاصل في المثل الاجتماعية والمواقف الأخلاقية حسب تبدل الزمن والمجتمع.<sup>1</sup>

والأدب المقارن لا يحفل بدراسة هذه النماذج إلا إذا صارت عالمية، وانتقلت من أدب أمة إلى أدب أمة أخرى، وقد تحتفظ خصائص كانت لها في الأدب الذي نشأت فيه وتكتسب مع ذلك بعض الخصائص الجديدة التي يضيفها الأديب - الذي تناولها موضوعا للدراسة - عليها قد يبعد بها قليلا أو كثيرا عن منشئها الأول.

كما قد تتعدد نواحي المعنى الأدبي للشخصية على يد مختلف الكتاب، بل قد تتضاد هذه المعاني وتتضارب تبعا لتأويلات المؤلفين واتجاهاتهم، نأخذ على سبيل المثال قصة كليوباترا التاريخية؛ فقد تناولها شكسبير من زاوية المرأة المغربية والأنانية، عكس ما نجده عند أحمد شوقي الذي حاول في الإطار التاريخي ذاته أن يبرز الجانب الأخلاقي والوطني لهذه الشخصية، وتبرير الأعمال الطائشة التي كانت تقوم بها.

كما نجد في كثير من الأحيان، أن الكاتب يأخذ لب الموضوع ثم بعد ذلك ينسج عليه تفاصيل الشخصية التي يود تصويرها، وهذا ما نجده عند الكاتب الإنجليزي برنارد شو في مسرحيته "بجماليون".

وقد تكون هذه الشخصيات من مصادر إنسانية عامة، أو شخصيات تاريخية أو مأخوذة من مصادر أسطورية أو دينية، أو من الثقافة الشعبية أو مستمدة من التاريخ.

### 1- نماذج إنسانية عامة:

<sup>1</sup> - داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مرجع ساق، ص 30.

يتطرق فيها الباحث للكشف عن الوسائل الفنية التي جعلت الكاتب يصور نموذجاً إنسانياً عاماً في المسرحيات أو القصص أو الشعر الغنائي، ومثل هذه النماذج لا تُحسب على الأدب المقارن إلا إذا انتقلت تاريخياً من أدب أمة إلى أدب أمة أخرى كما هو متعارف عليه في منهج الأدب المقارن. ومن أهم هذه النماذج العامة نموذج البخيل.

#### - نموذج البخيل في الأدب اليوناني:

أول مسرحية تناولت هذه الشخصية للشاعر اليوناني "ميناندر" Minander (ت 290 ق م)، لكنها ضاعت ولم تصل إلينا. وحاكاها الشاعر اليوناني "بلوتس" Plotus في مسرحية له بعنوان "أولالوريا" Aulaluria أو "وعاء الذهب"<sup>1</sup>. ويتلخص موضوعها في أن شيخاً بخيلاً يدعى "أوكليون" Euclion كان يخبئ ثروته الذهبية في وعاء في منزله وهو يعيش في فقر مدقع، خوفاً أن يظن أحد أنه وافر المال، ويحدث أن يخطب جاره "ميجادوروس" Megadorus ابنته "فايدريا" Phaedria، ولكن الأب يتردد لأنه يظن أنه اكتشف كنزه ثم يقبل بعد هذا التردد، وفي حفل العرس يحضر المدعوون والطاهون من جانب ميجادوروس، فيطردهم الأب شر طردة، لأنه يرى في كل واحد منهم سارقاً لكنزه في المستقبل، ثم يرى ديكا يحوم حول موضع الذهب في البيت فيذبحه، ثم يحمل كنزه من مكان إلى آخر ويكثر من الصلاة للآلهة حتى تحمي كنزه، ويلحظه ذات مرة خادم من خدم "ليكونيدوس" Lyconidus، الذي كانت له علاقة عاطفية من قبل مع ابنته ويفهم من الصلاة مكان الكنز ولكن العجوز يشعر به فيطرده، ويحمل الذهب إلى غاية بعيدة عن الناس ويتبعه الخادم بحذر، ثم يسرق الذهب بعد أن ينصرف الشيخ وعندما يعود

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 304.

لا يجد الكنز فيجن جنونه ويرجع إلى المنزل ويعلم أن ابنته متعلقة "بليكونيدوس" والحب متبادل بينهما منذ مدة طويلة رغم فقر الفتاة وغنى حبيبها، وتزول عقبة الفقر حين يحمل الخادم الكنز الذي سرقه مهرا للفتاة كي تتزوج من سيده، فيعتقه سيده ويتم الزواج.<sup>1</sup>

نلاحظ من خلال العرض الموجز السابق، أن بلوتس صور البخل من زاوية واحدة، فهو لم يتعمق في تصوير هذه الظاهرة من الناحية النفسية، واكتفى فقط بإظهار عاقبة البخل وعدم تمتع البخل بأمواله.

### ب- نموذج البخل في الآداب الأوروبية:

من الأدباء الذين تناولوا نموذج البخل، الكاتب الفرنسي موليير \* Molière في مسرحيته الشهيرة "البخل"، وقد تأثر فيها بمسرحية بلوتس إلا أن موليير تفوق عليه في مدى التعمق في تصوير هذه الرذيلة الاجتماعية.

صور موليير شخصية أرباجون Harpagon مثالا للبخل الذي طغت عليه هذه الآفة، حتى أن عاطفة البخل عنده لم تستطع أن تتغلب على عاطفة الحب، وقد طبع الكاتب مسرحيته هذه بطابع الذي يقرب الضحك المر من البكاء؛ ويتمثل ذلك في المسرحية في المشهد الذي " يتحدث فيه كيروك عن حبه لابنة البخل أرباجون الذي يتصور أنه يتكلم عن الصندوق المسروق، بالإضافة إلى أن سرقة الكنز وجدت بطريقة كوميدية، فضلا عن المنولوج الذي يتساءل فيه البخل عن كيفية الوصول إلى الكنز.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 164.

\* -جون باب تيسيت بوكلان الملقب بموليير، ولد عام 1622م بباريس، من بين مسرحياته الهزلية "المتحذقات السخيفات".

<sup>2</sup> - يرجع إلى موقع الانترنت، <http://www.site.moliere.com>

لقد أبدع موليير في تصوير هذه الرذيلة الاجتماعية، وتجلّى فيها عمق المعاني في التحليل النفسي لشخصيات المسرحية، رغم محاكاته للقديم وتأثره به في الكثير من المشاهد.<sup>1</sup>

وتوالت بعد ذلك المسرحيات التي اعتنت بتصوير نموذج البخيل، وأشهرها مسرحية الشاعر الإيطالي كارلو جولدوني\* Karlo Goldoni وعنوانها "البخيل"، وهي ملهاة في فصل واحد وفيها يرفض البخيل امبورجيو Amborgio تزويج ابنة زوجته بمن تحب بخلا بجهازها، فيقبل الفتى زواجها دون مال على شرط أن يوصي لها أمبورجيو بكل ما يملك.

## 2- نماذج إنسانية مصدرها ديني:

### - يوسف وزولخا في الأدب الفارسي:

كانت قصص القرآن الكريم مصدرا استفاد منه كثير من شعراء الفرس،<sup>2</sup> فقد كانت هناك بعض النماذج الفاعلة في الحياة الاجتماعية، استطاع من خلالها الأدباء أن يوصلوا الرسالة المرجوة منها وتحدث أثرها في الناس. من هذه الشخصيات "يوسف وزولخة" في الأدب الفارسي، فقد أخذت عن القرآن الكريم، ثم عن التوراة وشروحه. وقد صور هاتين الشخصيتين في الأدب الفارسي الفردوسي\* (ت 1021م)، قضى هذا الأديب جانبا من حياته في مدح الملوك، ثم اتجه إلى النظم في القصص الديني واتخذ منها مادة نظم جديدة، ومن

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 304.

\* - كارلو جولدوني: شاعر إيطالي، ولد عام: 1707م وتوفي عام: 1793م.

<sup>2</sup> - طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ص 130.

\* - الفردوسي، (932م-1021م)، من أكبر شعراء الفرس، له الشهامة.

بينها قصة يوسف وزوليا. ثم تناولها بعد ذلك الشاعر عبد الرحمن الجامي (ت1492م).

يُظهر الجامي أن ليوسف ميول صوفية، فقد كان يعتقد ككل الصوفية أن التأمل في الجمال الإنساني يقود إلى الله ذو الجمال المطلق. فنجد في ما ترويه القصة، أنه في يوم من الأيام أتت إليه الأميرة المصرية مولعة بحبه، فيقول لها ناصحاً: "الجمال في الخلق انعكاس عابر لا يطول بقاؤه كنضرة الوجه، فإذا أردت الخلود فتوجهي إلى أصل الأشياء كلها<sup>1</sup> فجمال الإنسان نسبي أما جمال الله كامل مطلق، والخلود يكون في أصل الأشياء وليس في فرعها. وبعد حديث يوسف هذا ترهبت زوليا وزهدت في الدنيا.

ترى زوليا في حلمها وهي صغيرة يوسف قبل أن تعرفه، ويبدو لها في ذلك الحلم أنه سيكون زوجها في يوم من الأيام. وتبقى على عذريتها طيلة زواجها بعزيم مصر على شاكلة الزواج الصوفي. وتظل العاطفة قوية لدى زوليا، ويزداد حبها ليوسف يوماً بعد يوم إلى أن طعنت في السن، مع ذلك تبقى وفيه لحبيب رأتها في منامها، وبعد وفاة زوجها تعتزل لتعيش في كوخ، كما تظل ليوسف نظراته الصوفية حتى يعلم ما تكنه له زوليا من حب وأنها قد هرمت وعميت، فيبحث عنها حتى يعلم أنها تقيم في كوخ، فيدعو الله أن يرد لها شبابها وبصرها فيستجيب الله له، فيتزوجها ثم لا يلبث بعد زواجه أن يمل نعيم الدنيا فيسأل الله أن يعجل برحيله فيكون له ذلك ثم تموت زوليا بعد ذلك حزناً عليه<sup>2</sup>.

والملاحظ أن قصة الجامي هذه أنها ابتعدت كثيراً عن القصة الأصلية الواردة في القرآن الكريم، فالكاتب أحاطها بمسحة صوفية.

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص313.

<sup>2</sup> - طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص130.

## 3- النماذج البشرية ذات الأصل التاريخي:

اعتنى الأدب المقارن بالنماذج الإنسانية ذات الأصول التاريخية، وبما أنه يدرس التأثير والتأثر بين الآداب، فقد اهتم بدراسة الشخصيات والنماذج البشرية العالمية من بينها شخصية "كليوباترا".

## 1- كليوباترا في الأدب الأوروبي والعربي:

## أ- كليوباترا في الأدب الأوروبي (شكسبير):

تعتبر شخصية كليوباترا من الشخصيات التاريخية التي لقيت حظاً وافراً في الأدب، فقد اهتم بها الأدباء منذ العصور القديمة. تمتزج في قصة كليوباترا حوادث سياسية وحب وقتال، وهي تمثل الصراع الذي كان بينها وبين أوكتافيوس بمساعدة أنطونيوس. وقد لعبت كليوباترا دوراً أساسياً في هذا الصراع بجمالها الذي أوقع في حبها القائد الروماني أنطونيوس.

تناول كليوباترا عدد كبير من الأدباء، وأول مسرحية فرنسية في عصر النهضة ألفها الشاعر جودل Jodelle Etienne (1532م-1583م) وعنوانها "كليوباترا الأسيرة"، ثم جاء بعده صموئيل دانييل Samuel Daniel (1562م-1619م) الإنجليزي ومسرحيته "كليوباترا"، وقد صارت الشخصية عالمية بعد أن تناولها شكسبير في مسرحيته الشهيرة "أنطون وكليوباترا" ثم بعد ذلك تناولها الإنجليزي جون دريدن John Dryden (1631م-1700م) في مأساته "العالم المقود"<sup>1</sup>.

ثم تناولها برنارد شو Bernard Shaw (1856م-1950م) في ملهاته "القيصر وكليوباترا".

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 322-323.

من أشهر المسرحيات في الموضوع ذاته، مسرحية لاشابيل La Chapelle وعنوانها "موت كليوباترا"، ثم مسرحية "كليوباترا" التي ألفها مارمونتيل Marmontel عام 1750م، ومسرحية أخرى بالعنوان نفسه لألكسندر صوميه A.Sommet عام 1824م، ثم مسرحية "كليوباترا" للسيدة جيرا ردن Mme de Gérardine عام 1847م. وقد صور هؤلاء الأدباء كليوباترا تلك المرأة المولعة بلذات العيش والانتصار بالخدیعة واعتماد المكر والحيلة.

كما سبق أن ذكرنا فإن شخصية كليوباترا دخلت الأدب العالمي عن طريق الأديب الشهير شكسبير وذلك من خلال مسرحيته "أنطونيو وكليوباترا". وأحداث القصة تتلخص أن كليوباترا لما أحست بالمكائد التي تدبر حولها لعزلها عن عرشها في مصر، اتجهت إلى سوريا لتجيز جيشها، وهناك التقت يوليوس قيصر الذي فتته جمالها فساعدها على ارتقاء عرشها، وعندما قُتل يوليوس قيصر انضمت كليوباترا إلى الجانب الذي يتزعمه أنطونيو. ولأنها تأخرت عن تقديم الولاء له فقد صمم على معاقبتها، ولكن ما إن رآها حتى سحره جمالها ونسي العقاب وانشغل بحبها عن أعماله السياسية. وكانت هي أيضا تبادلته الشعور نفسه ولكنها كانت تمزج الحب بالسياسة والعاطفة بالمصلحة، وكانت مع حبها لأنطونيو تفكر في مملكتها وفي تثبيت عرشها وتهيئة الجو لابنها ليتولى عرش مصر بعدها<sup>1</sup>، وكانت أخبار القائد أنطونيو تصل إلى القيصر أوكتافيوس في روما بعد أن يضيف إليها الوشاة ما يعكر صفو العلاقة بينها. وأخيرا يقرر أنطونيو أن يسافر إلى روما ليتفاهم مع القيصر وإزالة سوء التفاهم ويتزوج خلالها أنطونيو من أخت القيصر ولكن سرعان ما يفر إلى مصر.

<sup>1</sup> - طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 212.



على إثر هذه الحادثة، تتعقد الأمور بين أنطونيو والقيصر وتصبح الحرب بينهما ضرورة لا مفر منها. تبدأ الحرب بينهما أولاً في البحر، غير أن أسطول أنطونيو لم يكن مستعداً في تلك المعركة، ثم تأتي بعد ذلك المواجهة البرية، وكان جيش أنطونيو هذه المرة أكثر استعداداً لذلك نجده ينتصر على عدوه في بادئ الأمر، وعاد إلى كليوباترا فرحاً بنصره المؤقت طالبا الراحة بين أحضانها من عناء القتال يوماً كاملاً. وبهذا لم يتحمل أنطونيو مسؤولية الحرب، وراح يخلط بين الغرام والقتال وتحول النصر إلى هزيمة ساحقة.

بعد هذه الهزيمة فضل أنطونيو الموت على العيش أسيراً فانتحر، ووجدت كليوباترا نفسها وحيدة توشك أن تقع أسيرة في يد أوكتافيوس المنتصر الذي سيفرح بأسيرته ويحملها معه إلى روما ويعرضها على الجماهير رمزا حيا على انتصاره، ففضلت الانتحار هي الأخرى، وبهذا تنتهي قصة كليوباترا وأنطونيو.

وقد ألقى المؤرخون على عاتق كليوباترا كل أخطاء أنطونيو؛ " فتخاذه في القتال وضعفه في مواجهة الأعباء، مرده في رأيهم إلى تلك المرأة الساحرة التي أنزلته من المجد إلى الحضيض، ففضت على حاضره ومستقبله قائدا رومانيا أصيلاً"<sup>1</sup>. والحقيقة أن أنطونيو هو وحده المسئول عن تصرفاته بحيث أنه يتحلى بشخصية متذبذبة اندفعت وراء الحب ولم تر في الوجود شيء غيره.

هذه بعض صفات شخصية أنطونيو. أما كليوباترا فواضح من صورتها عند شكسبير أنها كانت هي الأخرى محبة عاشقة " فعندما سافر أنطونيو إلى روما لإصلاح الأمور بينه وبين القيصر، طلبت من وصيفتها أن تأتيها بالمخدر لتفقد وعيها، فلا تشعر بغياب أنطونيو. وكانت كلما فكرت فيه وهو غائب عنها،

<sup>1</sup> - طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 214.

تجرعت من ألم الفراق ومرارته ما يفوق طعم السم"<sup>1</sup>. وحتى عندما أرادت أن تموت، اختارت الطريقة السهلة في موتها حتى لا تشعر بالعذاب، كما حرصت كثيرا بأن تتزين وتتجمل كي تلتقي أنطونيو في أبهى منظر لها كما عودته دائما في حياتها، مما يدل على حبها الكبير له.

إضافة إلى صورة الحب، كانت هناك صورة أخرى تمثل الكرامة والكبرياء، فلما انتحر أنطونيو خشي قيصر روما أن تنتحر هي كذلك ويفوت على نفسه فرصة الظفر بها كأسيرة عنده، ولهذا بذل كل ما في وسعه على إبقائها حية، وكان يسعى إلى طمأننتها على نفسها ومالها وعرشها، ولكن كليوباترا فطنت لما يراد بها، ففضلت الموت على أن تعيش ذليلة أسيرة في روما عند القيصر.

كانت هذه قصة كليوباترا مع أنطونيو، وقصة الحب الذي أدى بهما إلى خسارة الحرب ثم الانتحار.

#### ب- كليوباترا في الأدب العربي (أحمد شوقي):

بعد رجوع القصة إلى موطنها الأصلي - مصر - استهوت هذه الشخصية الفريدة من نوعها أمير الشعراء أحمد شوقي.

أراد شوقي بدفاعه عن كليوباترا أن يرد على الكتاب الأوروبيين، وذلك من خلال مسرحيته "مصرع كليوباترا"، هذه المسرحية التي لاقت نجاحا كبيرا في الأدب العربي.

الشاعر في هذه المسرحية يرد الاعتبار لكليوباترا لا بوصفها ملكة وإنما بوصفها المواطنة المصرية الشرقية المخلصة لوطنها الذي تؤثره على حبيبها وتحيا وتموت لمجد مصر.

<sup>1</sup> -المرجع نفسه، ص 216.

يرى أحمد شوقي أنها عندما تفر من "أكتيوم" موقعة الحرب، وتأبى أن تشترك في الحرب مع أنطونيو ضد أكتافوس، فإن غايتها في ذلك أن ترك البطلين أحدهما يضعف الآخر وتكون هي الأقوى على المنتصر منهما، فنجده يبرر موقفها على لسانها قائلاً:

كنت في مركبي وبين جنودي      أزن الحرب والأمور بفكري  
 قلت روما تصدعت فترى شط      را من القوم في عداوة شطر  
 بطلاها تقاسما الفلك والجيد      ش وشب الوغى ببر وبحر  
 فتأملت حالتي مليا      وتدبرت أمر صحوي وسكري  
 وتبينت أن روما إذا زالت      عن البحر لم يسد فيه غيري  
 فنسيت الهوى ونصرة أنطونيو      س حتى غدرته شر غدر  
 علم الله قد خذلت حبيبي      وأبا صبيتي وعوني وذخري  
 موقف يعجب العلا كنت فيه      بنت مصر وكنت ملكة مصر<sup>1</sup>

فكليوباترا تعترف هنا بأنها أخطأت في حق حبيبها، " وأنها حين انسحبت من الواقعة لم تقدر الأمر من الناحية العاطفية"<sup>2</sup>.

يأتي أنطونيو ومعه مجموعة من الجنود، ويخبر كليوباترا بأن الحرب لم تنته بعد، وجاء من أجل أن يقضي معها الليل ويعود إلى المعركة مجدداً، وتخبره بأن هذه مجازفة قام بها وما كان عليه أن يترك أرض المعركة حتى ينتصر نهائياً، وهي في ذلك تقول:

تركتم لعد؟ هذي مجازفة      غد غيوب أسرار وأقدار  
 مخاطبة أوراس:

<sup>1</sup> - محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مكتبة الإسكندرية، 2007م، ص 15.

<sup>2</sup> - طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 220.

أوراس أنت بفن الـ قتال أعلم مني  
 الحرب فنك أورو س والسياسة فني  
 فكن بحقك عوني وقل لقيصر عني  
 إن المنى لم تقتصر بل قصر المتمني  
 فلو صبرتم قليلا وسرتم في تأني  
 أرحموني وروما من الخصام المعني<sup>1</sup>

ولكن أوريوس يطمئنها، فيقضي أنطونيو الليلة في قصرها في حجرة الولايم في جو من الرقص والغناء والشراب، حتى يأتي وقت ذهابه وجنوده لاستئناف الحرب مجددا. فنجدها في موقف تشجعه للذهاب إلى الحرب عساه ينتصر حيث تقول:

امض إلى الهيجاء أن طونيو كما يمضي الأسد  
 إن الأسود في اللبد دونك في هذا الزرد  
 امض إلى المجد ولا يقعدك شغل في البلد  
 يا ليث سر، يا نسر طر عد ظافرا أو لا تعد<sup>2</sup>

يعود أنطونيو إلى المعركة ويُهزم ويفر هربا هو وأوريوس إلى أن يلتقي بأولمبوس، ويخبره نبأ انتحار كليوباترا.

أولمبوس:

مولاي مهلا في الظنون واتئد إن من الظن اتهامها وأذى  
 أنت على مالك من مروءة رميت بالصدر أحب من وفي  
 أنطونيو: ماذا تقول؟

أولمبوس:

<sup>1</sup> - محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مرجع سابق، ص 22-23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 42 - 43.

## كليوباترا انتحرت بطعنة الخنجر في صدر الضحى

أنطونيو:

يا للسماء انتحرت؟ أين أين ولم؟ وكيف كان ذلك؟ ومتى؟<sup>1</sup>  
وعندها يقتل أنطونيو نفسه حزنا عليها، غير أن هذا الخبر كان مجرد كذبة  
اختلقها أولمبوس للقضاء عليه. في الجهة المقابلة نرى كليوباترا مع الكاهن في  
المعبد، يريها - الأفاعي التي سوف بها تنتحر - وتسأله إن كان الموت بسمها  
يشوه خلقتها وينقص من جمالها، فيجيبها أن سم الأفاعي لا تترك أي أثر ولدغها  
كوخز الإبر.

وعندما يأتيها الجند بجثة حبيبها وتكتشف الكذبة التي أخبروه بها، تصر أكثر  
على الانتحار، حتى لا تكون في مطعم قيصر الروم.  
هكذا تكون إذن نهاية الملكة المصرية الأسطورية، التي شغلت كتاب الغرب  
والعرب بشخصيتها الفريدة، فكليوباترا عند أحمد شوقي مثال للمرأة المصرية الغيورة  
المحبة لوطنها، وهي في هذا الشأن تقول:

أموت كما حبيت لمجد مصر وأبذل دونه عرش الجمال<sup>2</sup>  
وبهذا حاول أحمد شوقي أن يرد الاعتبار لهذه الشخصية الفذة التي يعتبرها  
المصريون مثالا للوطنية.

<sup>1</sup> -محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مرجع سابق، ص 42-43.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 81.

## 4- نماذج إنسانية مأخوذة عن الأساطير:

## بجماليون في الأدب الإنجليزي والأدب العربي:

قبل التطرق إلى قصة بجماليون في الأدبين الإنجليزي والعربي، يجدر بنا أن نعطي ملخصاً عن الأسطورة القديمة لمعرفة كيفية تأثير برنارد شو وتوفيق الحكيم بهذه القصة.

بجماليون هو فنان من قبرص هام بجمال تمثال من صنع يديه، فدعا الآلهة فينوس أن يتزوج من امرأة تشبه التمثال، ففعلت الآلهة أكثر من ذلك؛ إذ وهبت التمثال نفسه الحياة. وكان هذا بمثابة عقاب لبجماليون الذي كان يرفض الزواج. ويمكن أن نتصور كيف يمكن لبجماليون أن يزاول حياته مع التمثال الذي أحبه بعد أن بعثت فيه الروح، فتلك الروح أفقدته جمالية الخلق التي كان يحس بها الفنان من قبل، وهذا دليل على إعجاب الفنان بخلقه الفني.

إن أول من تحدث عن هذه الأسطورة في الأدب، هو الروماني أوفيد (42 ق.م - 17 م) في مجموعة قصصه الموسومة بـ (المسخ)، ثم تناولها العديد من الأدباء خاصة الانجليز، ومنهم جون مار ستون في قصيدته (نفخ الروح في صورة بجماليون)، كما تناولها وليام شوبنك في ملهاة بعنوان: (بجماليون وجالاتيا)، وأشهر هذه المسرحيات التي تناولت هذه الأسطورة هي مسرحية برنارد شو التي عنوانها (بجماليون). نشرت لأول مرة في لندن عام 1912م.

## أ- بجماليون عند برنارد شو:

نلاحظ من خلال قراءة مسرحية برنارد شو، أن الشخصية ليست أسطورية، وإنما شخصية

مأخوذة من المجتمع وتعالج مشكلة الطبقة التي كانت سائدة في ذلك الوقت.<sup>1</sup>  
وملخص المسرحية ما يلي:

يلتقي هنري هجنز Henry Higgins وهو عالم متخصص في علم الأصوات بفتاة فقيرة تباع الزهور تدعى إليزا Eliza، فيعجب بصوتها ويؤكد لها أنه باستطاعته مساعدتها في تحسين مستواها اللغوي، وأنه يستطيع أن يخلق منها فتاة أرسطوقراطية مهذبة اللغة نظيفة السلوك. وبعد بضعة أشهر من التدريب أقام هجنز حفلا في إحدى السفارات الأجنبية، وقدم للمدعوين إليزا على أنها أميرة تنتمي إلى إحدى الأسر الملكية الأوروبية، فعلا نجحت الفتاة في ذلك ولفنت انتباه الحاضرين بلهجتها الانجليزية الراقية، وهكذا نجحت التجربة بالرغم من صلف الأستاذ واحتقاره لشأنها.

يطلب هجنز الزواج من إليزا فهو يرى أن له الفضل في إعادة تربيتها من جديد، ولكنها في المقابل ترفضه محتجة في ذلك على أن مجتمعه الأرسطوقراطي مليء بالكذب والنفاق، فضلت عليه شابا بسيطا ينتمي إلى طبقتها الدنيا لتعيش معه حياة هادئة.<sup>2</sup>

نستطيع أن نقول بأن برنارد شو حاول تسليط الضوء على موضوع اجتماعي شائك تتمثل في ظاهرة الطبقة الاجتماعية في المجتمع الإنجليزي من خلال روح الأسطورة القديمة، حيث نجده قد غير في كل من شخصياتها وأحداثها، وأطلق العنان لخياله يرسم شخصياته الجديدة المستوحاة من وجوه في المجتمع، ووفق إلى حد بعيد في استغلال الأسطورة القديمة لمعالجة فكرة اجتماعية حديثة.

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد الرحمن محمد، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1982م، ص 217.

<sup>2</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 112،

## ب-بجماليون عند توفيق الحكيم:

من بين الأدباء الذين حاكوا الأسطورة القديمة لبجماليون هو الأستاذ توفيق الحكيم، وكان

أول ما لفته إليها لوحة شاهدها في متحف اللوفر بباريس، ثم بعد فترة من الزمن شاهد فلما سينمائيا عرض في القاهرة عن بجماليون مأخوذا عن مسرحية برنارد شو، فأعجب كثيرا بهذه الشخصية وكتب فيها مسرحيته الشهيرة ببجماليون.

رجع توفيق الحكيم إلى الأسطورة القديمة وتعمق فيها بخلاف ما فعل برنارد شو و"تفاعل معها وهذا ما يسمى بالتمثل والتأثر"<sup>1</sup>. لقد نجح توفيق الحكيم في هذه المسرحية في إبراز الصراع بين روعة الفن لما يبلغ درجة المثالية أو درجة الإبداع العليا وبين واقع الحياة، لينتصر في النهاية للفن الذي يأتي على حساب الواقع.

بعدها ينتهي الفنان ببجماليون من صنع التمثال جلاتيا ويهيم فيه إلى درجة العشق، يتطلع إلى أن يجد في التمثال روحا، فيتضرع للإلهة فينوس في أن تنفخ الروح في تمثاله الذي أفنى كل ماله ووقته في صنعه وطالما حلم به حيا.

بجماليون (من بعيد): فينوس فينوس أيتها السخية بالهبات..... امنحيني هبة واحدة، انفخي حرارة الحياة في تمثال جلاتيا..... زوجتي جلاتيا العاجية..... أعطها حياة يا آلهة الحب والحياة<sup>2</sup>.

تتردد الآلهة فينوس في أول الأمر في منح الروح للتمثال، لكن سرعان ما تشفق عليه وتبتغي مساعدته لكي ينظم إلى رعاياها.

<sup>1</sup> - أحمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص 203.

<sup>2</sup> - توفيق الحكيم، ببجماليون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م، ص 32.



فينوس (تتقدم نحو التمثال رافعة يديها إليه هاتفة)، بأمرى يا جلاتيا الحياة

انعسى وانتظري حتى يوقظك بالقبلات زوجك بجمالين.<sup>1</sup>

وعندما يأتي بجمالين هو وصديقه نرسييس، ويلاحظان أن الستار الذي كان يغطي التمثال قد انكشف، ويدور حوار طويل بينهما حول الدعاء الذي كان يدعوه للإلهة فينوس. وعندما يخرج نرسييس تبدأ جلاتيا بالتحرك وتتادي بجمالين، وعندها يفرح بجمالين ويشكر فينوس التي منحت الروح لجلاتيا. تبدأ الحياة الطبيعية بينهما "ولكن بجمالين الذي كان قد تعلق وجدانه بتمثاله، ينفر من زوجته حين يراها تحمل المكنسة وتزاول أعمال البيت"<sup>2</sup>. وهكذا تزول عنها تلك الصورة المثالية التي كان يمنحها لها، وأصبحت عادية مثلها مثل باقي نساء العالم، إذ يقول لها: " لست أنت أثري الفني ..... إني لم أصنع امرأة في يدها مكنسة"<sup>3</sup>.

هنا يثور الفنان على صورة المرأة الواقعية، فيدعو الإله أن يعيدها كما كانت في صورة تمثال عاجي " أيتها الآلهة ... فينوس يا أبولون ردوا إلي عملي وخذوا عملكم ... ردوا إلي فني ... أريدها تمثالا من العاج كما كانت"<sup>4</sup>.  
تحقق له الآلهة ما أراد، وتعود جلاتيا إلى الصورة التي كانت عليها من قبل، فينهال عليها بالمكنسة منتقما من التمثال الذي حرك غرائزه وجعله يتحول من فنان متجرد النظرة إلى رجل يشتهي المرأة حتى أنه يطلب من فينوس أن تبعث فيها الحياة.

<sup>1</sup>- توفيق الحكيم، بجمالين، مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup>- أحمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، مرجع سابق، ص 204.

<sup>3</sup>- توفيق الحكيم، بجمالين، مرجع سابق، ص 118.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 129.

واضح من خلال هذه المسرحية أنها تيعبر عن ناحيتين بارزتين، الأولى: تفضيل الفن على الحياة والواقع. والثانية نفور الفنان من المرأة؛ لأنه يرى فيها ملهارة له عن فنه، فإنها بمثابة العقبة بين الفنان وفنه.

##### 5- نماذج إنسانية مصدرها أساطير شعبية:

###### أ- شهرزاد في الأدب العربي:

الأدب المقارن يفترض أن تدرس الشخصيات أو النماذج البشرية إلا إذا غدت عالمية،

فيتناولها كبار الكتاب في مختلف الآداب العالمية، وإلا فإن الأدب المقارن يتخلى عنها للباحثين في الأدب الشعبي.

من بين هذه الشخصيات الشعبية شهرزاد التي تعتبر العنصر الأساسي في قصص ألف ليلة وليلة، يميل أكثرها إلى الخوارق والأعاجيب ويتصل أقلها بالواقع. إلا أن جميعها تعيش في جو سحري غامض مليء بالألوان الزاهية والطيوب المخدرة المسكرة.<sup>1</sup>

قصص ألف ليلة وليلة هي مجموعة حكايات مجهولة المؤلف، ظلت تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق الرواية الشفوية<sup>2</sup>، ومصير كل الحكايات المروية تبقى دائما مجهولة المؤلف أو المؤلفين، والليالي هي عبارة عن تصوير لجو شرقي غرق في الأوهام والأحلام، والحب والغرام واللذة والمتعة والبطولة والمغامرة والجنان والعاريت والقدر العجيب.

<sup>1</sup> - كامل درويش، والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص 35.

<sup>2</sup> - شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع،

وهران، 2001م، ص 03.

تتصدر هذه الحكايات، حكاية الملك شهريار الذي صدم بخيانة زوجته، فقتلها وأقسم أن ينتقم من بنات جنسها، فكان كل ما تزوج فتاة يقتلها، وقد أدى هذا إلى هلع في المدينة، وذات يوم لم يبق في المدينة من يلب رغبتة من الفتيات فطلبت شهرزاد من والدها - وهو الوزير الأول- أن يزوجه من الملك، فقد كانت تفكر في إنقاذ ما تبقى من فتيات المملكة معتمدة في ذلك على نكائها وما تحفظه من نوادر وحكايات، غير أن في طلبها هذا شرط وهو أن تصطحب أختها دنيا زاد في ليلتها. وما إن اختلى الملك شهريار بشهرزاد حتى ظهرت أختها دنيا زاد، وطلبت منها أن تحكي لها حكاية، قائلة: " بالله عليك يا أختي حديثا حديثا نقطع به سهر ليلتنا"<sup>1</sup>. فقالت شهرزاد: " حبا وكرامة إن أذن لي الملك"<sup>2</sup>، فأذن لها الملك وبدأت بسرد حكاية، وما إن وصلت إلى عقدها المشوقة حتى أدركها الصباح، فكانت كلما يدركها الصباح حتى تسكت عن الكلام المباح. ووعدت أختها أن تكمل القصة في الليلة الثانية إذا أبقاها الملك ولم يقتلها، فكان شهريار يتشوق لمعرفة باقي الحكاية، فيؤجل قتلها إلى الليلة الثانية. وفي الليلة الثانية تتابع شهرزاد قصتها لتبدأ قصة جديدة أحلى وأجمل من الأولى، وهكذا استمر الحال حتى مرت ألف ليلة وليلة، أنجبت خلالها شهرزاد غلاما، فامتتع الملك عن قتلها واعترف له بعفتها، ووجد فيها ما لم يجده في زوجته الخائنة، وبذلك أبطل عادته القديمة في قتل بنات المملكة، وعادت الرعية إلى حياة العدل والأمن والاطمئنان.

اللقاء بين الملك وابنة الوزير هو بمثابة اللقاء بين الموت والحياة، والشر والخير، والقوة والضعف. فالملك يمثل السلطة التي هزتها خيانة المرأة، فقرر الانتقام من كل بنات جنسها وذلك كي لا يصل مرة أخرى إلى خيانة إحداهن له.

<sup>1</sup>- كامل درويش، والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، مرجع سابق، ص 36.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 36.

أما شهرزاد فكانت بمثابة طوق النجاة لبنات المملكة، فهي الوحيدة التي عرفت كيف تبطل قتل الملك لها، وأنجبت له أولادا، وحكت العديد من الحكايات والنوادر التي قرأتها من الكتب والنوادر وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم. عرفت شهرزاد بشخصيتها القوية، إذ صممت على البقاء حية في أحضان رجل همجي كل همه إرضاء شهواته، " وقد صورها الرومانتيكيون مثالا لمن يهتدي إلى الحقيقة عن طريق القلب والعاطفة والإلهام"<sup>1</sup>.

كتب عن شخصية شهرزاد أدباء عرب كثر على رأسهم توفيق الحكيم في مسرحيته شهرزاد، كذلك في العمل المشترك بين توفيق الحكيم وطه حسين في قصة القصر المسحور، كذلك قصة أحلام شهرزاد لطه حسين والتي تناول فيها الجانب الثاني من حياة شهرزاد والملك شهريار؛ أي بعد انقضاء قصص ألف ليلة وليلة، بحيث يبدأ القصة بقوله. " فلما كانت الليلة التاسعة بعد الألف، أفاق شهريار من نومه مذعورا..."<sup>2</sup>. بحيث أن الملك كان مشتاقا إلى قصص وحكايات زوجته التي أبدعت في سردها " وكان الواقع من شهريار أن نفسه لم تسلم عن قصص شهرزاد منذ انتهت في الليلة الواحدة بعد الألف وإنما كانت تتحرق شوقا إليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل"<sup>3</sup>. يجعل الكاتب شهرزاد في هذه القصة تسرد حكاية الملكة فانتة وقصتها مع ملوك الجان وعقابها لهم عن طريق أحلام كان الملك يستمع إليها وهي نائمة، فكانت مواصلة لحكايات اليقظة مع نفس الترتيب السابق؛ أي بعد أن يدركها الصباح تسكت عن الكلام المباح.

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 317.

<sup>2</sup> - طه حسين، أحلام شهرزاد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2000م، ص 513.

<sup>3</sup> - طه حسين، أحلام شهرزاد، مرجع سابق، ص 120.

كما أن طه حسين أعطى لشخصية شهرزاد في قصته هذه، صفات تتميز بالغموض والمكر والجمال والسحر، وهو في ذلك يقول: .... وشهرزاد تلك الساحرة الماكرة.... وتختلس إليه من وقت إلى وقت نظرات كأنها السهام فيها كثير من العطف.... وإنما عاشت خفية متلطفة له غامضة مع ذلك أشد الغموض.<sup>1</sup>

هكذا إذن تكون شهرزاد الشخصية الأساسية في قصص ألف ليلة وليلة، وهي كما رأينا سابقا تحكي مجموعة من الحكايات والنوادر الأسطورية والعجيبة يتصل أقلها بالواقع.

### ب- شهرزاد في الآداب الأوربية:

انتقلت شخصية شهرزاد إلى الآداب الأوربية عن طريق الترجمة التي قام بها بعض الأدباء

الأوربيين " من بينها أنطوان جالان A.Galland الذي قام لأول مرة في تاريخ أوربا الأدبي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية، ما بين (1704م-1717م) في اثني عشر مجلدا.<sup>2</sup>

نالته هذه الترجمة نجاحا باهرا في فرنسا، وتنافست عليها دور النشر، وظلت مدى قرن من الزمن الترجمة الوحيدة التي عرف بها العالم الغربي (ليالي شهرزاد). ومن بين الكتاب الذين تأثروا بليالي شهرزاد الكاتب الفرنسي الكبير فولتير، وقد كان هذا الأديب مولعا بالشرق؛ حيث أنه خصص له مجالا واسعا في موسوعته وسجل فيها مقالات عديدة يصف فيها عادات وتقاليده أهل الشرق، وقد اطلع على ألف ليلة وليلة وتأثر بها كثيرا عن طريق الترجمة التي قام بها جالان حتى أنه

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 121.

<sup>2</sup>- شريف عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص 43.

قال: " لم يزاول فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربعة عشر مرة <sup>1</sup> لأنه وجد فيها مادة قصصية غزيرة بالأساليب الرائعة وتغليب الجانب الأسطوري على الليلي، إضافة إلى المضامين الإنسانية والأساليب الفنية الجديدة التي أعجب بها الكاتب بحيث أنه كان من الأدباء الذين انساقوا وراء سحر شهرزاد وحكاياتها الرائعة.

صورت هذه الشخصية من يهتدي إلى الحقيقة عن طريق العاطفة، والقصص والحكايات التي كانت تُحكى في هذا الكتاب رمزت إلى انتصار القلب والعاطفة على التفكير المجرد، وأكبر دليل على ذلك قصة علاء الدين والمصباح السحري الذي كان فيها نور الدين مثالا ورمزا للمفكر الذي لا يصل إلى الحقيقة لأنه يريد الاهتداء إليها بعقله في حين اهتدى إليها علاء الدين بسذاجته وطهره، وصار المصباح السحري بعد ذلك رمزا للعبقريّة التي يصل المرء بواسطتها إلى كنوز المعرفة والسعادة عن طريق القلب والإلهام.

#### خاتمة:

استطعنا من خلال ما ورد في البحث أن نأخذ فكرة عن بعض النماذج البشرية التي اهتم الأدب بمختلف أنواعه، بإبرازها من خلال قصص ومسرحيات وملاحم شعرية باختلاف كتابها واختلاف تجسيدهم لها.

نستعرض فيما يلي مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

- يهتم الأديب بإعطاء النموذج المدروس بعض الخصائص التي يمتاز بها أدبه مع مراعاته للظروف الزمنية التي يعيش فيها، إلى جانب ذلك يعمل على إبراز ميوله الفكرية من خلال تلك الشخصية التي تكون بمثابة القالب

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 157.

- الذي يصب فيه أفكاره، نأخذ على سبيل المثال ما فعله برنارد شو في كتابته عن شخصية بجماليون حيث أخذ الفكرة عن القصة القديمة، ونسج عليها أحداث جديدة. بخلاف ما قام به توفيق الحكيم مع القصة نفسها إذ نجده يحاكي القديم ويبث من خلاله الصراع الذي يعيشه هو شخصياً، وهو صراع بين الحياة والفن، إضافة إلى عنصر المرأة في حياته، حيث ظهر نفوره منها من خلال المسرحية والمتمثلة في عزوف بجماليون عن الزواج.
- النموذج الإنساني لا يقتصر على عصر دون غيره، ولكنه يكتسب خصوصية في عصره أكثر من غيره، إذا توافرت له الظروف والعوامل، كما يختلف تناول النموذج الإنساني من أديب إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى باختلاف الثقافة والحياة الاجتماعية.
- لا يطمح الكاتب للحكم على النماذج من منظور أخلاقي أو عرفي، وإنما ينظر إليها نظرة فنية، تمكننا من معرفة النفس البشرية بفضائلها ووزائلها، في حالة قوتها وضعفها.
- يتخذ الأديب عادة تلك النماذج الإنسانية وسيلة ليحرك الأعماق الخفية في مجتمعه، راصداً بها ما يطرأ عليه من تغيرات من ناحية، وللتعبير عن حدسه وآماله من ناحية أخرى.
- يرمي هؤلاء الكتاب على اختلاف ميولهم إلى غاية واحدة هي: البحث عن تحرير الإنسانية وسعادتها، ونشر العدالة بين جميع أفرادها، مما تهدف إليه ولا تصل إليه.

#### مكتبة البحث:

- إبراهيم عبد الرحمن محمد، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1982م.
- توفيق الحكيم، بجماليون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م.
- شريف عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2001م.
- طه حسين، قصة أحلام شهرزاد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2000م.
- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.

- كامل درويش، والجوري طانيوس منعم، فنون وأعلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003م.
- محمد حسين الأعرجي، مسرحيات شوقي، مكتبة الإسكندرية، 2007م.
- محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، دت.

مواقع الانترنت:

- <http://www.site.moliere.com>



## الانتماء التنظيمي أهميته ووسائل تعزيزه لدى العاملين بالمؤسسة

أ.رحماني محمد أستاذ مساعد(ب)  
أ.بن خالد عبد الكريم أستاذ مساعد(أ)  
جامعة أحمد دراية ادرار - الجزائر -

### ملخص:

أصبحت إدارة المؤسسات تهدف إلى تنمية الجوانب النفسية والاجتماعية للعاملين فيها، والبحث عن الدوافع لديهم لبذل أقصى جهد ممكن لأداء العمل الموكل اليهم، وأصبح من الوسائل المهمة لتحقيق ذلك هو تنمية مشاعر الانتماء لدى عمالها، لتحقيق رضاهم نحو المؤسسة ومساوهم الوظيفي.

### Abstract:

The management of companies is usually aimed at developing the socio-psychological dimensions of its employees. Looking for motivating the employees has become important in making them identified primarily with the company. This has the effect of having them satisfied on their personal careers.

### مقدمة:

إن الانتماء التنظيمي يعد من المواضيع التي لاقت اهتمام من الباحثين في حقل الإدارة والتنظيم خلال عقد الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، ويعتبر من احد المواضيع المهمة لدراسة سلوك الفرد داخل التنظيم لما له الأثر الفعال في استقرار الموظفين في منظماتهم والحد من السلوكيات الغير مرغوب فيها كالغياب ودوران العمل، ومن هذا المنطلق يتضح إن موضوع الانتماء التنظيمي لا يأتي هكذا من فراغ، وإنما هي خطط ترسم ليتم تنفيذها عن طريق كوادر مؤهلة ومدربة لتحقيق الغاية والأهداف المرجوة؛ فالانتماء التنظيمي يعد مؤشرا هاما على بقاء العامل في المؤسسة وعدم تركها والبحث عن مؤسسة أخرى للعمل بها، وهو أيضا مؤشر على حب واندماج الفرد في المؤسسة والإيمان بأهدافها والسعي إلى تحقيقها.ومن خلال هذه الورقة البحثية نطرح التساؤل التالي:

ما الانتماء التنظيمي؟ وما هي سبل تعزيزه لدى العامل بالمؤسسة؟ وقسم هذا البحث الى المحاور التالية:

أولاً: مفهوم الانتماء

ثانياً: مفهوم الانتماء التنظيمي

ثالثاً: أهمية الانتماء التنظيمي

رابعاً: طرق تعزيز وتدعيم الانتماء التنظيمي

خامساً: خاتمة

### أولاً: مفهوم الانتماء:

إن مفهوم الانتماء ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية، فهو يعبر عن شعور الفرد اتجاه عمله ومنظّمته، ومدى تحقيق الارتباط والانسجام بينهما، ويمكن تعريفه على أنه " النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى"<sup>(1)</sup>

فهذا التعريف يتضمن النقاط التالية:

- 1- شعور يدفع الفرد إلى الاندماج داخل تنظيم معين.
- 2- على الفرد ان يمتثل إلى معايير وقيم هذا التنظيم.
- 3- الدفاع عن التنظيم وإظهار المحبة له.

<sup>1</sup> - نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري: دراسة سوسولوجية في

حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999، ص: 57

وورد في معجم علم الاجتماع ان الانتماء هو " ارتباط الفرد بجماعته، حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل: الأسرة، النادي، الشركة." (1)

أما علماء الاجتماع فيعتبرون مفهوم الانتماء مفهوما قديما والانتماء التنظيمي عندهم هو امتداد للانتماء الاجتماعي المتمثل في مشاعر الفرد وانتمائه وولائه للمجتمع الذي يعيش فيه." (2)

كلا التعريفين يؤكدان إن الانتماء هو اعتقاد قوي وقبول من جانب أفراد التنظيم بأهداف وقيم ومعايير التنظيم المنتمي إليه، ورغبتهم القوية في بذل أكبر جهد وعطاء ممكن لصالحه.

### ثانيا: مفهوم الانتماء التنظيمي:

لقي موضوع الانتماء التنظيمي اهتمام بالغ في الدراسات الغربية كونه الركيزة الأساسية لاستقرار العمال والحد من التسرب الوظيفي حيث بحث العلماء والباحثين عن مصادر وأسباب الانتماء وما يترتب عنه من نتائج بالنسبة للفرد والمنظمة. ومن هذا المنطلق يعد الانتماء التنظيمي:

- 1- عنصرا هاما في إيجاد علاقة وطيدة بين الفرد والمنظمة التي يعمل بها.
- 2- انتماء الفرد لمنظّمته ينبأ ببقائه فيها وعدم تركها.
- 3- الانتماء يؤكد فاعلية المنظمة ونجاحها.

تعددت تعريفات الباحثين لموضوع الانتماء التنظيمي كل حسب مجاله المعرفي واتضح انه ليس هناك إجماع كبير حول هذا المفهوم، ومما تجدر الإشارة إليه انه كثيرا ما يستخدم مصطلحا الولاء والالتزام في الدراسات العربية بمعنى مشابه

<sup>1</sup> - احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص:16

<sup>2</sup> - موسى اللوزي: التطوير التنظيمي: أساسيات ومفاهيم حديثة، عمان، دار وائل، 1999، ص:118

لمصطلح الانتماء، خصوصا وانه يشار إليها في اللغة الانجليزية بالكلمة ذاتها وهي: commitment<sup>(1)</sup>.

لقد تعددت التعريفات التي تشرح مفهوم الانتماء التنظيمي تبعا لتعدد الباحثين والزوايا التي ينظرون منها. فقد عرفه بعضهم بأنه "اقتران فعال بين الفرد والمنظمة، حيث يبدي الموظفون الموالون للمنظمة رغبتهم في خدمتها بغض النظر عن مقدار المردود الذي يحصلون عليه منها."<sup>(2)</sup>

وعرفه آخرون بأنه "عدم رغبة العاملين في ترك المنظمة التي يعملون بها لغاية المكاسب سواء الحوافز أو المكانة الاجتماعية أو الحرية المهنية"<sup>(3)</sup>.

وعرفته ماري شيلدون (M.Sheldon) بقولها "اتجاه الفرد نحو المنظمة والذي يربط بدوره ذات الفرد مع المنظمة التي يعمل بها."<sup>(4)</sup>

ونجد تعريف مماثل لتعريف شيلدون وهو للباحث أرون كوهين (A.Cohen) يذكر فيه على انه "نوع من اتجاه الموظف نحو المنظمة التي يعمل بها."<sup>(5)</sup>

ويعرف على انه "اقتناع الفرد التام وقبوله لأهداف وقيم المنظمة التي يعمل فيها ورغبته في بذل جهد اكبر ممكن لصالحها وعدم ترك العمل فيها لو توافرت له ظروف عمل أفضل في منظمة أخرى."<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - محمد عابدين: درجة الالتزام المهني لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية الفلسطينية ومعلميها من وجهات نظر المعلمين والمديرين، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، م6، ع3، 2010 ص:204

<sup>2</sup> - زيد منير عبوي، التنظيم الإداري مبادئه وأساسياته، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص207

<sup>3</sup> - محمد قريوتي، السلوك التنظيمي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص

<sup>4</sup> - Sheldon, M, investissement and involvement as mechanism producing commitment to the organization administrative science quarterly, 1971,16,p142

<sup>5</sup> - A, cohen, career stage as modested of the relationships between organizational commitment and autcomes:Ameta-analysis,journal of occupational psychology,1999,p253

إذاً إن الانتماء التنظيمي استثمار متبادل بين الفرد والمنظمة باستمرارية العلاقة التعاقدية بينهما يترتب عليه سلوك الفرد يفوق السلوك المتوقع منه من جانب المنظمة، وكذا رغبة الفرد في إعطاء جزء اكبر من وقته وجهده من اجل الإسهام في نجاح واستمرارية المنظمة، كالاستعداد لبذل مجهود اكبر والقيام بأعمال تطوعية وتحمل مسؤوليات إضافية.

وعرفه جينز (JANS) بأنه " المدى الذي يقبل به الفرد أهداف المنظمة وقيمها، كما ينظر إلى دوره في المنظمة من خلال الإسهام الذي يقوم به بالنسبة لهذه الأهداف والقيم باعتباره جزءا من شخصيته".<sup>(2)</sup>

كما يعني " قوة الرغبة في المحافظة على عضوية المنظمة والتمسك بها، ويعني الشعور بالحب للمؤسسة والتعلق بها باعتبارها مكانا للحياة، والعمل والاستقرار".<sup>(3)</sup>

ويمكن القول إن الانتماء التنظيمي يشمل الارتباط النفسي والشعور بالعضوية، واستعداد الفرد للتضحية وبذل الجهد في المنظمة، كما يعبر الانتماء عن توافق أهداف وقيم الفرد مع أهداف وقيم المنظمة التي يعمل بها، كل هذا من اجل تحقيق أهداف المنظمة والحد من السلوكيات الغير المرغوب فيها كالتسرب المهني والإحباط في العمل وغيرها من الظواهر التنظيمية الغير السوية، وتشير هذه التعريفات أيضا إلى مدى الصدق والإخلاص في العمل الذي يتحقق من خلال الانتماء، والحب المتبادل بين الفرد والمنظمة.

<sup>1</sup> -Mowday,R,M.and porter,l,w;the measurement organization commitment, journal of vocational behavior,1999,p224

<sup>2</sup> - jans,n,a.organizational commitment, career factors and career-life stage journal of organizational behavior,1989,10,p247

<sup>3</sup> - احمد إبراهيم احمد: الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص13

## ثالثاً: أهمية الانتماء التنظيمي:

حظي موضوع الانتماء التنظيمي باهتمام العديد من الباحثين ويعزى هذا الاهتمام إلى ما للانتماء من تأثيرات هامة على كثير من السلوكيات التنظيمية، وقد أكدت الدراسات إن ارتفاع الانتماء التنظيمي في بيئة العمل ينتج عنه انخفاض مستوى ظواهر سلبية عديدة كالغياب والتهرب من أداء العمل والشعور بالإحباط. فالانتماء التنظيمي يحقق للمنظمة البقاء والمنافسة والازدهار، ويكسبها ثقة العاملين، ورضاهم عنها، وإن تحقيق هذا الانتماء يقتضي من المنظمات ان تركز على العلاقات الإنسانية، والأساليب الإدارية الحديثة في القيادة، والإشراف، وتوفير مناخ مؤسسي مشجع على الانتماء المخلص والمبدع.<sup>(1)</sup>

ومن الأسباب التي تجعل أهمية بالغة للانتماء التنظيمي والاهتمام المتزايد حوله هي:<sup>(2)</sup>

- 1- ان الانتماء التنظيمي يمثل احد المؤشرات الأساسية للتنبؤ بعدد من النواحي السلوكية، وخاصة معدل دوران العمل. فمن المفترض ان الأفراد الأكثر انتماءا سيكونون أطول بقاء في المنظمة، وأكثر عملاً نحو تحقيق أهداف المنظمة.
- 2- ان الانتماء التنظيمي يمكن ان يساعدنا إلى حد ما في تفسير كيفية إيجاد الأفراد هدفا في الحياة.
- 3- إن الانتماء التنظيمي من أكثر المسائل التي أخذت تشغل بال المنظمات كونه أصبح يتولى مسؤولية المحافظة على المنظمة ويجعلها في حالة صحية سليمة تمكنها من الاستمرار والبقاء، وانطلاقاً من ذلك برزت الحاجة لدراسة السلوك

<sup>1</sup> - المعاني أيمن عودة: الولاء التنظيمي سلوك منضبط وانجاز مبدع، عمان، ط1، 1996، ص:96

<sup>2</sup> - موسى اللوزي، المرجع السابق، ص: 118

الإنساني في تلك المنظمات لغرض تحفيز الفرد وزيادة درجة انتمائه بأهدافها وقيمتها.

4- ان انتماء الأفراد لمنظماتهم يعتبر عاملا هاما في ضمان نجاح تلك المنظمات واستمرارها وزيادة إنتاجها.

وتتمثل أهميته أيضا في انعكاساته الايجابية على الفرد والمنظمة إذ انه: (1)

1- يزيد من إنتاجية الفرد وفعاليتته، وبالتالي إنتاجية المنظمة وفعاليتها.

2- كما يعد عاملا أساسيا في استمرارية المنظمة.

3- يمنع التسرب الوظيفي.

4- يعزز علاقات الزمالة والتوقعات المشتركة بين العاملين.

5- زيادة الرضا الوظيفي والإحساس بالدافعية للعمل والانجاز.

وقد أشار العديد من الباحثين على أهمية الانتماء التنظيمي لأنه عامل

رئيس في استمرار وفعالية المنظمة، لان المسؤولية الأساسية لمن لديهم هذا

الانتماء للمنظمة هي المحافظة على العمل واستمراره والتفاني فيه من اجل استمرار

الحياة في المنظمة بغض النظر عن المكاسب الضرورية. لذا كان على المنظمات

ان توجد هذا الانتماء.(2)

ومن خلال الدراسات التي أجريت عن الانتماء التنظيمي يمكن رصد بعض

المؤشرات منها: (3)

- درجة توحيد العاملين مع المنظمة.

<sup>1</sup> - محمد عابدين، المرجع السابق، ص: 205

<sup>2</sup> - خلف سليمان الرواشدة، صناعة القرار المدرسي والشعور بالأمن والولاء التنظيمي، دار الحامد،

عمان، 2007 ص 20

<sup>3</sup> - ابونصر مدحت، المرجع السابق، ص 51

- درجة الشعور بالمسؤولية لدى العاملين.
  - درجة المشاركة الفعالة لدى العاملين في أنشطة وعمليات المنظمة.
  - درجة الاستعداد للتضحية من أجل المنظمة.
  - الحديث عن المنظمة بكل خير بواسطة العاملين.
  - الدفاع عن المنظمة من أي نقد أو هجوم.
  - عدم التفكير في الانتقال إلى منظمة أخرى.
  - ارتفاع معنويات العاملين.
  - التركيز على حل المشكلات وليس الشكوى الدائمة منها.
  - تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في كثير من الأحيان.
- ونظرا لهذه الأهمية البالغة للانتماء التنظيمي فإنه يجب على المنظمات أن تسعى لخلق هذا الانتماء وتنميته لدى الأفراد العاملين لديها فالأفراد ذوي الانتماء التنظيمي القوي يصبحون أقل احتمالا لتترك العمل أو الغياب، بمعنى أنهم أكثر استقرارا في العمل وأكثر رغبة في الاستمرار بالمنظمة وأكثر تضحية من أجل بقاء المنظمة واستمراريتها. وعليه ان تسعى كل منظمة بتوفير جميع الأدوات والآليات القادرة على تفعيل والمساهمة في تكوين وترسيخ الانتماء وتنميته لدى أفرادها.

#### رابعا: طرق تعزيز وتدعيم الانتماء التنظيمي:

هناك طرق عديدة يمكن ان تدعم وتبني الانتماء التنظيمي لدى العاملين داخل التنظيم نذكر منها:

#### 1- اشباع الحاجات الإنسانية للعاملين في المنظمة:

للفرد مجموعة من الحاجات والتي يسعى إلى إشباعها عن طريق التنظيم فإذا أشبعت فإنه يتولد لذلك العامل الشعور بالرضا والاطمئنان والانتماء.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - موسى اللوزي، مرجع سابق، ص126



والحاجات الإنسانية وضع طبيعي وميل فطري يدفع الإنسان إلى تحقيق غاية داخلية أو خارجية، وإذا لم تشبع الحاجة يحدث نوع من الاضطراب والاختلال الفسيولوجي أو النفسي أو الاجتماعي بالنسبة للفرد.<sup>(1)</sup>

ان الشعور بالانتماء تجاه المنظمة يتولد من خلال ان المنظمة حققت للفرد أهدافه وحاجاته الأساسية، وإذا كانت المنظمة لا تولي للحاجات أهمية ولا تعمل على إشباعها فالنتيجة هو ترك التنظيم والبحث عن تنظيم آخر يلبي رغبات وحاجات الأفراد.

## 2- إيجاد نظام مناسب للحوافز:

شغل موضوع حفز الأفراد وأثره على السلوكيات المتعددة داخل التنظيم وخاصة أثره على انتماء الفرد للمنظمة كثير من الباحثين حيث كانت اغلب جهودهم هو كيفية إيجاد أفكار ترغب الفرد في حثه على العمل ورفع مستوى الأداء والإنتاجية وكذا كيفية تحقيق انتمائه للتنظيم، ومن ذلك نجد ان الحوافز تسهم في تحقيق مصلحتين هما: <sup>(2)</sup>

1- حث الأفراد على إتمام العمل المطلوب بكفاءة.

2- إشباع حاجات الأفراد وتحقيق رغباتهم ضمن الإمكانيات المتاحة.

إذاً أن نظام الحوافز الجيد يسهم في جذب الأفراد والتحاقهم بالتنظيم وإشباع حاجاتهم ويعزز من استمرارهم في العمل، ويوفر لهم المناخ التنظيمي الايجابي ويشعرهم بالرضا والثقة ويرفع معنوياتهم ويقوي انتمائهم للعمل وللتنظيم ورغبتهم في الحرص على تحقيق أهدافه بكفاءة وفاعلية.

<sup>1</sup> - محمد ابونصر مدحت: بناء وتدعيم الولاء المؤسسي لدى العاملين داخل المنظمة، ايتراك للطباعة

والنشر، القاهرة، ط1، 2005، ص 81

<sup>2</sup> - زيد منير عبوي: المرجع السابق، ص ص213-214

ان حاجات الإنسان متعددة وبالتالي تحتاج إلى مصادر إشباع متعددة فهناك بعض الحاجات يمكن ان تشبع ماديا وبعضها الآخر يشبع معنويا، إذ هناك حاجات لا يمكن إشباعها إلا بالحوافز المعنوية.

الحوافز المعنوية "هي الحوافز التي تساعد الإنسان وتحقق له إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية ن فتزيد من شعور العامل بالرقى في عمله وانتمائه وولائه له وتحقيق التعاون بين زملائه. كما تزيد من الروح المعنوية للعاملين وذلك مثل توجيه خطاب شكر، أو اختيار العامل المعني كموظف مثالي في المنظمة أو غير ذلك".<sup>(1)</sup> الحوافز المادية: تكون ذو طابع مالي نقدي أو اقتصادي.<sup>(2)</sup> الحوافز المادية تقوم بإشباع حاجات الإنسان الأساسية فتشجع العاملين على بذل قصارى جهدهم في العمل.

ومجمل القول ان جميع الحوافز هي عبارة عن مثيرات للعاملين وتؤدي دور مهم في إثارة دوافع الفرد كما إنها توجه سلوكهم وتدعم الصلة بين الفرد وعمله وبينه وبين إدارته وبشكل عام إلى منظمته ككل.

### 3- المناخ التنظيمي:

يعبر المناخ التنظيمي عن "مجموعة الخصائص التي تميز بيئة المنظمة الداخلية التي يعمل الفرد ضمنها فتؤثر على قيمه واتجاهاته وإدراكه، وذلك لأنها تتمتع بدرجة عالية من الاستقرار والثبات النسبي".<sup>(3)</sup> ان تمتع العاملين بجو يسوده الوفاق والوئام والتسامح والتعاون والمساواة والعدالة للوصول إلى الأهداف المشتركة يعزز الثقة بالعاملين ويرفع روحهم المعنوية ويزيد درجة رضاهم الوظيفي ويعزز شعورهم بالانتماء للمنظمة.

<sup>1</sup> - عساف عبد المعطي محمد: السلوك الإداري (التنظيمي) في المنظمات المعاصرة، دار زهران،

عمان، 1999، ص90

<sup>2</sup> - منصور فهمي: إدارة القوة البشرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط6، 1982، ص 335

<sup>3</sup> - محمد كامل المغربي، المرجع السابق، 1995، ط2، ص303

**4- وضوح الأهداف وتحديد الأدوار:**

لقد أظهرت الدراسات ان الانتماء التنظيمي يزداد كلما كانت الأهداف واضحة يستطيع الأفراد فهمها وتمثلها والسعي لتحقيقها، وكلما كانت الأهداف واضحة والأدوار محددة أمكن تجنب الصراع الذي يحدث نتيجة غموض ادوار العاملين. وغموض الدور" هو الافتقار للمعلومات من الصلاحيات والواجبات والمسؤوليات وعدم وضوحها واختلاطها عند الممارسة بصلاحيات وواجبات أخرى"<sup>(1)</sup>.

**5- أسلوب الإشراف والقيادة:**

ذكر ليكرت ان الإدارة وعلى رأسها القيادة(القائد) هي التي تقرر إلى حد كبير المناخ داخل التنظيم. ان قائد المنظمة الفعال هو الذي يحدث نمط قيادته تأثيرا ايجابيا في انتماء العمال للمنظمة وزيادة الروح المعنوية لهم، فالقيادة هي التأثير على أعمال الآخرين وحفزهم، إذ أن القائد يستطيع أن يسهم في تعميق الانتماء التنظيمي لدى العاملين ويقوي اعتقادهم بالتنظيم وإيمانهم بأهدافه وقيمه، بتوفير فرص التدريب المناسبة، والحوافز المختلفة.<sup>(2)</sup>

فالقائد إذا يكون منفتحا مع العمال ويكون زميلا لهم ويبيدي اهتماما كبيرا بعلاقته معهم من اجل الرفع من معنوياتهم والرفع من مستوى أدائهم وبالتالي مستوى ودرجة انتمائهم للتنظيم.

<sup>1</sup> - محمد تيغزي: الإجهاد المهني لدى رؤساء الأقسام بالجامعات الجزائرية: اقتراح نموذج تنظيري، مجلة التعريب،

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ع1، مارس 1991، ص ص 95-111

<sup>2</sup> - راتب السعود: أنماط السلوك الإداري لمديري المدارس الثانوية العامة في الأردن وفقا لنظرية ليكرت (نظام 1

-نظام2) وعلاقتها بمستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارسهم، المجلة الأردنية في العلوم التربوية،

مجلد5، عدد2009، ص250

**6- بناء ثقافة تنظيمية:**

يعرف كيرت لوين (Kurt Lewin) الثقافة التنظيمية بأنها مجموعة الافتراضات والمعتقدات والقيم والقواعد والمعايير التي يشترك فيها أفراد المنظمة.<sup>(1)</sup>

كثير من الباحثين يعتقدون ان الثقافة التنظيمية تؤثر في مستوى الأداء والانجاز والانتماء وبالتالي تحدد نجاح المنظمة بشكل كبير.

**7- التطبيع التنظيمي:**<sup>(2)</sup>

نعني بالتطبيع التنظيمي " العمليات التي يكتسب فيها الفرد القيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك التي تتوافق مع مصالح المنظمة وأهدافها". وللتطبيع التنظيمي دور مهم في تحقيق كفاءة المنظمات وفعاليتها، وسرعة التطبيع تؤثر في تحديد إنتاج الفرد وإخلاصه وانتمائه وتمسكه بالمنظمة. ويعتقد بعض الباحثين ان هذه العملية تمر في ثلاث مراحل متلاحقة هي:

**- المرحلة التي تسبق الالتحاق بالمنظمة:**

حيث يلتحق الفرد وهو مزود بمجموعة من القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المكتسبة خلال حياته قبل ان يلتحق بالمنظمة. و تعتبر مرحلة تمهيدية يتزود الفرد خلالها بالمعلومات اللازمة عن طبيعة العمل الراغب فيه وعن المنظمة تأتي يرغب في الانتماء إليها.

**- مرحلة المواجهة:**

<sup>1</sup> - حسين حريم: السلوك التنظيمي - سلوك الأفراد والمنظمات، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 245

<sup>2</sup> - زيد منير عبيوي، المرجع السابق، ص 215-216

وهي التي تلي المرحلة الأولى مباشرة، وفيها تحدث المواجهة بين الفرد بما تتميز به شخصيته وتكون عليها اتجاهاته وقيمه وطموحاته وتصورات المسبقة عن المنظمة وبين تصورات المنظمة ومتطلباتها منه. وفي هذه المرحلة يكتشف الفرد واقع المنظمة الفعلي فيشعر بالخوف والتوتر والقلق، ويحاول التغلب عليها فيعتمد إلى إثبات وجوده ويسعى ليصبح عضوا ناشطا ومشاركا في التنظيم يتمتع بسمعة وكفاءة عالية.

#### - مرحلة التحول:

فيها تترسخ الاتجاهات والقيم الجديدة وأنماط السلوك التي اكتسبها الفرد في تفاعله مع المنظمة فيستقر ويتكون لديه تصور جديد عن ذاته. أما إذا فشلت عملية التطبيع الاجتماعي التنظيمي، ولم يستطع الفرد التكيف، فإن ذلك يؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة للتنظيم فتتخفص الروح المعنوية للعاملين ويسودهم عدم الرضا الوظيفي ويقبل انتمائهم التنظيمي ويشعرون بالغبية وغير ذلك.

#### 8- تطبيق أسلوب الإدارة بالمشاركة:

مشاركة المرؤوسين من المبادئ الرئيسة لنجاح أي منظمة في تحقيق أهدافها، وكل المدارس الإدارية الحديثة تؤكد على أهمية مشاركة المرؤوسين في جميع مراحل العمل، ومشاركة العاملين شكل من أشكال الشورى، ودليل على الثقة في قدراتهم والاهتمام بالاستفادة من معلوماتهم وخبراتهم. وحتى يمكن تطبيقها يجب تحقيق العوامل التالية: (1)

- تقبل المرؤوسين للقرارات التي شاركوا في صنعها.
- تقبل مقاومة المرؤوسين للتغيير الذي ساهموا في اقتراحه

<sup>1</sup> - محمد ابو النصر مدحت، مرجع سابق، ص ص75-76

- نجاح البرامج والمشروعات التي شارك في تخطيطها المرؤوسين.  
 - تكوين وتدعيم الانتماء المؤسسي للمرؤوسين تجاه المنظمة التي تحرص على اخذ رأيهم واحترامه وعلى إتاحة الفرصة لهم للمشاركة في جميع مراحل العمل وكان المنظمة هي ملكهم وليس ملك الآخرين.

وقد ذكر كل من ستيرز وبورتر (Steers & Porter, 1991) بعض العوامل التي تعزز من الانتماء التنظيمي، وهي:

#### - عوامل شخصية (Personal Factors):

وهي العوامل ذات العلاقة بالفرد العامل نفسه، مثل شخصية الفرد العامل وقدرته على تحمل المسؤولية، أو التوقعات الفرد للوظيفة، أو الارتباط النفسي بالعمل أو المنظمة، أو عوامل تتعلق باختياره العمل.

#### - عوامل تنظيمية (organizational factors):

وهي العوامل التي تتعلق بالخبرة العملية، أو نطاق العمل نفسه كالتحدي والتغذية الرجعية، والاستقلالية فضلا عن الإشراف المباشر، وتماسك أعضاء جماعة العمل بأهداف المنظمة، ومشاركة العاملين في اتخاذ القرارات.

#### - عوامل غير تنظيمية (Non Organizational Factors):

وهي عوامل ترتكز على مدى توافر فرص عمل بديلة للفرد بعد اختياره لقراره الأول في الالتحاق بالمنظمة، بحيث يكون مستوى الانتماء التنظيمي لدى العاملين مرتفعا عندما يكون الأجر المتوافر في الفرص البديلة اقل مما يحصل عليه في منظمته، مما يعطيه تيريرا لاختياره الأول، أو حين يرى إن اختياره مطلق نسبيا لعدم توفر فرص لاحقة بديلة لتغيير قراره الأول<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد حسن حمادات، المرجع السابق، ص70

ويؤكد احمد الكردي أن أهم المجالات التي يمكن للمنظمة استثمارها في طاقاتها

البشرية لتعزيز الانتماء التنظيمي هي: (1)

1- تعزيز التعويضات غير المباشرة وهي التي يقصد بها كل ما تقدمه المنظمة للعاملين معها عدا التعويض المباشر (الراتب)، وهي عبارة عن عدد الخدمات والضمانات التي تساعد الموظف في حياته الوظيفية والمعيشية وتحقق له نوع من الراحة والاطمئنان على مستقبل عمله مع هذه المنظمة حيث يشعر الموظف ان منظمته تسعى إلى إرضاءه لأنه جزء مهم من بنائها وليس مجرد عدد معين فيها، ومن أهم هذه التعويضات مايلي:

- الراتب التقاعدي.

- برامج التأمين الصحي والاجتماعي والتأمين ضد الحوادث وغيرها.

- مكافئات المقترحات البناءة وخاصة عند تحسين الأداء.

- برامج الخدمات الاجتماعية.

- مشاريع الإسكان للموظفين.

- برامج توفير الأجهزة المنزلية المدعومة.

- برامج التسليف بدون فوائد.

- خدمات المواصلات للمنظمة.

- برامج توفير دعم التعليم لأبناء العاملين .

- الخدمات الصحية المتنوعة.

2- تحقيق العدالة الوظيفية بين العاملين في حصولهم على الترقيات ضمن نظام متكامل لا يحتوي على ثغرات ليستفيد منها بعضهم على حساب الآخرين.

<sup>1</sup> - احمد السيد طه الكردي، قسم ادارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة بنها، بدون تاريخ، ص ص 37- 39

- 3-التزام المنظمة بتطوير القدرات الذهنية للعاملين من خلال حرصها عليهم قبل انفسهم على اكتسابهم الدرجات العلمية العالية، فتسعى الى ترشيح المميزين منهم لإكمال الدراسات الأكاديمية ونيل الشهادات العليا.
- 4- حرص المنظمة على تطبيق خطط التدريب والتطوير لمهارات العاملين ليحقق شقين احدهما زيادة مهارة العاملين، والشق الآخر هو تطوير المستوى الثقافي لهم في المجتمع، فهم يمثلون المنظمة التي يعملون فيها.
- 5- زيادة مستوى تحقيق العلاقات الإنسانية بين العاملين ومسؤولياتهم بشكل مناسب وبما يكسر حاجز الفروقات الاجتماعية، مما يعمل على تكوين الشعور بروح العائلة الواحدة.
- 6- التعامل الايجابي لإدارة المنظمة مع العاملين فيها من ناحية التمسك بهم وبمنحهم حقوقهم الكاملة ومساعدتهم في المحن والظروف الصعبة.
- 7- الاهتمام بتحقيق الرضا الوظيفي للعاملين ورفع مستوى الامتيازات الوظيفية المقدمة للعاملين.

#### خاتمة:

يُمثل الأفراد رأس المال البشري للمؤسسات، وعلاقة العنصر البشري بالمؤسسة مُحدد أساسي لمستوى أداء المنظمة وحتى تكون هذه العلاقة إيجابية لابد من توفر عدة عوامل ومن أهمها الانتماء التنظيمي، وكثير من المنظمات لديها نقص في إدراكها لموضوع الانتماء التنظيمي، ولا عن المتغيرات التي تساهم في تكوينه أو العوامل التي تؤثر فيه حتى يمكن التعامل مع تلك المتغيرات والعوامل بالشكل الذي يُدعم مستوى الانتماء التنظيمي. فينبغي للمشرفين على المؤسسات العمومية والخاصة القيام بتنمية وتعزيز الانتماء التنظيمي لدى العاملين في حدود مسؤولياتهم ؛ كالأخذ بمبدأ الوسط بين الاهتمام بالعمل وانجازه والاهتمام بحاجات



العاملين والرفع من معنوياتهم وإشاعة أجواء مريحة ومستقرة لهم، وكذا الاهتمام بالحوافز المعنوية، وإعادة النظر في نمط وأسلوب الإشراف في المؤسسة، وتوصية رؤساء الأقسام للأخذ بأساليب الترغيب والتحفيز للقيام بالأعمال، ثم العمل على زيادة وسائل الاتصال بين الرئيس والمرؤوسين والعمل على التقارب، وذلك من خلال الاهتمام بالبعد النفسي والاجتماعي لجميع العاملين، وتدعيم العلاقات الإنسانية، وكذلك الاعتماد على أسلوب المشاركة في صناعة القرار والمشاركة في اتخاذها، ومنح العناية والاهتمام بأسلوب القيادة الذي يهتم بالعاملين واحترام مشاعرهم وتقديرهم وهو الأسلوب القيادي الأمثل في رفع مستوى الانتماء التنظيمي. والاهتمام بنظام الحوافز المادية وزيادة وتفعيل الخدمات المقدمة للعاملين من تعديل لنظام الترقيات وتعديل في نظام الأجور ليتناسب مع الوضع المعيشي، وكذا تفعيل منظومة الخدمات الاجتماعية من توفير المسكن والنقل من وإلى مكان العمل وتقديم قروض للعاملين، والأخذ بمبدأ اللامركزية في تسيير المؤسسة وإعطاء الصلاحيات لمدراء المؤسسات في تحديد أنظمة العمل والتسيير.

### المراجع باللغة العربية:

- 1- احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978
- نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري: دراسة سوسولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999
- 2- احمد السيد طه الكردي، قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة بنها، بدون تاريخ.
- 3- احمد إبراهيم احمد: الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998
- 4- حسين حريم: السلوك التنظيمي - سلوك الأفراد والمنظمات، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 1997،
- 5- حبيب الصحاف: معجم إدارة الموارد البشرية وشؤون العاملين، مكتبة لبنان، ط1، 1997

- 6- خلف سليمان الرواشدة، صناعة القرار المدرسي والشعور بالأمن والولاء التنظيمي، دار الحامد، عمان، 2007
- 7- زيد منير عبوي، التنظيم الإداري مبادئه وأساسياته، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006
- 8- محمد قريوتي، السلوك التنظيمي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000
- 9 - محمد ابونصر مدحت: بناء وتدعيم الولاء المؤسسي لدى العاملين داخل المنظمة، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، بدون تاريخ
- 10- محمد ناصر العديلي : السلوك الإنساني والتنظيمي، معهد الإدارة العامة ن الرياض، 1995
- 11- منصور فهمي: إدارة القوة البشرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط6، 1982
- 12- موسى اللوزي: التطوير التنظيمي: أساسيات ومفاهيم حديثة، عمان، دار وائل، 1999
- 13- المعاني أيمن عودة: الولاء التنظيمي سلوك منضبط وإنجاز مبدع، عمان، ط1، 1996
- 14- عساف عبد المعطي محمد: السلوك الإداري (التنظيمي) في المنظمات المعاصرة، دار زهران، عمان، 1999

### المراجع الأجنبية

- 1 -A, cohen, career stage as modested of the relationships between organizational commitment and autcomes: A meta-analysis, journal of occupational psychology, 1999
- 2 - jans, n.a. Organizational commitment, career factors and career-life stage journal of organizational behavior, 1989
- 3-Mowday, R, M. and. And porter, l,w; the measurement organization commitment, journal of vocational behavior, 1999
- 4-Sheldon, M, investissement and involvement as mechanism producing commitment to the organization administrative science quarterly, 1971.

### المجلات والدوريات:

- 1- محمد عابدين: درجة الالتزام المهني لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية الفلسطينية ومعلميها من وجهات نظر المعلمين والمديرين، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، م6، ع3، 2010
- 2- محمد تيغزي: الإجهاد المهني لدى رؤساء الأقسام بالجامعات الجزائرية: اقتراح نموذج تنظيري، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ع1، مارس 1991

3- راتب السعود: أنماط السلوك الإداري لمديري المدارس الثانوية العامة في الأردن وفقا لنظرية ليكرت (نظام 1 -نظام2) وعلاقتها بمستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارسهم، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد5، عدد،2009،3

## دراسة مدى ممارسة الأنشطة المعرفية في مؤسسات التعليم العالي

د.خليد عائشة

جامعة البليدة 02

### الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تطوير واقتراح نموذج لتقييم وتحديد مدى ممارسة الأنشطة المعرفية من قبل مؤسسات التعليم العالي، مع توضيح أهمية استخدام تقنيات إدارة المعرفة في التعليم العالي والذي يعتبر أمر حيوي بقدر ما هو في القطاع الصناعي. فالتطبيق الفعال للأنشطة المعرفية يؤدي إلى تحسين ودعم عملية صنع القرار، تطوير الخدمات الأكاديمية والإدارية، وتخفيض التكاليف.

### Abstract:

This study seeks to develop and propose a model by which the knowledge activities in higher education institutions are identified and evaluated. This process instead looks at illustrating the importance of using the techniques of the knowledge management in higher education which is considered a vital issue as it is in the corporate sector. The effective application of the knowledge activities leads to improve and maintain the decision making process, develop the academic and administrative services and reduce costs.

### المقدمة:

إن التحول الجديد في بيئة الأعمال يفرض على المنظمات التميز بقدرات جديدة تتلخص في بعد النظر والتفوق في الأداء والإبداع والقدرة على خلق الفرص من خلال إنشاء أو فتح أسواق جديدة (تغيير قواعد السوق)، بدلاً من الأسلوب التقليدي الذي كان يركز على التموضع وبشكل أساسي على القدرة على التكيف مع تغيرات البيئة الخارجية، من هذا المنطلق أصبحت المعرفة بمثابة العامل الذي يحقق فاعلية استخدام الموارد المتاحة داخل المؤسسة، خلق ميزة تنافسية متجددة والتي تؤدي إلى تحقيق الفارق على المؤسسات الأخرى، وبحكم الطبيعة الخاصة بالمعرفة، والتي تأخذ الصفة الضمنية بنسبة 80% والمخزنة في عقول الأفراد، لذا لابد من إيجاد البناء التنظيمي والثقافي الذي يشجع على خلق وتبادل المعرفة بين

الأفراد داخل المؤسسة. إن نظرية خلق المعرفة التنظيمية لا تعالج فقط طبيعة الأصول المعرفية والاستراتيجيات المناسبة لإدارتها، إنما تكمل المقاربة القائمة على المعرفة ونظرية القدرات التنظيمية من خلال توضيح العمليات الديناميكية لخلق المعرفة التنظيمية<sup>1</sup>.

ولأنّ رأس المال الفكري ما هو إلا محصلة لخبرات وتجارب ومعارف الأفراد، هذا ما يؤهله للمساهمة في بناء ميزة تنافسية؛ مما يؤدي إلى خلق فارق بين المؤسسات المدروسة، ممّا فرض ضرورة الاستثمار في مجال رأس المال الفكري عن طريق الحاضنات الأساسية له، وهي مؤسسات التعليم العالي. لهذا تعتبر مؤسسات التعليم العالي أكثر متغير يساهم في أنشطة خلق، حيازة، وتقاسم ونشر المعرفة، كما تعتبر متغير فعال في مجال تطبيق المعرفة، عن طريق الدعم المحوري الذي تقدمه إلى مختلف القطاعات الاقتصادية، خاصة تلك القطاعات التي تعد فيها المعرفة أساس بناءها.

تواجه مؤسسات التعليم العالي في الجزائر مؤخراً تحديات كبيرة، تتمثل في النمو المتزايد في عدد الطلبة الملتحقين، وهذا بما يفوق الطاقة الاستيعابية، مما أدى إلى انخفاض جودة مخرجاته، إضافة إلى ضعف الإنفاق على مستوى البحث العلمي، وغياب مستويات مقبولة من البنية التحتية لقيام المختبرات وغياب الهياكل العلمية لتجديد التعليم العالي. وفي ضوء هذه المعطيات يمكن طرح الإشكالية التالية؛ والتي تتمحور حول السؤال الرئيسي لهذه الدراسة: هل تمارس مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الأنشطة ذات العلاقة بإدارة المعرفة، من خلق واكتساب المعرفة إلى توزيع وتطبيق المعرفة؟

تكمن أهمية هذه الدراسة في الأبعاد التالية:

<sup>1</sup> Nonaka and Krogh : Tacit knowledge and knowledge conversion :controversy and advancement in organizational knowledge creation theory ,organization science ,Vol.20, N.3, (2009),p.636

- أهمية إدارة المعرفة في تدنية احتمال ضياع المعرفة وهذا في حالة تسرب الأفراد وتركهم للعمل، وبذلك تعمل على تقليل فقدان الأصول المعرفية.
- زيادة أهمية قاعدة المعرفة الخاصة بمؤسسات التعليم العالي، وهذا نتيجة العوامل التالية:

- a. محور تركيز المجتمع القائم على المعرفة ( The knowledge-based society) هو عملية إنتاج وخلق المعرفة، والتي تعتبر من أولويات قطاع التعليم العالي، والذي سيؤدي إلى تراكم المعارف في مجالات التخصص على أن يتم تطبيقها من خلال الممارسات.
- b. أهمية التقارب الحاصل بين مراكز البحث العلمي والتطور التكنولوجي ومؤسسات التعليم العالي في إطار ما يسمى الشراكة من خلال المراكز الصناعية والذي يتميز بكفاءة أفرادها، كما يؤدي إلى تدنية التكاليف و تحقيق قيمة مضافة.
- c. في الواقع العملي أصبح الاستخدام الحديث لمعارف مؤسسات التعليم العالي يمثل أصل جديد من الأصول الأكثر قيمة، وهذا ليس فقط من خلال العلاقات القائمة في السوق مع العملاء، إنما عن طريق ردود الفعل المحتملة والناجمة عن هذه العلاقات والتي يمكن تطبيقها، هذا لأنها تؤدي إلى إثراء التعليم العالي إضافة إلى تكامل مباشر لعملية تطوير المعارف.

#### مجتمع وعينة الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من مؤسسات التعليم العالي، وقد تم توزيع (350) استمارة على عينة طبقية عشوائية شملت أساتذة تعليم عالي وأساتذة محاضرين-أ- وأساتذة محاضرين-ب- وأساتذة مساعدين-أ- وأساتذة مساعدين-ب-، حيث وزعت في: جامعة الجزائر3، جامعة يحي فارس (المدية)، جامعة حسبية بن بوعلي (شلف)، جامعة عمار تليجي (الأغواط)، جامعة ابن خلدون (تيارت)، جامعة بومرداس (أمحمد بوقرة)، المدرسة الوطنية العليا للإحصاء والاقتصاد

التطبيقي، المركز الجامعي تسميئت، وفق خمسة تخصصات وهي: الاقتصاد والتسيير، كيمياء، اعلام الآلي، لغات وآداب.

كما تسعى هذه الدراسة إلى اختبار الفرضيات التالية:

**الفرضية الأولى:** " لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي إذا تم تصنيفهم على أساس العوامل الوظيفية والشخصية".

**الفرضية الثانية:** " توجد علاقة ارتباط موجبة بين ممارسة الأنشطة المعرفية وإستراتيجية إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي".

**أولاً: الإطار النظري للدراسة.**

### 1- مبررات تطبيق إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم:

يؤكد Kidwell et al أنّ السبب الرئيسي في وجود مؤسسات التعليم العالي هو عملية خلق المعرفة، تشاركتها وتبادلها، كما من المفروض أن تكون هي مثال لدعم الإبداع، وتحسين خدمات العملاء، إضافة إلى تحقيق الامتياز العملياتي، هذا ما يؤدي إلى حتمية تبني ممارسات إدارة المعرفة؛ والتي تعمل على دعمها وبشكل فعال لعملية تحقيق أهدافها ورسالتها (سبب وجودها) (التعليم- البحث- الإبداع). للإرتقاء بمخرجات التعليم العالي<sup>1</sup>، حيث تعدّ البيئة التنظيمية للجامعات من أكثر البيئات المناسبة لتطبيق هذه الممارسات، وهذا باعتبارها مسؤولة عن إعداد الكوادر البشرية ذات الكفاءة، وهذه الأخيرة هي العنصر الحيوي في تحقيق الفارق بين المؤسسات، وحسب Mikuleka and Mikulecky، إنّ من أهم مبررات تطبيق إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي ما يلي:

- امتلاك الجامعة لبنية تحتية حديثة في تكنولوجيا المعلومات.

<sup>1</sup> Kidwell.J et al: Applying Corporate Knowledge Management Practices In Higher Education, EDUCAUSE QUARTERLY, No. 4 , November ( 2000), p.29.

- توجد عملية تشارك المعلومات والمعارف بين أعضاء هيئة التدريس، خاصة ومع الطلاب عامة.
- إمكانية وسهولة حصول الطلبة على المعرفة من مختلف مصادرها وبأسرع ما يمكن.
- عادة ما يتميز مناخ الجامعة بدرجة عالية من الثقة، هذا ما يكسر التردد من نشر وتشارك المعارف مع الآخرين<sup>1</sup>.

## 2- نموذج تطبيق الأنشطة المعرفية في مؤسسات التعليم العالي:

حسب Kidwell et al<sup>2</sup> أنّ العنصر الأساسي الذي يبين مدى استعداد مؤسسات التعليم العالي لتبني إدارة المعرفة هو ثقافتها (قيمها، معاييرها، والسلوكيات القائمة)، كما أنّ الانتقال والتحول من الثقافة التقليدية القائمة على: ما المقصود بذلك بالنسبة لنا؟ إلى الثقافة الحديثة والقائمة على: ما المقصود بذلك بالنسبة بعملائنا؟. وفي هذا الإطار تعمل الأنشطة المعرفية على تطوير ثقافة مناسبة للتوجهات الجديدة، وبما أنّ مؤسسات التعليم العالي مؤسسة مثلها مثل المؤسسات الأخرى، مما يشجعها على التعلم من تجارب الآخرين.

من هذا المنطلق يمكن اقتراح نموذج لتطبيق الأنشطة المعرفية في مؤسسات التعليم وهذا بالاعتماد على أعمال (Nonaka et al) سنة 2000 و Wenger سنة 2006.

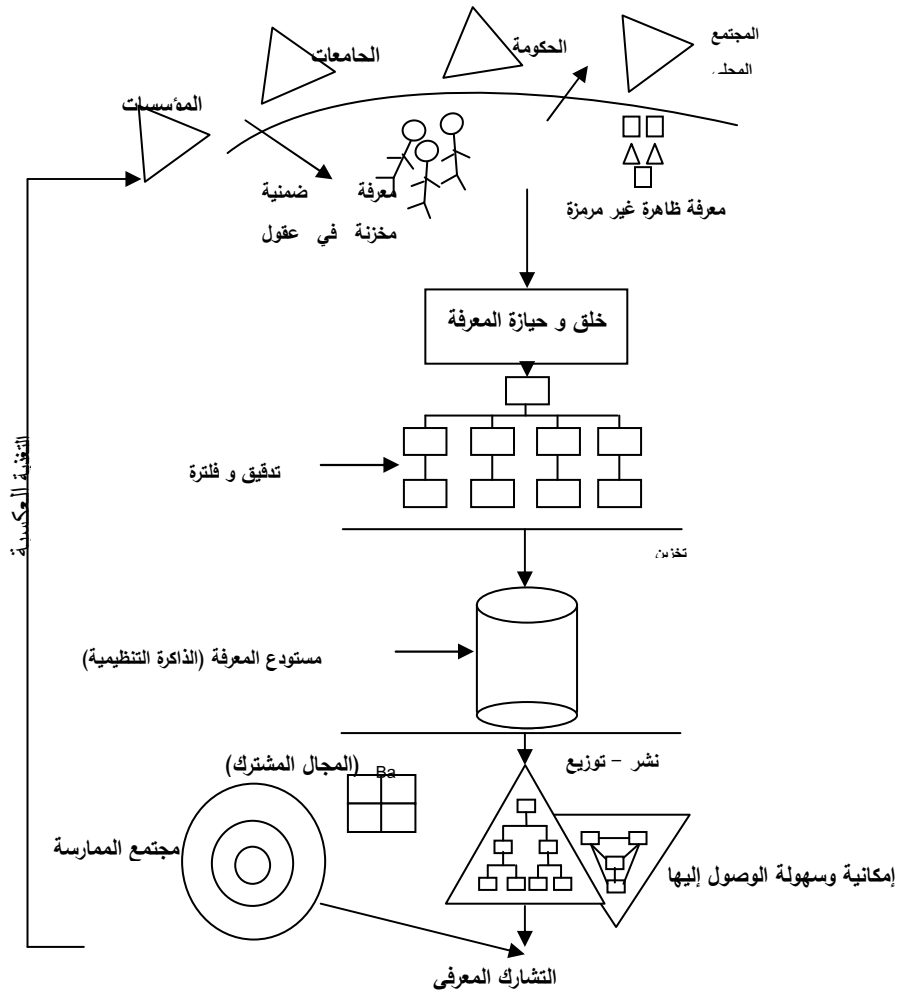
<sup>1</sup> Mikulecka.J, & Mikulecky.P: University Knowledge Management- Issues and Prospects, University of Hardec Karlove, Czech Republic, (2005),pp1-2

<sup>2</sup> Kidwell.J et al, Op- cit , p.31.



## شكل (01) نموذج مقترح لتطبيق الأنشطة المعرفية في مؤسسات التعليم

العالي:



المصدر: من إعداد الباحثة

يشير هذا النموذج إلى مختلف الأنشطة الضرورية لخلق المعرفة، حيث يتفق مفكري هذا المجال، على أن هذه العمليات وإن كانت تختلف حسب طبيعة عمل المنظمة إلا أنها عامل من عوامل نجاح إدارة المعرفة، كما أن هناك اتفاق على إمكانية تطبيق إدارة المعرفة ولو نسبياً داخل المنظمة، وهذا تأكيداً على قبول فكرة العملية، حيث تشمل أنشطة المعرفة ما يلي:

## 1-2 نشاط خلق وحياسة المعرفة:

يرى (Nonaka) أن مفتاح نجاح المؤسسات اليابانية هو عملية خلق المعرفة، والتي تعني خلق وإنشاء المعرفة الجديدة بطريقة مستمرة، تتم بطريقة حلزونية تتحول من معرفة ضمنية فردية إلى معرفة ظاهرة منظمة<sup>1</sup>.

## 2-2 نشاط فلترة المعرفة:

يرى (De Tienne) أن فلترة المعرفة تشير إلى عملية توليف وتنقيح المعرفة المكتسبة لتلائم وتتناسب مع احتياجات ومتطلبات البيئة الداخلية للمؤسسة، وكذلك تمييز وتجديد المعرفة المهمة في المؤسسة ليتم نشرها وتوزيعها وتبادلها بين الأفراد<sup>2</sup>. كما يؤكد Zack<sup>3</sup>، يتطلب تقييم الموقف المعرفي للمؤسسة، عملية الفهرسة للموارد الفكرية الحالية والموجودة داخلها، من خلال بناء خريطة معرفية، والتي تعمل على تحديد الأنواع المعرفية القائمة، تحديد العلاقات وقد ربط المعرفة بالإستراتيجية من خلال إطار المعرفة الإستراتيجية.

<sup>1</sup> Nonaka.I, et al.: SECI, Ba and Leadership: a Unified Model of Dynamic Knowledge Creation. Long Range Planning , VOL .33,(2000),P.6.

<sup>2</sup> De Tienne et al: knowledge management understanding theory and development strategy .competitiveness review, 10495422,Vol.11.Issue1, (2001).

<sup>3</sup> Zack, M: developing knowledge strategy , California Management Review ,Vol .41, No .3 . (2003),p.132.

## 2-3 نشاط التدقيق والتخزين المعرفي:

### 2-3-1 نشاط التدقيق المعرفي:

تشمل عملية التدقيق مختلف عمليات المراجعة الدائمة للمعلومات والمعارف المخزنة أو المستعملة بهدف مراجعتها وتدعيمها بمعلومات جديدة أو إثرائها في كل مرة. بمعنى آخر هي عملية فحص لقاعدة المعرفة، إضافة إلى مراجعة الإجراءات وطرق العمل التي يجب تحديثها بما يتلاءم والظروف الحالية للمؤسسة خاصة في ظل تغيرات بيئية، وعليه لا بد من التكيف معها عن طريق عملية التجديد والتحديث.

### 2-3-2 نشاط التخزين ودور الذاكرة التنظيمية (OM):

تلعب مستودعات المعرفة كمحور ارتكاز في إدارة الأصول المعرفية وهذا لإدامتها وتنميتها لمواجهة تحديات البيئة التنافسية؛ حيث تشير عملية التخزين إلى أهمية الذاكرة التنظيمية (OM) في الاحتفاظ واكتساب واسترجاع المعارف على أن يتم التركيز على حجم السياق وإلا لن يكون لها أي مستوى دلالة.

يؤكد (Conklon) أن أغلبية الأصول المعرفية الخاصة بالمؤسسة تعود إلى معرفة رأس المال البشري باعتباره يشكل أهم أصولها، هذا ما يفرض على المؤسسة الحرص على عدم مغادرتهم وتركهم للعمل لأنها بذلك ستفقد أصول ذات أعلى قيمة وثمن. وكمحاوله لتجنب هذه المشكلة، ستعمل المؤسسات على بناء الذاكرة التنظيمية عن طريق عمليات إدارة المعرفة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Conklin.P : Designing Organizational Memory: Preserving Intellectual Assets in a Knowledge Economy, Designing Organizational Memory, Cog Nexus Institute, (2001),p.1.

## 2-4 نشاط نشر وتوزيع وتطبيق المعرفة:

## 2-4-1 نشاط نشر وتوزيع المعرفة

يرى (Rutkowski) أن عملية نقل المعرفة تشير إلى طريقة تحرك المعرفة في المؤسسة من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وهذا يعني حصول الفرد على معرفة جديدة والتي تعني التعلم، حيث تتطلب عملية توزيع المعرفة استخدام أساليب التعلم، الممارسة، الحوار والتدريب كما يتم نشر المعرفة عن طريق الوثائق والوسائط الحديثة وهذا حسب (Szulanski)<sup>1</sup>.

## 2-4-2 نشاط تطبيق المعرفة:

يرى (Martensson) أن تطبيق المعرفة يعني جعلها أكثر ملائمة للاستخدام في تنفيذ نشاطات المؤسسة، وأكثر ارتباطاً بالوظائف التي تقوم بها، حيث بين أن أغلب الدراسات والأبحاث لم تعطي أهمية لمرحلة تطبيق المعرفة، وهذا من منطلق أن المؤسسة ستعمل على تنفيذ المعرفة وتطبيقها مباشرة بعد عملية خلقها ونشرها وتوزيعها بين الأفراد. فقد تطرق (Nonaka ; Takeuchi) إلى عملية خلق المعرفة داخل المؤسسة دون التطرق إلى مرحلة تنفيذها، وهذا على افتراض أن عملية تطبيقها هي مرحلة تلقائية تتبع مرحلة خلقها مباشرة؛ حيث تشير بعض الأبحاث إمكانية تضمين مرحلة التطبيق في مرحلة التخزين وتبادل المعرفة دون اعتبارها مرحلة منفصلة، حيث ميز Grant بين ثلاث آليات لتطبيق المعرفة وهي<sup>2</sup>: - التوجيهات (directives) - الروتين (Routines) - بناء فرق العمل ذات المهام المحددة ذاتياً (Self-contained Task teams).

<sup>1</sup> Szulanski. G : the process of knowledge transfer : a diachronic analysis of stickiness, Philadelphia, PA, 19104-6370, (1999),p.3.

<sup>2</sup> Martensson.M: a critical review of knowledge management as a management tool, the journal of knowledge management, Vol.4, N.3, (2000),p.211.

## 2-5 نشاط تشارك وتقاسم المعرفة:

تكمن قوة وتميز المؤسسة في قدرتها على تحفيز وتشجيع أفرادها على تقاسم وتشارك المعارف داخل المؤسسة، مما يسمح لها العمل من خلال المزيج الكلي المتاح من المعارف وهذا بتطبيق المعرفة المشتركة<sup>1</sup>.

## 2-6 دور مجتمعات الممارسة في عملية تشارك وتقاسم المعرفة:

تعتبر التنظيمات اليابانية من أهم النماذج التي تدعم عملية تشارك وتقاسم المعرفة، من خلال إنشاء قاعات المحادثة، الدعوة إلى تناول الطعام، إضافة إلى ظهور وتشكيل مجتمعات الممارسة، والتي لعبت دور مهم وأساسي في تشارك الخبرات والمعارف بين الأفراد. يعود الفضل في تطور وظهور مفهوم مجتمعات الممارسة (Cops) إلى أعمال (Lave and Wenger) من خلال نشر كتابهما (Situating Learning) سنة 1991<sup>2</sup>. حيث يشير هذا المفهوم إلى جماعات عضوية منظمة ذاتياً من أفراد يتم توزيعهم تنظيمياً على أن يتم التواصل فيما بينهم بطريقة منظمة من أجل مناقشة المجالات ذات الاهتمام المشترك، فهي توفر للفرد قدرة الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد المكونة للجماعة، وهذا يفوق ويتجاوز ما توفره الحدود التنظيمية في الإدارة التقليدية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Felimon.A and Uriarte J.R : Introduction to knowledge management, ASEAN FOUNDATION , Jakarta,Indonesia. (2008),p.52.

<sup>2</sup> Hinton .B: knowledge management and community of practice: an experience from rabobank Australia and New Zealand , international food and agribusiness management review, VOL.5,N.3. (2003),p.5

<sup>3</sup> Wenger.E et al :cultivating communities of practice, a guide to managing knowledge, Harvard business school press, Boston, (2002), p.4

## ثانياً: الإطار التطبيقي وتحليل النتائج:

## 1- تحليل أسئلة الدراسة:

## 1-1 نشاط خلق المعرفة:

من الجدول رقم(01)، نجد أن مستوى ممارسة نشاط خلق المعرفة في مؤسسات التعليم العالي يتم بدرجة متوسطة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط بـ (2.64)، حيث يتراوح أدنى وأعلى مدى للانحراف المعياري ما بين (0.89-1.02). حيث أكد كل من: كراسنة والخليلي و Brelade and Harman, Nonaka et al ، على أهمية البيئة المناسبة للإبداع المعرفي، كما تتفق هذه الدراسات على الدور الذي تلعبه الإدارة في عملية التغيير الثقافي للفرد والاتجاه نحو تشجيع التبادل والتجديد والتعليم إلا أنه لم يرقى هذا النشاط إلى المستوى المطلوب، ولعل أهم سبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى واقع الإنتاج المعرفي في الجزائر؛ حيث تميز بالحالة المزرية لمنظومة البحث العلمي والتطوير التقني والتي تجلت في شح المنشورات العلمية وبراءات الإختراع الوطنية.

جدول (01): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط خلق المعرفة

الرقم	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
1	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تهيئة بيئة العمل للمساعدة على الابداع والابتكار	2.70	0.94	متوسطة
2	تقوم مؤسسات التعليم العالي بمقارنة موجودات المعرفة الخالية و موجودات المعرفة المطلوبة كنقطة بداية لتطوير افكار جديدة	2.54	0.89	متوسطة
3	تعمل مؤسسات التعليم العالي على اعداد اليات تحفيزية لتشجيع الجهود الابداعية والمعرفية	2.62	1.02	متوسطة
4	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تفعيل العمل المعرفي انطلاقا من الجهود الفردية التي يمكن تسخيرها بلتضخ في الجهود المقدمة من طرف الاساتذه وتبناها.	2.63	0.91	متوسطة
5	تشجيع مؤسسات التعليم العالي المبادرات والاقتراحات الجديدة المقدم من طرف الاساتذه وتبناها.	2.73	0.97	متوسطة
	المتوسط العام	2.64		متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

## 1-2 نشاط حياة المعرفة:

من الجدول رقم(02)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط حياة المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط بـ(2.98). كما نلاحظ أن مؤسسات التعليم العالي تبنت نشاط حياة المعرفة إلا أنه لم يرقى إلى المستوى المطلوب، ويمكن تفسير ذلك إلى نقص الاحتكاك بمؤسسات أخرى سواء كانت جامعات داخلية أو خارجية، أو حتى مع المؤسسات الاقتصادية أو المؤسسات ذات العلاقة مثل مؤسسات البحث والتطوير العلمي، فقد ركز أغلب المفكرين على طريقة تبني المؤسسات لمعارف تم تطويرها خارج حدودها؛ حيث يرى (Cohen and Levinthal) بأن هذه العملية تمثل بمدى قدرة المؤسسة على ادراك قيمة المعلومات الخارجية الجديدة، نشرها وتوزيعها على مختلف المستويات الداخلية ليتم تطبيقها، فهي تعتبر تعاون مابين المؤسسات في اطار التحالفات الدينامكية؛ إذ أكد (Dussage) أنه بينت جميع النظريات التنظيمية وأنه ليس بمقدور جميع المؤسسات خلق الموارد اللازمة للنمو والتطور، لذا تلجأ إلى مصادر خارجية للحصول عليها من أجل استغلال الفرص الجديدة ولضمان البقاء والنمو<sup>1</sup>.

جدول(02):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط حياة المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوي الممارسة
6	تهتم مؤسسات التعليم العالي بالتعاون والتنسيق مع جامعات اخرى في مجالات البحث العلمي والتعليم بما يتيح تبادل الخبرات والمعلومات الجديدة	2.81	0.82	متوسطة
7	الحضور الدائم والمتواصل لمؤسسات التعليم العالي في المؤتمرات وورشات العمل سواء كانت على المستوى الداخلي او	2.76	0.94	متوسطة

<sup>1</sup> Done.A :supply chains evolution : knowledge -based perspective, IESE, Business school ,University of Navarra, (2011),P.16.

			الخارجي للجزائر	
مرتفعة	0.98	3.60	احرص على حضور الندوات الدولية ذات الصلة بتخصصي لاغناء تجربتي وزيادة خبرتي	8
متوسطة	0.91	2.48	تعمل مؤسسات التعليم العالي على استضافة بعض المتخصصين من خارج الكلية للاستفادة من خبراتهم	9
منخفضة	0.85	2.26	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تقديم منح دراسية للموظفين وكذا تريضات تدريبية خارج الجزائر	10
متوسطة	1.18	3.15	تهتم مؤسسات التعليم العالي بالاطلاع على تجارب التعليم الاجنبية الناجحة وتبناها	11
متوسطة	1.09	3.27	تعمل مؤسسات التعليم العالي على استقطاب اساتذة اجانب للمساعدة على نقل الممارسات الجديدة وتطوير المهارات	12
مرتفعة	0.77	3.51	احرص على إقامة علاقات مع متخصصين في مجال تخصصي خارج الكلية وكذا خارج الجزائر للاطلاع على آخر المستجدات في ميدان تخصصي وتبادل الافكار معهم	13
متوسطة		2.98	المتوسط العام	

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

### 1-3 نشاط فترة المعرفة:

من الجدول رقم (03)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط فترة المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (2.54). نجد أن مؤسسات التعليم العالي تبنت نشاط فترة المعرفة، إلا أنه كان بدرجة متوسطة، ويمكن تفسير ذلك بالسياسة التي تتبعها مؤسسات التعليم العالي من خلال تبني الاساليب الجديدة والبرامج الجديدة دون مراعاة البيئة الداخلية لها. الا أنه يجب مراعاة الأنظمة وكذا أساليب العمل بمعني لابد من وضع توليفة مناسبة لبيئة العمل الداخلية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Karadshek et al Louay, 2009,a theoretical framework for knowledge management process toward improving knowledge performance , communications of the IBIMA. VOL.7, p70.



جدول(03):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط فلترة المعرفة (تهذيب المعرفة) في مؤسسات التعليم العالي:

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
14	تستخدم مؤسسات التعليم العالي مدخل التوليفة لتوظيف المعرفة التي تبنتها من خلال ادخال تعديلات جزئية	2.70	1.12	متوسطة
15	تأخذ مؤسسات التعليم العالي من التجارب الاجنبية الناجحة في ميدان التعليم فقط ما يتوافق والطبيعة التعليمية لها	2.56	1.01	متوسطة
16	تقوم مؤسسات التعليم العالي بتحديد المهم من المعرفة التي تم الحصول عليها من المصادر الاجنبية ليتم توزيعها داخلها	2.36	0.88	منخفضة
	المتوسط العام	2.54		متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

#### 4-1 نشاط التدقيق والتخزين المعرفي:

من الجدول رقم(04)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط تدقيق وتخزين المعرفة يتم بدرجة منخفضة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (2.42). مما يعني أن درجة ممارسة نشاط تدقيق وتخزين المعرفة لم يرقى أبداً إلى المستوى المطلوب، مما يدل أن مؤسسات التعليم العالي في الجزائر لا تزال بعيدة تمام البعد عن تطبيقات التكنولوجيا الحديثة، وأن المشاريع المقدمة في هذا المجال لا تزال حبراً على الورق، حيث تؤكد أغلب الدراسات على أهمية نظم إدارة المعرفة في عملية التدقيق والتخزين المعرفي، بتقديم حزم متنوعة من أنشطة استقطاب وترميز وتخزين المعرفة الصريحة.

جدول(04):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط تدقيق وتخزين المعرفة

الرقم	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
17	عند تبني برنامج جديد (معرفة جديدة) تقوم مؤسسات التعليم العالي بمراجعة نظام العمل القائم.	2.48	0.93	منخفضة
18	تعمل مؤسسات التعليم العالي على وضع تعديلات للنظام الداخلي بما يتضمن قاعدة البيانات اخذه بعين الاعتبار مدى تلاؤمها مع البرنامج الجديد(المعرفة الجديدة)	2.61	0.78	متوسطة
19	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تجهيز المختبرات والورش باحدث النظم والمعدات والتقنيات المتطورة كمادة لتحديث طرق العمل	2.53	0.83	متوسطة
20	تهتم بمراجعة وتقييم الهيكل الاداري للجامعة للتأكد من ملاءمته لرسالتها واهدافها الجديدة	2.48	0.81	منخفضة
21	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تطوير قدراتي ومهاراتي من خلال عمل دورات تدريبية	2.85	0.96	متوسطة
22	تعمل مؤسسات التعليم العالي على استخدام اسلوب المقارنة المرجعية حيث يتم مقارنة ادائها باداء غيرها من المؤسسات المتفوقة والمميزة	2.18	0.86	منخفضة
23	تتوفر مؤسسات التعليم العالي على وسائل تكنولوجية (قاعدة البيانات) لتوثيق وحفظ المعارف الجديدة والمكتسبة	2.24	0.75	منخفضة
24	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تخزين وتوثيق المعرفة الجديدة بطريقة تسمح بان تكون متاحة للجميع وفي اي وقت	2.31	0.88	منخفضة
25	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تخزين معرفة الخبراء على شكل برامج اساليب عمل للرجوع اليها عند الحاجة	2.16	0.81	منخفضة
	المتوسط العام	2.42		منخفضة

2 المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

## 5-1 نشاط نشر وتطبيق المعرفة:

من الجدول رقم(05)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط نشر وتطبيق المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (3.00). وقد يرجع هذا إلى نقص التجهيزات التكنولوجية والتي ظهرت في النتائج السابقة (عدم تبني مؤسسات التعليم العالي للأساليب والبرامج الالكترونية لتسهيل تدفق المعرفة كشبكة انترنت داخلية) أثرت سلبا على درجة ممارسة هذا النشاط. فقد أكد الكثير من الباحثين<sup>1</sup> في هذا المجال على أن أول العمليات اللازمة لإدارة المعرفة، هي استبقاء المعلومة الدقيقة والصحيحة وتوثيقها، ثم تبادلها عبر وسائل التفاعل المختلفة داخل منظمات الأعمال.

جدول(05):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط نشر وتطبيق المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
26	تحتوى قاعدة بيانات مؤسسات التعليم العالي على الاسماء جميع اصحاب الخبرة من الاساتذة للاستفادة منهم	2.35	0.86	منخفضة
27	تتبنى مؤسسات التعليم العالي الأساليب والبرامج الالكترونية لتسهيل تدفق المعرفة كاعتماد شبكة انترنت داخلية.	2.01	0.93	منخفضة
28	احد صعوبة في استخدام الحاسوب وتكنولوجية المعلومات	3.02	1.29	متوسطة
29	أفضل عمل دورات تدريبية لي تطوير وتحسين مهاراتي في التعامل واستخدام تكنولوجيا المعلومات	3.92	0.94	مرتفعة
30	اخصص بعض الوقت للتحديث عن امور العمل مع زملائي وكذا تبادل معهم الأفكار والآراء والمعلومات	3.43	0.81	متوسطة
31	أتبنى مفهوم"الصدقاة المعرفية" التي تقوم لدعم الاستخدام المتبادل للمعرفة	3.43	1.00	متوسطة
32	تتبنى مؤسسات التعليم العالي عملية تغيير في اساليب وطرق التحفيز لخلق ثقافة المشاركة المعرفية وإشاعتها داخلها	2.76	0.92	متوسطة

<sup>1</sup> Harrington, A et al :Knowledge Translation: A synopsis of the literature , Alberta Health Services - Alberta Mental Health Board. Alberta Mental Health Research Partnership Program,(2008), p.9.

مرتفعة	1.00	3.70	أفضل الاحتكاك المباشر وغير الرسمي مع زملائي	33
متوسطة	0.92	2.63	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تطوير اسلوب العمل الجماعي عن طريق فرق العمل لتدعيم التبادل المعرفي	34
متوسطة	0.86	2.53	تعمل مؤسسات التعليم العالي على اندماج المعرفة الجديدة ضمن مخطط الاداء	35
مرتفعة	0.74	3.87	احرص على تطبيق الاساليب التي تم تدريبي عليها	36
منخفضة	0.75	2.43	تقوم مؤسسات التعليم العالي بمراقبة مدى تنفيذ اجراءات العمل الجديدة باتباع اجراءات التدقيق الداخلي	37
متوسطة		3.00	المتوسط العام	

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

### 6-1 نشاط تقاسم و تشارك المعرفة:

من الجدول رقم (06)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط تقاسم ومشاركة المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (2.80). ويمكن تفسير ذلك بقلة إنتاج البحوث المشتركة، عدم وجود ندوات تناقش أمور مشتركة بين الأساتذة، عدم تكوين لجان مشتركة بين الأقسام لمناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه، عدم وجود حوافز تكافئ تقاسم ومشاركة المعرفة. فقد أكدت دراسة<sup>1</sup> De long and Fehey ان سر نجاح إدارة المعرفة يكمن في تأمين البيئة المناسبة التي تساعد الفرد على اظهار كل ما لديه من إبداعات وزيادة قدرته على مشاركة الآخرين أفكاره، بغرض بناء ثقافة المشاركة بالمعرفة (Knowledge-Sharing Culture).

<sup>1</sup> De Long and Fahey: diagnosing cultural barriers to knowledge management , Academy of management executive, Vol.14,N.4, (2000).

جدول(06):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط تقاسم ومشاركة المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
38	تشجيع مبدأ الثقة المتبادلة لتعزيز تقاسم المعرفة	2.71	1.21	متوسطة
39	تعمل مؤسسات التعليم العالي على تكوين ثقافة داخلية لمساندة التعاون بين الأساتذة	3.38	0.81	متوسطة
40	أتمتع بالدافعية للانخراط في نشاط معرفي ومشاركة الآخرين معارفهم الخاصة	2.68	1.07	متوسطة
41	تتوفر مؤسسات التعليم العالي على حوافز تكافئ مشاركة وتقاسم المعرفة	2.67	0.89	متوسطة
42	يتم تقييم ومكافأة الفرد على أساس مساهمته المعرفية خاصة تبادل وتقاسم المعرفة	2.57	0.90	متوسطة
	المتوسط العام	2.80		متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

#### 7-1 نشاط تشجيع قيام مجتمعات الممارسة :

من الجدول رقم (07)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط تشجيع قيام مجتمع ممارسة المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (2.86). وهذا يتنافى تماما مع النتائج التي توصلت إليها الكثير من الدراسات<sup>1</sup> Wenger et al، Martan et al<sup>2</sup> والتي أكدت على أهمية هذا النشاط في تفعيل وتسريع عملية الإبداع المعرفي من خلال الاحتكاك المباشر للأفراد داخل وخارج العمل، سواء كان هذا في إطار رسمي وغير رسمي، والذي يعني أن مؤسسات التعليم العالي لا تعمل على تشجيع قيام هذا النوع من الممارسات، والدليل على ذلك الغياب شبه التام

<sup>1</sup> Wenger ,Op-cit .

<sup>2</sup> Martin et al : cultivating a community of practice between business and IT. (2004): from (P.Hildrith and C. Kimble: knowledge networks: innovation through communities of practice, IDEA GROUP publishing 2004).

للفضاءات المشتركة بين الأساتذة، إضافة إلى انخفاض مستوى احتكاك الأساتذة فيما بينهم داخلياً.

جدول(07):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط تشجيع قيام مجتمع ممارسة المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
43	تشجيع مؤسسات التعليم العالي قيام جماعات / تجمعات الممارسة من نفس التخصص وتوفر لها ما يلزم من موارد ودعم	2.93	0.89	متوسطة
44	تشجيع مؤسسات التعليم العالي هذه الجماعات على عقد لقاءات تعليمية او مؤتمرات التي تساعدها في تبادل المعرفة والمشاركة فيها	2.56	0.98	متوسطة
45	تحرص مؤسسات التعليم العالي على احتكاك تلك الجماعات مع جماعات خارجية اخرى من اجل استعراض افكار الاخرين والاستفادة	3.10	1.12	مرتفعة
	المتوسط العام	2.86		متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

### 1-8 الإستراتيجية المعرفية:

من الجدول رقم (08)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي لنشاط استراتيجية الأنشطة المعرفية يتم بدرجة متوسطة من الممارسة، حيث قدر المتوسط الحسابي العام لفقرات هذا النشاط (2.63). حيث يتضح أن مؤسسات التعليم العالي نجحت والى حد متوسط في تبني إستراتيجية واضحة لإدارة المعرفة. حيث تؤكد أغلب الدراسات<sup>1</sup>(Zack)،<sup>2</sup>(Wiig)،<sup>3</sup>( Haggie and Kingston) على ضرورة تبني رؤية إستراتيجية تعمل على إدارة المعارف والخبرات بطريقة تضمن تحقيق مستوى الأداء من عمليات إدارة المعرفة. وهذا تأكيد لنتائج دراسة<sup>4</sup>(Choi and Lee)، والتي ربطت استراتيجيات إدارة المعرفة مع مراحل

<sup>1</sup> Zack,Op-cit.

<sup>2</sup> Wiig,K: knowledge management, where did it come from and where will it go” .expert systems with application .Vol .13, No. 01. ( 1997).

<sup>3</sup> Haggie and Kingston: Choosing your knowledge management\_strateg , Journal of knowledge management practice , (June 2003).

<sup>4</sup> Choi and Lee: knowledge management strategy and its link to knowledge creation process, expert systems with application , Vol.23,(2002),p.183.

خلق المعرفة وطبيعة المعرفة. هذا كله يخضع لعامل التغيير والذي يتطلب تغيير في إستراتيجية إدارة المعرفة، وفي هذه الحالة تتفق مع نتائج دراسة<sup>1</sup> (Fattahitan et al) والتي أكدت ضرورة تكامل استراتيجيات إدارة المعرفة في نوع واحد من الإستراتيجية، مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة الثقافية ومراحل إدارة المعرفة.

جدول(08):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لنشاط استراتيجيات ادارة المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
46	تهتم مؤسسات التعليم العالي بمناخ العمل الذي يشجع على تقديم افكار جديدة كتشجيع سياسة الباب المفتوح	2.75	1.10	متوسطة
47	تنمية سبل التفاعل بين اعضاء هيئة التدريس من خلال تعزيز الاتصال بغية تحديث الرصيد المعرفي وضمان انتشارها بينهم	2.50	0.97	متوسطة
48	تدريب أعضاء هيئة التدريس من خلال تعزيز الاتصال بغية تحديث الرصيد المعرفي وضمان انتشارها بينهم	2.13	0.93	منخفضة
49	التركيز على سرعة تدفق ونشر المعرفة وذلك من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة	2.19	0.86	منخفضة
50	توطین علاقات فعالة مع المنظومات ذات العلاقة بإدارة المعرفة كمراكز البحث العلمي، الجامعات الاخرى	3.06	1.12	متوسطة
51	تعمل مؤسسات التعليم العالي بالتنسيق مع جهات حكومية كوزارة التعليم العالي والبحث العلمي على رسم وتحديد اهداف متوسطة وطويلة الاجل لتفعيل عملية البحث العلمي القائم على اكتساب المعرفة	3.17	1.07	متوسطة
	المتوسط العام	2.63		متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

<sup>1</sup> Fattahiyan et al: The Relationship between Organizational Knowledge Strategies and Processes Knowledge Management, World of Sciences Journal; [02], ISSN 2307-3071, PP-148-155, Iran ,(2013),p.161.

بعد التطرق لمعرفة مدى ممارسة الأنشطة المعرفية من قبل مؤسسات التعليم العالي من خلال الإجابة على الأسئلة الفرعية للدراسة، يمكن لنا الآن الإجابة على السؤال الرئيسي والمتمثل في "ما مدى ممارسة مؤسسات التعليم العالي للأنشطة المعرفية".

من الجدول رقم (09)، نجد أن مستوى ممارسة مؤسسات التعليم العالي للأنشطة إدارة المعرفة يتم بدرجة متوسطة من الممارسة؛ حيث قدر المتوسط الحسابي العام لجميع الفقرات بـ(2.73). على الرغم من اعتبار مؤسسات التعليم العالي هي الحاضنة الأساسية لعملية خلق وتقاسم المعرفة، حيث تتمثل رسالتها في : البحث - الإبداع - التعليم والتعلم، إلا أنه من تحليل النتائج الأولية يتبين أنه لا يمكن الحديث عن عملية خلق المعرفة في مؤسسات التعليم العالي وهذا يرجع إلى شح المنشورات والبحوث، وعدم توفر البناء التنظيمي المناسب والذي يشجع عملية خلق المعرفة وهذا ما اكده Nonaka والمتمثل في العناصر الثلاث الأساسية: الفضاء المشترك Ba (السياق الخاص لوضع الحدود الفاصلة لخلق المعرفة وأقسامها، قد يكون مادي، افتراضي، أو ذهني)، الاصول المعرفية، نموذج حلزونية المعرفة. كما أن مؤسسات التعليم العالي تقوم بحياسة المعرفة من مصادرها الخارجية أكثر من عملية ابداعها على المستوى الداخلي. من تحليل النتائج يتبين مدى ارتباط نشاط التدقيق والتخزين المعرفي مع نشاط فلترة المعرفة من خلال الخرائط المعرفية لما لها من دور أساسي في عملية التخزين والاحتفاظ بمعرفة الخبراء من أجل اعادة استرجاعها وقت الحاجة، ويعتبرها<sup>1</sup> (Zack) عملية لتحديد الموقف الحالي للمؤسسة، كما تعمل على تفعيل عملية التبادل والتشارك المعرفي. أما بالنسبة لنشاط التطبيق المعرفي على الاغلب تعمل مؤسسات التعليم العالي على ادماج المعرفة الجديدة ضمن مخطط الاداء من

<sup>1</sup> Zack, Op-cit, p.132.



خلال ثلاث اليات: التوجيهات، الروتين، وبناء فرق العمل ذات المهام المحددة ذاتيا وهذا ما أكدته Grant<sup>1</sup>(Martensson).

جدول رقم(09):المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لانشطة ادارة المعرفة

الرقم	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	درجة الممارسة
1	خلق المعرفة	2.64	متوسطة
2	حيازة المعرفة	2.98	متوسطة
3	فلترة المعرفة	2.54	متوسطة
4	تدقيق وتخزين المعرفة	2.42	منخفضة
5	نشر وتطبيق المعرفة	3.00	متوسطة
6	تقاسم ومشاركة المعرفة	2.80	متوسطة
7	قيام مجتمعات ممارسة المعرفة	2.86	متوسطة
8	استراتيجية ادارة المعرفة	2.63	متوسطة
	المتوسط العام	2.73	متوسطة

المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام برنامج SPSS.

## 2- اختبار الفرضيات:

**الفرضية الأولى:** توجد علاقة ارتباط موجبة بين ممارسة الأنشطة المعرفية وإستراتيجية إدارة المعرفة:

من تحليل نتائج الجدول رقم (10)، نجد أن هناك علاقة طردية ايجابية بين مختلف الأنشطة المعرفية والاستراتيجية المعرفية. إلا أنه من الملاحظات الأولية، يتبين أن هناك تفاوت في درجة الارتباط، هذه النتائج تعبر عن مدى ارتباط وتداخل الأنشطة القائمة على المعرفة؛ حيث أن مستوى ترابط وتداخل الأنشطة المعرفية يعتبر قوة التميز وهذا ما يخلق الفارق بين المؤسسات في القطاع.

وهذا ما أكدته دراسة كل من (Jones ,Hoslsapple)<sup>1</sup> ، وفي هذا يرى (Bhatt)<sup>2</sup> ولضمان نجاح تطبيقات الأنشطة المعرفية على المؤسسة ضرورة

<sup>1</sup> Martensson,Op-cit, p.211.

إحداث توازن بين الأنشطة، هذا التوازن يتطلب إحداث تغييرات في التكنولوجيا - الثقافة - القيادة وفي هذا تأكيد على أعمال<sup>3</sup> (Wiig). كما أن الاعتماد على إستراتيجية معرفية سيؤثر على مدى توفر المقومات الضرورية لممارسة نشاطات إدارة المعرفة مما سيؤثر على مستوى هذه الممارسات، لذا من الضروري إحداث توازن ما بين الطرق الرسمية وغير الرسمية في تطبيق أنشطة إدارة المعرفة، فإهمال الطرق غير الرسمية خاصة بناء السياق الخاص بتبادل المعرفة؛ والذي لطالما أكد عليه Nonaka سيؤدي حتما إلى التأثير على درجة ممارسة نشاط تبادل وتقاسم المعرفة الضمنية.

جدول رقم (10): نتائج اختبار ارتباط الأنشطة المعرفية والاستراتيجية المعرفية (معامل بيرسون)

الإستراتيجية المعرفية	خلق المعرفة (p)	حيازة المعرفة (p)	فترة المعرفة (p)	تدقيق وتخزين المعرفة (p)	نشر وتطبيق المعرفة (p)	تقاسم المعرفة (p)	مجتمع الممارسة (p)
	**0.585 0.000	**0.484 0.000	**0.567 0.000	**0.621 0.000	**0.596 0.000	**0.703 0.000	**0.597 0.000

\*\* ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ( $\alpha > 0.01$ ).

**الفرضية الثانية:** لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي إذا تم تصنيفهم على أساس العوامل الوظيفية و الشخصية:

من النتائج المبينة في الملحق رقم (01) يتبين وجود اختلاف بين آراء أفراد العينة حول درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي من

<sup>1</sup> Jones and Holsapple: Knowledge Management Strategy Formation (2006) , from: (Shwartz, David, Encyclopedia of Knowledge Management, Idea Group Publishing, Inc., U.S.A ,2008),p.421.

<sup>2</sup> Bhatt: knowledge management in organization : examining the interaction between technologies , techniques, and people, journal of of knowledge management, Vol.5, N.1, (2001).

<sup>3</sup> Wiig, Op-cit.

حيث تأثير العوامل الوظيفية والشخصية ( العمر، المؤهل العلمي، الخبرة، الرتبة، التخصص)، ماعدا متغير الجنس، حيث كانت قيمة (P) في جميع الحالات أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0,05) ماعدا متغير الجنس. يمكن أن يرجع السبب في ذلك إلى خصوصية المجتمع المدروس، حيث تم الاعتماد على الاستبيان والذي عادة ما يعبر عن آراء شخصية وليس الواقع.

#### الخاتمة:

تعتبر مؤسسات التعليم العالي هي محور خلق المعرفة، لذا عليها التركيز على منح أعضاء هيئة التدريس والباحثين الفرص الكاملة لتنمية وتطوير أفكارهم وإبداعاتهم فيما بينهم، فعملية تشارك وتقاسم الأفكار عادة ما تؤدي إلى توليد الإبداع المعرفي، هذا لأن هناك مسؤولية اجتماعية تتحملها مؤسسات التعليم العالي لخدمة المجتمع والقضايا ذات العلاقة، وأن تميزها مرتبط بمدى قدرتها على التكيف والاستجابة لمتطلبات المجتمع.

من تحليل ومناقشة أسئلة الدراسة، يمكن عرض أهم النتائج:

1- من تحليل خصائص أفراد العينة، تبين أن أغلبية أفراد العينة يتراوح سنها (40-49 سنة) كما أن خبرتها أكثر من 16 سنة وهذا يعتبر ورقة رابحة، والذي يعني أنها تتمتع بامتلاك معارف وخبرات سابقة، لذا من الضروري استغلال هذا الكم المتراكم من المعارف والخبرات والتي هي ضمنية المضمون بنسبة 80%، من خلال استخدام الآليات المناسبة لاستغلال هذه المعارف والتي تؤدي إلى بناء قاعدة معرفية خاصة بمؤسسات التعليم العالي.

2- من خلال النتائج السابقة تبين أن درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي كان بدرجة متوسطة، فقد بينت النتائج أن مستوى ممارسة أغلبية الأنشطة المعرفية كانت بدرجة متوسطة باستثناء نشاط تدقيق وتخزين المعرفة، والذي كانت درجة ممارسته ضعيفة. ولا غرابة في النتائج المتوصل إليها لأنها تعبر عن الواقع إلى حد كبير.

3- نستنتج من النتيجة الأولى والثانية، وجود فجوة معرفية ( فجوة عمل - معرفة ) في مؤسسات التعليم العالي؛ حيث على الرغم من امتلاك وتوفر مؤسسات التعليم العالي على معارف - تجارب - خبرات سابقة ومترابطة إلا أنها لا تحقق النتائج ( عدم استغلال المعارف المترابطة والتي هي مخزنة في عقول الأفراد).

ومن خلال النتائج المتوصل إليها يمكن تقديم الاقتراحات التالية:

- لا بد من الاهتمام بطرق التدريس الحديثة ورفع المستوى لدى الأستاذ والمسير الجامعي، من خلال ترقية العنصر البشري والتركيز على متغير الحافز المعنوي مما له من دور فعال في تشارك وتبادل المعارف، مع ضرورة إقامة بنية اقتصادية إنتاجية حقيقية تسمح بالتجارب التطبيقية والتي تولد الأفكار الجديدة.

- تحول مؤسسات التعليم العالي إلى حاضنات لمشروعات صناعات المعرفة، خاصة منها التي تمتلك بنية تحتية قوية لتكنولوجيا المعلومات والشبكات التي تستطيع أن تدعم وبشكل مباشر هذه المشروعات، على أن تعمل وتتواجد داخلها، حيث يكون لديها المرونة في استخدام تجهيزات وتسهيلات مؤسسات التعليم العالي، على أن يتم ضم بعض الطلبة المتميزين إلى هذا النوع من المشروعات، وتعتمد على أسلوب التعلم التوليدي والتعلم الثنائي (generative learning) (Double- Loop learning)، والتي لا طالما أكد عليها أغلب مفكري هذا المجال (Argris and Schon , Senge)، حيث يعمل هذا النوع من التعلم على خلق الأفكار الجديدة وتطبيقها، مع استمرار التجربة والممارسة.

- ترقية صيغة البحث التعاقدية ( بين مؤسسة البحث والمؤسسة الاقتصادية المستفيدة ) وتحديد آلياتها وسبلها، إضافة إلى تعزيز الروابط المباشرة بين مراكز البحث والتطوير والجامعات من جهة والمؤسسات الإنتاجية والخدمية من جهة أخرى لضمان نشر المعرفة وتبادلها. والعمل على خلق مناخ جديد يتلاءم مع نشاط البحث العلمي، تنويع مصادر تمويل البحث العلمي وتوسيع قاعدته، إضافة إلى العمل على تحسين شروط القدرة التنافسية لهذا المنتج سواء على المستوى الوطني أو العالمي مع تحديد شروط صارمة لتقييم نتائج البحث العلمي ومدى

استجابته لمتطلبات القطاعات الاقتصادية وقدرته على إيجاد الحلول الفعلية للمشكلات المطروحة.

- تحسين البيئة الاجتماعية للبحث العلمي في الجزائر من خلال زيادة مكافأة الباحثين وتوفير الإمكانيات اللازمة لتطوير نشاطاتهم وأعمالهم لضمان وتشجيع اكتساب المعرفة وزيادة نشرها وتبادلها، صياغة نسق حوافز مجتمعي يقدر المعرفة والإبداع لضمان التحول إلى نمط إنتاجي يقوم على أساس إنتاج ونشر المعرفة.

### قائمة المراجع باللغة العربية:

1- كراسنة عبد الفتاح، الخليي سمية، 2009، مكونات إدارة المعرفة، إدارة المعرفة في وزارة التربية والتعليم الأردنية (دراسة تحليلية)، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد 5، العدد 3.

### قائمة المراجع الأجنبية:

1. Bhatt Ganesh. D (2001), knowledge management in organization : examining the interaction between technologies , techniques, and people, journal of of knowledge management, Vol.5, N.1.
2. Brelade.S and Harman.C(2001), how human resources can influence knowledge management, Melcrom Publishing Ltd.
3. Conklin.P, (2001): Designing Organizational Memory: Preserving Intellectual Assets in a Knowledge Economy, Designing Organizational Memory, CogNexus Institute.
4. Choi.B and Lee.(2002), knowledge management strategy and its link to knowledge creation process, expert systems with application , Vol.23.
5. De Long. David.W and Fahey.Liam(2000), diagnosing cultural barriers to knowledge management , Academy of management executive, Vol.14,N.4,
6. De Tienne et al (2001), knowledge management understanding theory and development strategy .competitiveness review ,10495422,Vol.11.Issue.
7. Done.Adrian(2011), supply chains evolution : knowledge -based perspective, IESE, Business school ,University of Navarra.
8. Fattahiyah ,S, ET AL, 2013, The Relationship between Organizational Knowledge Strategies and Processes Knowledge Management, World of Sciences Journal; [02], ISSN 2307-3071, PP-148-155, Iran.
9. Felimon.A and Uriarte J.R, (2008),” Introduction to knowledge management, ASEAN FOUNDATION , Jakarta,Indonesia.
10. Groth.K(2005):a frome work supporting knowledge sharing in organizations;proceedings of I-know;05graz.Austria.
11. Haggie,K. and Kingston,J(June 2003),"Choosing your knowledge management\_strategy", Journal of knowledge management practice .

12. Harrington, A., Beverley, L., Barron, G., Pazderka, H., Bergerman, L. & Clelland, S.(2008) :Knowledge Translation: A synopsis of the literature, Alberta Health Services - Alberta Mental Health Board. Alberta Mental Health Research Partnership Program.
13. Hinton Brad (2003), knowledge managemet and community of practice: an experience from rabobank Australia and New Zealand , international food and agribusiness management review, VOL.5,N.3.
14. Jones.K and Holsapple.C.W (2006), Knowledge Management Strategy Formation, from:( Shwartz, David, (2008), Encyclopedia of Knowledge Management, Idea Group Publishing, Inc., U.S.A.
15. Karadshek et al Louay, 2009,a theoretical framework for knowledge management process toward improving knowledge performance , communications of the IBIMA. VOL.7.
16. Kidwell.J et al .(2000). Applying Corporate Knowledge Management Practices In Higher Education, EDUCAUSE QUARTERLY, November, No. 4.
17. Martensson.M (2000), a critical review of knowledge management as a management tool, the journal of knowledge management, Vol.4, N.3.
18. Martin.V.A, Hatzakis.T and Lycett.M(2004):cultivating a community of practice between business and IT.from (P.Hildrith and C. Kimble: knowledge networks: innovation through communities of practice, IDEA GROUP publishing 2004).
19. Mikulecka.J, & Mikulecky.P (2005). University Knowledge Management- Issues and Prospects, University of Hardec Karlove, Czech Republic.
20. Nonaka.I and krogh.G.V(2009), Nonaka.I and Krogh.G.V: Tacit knowledge and knowledge conversion :controversy and advancement in organizational knowledge creation theory ,organization science ,Vol.20, N.3.
21. Nonaka.I, Ryoko Toyama and Noboru Konno,(2000) .“SECI, Ba and Leadership: a Unified Model of Dynamic Knowledge Creation”. Long Range Planning , VOL .33.
22. Szulanski Gabriel. (1999), the process of knowledge transfer : a diachronic analysis of stickiness, Philadelphia, PA, 19104-6370.
23. Wenger Etienne, (2006) ,communities of practice a brief introduction ,PP.1-7, : FROM(Utas, community of practice initiative: a reading md resources (2011), center for the advancement of learning and teaching)
24. Wenger Etienne, Mcdermott Richard, Snyder William, (2002), cultivating communities of practice, a guide to managing knowledge, Harvard business school press, boston .
25. Wick.C(2000):knowledge management and leader ship opportunities for technical communicators.technical communication.vol.47.
26. Wiig.K( 1997)” knowledge management, where did it come from and where will it go”.expert systems with application .Vol .13, No. 01.
27. Zack, M. (2003): developing knowledge strategy , California Management Review ,Vol .41, No .3 .

## الملاحق:

الملحق رقم (01): اختبار أثر العوامل الوظيفية والشخصية (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، الخبرة، الرتبة، التخصص):

1: اختبار (Mann-Whitney) لآثر متغير الجنس على درجة ممارسة أنشطة إدارة لمعرفة:					
المتغير	الجنس	U VALUE درجة الحرية=1	مستوى الدلالة (P)		
				انثى	ذكر
درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة	83.68	76.09	*0.307	2820.000	
2: اختبار (kruskal-Wallis) لآثر متغير العمر على درجة الممارسة لأنشطة إدارة المعرفة					
المتغير	الفئات	متوسط الرتب	التكرار (N)	مربع كاي X <sup>2</sup>	مستوى الدلالة P
العمر	أقل من 30 سنة	90.20	33	10.119	*0.018
	30-39 سنة	74.20	35		
	39-49 سنة	90.06	57		
	50 سنة اكبر	61.91	35		
3: اختبار (Mann-Whitney) لآثر متغير المؤهل العلمي على درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة					
المتغير	المؤهل العلمي	U VALUE درجة الحرية=1	مستوى الدلالة (P)		
				ماجستير (N=100)	دكتوراه (N=60)
درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة	89.57	65.39	*0.001	2093.5	
4: اختبار كروسكال وليس (kruskal-Wallis) لآثر متغير الخبرة على درجة ممارسة أنشطة إدارة المعرفة :					
المتغير	الفئات	متوسط الرتب	التكرار (N)	مربع كاي X <sup>2</sup>	مستوى الدلالة P
الخبرة	5 سنوات فأقل	82.63	39	8.902	*0.031
	6-10 سنوات	88.33	36		
	11-15 سنوات	92.56	34		
	16 سنة فأكثر	65.30	51		
5: اختبار كروسكال وليس (kruskal-Wallis) لآثر متغير السلم الوظيفي:					
المتغير	الفئات	متوسط الرتب	التكرار (N)	مربع كاي X <sup>2</sup>	مستوى الدلالة P
الوظيفة	استاذ مساعد ب-	93.8	59	14.813	*0.005
	استاذ مساعد أ-	79.65	42		
	استاذ ماضر ب-	60.38	38		

		15	70.60	استاذ محاضر - أ-	
		6	107.83	استاذ التعليم العالي	
6: اختبار كروسكال وليس (kruskal-Wallis) لاثر متغير التخصص					
المتغير	الفئات	متوسط الرتب	التكرار (N)	مربع كاي X <sup>2</sup>	مستوى الدلالة P
التخصص	كيمياء	22.45	11	71.585	*0.000
	اعلام الالي	49.17	26		
	الاقتصاد و التسيير	74.11	69		
	لغات و الاداب	98.91	32		
	الهندسة	139.82	22		

\* دال احصائيا عند مستوى دلالة  $(\alpha \geq 0.05)$ .



## \* الطالب الجامعي وقضاء وقت الفراغ في الجزائر \*

- دراسة ميدانية على عينة طلبة بجامعة برج بوعريريج -

1 د/ قرزیز محمود

جامعة برج بوعريريج

2 د / یحیاوی مریم

جامعة باتنة

**الملخص :**

یناقش هذا الموضوع العلاقة التي تربط بين الطالب الجامعي وكيفية قضاء وقت فراغه في مختلف الأنشطة الترويحية والرياضية التي تنمي قدراته واستعداداته، وكذا المصالح المسؤولة عن إعداد وتأطير هذه الأنشطة.

تم تدعيم هذا الموضوع بدراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة برج بوعريريج .

**RESUME:**

Cet article traite la relation entre l'étudiant universitaire et la manière dont il profite de ses loisirs qui développent ses facultés et attitudes ainsi que les services responsables de l'élaboration et l'encadrement des activités récréatives et sportives.

Une étude de cas sur un échantillon d'étudiants universitaires de l'Université de Bordj Bou arreridj a étayé cet article.

**\*مقدمة\***

لا یختلف اثنان في الوقت، هو أساس قيام الحضارات التي ترى فيه المورد الثمين وأحد ركائز الحياة البشرية كما أنه عنصر أساسي من العناصر التي

1 - أستاذ محاضر صنف - أ -، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة برج بوعريريج .

2 - أستاذ محاضر صنف - ب -، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة .

يتفاعل معها الفرد في حياته الخاصة ليصبح بذلك موضوعا حساسا وخطيرا تتطلب أدارته الكثير من المهارة والكفاءة .

سنسعى في دراستنا تبين مفهوم الوقت وقضاء أوقات الفراغ عند الطالب الجامعي بين الاحتياجات والمجالات والمؤسسات المؤطرة والعقبات .

انطلاقا من التعريف بموضوع الدراسة، عرض للأدبيات النظرية للموضوع، ثم تقديم للإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية، تلا ذلك خاتمة احتوت النتائج العامة للدراسة.

### أولاً- التعريف بموضوع الدراسة :

#### 1- تحديد و صياغة الإشكالية :

يعتبر ادارة الوقت أساس قياس تنظيم المجتمعات المعاصرة، و النظرة الحديثة لإدارة الوقت لم تعد تركز على العامل الكمي للوقت بل تعدت إلى التجديدات الكيفية في تحقيق أهداف المشاريع الإنتاجية والإشباع النفسي والاجتماعي والاستهلاكي والترفيهي لأفراد المجتمع، و تعتبر مسائل قضاء أوقات الفراغ اليوم فالقضايا التي تشغل بال الدارسين في مجالات علم الاجتماع والنفوس والترفيه وغيرها . كما أن الطالب الجامعي حظي باهتمام كبير بالدراسات في شأن التحصيل الدراسي وكذا أشكال وممارسات و فضاءات قضاء وقت فراغه و الرغبات التي يطمح لها الطالب نصيبه من الراحة والمتعة أو ما يطلق عليها بالترويح أو شغل وقت الفراغ.

غير أن المنتبغ لسلوك الطلبة اليوم ببلادنا يرى عشوائية في تسيير و إدارة وقت فراغه، ومنه سنحاول في هاته الدراسة مناقشة موضوع قضاء وقت الفراغ

عند الطالب الجامعي في الجزائر وجاءت الإشكالية البحث وتمحورت حول الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي :

\* ما هي البدائل على مستوى الأنشطة والوسائل والمؤسسات والمحفزات لقضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه بشكل ايجابي ؟ .

تتفرع عن التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية :

\* ما هي الاحتياجات الأساسية التي يسعى الطالب الجامعي لتحقيقها عند قضاء وقت فراغه؟.

\* ما هي الوسائل و المؤسسات التي تؤطر مسائل قضاء وقت فراغ الطالب الجامعي؟ .

\* ما هي معوقات قضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه؟.

## 2- الهدف من الدراسة :

إن الهدف الرئيس من البحث هو التوصل إلى الكشف عن حقائق علمية تفيد طلبتنا وجامعتنا فيما تعلق بشغل وقت الفراغ، وما مدى تقييم الطلبة له من حيث نشاطات الاستغلال، و أيضا

محاولة الكشف ميدانيا عن مدى قدرة الطالب على إدارة وتنظيم وقت فراغه، وتحديد مستوى إدراكه لأهمية الوقت.

## 3- فرضيات الدراسة :

-الفرضية الرئيسية:

\* من بين الاحتياجات التي يسعى الطالب الجامعي لإشباعها، الحاجة إلى شغل وقت فراغه و استثماره في مختلف النشاطات، التي من شأنها تنمية قدراته و استعداداته و تجديد قدراته و نشاطاته .

تتفرع عن هاته الفرضية العامة الفرضيات الفرعية الآتية :

#### - الفرضية الفرعية الأولى:

\*يميل الطالب الجامعي إلى قضاء وقت الفراغ من خلال ممارسة أنشطة ترويحية متعددة.

و نكشف عن هاته الفرضية الفرعية من خلال المؤشرات التالية :

- استخدام وسائل تكنولوجيا، و الإعلام و الاتصال الحديثة : (التلفزيون، الانترنت، الهاتف النقال، ألعاب الفيديو ) -ممارسة رياضات فردية و جماعات : (كرة القدم، الشطرنج )- السياحة و التجوال - أنشطة ثقافية (الغناء، المسرح و التمثيل)

#### - الفرضية الفرعية الثانية :

\*يمارس الطالب الجامعي أنشطة ترويحية من خلال الانتماء الى مؤسسات تستوعب وقت فراغه، نظرا لتوفرها على وسائل و إمكانيات مادية و بشرية مساعدة.

و نكشف عن هاته الفرضية الفرعية من خلال المؤشرات التالية :

-النوادي العلمية و الثقافية -النوادي الرياضية -الجامعة -مؤسسة المسجد- لجان الأحياء.

#### - الفرضية الفرعية الثالثة:

\*عدم استغلال الطالب الجامعي لوقت الفراغ بشكل ايجابي يؤدي به إلى الاتجاه نحو سلوكات غير سوية .

و نكشف عن هاته الفرضية الفرعية من خلال المؤشرات التالية :

-السرقه- تناول المشروبات الكحولية .-تعاطي المخدرات.-إنشاء علاقات غير سوية مع الجنس الآخر .

#### - الفرضية الفرعية الرابعة:

توجد معوقات في عدم قضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه بشكل ايجابي .  
و تكشف عن هاته الفرضية الفرعية من خلال المؤشرات التالية :  
- مشكلات شخصية - مشكلات أسرية - مشكلات اقتصادية و مادية .

#### 4- المفاهيم الأساسية للدراسة :

1 - الشباب: ان الشباب هو مرحلة من مراحل عمر الإنسان حيث أنه نشأ خلاف عن السن التي تبدأ فيها هذه المرحلة والسن التي تنتهي فيها، يقترح البعض أن يجزم بأن هذه المرحلة تبدأ في 15 من العمر فيقول أحد لا بد أنها تبدأ في 18 كما يقترح بعضهم أو يجزم بأنها تنتهي في 25 والآخر يقول في سن 30، ومنهم من يرفض أو يقيد المفهوم بأرقام ترتبط بسن معينة من عمر الإنسان .(1)

إجرائيا : الشباب هو المرحلة التي يجتازها الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، والتي من خلالها يحقق نضجه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي وتتمثل هذه الفترة غالبا من 18 إلى غاية 29 سنة.

#### 2- الطالب الجامعي:

يلتحق سنويا الآلاف من الطلبة بالجامعة، لغرض التكوين في مستوى أعلى، ليصبحوا كفاءات المستقبل لتنمية البلد في مختلف الأصعدة.

<sup>1</sup>- فيصل محمد عرابية وآخرون : الشباب العربي ورؤوس المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص15.

**إجرائيا** : هو الفرد المتحصل على شهادة البكالوريا يزاول دراسته بالجامعة، و يدرس ويحضر لنيل شهادة الليسانس، أو الماستر، أو الماجستير، أو الدكتوراه.

### 3 - الترويح:

هو الجزء الحيوي المتم للشباب والترويح يحتل مكانة عالية في المجتمع وذلك من تنمية شخصيته جسميا ونفسيا وذهنيا واجتماعيا والتي يتولد من خلالها الرضا والسرور عن نفسه<sup>(1)</sup>.

**إجرائيا** : الترويح هو الوقت الزائد أو الوقت المتبقي من الدراسة، الذي يقضي فيه الإنسان وقته من أجل الترفيه و التسلية .

4- وقت الفراغ: وقت الفراغ هو مشكلة عالمية أتاحت للمؤتمرات العالمية لأن تعقد مؤتمرات لدراستها، ونوقشت فيها موضوعات هامة عن بدائل شغل وقت الفراغ، مع حضور مندوبين يمثلون دول عدة، وقد تبين أن وقت الفراغ هو الوقت الحر المتبقي بعد الانتهاء من أداء العمل لكن هذا وقت الفراغ يجابه الإنسان بعدد من مشكلات معقدة ومتعددة الوجوه أكثر بكثير مما كان متصورا<sup>(2)</sup>

**إجرائيا**: وقت الفراغ هذا الوقت الذي يقضيه الطالب الجامعي خارج زمن أو فترات الدراسة.

### 5- الثقافة:

يعتبر مصطلح الثقافة من أكثر مصطلحات في مجال العلوم الاجتماعية، لذا فالثقافة هي عملية توجيه الفرد والشباب وتنمية شخصيته بدءا من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة، فالثقافة تعمل على اكتساب الفرد أكبر عدد ممكن من المعلومات والمعارف وزيادة رصيده المعرفي، فكلما كان الرصيد الثقافي للفرد أكبر كلما أحسن

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 28.

<sup>2</sup>- خالد الزواوي: الشباب والفراغ ومستقبل البحث العلمي، الإسكندرية، 2007، ص 13.

الاستخدام<sup>(1)</sup>. ولثقافة الفرد دور في توجيه سلوكه اليومي وبالتالي يوجه حتى بدائل و مجالات قضاء أوقات الفراغ.

إجرائيا : الثقافة هي مجموعة القيم والمعتقدات والمعايير، والتفسيرات العقلية والرموز، و الإيديولوجيات التي تعتبر مقدمات لسلوك الطالب الجامعي .

### ثانيا - الأدبيات النظرية حول الموضوع :

#### 1-التطور التاريخي لوقت الفراغ :

لم يكن وقت الفراغ في المجتمعات القديمة متبلورة بصفة واضحة كما هو الشأن اليوم، مع أن الإنسان القديم عرف وقت الفراغ في جميع العصور وفي ظل مختلف الحضارات، إلا أن معرفته لوقت الفراغ كانت أحيانا مدمجة مع وقت العمل بصورة يصعب فيها الفصل بين أنشطة الترويح ووظيفة العمل "فكان الفرد يعمل وهو يغني أو يستمتع لغناء الآخرين.وقد يرقص أثناء العمل<sup>(2)</sup>.

فظهر وقت الفراغ و العمل بالمظهر الواحد إنما يعود إلى أن شعوب العصور الأولى تركز كل وقتها للعمل في مواجهة مصاعب الطبيعة، و الكفاح الدعوب للحصول على العيش كان يتطلب ذلك،وأمام هذا الواقع اختار الإنسان أن يمارس طقوسا مختلفة في محاولة منه للتخفيف من التعب، و التخلص الجزئي من قسوة ومواجهة الطبيعة.

<sup>1</sup> - سمير سعيد حجازي : معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص 185.

<sup>2</sup> - علاء الدين كفاقي : قضاء وت الفراغ و بعض المتغيرات النفسية المرتبطة به عند طلبة الجامعة، مركز البحوث التربوية، قطر، 1986، ص 11.

لقد ظهرت مواقف مختلفة من الفراغ عبر العصور وفي المجتمعات على اختلاف مشاربها اعتبرت أن وقت الفراغ مضيعة للوقت، ومنها من كرسه لفئة اجتماعية معينة دون الأخرى .

في المجتمعات العربية -قبل نزول الإسلام- كانت تمارس أنشطة الترويح فيها بشكل مميز .حيث تقام أمسيات شعرية .ونظم المعلقات والتسلية بالفروسية نظرا لارتباطها بواقع الحروب التي تنشب بين القبائل وحتى الشعر الهجائي ذو المذاق الخاص والذي يتسلى به أهالي القبائل والعشائر للتخفيف من التحضير البدني للحرب ومن متاعب العمل الصعب بالصحاري.

أما مع ظهور الإسلام، حافظ - هذا الأخير - على بعض أنشطة التسلية السابقة الذكر والابتعاد عن البعض منها كمجالس الخمر و القمار و الملاهي المفسدة (1) ،لقد ظل وقت الفراغ مختلطا بصورة أو بالأخرى بأوقات العمل عند كثير من الفئات في معظم الحالات الأمر الذي يصعب علينا التطرق إلى مسألة تنظيمه وإدارته وظل الخلط قائما عبر المراحل المختلفة للتطور البشري التي صاحبها اهتمام متنامي بالوقت بصفة عامة، ولوقت الفراغ بصفة خاصة.

ولم تحدد المعالم الفاصلة لوقت الفراغ إلا بفضل النضال العالمي المستمر خاصة منذ ظهور الفلسفتين المتناقضتين في العالم والمتمثلتين في النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وتبلورت تدريجيا، بعد أن تم عقد أول مؤتمر دولي للفراغ سنة 1924 تحت إشراف مكتبة العمل الدولي ومن أهم ما أفرزته الدراسات الحديثة في هذا الموضوع ظهور علم جديد يعنى بدراسة العلاقة القائمة بين وقت الفراغ و المجتمع وهو "علم اجتماع الفراغ" (2).

<sup>1</sup> - علاء الدين كفاقي، المرجع السابق، ص 11- 12.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 12.



**2- وظائف أنشطة وقت الفراغ :**

تنقسم هذه الوظائف إلى أربعة أقسام وهي :

\* الوظائف النفسية .الوظائف الاجتماعية. الوظائف الاقتصادية .وظيفة إثراء الثقافة الجامعية.

1- الوظائف النفسية : وتشمل :

أ- وظيفة الاستراحة : ب-وظيفة التسلية : ج- وظيفة التنمية .

2 - الوظائف الاجتماعية، وتشمل :

أ- وظيفة التنشئة:ب- الوظيفة الرمزية :ج- الوظيفة العلاجية :

3- الوظيفة الاقتصادية .

4-وظيفة إثراء الثقافة الجامعية :

قد تكون لأنشطة وقت الفراغ دور كبير في إثراء الثقافة الجامعية إذ ما تم وضع برامج وأنواع للأنشطة بما يتوافق مع نوع التخصص الذي يزاوله الطالب، وفي هذه الحالة تكون

الجامعة قد ساهمة بشكل كبير في رفع المستوى الثقافي لطلبتها، كما تحقق من جهة ثانية مزيدا من الفعالية في نظامها الداخلي .

إن الوظائف السالفة الذكر لأنشطة وقت الفراغ، كثيرا ما تتداخل وهي شديدة الترابط إحداها بالأخرى، حتى ولو بدا التعارض بينهما وفي الواقع إنها توجد بدرجات متغيرة في جميع الأوضاع ولدى جميع الفئات المهنية والاجتماعية والثقافية.

## 3- أنواع الأنشطة الترويحية في وقت الفراغ :

كما هو الشأن بالنسبة لوظائف أنشطة وقت الفراغ، فإن الاختلافات واضحة وبينية من حيث تعدد تصنيفات وأنواع أنشطة وقت الفراغ، وقد يكون مصدر الاختلافات أصلا راجعا إلى أن أنشطة الفراغ لكثرتها لا يمكن حصرها، أو تحديد ميزة كل نشاط عن الآخر، لذلك أوضح الباحثون مذاهب شتى في عملية تصنيفها وقد يسأل سائل عن لجوئنا إلى البحث في أنواع أنشطة الفراغ بدل عرض أنواع وقت الفراغ، موضوع الدراسة، لنقول بكل بساطة، أنه لا جدوى أبدا في تصنيف أبدا وقت الفراغ بحد ذاته كمجال زمني كمي، والمفيد هو استثمار الوقت الحر في الأنشطة الترويحية ن لما لها من وظائف نفسية واجتماعية واقتصادية وسيكولوجية كما سبقنا الإشارة إلى ذلك<sup>(1)</sup>.

فحتى لو صدقنا بأن وقت الفراغ له أنواعه و تصنيفاته الخاصة بفئات المجتمع لوقت الفراغ عند الشباب، الكهول، الشيوخ... ثم وجود وقت الفراغ الخاص بالنساء والرجال، وآخر خاص بالنساء و بين العاملات وغير العاملات...، فمنه نقر بأنه حتى لو بنينا هذا التقسيم فسوف ينتهي بالضرورة إلى تقصي أنواع الأنشطة الترويحية و وظائفها في وقت الفراغ الخاص بكل فئة مهنية أو من حيث الجنس والعمر ...

يرى " تروجس" أنه يمكن تقسيم الأنشطة الترويحية لوقت الفراغ إلى ثلاث مجموعات هي:

✓ الأنشطة التي تستهدف الراحة العصبية والتي لا تتضمن نشاطا عضليا،  
مثله في ذلك:المطالعة، الراديو، مشاهدة التلفاز....

<sup>1</sup>-إحسان محمد الحسن:علم اجتماع الفراغ،ط1، دار وائل للنشر والتوزيع،الأردن،2005،ص106.

- ✓ الأنشطة الترويجية التي يغلب عليها طابع النشاط العضلي أو الأداء الحركي مثل ممارسة الرياضة والهوايات الرياضية والتي لا تستهدف بالدرجة الأولى الترويج بقدر ما تستهدف تحقيق فوائد أخرى، كالإسهام في تنمية الشخصية، واكتساب أساليب الحياة الصحية، ونحن نرى بدورنا أن هذا النوع من الترويج ذو أهمية بمكان لكونه يعمل على قدرة الطالب على الأداء الجيد لمختلف التزاماته الجامعية.<sup>1</sup>
- ✓ وقت الفراغ الذي يتم فيه الاسترخاء والنوم، والذي يتميز عند تروجس بالطابع السلبي، ويقسم\*ف. حلمي\* وقت الفراغ وأنشطته طبقاً لدرجة مشاركة الفرد في الجماعة، أو درجة فائدة النشاط الترفيهي على الفرد وبصفة عامة مدى إسهام الترويج في تنمية شخصيته وقدرته على إدارة وقت فراغه حسب النشاط الذي يلائمه<sup>2</sup>:
- ✓ الاشتراك الإبتكاري : ويدل على اندماج الفرد في النشاط الممارس بشكل ينسبه ما عداه، وتكون بذلك مشاركته فعالة .
- ✓ الاشتراك الإيجابي : وهو ذلك النوع من الاشتراك في الأنشطة التي تساهم في تنمية الفرد جسماً وعقلياً ونفسياً كالشطرنج والرياضة...
- ✓ الاشتراك العاطفي : تعاطف الفرد مع أنواع الأنشطة كمشاهدة مباريات كرة القدم
- ✓ الاشتراك السلبي : ينعدم من خلاله اندماج الفرد كارتياح السينما ودور اللهو.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 112.

<sup>2</sup>-إحسان محمد الحسن: مرجع سابق، ص 108.

**4-تنظیم وإدارة وقت الفراغ :**

إن تنظيم وإدارة وقت الفراغ أو الدعوة إلى تحسين إدارته لا تتضمن إيجاد وسيلة أو وسائل موحدة للاستمتاع به، فتعدد ميول الأفراد واختلاف أمزجتهم، إضافة إلى أنواع التخصصات الدراسية التي يتابعونها والفروق الثقافية بينهم، تجعل من عملية التوحيد غير مجدية، ولكن هل معنى هذا أن وقت الفراغ لا يحتمل أي تنظيم؟.

من الضروري أن تستخدم ساعات الفراغ استخداما إيجابيا في تحقيق الغاية منها و لتحقيق أقصى استثمار ممكن لوقت الفراغ، يتعين الإحساس بالقيم وإدماجها وتمثيلها، وإلا كان البديل هو أن يشغل الإنسان نفسه بنشاطات عديدة المعنى وخالية من القيمة "و لتكريس هذه القيم وتجسيد معانيها وأبعادها أثناء وقت الفراغ، استوجب تجنيد هياكل ومؤسسات إلى جانب العنصر البشري الكفاء يرفعى بتنظيم وقت الفراغ والتخطيط له بما يلاءم و إشباع الطالب في مجال الترويج .

أ- تنظيم وقت الفراغ من تنظيم وإدارة الذات: تكمن أهم مؤهلات الاستفادة من وقت الفراغ في شخصية الفرد ذاتها، ومنه يكون التدريب والتخطيط لقضاء وقت الفراغ أمرا بالغا الصعوبة والتعقيد، نظرا لتنوع اهتمامات ورغبات الطلبة والموظفين وتباين خلفياتهم الثقافية ومشاريعهم الإيديولوجية وشخصية الفرد المتكاملة هي من أهم متطلبات الاستخدام المفيد لوقت الفراغ فالصحة الجيدة، والقدرة العقلية واللاتزان الانفعالي، وتقدير الجمال والعادات والمهارات هي كلها قيم ضرورية للاستمتاع بالحياة.

فلسفة إدارة الوقت تعني أيضا الوقت الذي تصرفه هو وقتك، ويجب أن تكون أنت سيده، لا أن يسود عليك، ولا تستطيع أن تكون سيديا على وقتك، ما لم تكن راغبا في سيادة نفسك أولا، وهكذا فإن إدارة الوقت نابعة من إدارة الذات ."

إن تنظيم وإدارة الإنسان لذاته ليست بالأمر الهين، فالفرد شديد التأثر بالبيئة الاجتماعية، وبالعادة والتقاليد والقيم الثقافية وتنشئته الاجتماعية، ومنه فهو يتعرض في اختياراته لأنشطة الفراغ إلى تلك المؤثرات، ولا يصبح الفرد صاحب القرار بمفرده، بقدر ما يخضع في بناء قراره وتنظيم وقت فراغه إلى المحيط العام الذي يعيش فيه .

ب- دور المؤسسات في تنظيم وقت الفراغ: إن المؤسسات والمنظمات بحكم توفرها على وسائل وإمكانيات مادية وبشرية يفتقر إليها الفرد بإمكانها أن تلعب دورها ما في تنظيم الوقت الحر لأعضائها إلى جانب الإمكانيات تعد الأهداف الترويجية التي تسعى المؤسسة لتحقيقها أكثر من تلك الأنشطة التي يمارسها الفرد في وقت فراغه بنفسه. حيث تعود الأهمية الأولى إلى التنظيم الجماعي للأنشطة بهدف إيقاظ الوعي الاجتماعي وتنشيطه<sup>(1)</sup> إذ لا يخفى أن طائفة كبيرة من أنواع النشاطات التي يمارسها الطلبة والموظفون في أوقات فراغهم تشعرهم بالحاجة إلى الجماعة وقيمة التعاون، وإثارة المصلحة العامة، والتضحية في سبيل الجماعة التي ينتمي إليها". والجامعة كغيرها من المؤسسات، ككائن إداري تعمل وفق برامج خطط مدروسة تهدف إلى إعداد الطالب بتطوير قدراته واستعداداته لتحقيق غايتها الإنتاجية والخدمية، يجب عليها أن تكون حريصة أشد الحرص على قضائه لوقت فراغه بطريقة إيجابية ومفيدة .

وهكذا يرجى من المؤسسات والمراكز والجمعيات أن تؤدي وظيفتها في وقت الفراغ، ونعني بالأخص أن الأنشطة الترويجية التي تنظم لتغطية وقت الفراغ المجتمع الحديث أصبحت أسلوب من أساليب دعم التطور والانتماء الاجتماعي، وما يترتب عنه من أدوار هامة في مجال القيم الثقافية والمهنية، ولا أحد ينكر أن نشاطات وقت الفراغ في المؤسسات المختصة تلعب دورا كبيرا في استبدال مواقف

<sup>1</sup> - خالد الزواوي: الشباب والفراغ ومستقبل البحث العلمي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط2007، 1، ص 114.

الکبت والصراع والإحباط، ومن ثم فيجب تدعيم هذه المؤسسات والتنظيمات بطاقات بشرية مختصة وقيادات لها من الكفاءة ما يؤهلها لتنظيم أنشطة ترويجية هادفة وواعية تجعل من وقت الفراغ الامتداد الطبيعي لأي التزام رسمي.

### 5-عقبات قضاء وإدارة وقت الفراغ.

يتعرض الفرد والطالب على الخصوص إلى عوائق كثيرة أثناء مباشرته لأنشطته الترويجية، أو في صرفه لوقت فراغه، هذه العقبات تعيقه من أن يقضي وقت فراغه كما يحبذ هو شخصياً، ومنه تحدد هذه العوائق اختياره لنوع النشاط الذي يستمتع به في وقت فراغه مع أن هذا الأخير (الفراغ) قد استطاع تدريجياً أن يحتل مكانة خاصة في حياة كل الأفراد، ليحقق قدراً من الاستقلال الذاتي عن تأثير النظم الأخرى، "فكارل روبرت": يلاحظ أن المتغيرات مثل: الطبقة، المهنة، العرق، المصدر الجغرافي، والمحددات الاجتماعية... تلعب دوراً هاماً في تحديد نمط الفرد لاستغلال فراغه ويعني جملة من المحددات تحد من حريات الفرد في إدارة وقت فراغه، ومنه الأنشطة الترويجية، ونفس الباحث يذهب في فكرته ليعبر عن أن أهمية هذه المتغيرات ودرجة تأثيرها على الفرد نفسه، قد قلت في مجتمعات الصناعية المتقدمة، والمجتمعات ذات التكنولوجيا العالية، وعلى هذا الرأي نعتقد بأن المتغيرات والمحددات السابقة الذكر تبقى عائقاً لاستغلال طلباتنا وقت فراغهم على أكمل وجه، وعندما لا تسمح الموازنة لإشباع هذه الحاجات فإن ذلك يخلق حالات عدم الرضا، كما أن تزايد الحاجات بأسرع من وسائل إشباعها يؤدي إلى تنامي الشعور بالحرمان والافتقار، وهي معانات ترمي إلى الكشف عنها من خلال دراستنا هذه، إن عدم الكفاية المادية، وتدني الميزانية كثيراً ما يكون مصدر

مضایقة للطالب في قضاء وقت فراغه، كما تشكل عائقا أمام اختياره للأنشطة الترويحية التي قد تكون أكثر فائدة في حياته الجامعية<sup>(1)</sup>.

## 6- الطالب الجامعي :

إن مفهوم الطلبة من المنظور العلمي التقليدي هو جماعة أو شريحة من المثقفين في المجتمع بصفة عامة، إذ يركز المئات والألوف من الشباب في نطاق المؤسسات التعليمية<sup>(2)</sup>.

أما "عبد الله محمد عبد الرحمان" فقد عرف الطالب الجامعي "الطلاب هم مدخلات ومخرجات العملية التعليمية الجامعية"<sup>(3)</sup>.

ويرى "رابح تركي" أن : الطلبة هم نخبة ممتازة من الشباب والشابات الممتازين في ذكائهم ومعارفهم العلمية<sup>(4)</sup>.

أما "إسماعيل علي" سعد فقد عرف الطلبة على أساس أنهم شباب والشباب فئة عصرية تشغل وضعا متميزا في بناء المجتمع وهي ذات حيوية وقدرة على العمل والنشاط، كما أنها تكون ذات بناء نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والتوافق والاندماج والمشاركة بطاقة كبيرة تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته<sup>(5)</sup> الطالب هو الذي يطلب العلم ويطلق عرفا على الدرس في مرحلة التعليم العالي جمعه الطلاب والطلبة<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - خالد الزواوي: مرجع سابق، ص 117.

<sup>2</sup> - محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 16.

<sup>3</sup> - عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا التعليم الجامعي، دراسة في الاجتماع التربوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص 26.

<sup>4</sup> - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 30.

<sup>5</sup> - إسماعيل علي سعد: الشباب والتنمية في المجتمع السعودي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 37.

<sup>6</sup> - المعجم الوجيز : دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، الكويت، 1993. ص 47.

**7- خصائص الطالب الجامعي:**

إن المرحلة العمرية التي يعيشها الطالب -مرحلة الشباب- ذات سمات متميزة على جميع النواحي ومن بين هذه الخصائص:

- النمو العقلي عالي المستوى : الطالب الجامعي كما هو معلوم هو فرد يدخل في مرحلة الشباب، وهذه المرحلة تتسم بطاقة التي تصل إلى اعلي مستوياتها لذا فان الطالب الجامعي يكون قادرا على القيام بالعمليات العقلية المختلفة من تفكير وإدراك وابتكار كما انه بحاجة ماسة إلى الوقفة العقلية بمعنى انه بحاجة إلى رفاق يناقشهم ويخاطب عقولهم أكثر من حاجته للأستاذ<sup>(1)</sup>.

- الرغبة في التوصل إلى أسلوب حياة أفضل: من خصائص الطالب الجامعي الشعور بالرغبة في التأهيل إلى فلسفة معينة تحدد له دوره في الحياة، وهذه الفلسفة التي نعنيها، هي أسلوب في الحياة ويتمثل في نظرتة إليها وتقييمه لها وذلك اعتمادا لفهمه لمعناه فإذا استطعنا أن نحدد لهذا الشاب أسلوب في الحياة يرضيه ويرضى عنه في مجتمعه الذي يترقبه ليعيد له مجدا لطالما حلم به منذ عصور.

- دوافع وتقديرات الذات :

الطالب الجامعي مثله مثل أي إنسان آخر يدفعه في سلوكه دوافع معينة ويعد من ابرز هذه الدوافع،دافع التقدير،تقدير الذات للطالب الجامعي وهذا يجعله يسلك السلوك الذي يشعر من خلاله انه إنسان ذو قيمة وانه يستطيع أن يقوم بالعمل الموكل له وبإمكانه انجازه على أكمل وجه حتى يصبح بذلك موضع تقدير المحيطين به.

**8- احتياجات الطالب الجامعي:**

<sup>1</sup> - نفس المرجع السابق، ص66.



\* الاحتياجات الثقافية: تغير الثقافة هي الأساس لوجود المجتمع، وما تتضمنه من عادات و تقاليد وقيم و معتقدات و لغة، و أساس شبكة العلاقات الاجتماعية وجوهرها لذلك كان لزاما على المجتمع أن ينقل ثقافية إلى أجياله إلى الصاعدة جيلا بعد جيل ليضمن استمراره و تطوره، لذلك ونظرا للاختلاف الذي نجده في تلقين هذه الثقافة للأجيال من طرف مختلف المؤسسات الاجتماعية، كالأُسرة والمدرسة و المجتمع، كان لزاما على المؤسسة الجامعية بكل هياكلها و فروعها أن تصحح هذا التلقين و تزود الطالب الجامعي بثقافة مجتمعه السليمة، و تعرفه على ثقافة المجتمعات الأخرى، حتى يكون على دراية بمعايير السلوك السوي في الموافقة المختلفة و لا يحدث له ما يسمى بالاهتزاز و عدم القدرة على التفرقة بين ما هو صحيح و خاطئ<sup>(1)</sup>

\* الاحتياجات العلمية: إن تطور التكنولوجيا السريع في مختلف العلوم سواء كانت تقنية، إلكترونية، طبية، اجتماعية و قد كان له الأثر الكبير في أوساط الطلبة الجامعيين، ليوكب طموحهم الكبير إلى حب المعرفة والتطور والإبداع ومحااربة الجهل والركود، ومساندة الرقي و العلم والمعرفة هذا ما جعل الطالب بحاجة إلى أن يبدع و يبتكر و يتعلم، و ينافس في جو توفره له الجامعة، وتدعمه في ذلك بالنوادي العلمية و الوسائل و الأجهزة التي تساعد في استغلال مواهبه وإبداعاته حتى يشبع حاجة الإبداع والابتكار من جهة و من جهة أخرى إفادة جامعته ومجتمعه ككل وبذلك تكون الجامعة قد ساهمت في القضاء على بعض المشكلات الاجتماعية والنفسية التي تواجه الطالب والاقتصادية والعلمية التي تعترض سبيل تطورها ونهضتها.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 68.

\*الاحتياجات الرياضية: بحكم المرحلة التي تميز الطالب الجامعي مرحلة الشباب التي تعتبر الطاقة الحيوية الفعالة، بحكم حاجاتها الجسمية و الحركية فإنه يحتاج إلى نواد رياضية وقاعات موضوعة على أساس علمية مدروسة من قبل مختصين في هذا المجال، لاستغلال مواهبه في مختلف الرياضيات، سواء كانت فردية أو جماعية، كما تنتج ممارسة الرياضة تنمية فكر وعقل الطالب و تقيّة صحته الجسمية و العقلية، وتحقق له لياقة بدنية سليمة كما تساعده على استغلال وقت فراغه و استثماره .

\* الاحتياجات الاجتماعية : ما دام الطالب يعيش في وسط اجتماعي ديناميكي، فهو بحاجة لاكتساب مهارات اجتماعية تساعده على التكيف الاجتماعي، لذلك وجب إشباع احتياجاته الاجتماعية بغية ضمان حياة اجتماعية تساعده على حل مشاكله بصورة تسمح له بالتغلب على سوء التكيف الاجتماعي وغيرها من المشكلات النفسية والاجتماعية و من بين الحاجات الاجتماعية التي يحتاجها الطالب الجامعي لتحقيقها ما يلي :

1- الحاجة إلى الحب: فالطلب الجامعي كغيره من الشباب يحتاج إلى أن يحب وإلى أن يكون محبوبا وخاصة في علاقته مع والديه و أقاربه و جيرانه و أصدقائه، كما يحتاج في نفس الوقت إلى إشباع دوافع الانتماء بمعنى انه هذه ينتمي إلى جماعة الأصدقاء أو النادي العلمي، أو الرياضي وغيرها من الجماعات التي يفخر بها أيضا

2- الحاجة إلى التوجيه السليم : إن حاجة الطلب إلى التوجيه من أهم الحاجات الاجتماعية التي تساعده في تكوين خيره في حياته، حتى يتم التوافق المتبادل بينه

وبین الوسط الذي ينتمي إليه، و لا يمكن أن يتم إلى جانب مشواره الدراسي و العلمي

3- الاحتياجات الاقتصادية : إن الشباب بصفه عامة و الطلبة بصفة خاصة فئة هامة في المجتمع، كما لها من طاقات و قدرات كبيرة إذا ما استغلت لصالح المجتمع بالتسيير والتخطيط الجيد، وعليه فإن الطالب لا بد أن يطلع على اقتصاد المجتمعات كحجم الأنشطة الاقتصادية، وحجم الصناعة و التجارة و الزراعة، و حجم الوردات والصادرات و كيف يمكن التحكم في اقتصاد المجتمع، وتوجيهه إلى أحسن المستويات بتحسين نوعية الإنتاج، و إنعاش الاقتصاد بمختلف الاستثمارات، خاصة المحلية التي يقوم بها الطالب لإتاحة الفرصة أمامهم لتحمل المسؤولية (1)

### ثالثاً - الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية :

#### 1- مجالات الدراسة :

يمكن تلخيص مجالات الدراسة الثلاث المكانية والبشري والزمني في الآتي :

مجتمع الدراسة هم مجمل طلبة جامعة برج بوعريريج .

فقد بلغ عددهم الإجمالي 8064 طالبا مسجلا: بالنسبة لطلبة الليسانس : في نظام " ل م د" 7003 طالبا وعدد الطلبة في النظام الكلاسيكي 435 طالب، أما بالنسبة للمسجلين في الماستر فقد بلغ عددهم 588 طالبا، وبلغ عدد طلبة الماجستير 18 طالبا و عدد الطلبة المسجلين في الدكتوراه 20 طالبا<sup>2</sup> .

تم انجاز البحث في مرحلتين هما:

<sup>1</sup> - نفس المرجع السابق، ص،ص 92-93.

<sup>2</sup> - جامعة برج بوعريريج، مصلحة الانخراط المركزية، معطيات إحصائية، 2012 .

المرحلة الأولى: هي مرحلة الملاحظة فقط لسلوك الطلبة الجامعيين، وهذا بحكم تواجدها بالجامعة، بهدف جمع معلومات عامة عنهم وضبط صور وأشكال شغلهم لأوقات فراغهم، واستغرقت حوالي شهر، فيفري 2012 .

المرحلة الثانية: هي مرحلة التي تم خلالها جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، وبيانات البحث عن عينة الدراسة بواسطة إستمارة الإستبيان، وهذا بعد إجراء دراسة استطلاعية واستمرت حوالي شهرين، ماي وأفريل 2012.

## 2- منهج الدراسة :

تم تطبيق المنهج الوصفي وهو المنهج الملائم لهاته الدراسة حيث تم جمع بيانات كمية حول مسائل قضاء اوقات الفراغ للطلاب الجامعي في الجزائر وتبويبها و تنظيمها في جداول، و تبع ذلك تحليل ومعالجة تلك البيانات وترجمتها وتقديم التاويلات السوسويولوجية المناسبة لها.

## 3- مصادر جمع المادة الميدانية :

تم جمع البيانات وفقا لأداتين هما : الملاحظة البسيطة - استمارة الاستبيان.  
- بالنسبة للملاحظة البسيطة : بحكم موقعنا المهني كأساتذة جامعيين، ونظرا لتواصلنا المستمر مع الطلبة، هناك عديد النشاطات الترفيهية والثقافية و الرياضية التي يمارسها الطالب بفضاءات الجامعة المخصصة لذلك، تم تسجيل عديد الملاحظات بهذا الشأن التي تم الاستفادة منها في هذا البحث.  
- بالنسبة لأداة الاستمارة : تم توزيع استمارة تجريبية على 07 محوثين، بعدها تم تعديلها بإزالة بعض الأسئلة و إضافة أخرى، وانجاز استمارة نهائية و توزيعا على مجموع مفردات البحث، وتضمنت استمارة الاستبيان النهائية خمس محاور أساسية احتوت على أسئلة على النحو الآتي :

المحور الأول: عبارة عن أسئلة خاصة بالبيانات الشخصية كالسن والجنس، المستوى التعليمي وشملت الأسئلة من الأول إلى السؤال الرابع. المحور الثاني: شمل أسئلة خاصة بميل الطالب الجامعي إلى قضاء وقت الفراغ من خلال ممارسة أنشطة ترويحية متعددة من السؤال الخامس إلى غاية السؤال السابع عشر.

المحور الثالث: تضمن أسئلة حول ممارسة الطالب الجامعي لأنشطة ترويحية لقضاء أوقات الفراغ بالانتماء وتأطير مؤسسات مساعدة، من السؤال الثامن عشر إلى غاية السؤال الواحد والعشرون.

المحور الرابع: شمل أسئلة حول عدم استغلال الطالب الجامعي لوقت الفراغ بشكل إيجابي والسلوكات الغير سوية، من السؤال الثاني والعشرون إلى غاية السؤال الواحد والثلاثون.

المحور الخامس: شمل أسئلة حول طبيعة معوقات ومشكلات عدم قضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه بشكل إيجابي، من السؤال الثاني والثلاثون إلى غاية السؤال السابع والثلاثون.

#### 4- عينة الدراسة :

أ- نوع وحجم العينة : اعتمدنا على العينة العرضية في اختيارنا لمفردات البحث وهي من العينات الغير عشوائية، على اعتبارها ذلك النوع الذي يعطي احتمالات متساوية ومتكافئة لاختيار وحدة من المجتمع الأصلي، وهذا النوع من العينة يتم اختياره بالصدفة مثلما تستطلع صحيفة معينة الرأي العام حول قضية معينة أو مرشح ما، وتستخدم هذه العينة في الدراسات الاستطلاعية المسحية

المبدئية.<sup>1</sup> حيث اعتمدنا مبدأ الصدفة في التعامل مع الطلبة، وتحقق في الأخير شمول العينة طلبة من تخصصات متنوعة بالجامعة مكان الدراسة . نظرا لكبر عدد طلبة جامعة برج بوعريريج تم اختيار عينة عرضية شملت 60 طالبا.

ب- خصائص مفردات العينة :

\* جدول 1 : يوضح السن :

السن	ت	%
اقل من 20 سنة	11	18.33
من 20 إلى 22 سنة	26	43.33
من 22 إلى 24 سنة	16	26.66
من 24 سنة فأكثر	7	11.66
المجموع	60	100

تبين من الجدول أن أغلبية المبحوثين سنهم تراوح ما بين 20 إلى 22 سنة أو 22 إلى 24 سنة بنسب 43.33 % 26.66 % على التوالي، ويرجع السبب في اعتقادنا إلى السن الطبيعي للطلاب الجامعي أي حصوله على البكالوريا في سنة 19 سنة والدراسة الجامعية في مستوى الليسانس في حدود 19 سنة - 21 سنة و الماستر 22- 24 سنة، في حين قلة شملت من هم أكثر من 24 سنة، و قد يعود السبب إلى فئة من يزاولون الدراسة في مستوى الدراسات العليا، أو من تحصل على شهادة البكالوريا في مرحلة متأخرة وبالتالي الالتحاق بالجامعة في سن يتجاوز في بعض الأحيان 25 سنة أو حتى 30 سنة.

\* جدول 2 : يبين الجنس:

<sup>1</sup> - الظاهر الكلالدة، و كاظم جودة، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية، زهران للنشر. عمان. 1997، ص 177.

الاحتمالات	ت	%
الذكور	25	41.66
الإناث	35	58.33
المجموع	60	100

أغلبية المبحوثين هم إناث ما نسبته 58.33%، و السبب يرجع إلى الإقبال الكبير للطالبات للدراسة بالجامعة، حيث تسجل أكبر النسب في البكالوريا للإناث، زيادة على الرغبة الملحة للحصول على دبلوم جامعي يمكنهن من تحقيق منصب شغل مستقبلا، في حين الذكور تتوفر لديهم بدائل أخرى للشغل مقارنة بالإناث كالتجارة والخدمات وقطاع الصناعة وغيرها.

\* جدول 3 : يبين التخصص العلمي :

الاحتمالات	ت	%
علم الاجتماع	8	13.33
لغة وأدب عربي	7	11.66
أدب ولغة فرنسية	6	10
حقوق	2	6.7
علوم اقتصادية	5	8.33
علوم تجارية	5	8.33
علوم المادة	6	10
علوم الطبيعة والحياة	7	11.66
تكنولوجيا	5	8.39
رياضيات وإعلام آلي	7	11.66
المجموع	60	100

أغلبية المبحوثين هم في تخصصات العلوم الإنسانية، الآداب والعلوم الاقتصادية والتجارية مامجموعه إجمالاً 58.35 %، في حين البقية ما نسبته 41.65 % هم طلبة العلوم التقنية، وهذا يؤكد إقبال الطلبة للدراسة بهاته التخصصات نظراً لما توفره الدولة من فرص للتوظيف خصوصاً في مجالات التعليم والصحة وبالمؤسسات المالية و الجبائية، على عكس الطلبة الذين يتخرجون في العلوم التقنية ففرص التشغيل لديهم مستقبلاً ضئيلة جداً، ويدعم بيانات هذا الجدول بيانات الجدول الخاص بالجنس، لان سياسة الدولة الاجتماعية حالياً تظهر تجلياتها في مجال التشغيل، من خلال عرض لفرص التوظيف في قطاعي التعليم والصحة خصوصاً وهما ميدانين يشهد إقبال كبير للإناث تجاههما.

\* جدول 4 : يبين عدد السنوات التواجد بالجامعة :

الاحتمالات	ت	%
[من 1 سنة إلى 2 سنة]	21	35
[2 سنة إلى 4 سنوات]	24	40
[من 4 سنوات فأكثر]	15	25
المجموع	60	100

أغلبية الطلبة عدد سنوات تواجدهم في الجامعة هو 4 سنوات كحد أقصى، سجلته النسبة بالجمع 75 %، ويرجع السبب في ذلك - وكما شرحنا ذلك سابقاً في تحليل جدول السن - إلى الزمن الطبيعي بالسنوات لتواجد الطالب بالجامعة.

خاتمة :



بعد تحليل وتفسير بيانات الدراسة الميدانية توصلنا إلى النتائج الآتية :

### - النتائج التفصيلية :

1- تبين أن أغلب الطلبة يستخدمون وسائل ذات صلة بتكنولوجيا و الإعلام والاتصال الحديثة : (التلفزيون، الانترنت، الهاتف النقال، ألعاب الفيديو )، وشكلت الانترنت والهاتف النقال وممارسة الرياضة وخاصة كرة القدم النسبة الغالبة عند الذكور في مقابل التلفزيون و الانترنت والهاتف النقال النسبة الغالبة عند الإناث وقد يرجع ذلك إلى الفروقات النفسية والجسمية لدى كل من الذكور والإناث ولطبيعة القيم والأعراف في المجتمع الجزائري. و لعل مواقع التواصل الاجتماعي أصبح فضاء لإنشاء علاقات بين الجنسين، إضافة للتواصل في مجال الدراسة والإعلام بأي جديد على مستوى الجامعة والصف الذي يدرسون به.

2- معظم الطلبة المبحوثين أجابوا بان الجامعة لا تقوم بنشاطات ثقافية وترفيهية دورية لصالح الطالب وهذا ما تمثلته النتيجة 63.33 % ، ويتضح من ذلك غياب البرامج الترفيهية فعلا بالجامعة وتركيز الإدارة الجامعية فقط بمسائل التدريس، والإطعام والنقل على مستوى الاقامات الجامعية بالخصوص. وآخر ما تفكر فيه هو تفعيل برامج الترفيه.

3- نصف أفراد العينة يطمحون في التوسع المعرفي و الثقافي اثناء شغل اوقات فراغهم. يبين ذلك مدى مسؤولية الطالب الجامعي وادراكه لأهمية قضاء وقت الفراغ.

4- دلت البيانات أن نسبة 83.33 % من الطلبة -عينة الدراسة- يرون ان الانخراط في المؤسسات الاجتماعية او الثقافية او الدينية يساهم في التقليل من عبء وقت الفراغ لدى الطلبة، وتتمثل طبيعة هذه المؤسسات فيما يلي :

33.33 % في النوادي العلمية والثقافية .

25 % في النوادي الرياضية .

يدل ذلك على التنوع والتباين في رأي الطالب الجامعي في الجزائر، وإلى طبيعة الذوق والحس بالانتماء لنوادي علمية وثقافية من جهة، ولرياضية من جهة أخرى.

5- أغلب مفردات عينة البحث إجاباتها كانت ايجابية في أن توفر الإمكانيات المادية و الوسائل تساهم في التقليل من مشكلات شغل وقت الفراغ وهذا ما دلت عليه نسبة 83.33 % من المبحوثين. فالأفكار في مجال قضاء وقت الفراغ لا تتوج في غياب الوسائل المدعمة والمرافقة لذلك.

6- أغلب مفردات العينة المدروسة ما نسبته 83.33 % يرون أن عدم توفر الوسائل لقضاء وقت الفراغ يؤدي إلى تبني سلوكات غير سوية، كشراب الكحول وهذا بنسبة 36.66 %، السرقة بنسبة 16.66 %، ثم تعاطي المخدرات بنسبة 30 % .

يدل ذلك على أن وقت الفراغ فعلا عبء على الطالب الجامعي، وأن عدم استغلاله يؤدي به إلى السير نحو سلوكات غير سوية . فالطالب شاب له طاقة كامنة من الناحية البيولوجية تستدعى استغلالها الايجابي و إلا حقق العكس.

7- نسبة 51.66 % من عينة الدراسة يحبذون قضاء وقت فراغهم مع زملائهم في الدراسة، ويتجلى هذا في أهمية علاقات الزمالة و جماعة الرفاق في المرحلة الجامعية، بعض أفراد العينة بنسبة 30 % يفضلون قضاء وقت الفراغ بمفردهم، و البقية مع رفاق الحي. يدل ذلك على أهمية العلاقات على مستوى الفضاء الجامعي وضرورة تميمها .

8- لا تهتم الجامعة بشغل أوقات فراغ الطالب -عينة الدراسة- وان وجد الاهتمام فهو شكلي وبسيط، ولا يرقى إلى طموحات وآمال الطلبة، وهذا ما فسرتة النسبة 85 % بعدم توفر المرافق، يعني أن الكادر الإداري بالجامعة لم يرقى الى مستوى فهم أهمية الجانب المرتبط بقضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه .

9- أحيانا تعترض الطالب الجامعي - عينة الدراسة- مشاكل أثناء قضائهم لأوقات فراغهم بنسبة 86 % . تعوق من استثمارهم لوقت فراغهم، فيجمع غالبية أفراد العينة على أنهم تعترضهم عوائق بصورة دائمة تحد من فرص استغلالهم الأمثل لوقت فراغهم.

10- أغلب أفراد العينة يؤكدون أن توفر وقت الفراغ بشكل كبير يؤدي إلى تبني سلوكيات غير سوية وهي مرتبة كالاتي :

أ- إنشاء علاقات غير سوية مع الجنس الآخر. ب- تعاطي المخدرات. ج- شرب الكحول .

د- اللجوء إلى السرقة. في حين قلة تمثل 28.33 % فهم يرون العكس . يرجع السبب إلى غياب التوجيه، والى غياب المرافق المدعمة بالجامعة خاصة في أوقات الفراغ خارج حصص الدراسة. وتؤكد العامل الأول بقوة على اعتبار الجامعة فضاء مختلط وحر، يمكن من التواصل بين الجنسين، قد يؤدي إلى نمو ظاهرة العلاقات الغير غير سوية، يساهم في بروز التغيب المستمر للطلبة عن الدروس، وبالتالي لا محالة في التأثير على تحصيلهم العلمي سلبا.

11- معظم أفراد الطلبة ينشئون علاقات صداقة بشكل مستمر . أكد ذلك 63.33 % منهم، وتشمل وسيلة التواصل فيم يلي :

اللقاء المباشر بنسبة 56.66 %،.الهاتف النقال بنسبة 26.66 %،الانترنت بنسبة 16.66 % . هذا ما أكدته إجابات محور الفرضية الأولى على اتجاه قوي ذو دلالة احصائية نحو استخدام واسع لوسائل وتكنولوجيات الاعلام والاتصال الحديثة كالهاتف النقال والانترنت في قضاء اوقات الفراغ خصوصا في إنشاء وربط علاقات تعارف مع الجنس الآخر .

أما الفئة المتبقية من عينة الدراسة والتي تمثل نسبة 36.66 % أكدت ضرورة الابتعاد عن انشاء هاته العلاقات نظرا لخطورتها و مشاكلها المترتبة على التحصيل الدراسي الجامعي وربما كنتيجة لذلك الرسوب في الدراسة، و ظهور عدة آفات اجتماعية قد تلحق بالضرر بالعديد من الشباب الجامعي .

12- أغلبية أفراد العينة يؤكدون على ضرورة استخدام الانترنت بالنسبة للطالب الجامعي لما لها من فوائد ومن بين هذه الفوائد نجد :

-التحصيل الدراسي بنسبة 78.33 %،ثم الترفيه بنسبة 45 % ثم إنشاء علاقات صداقة ثم بعد ذلك نجد التواصل الأسري بنسبة 10 % .

فالانترنت سلاح ذو حدين، لايد استغلاله إيجابا بالولوج في مواقع ذات قيمة علمية تزيد في تحصيل الطالب، أو وسيلة للتواصل مع الأقرباء أو الأصدقاء أو الغير، في إطار واضح و هادف و لغرض مقبول .

13- سجلنا أن نسبة 40 % من أفراد العينة منخرطون في مواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت فنجد :

-face book بنسبة 40 % -twitter و MSN بنسبة 18.33 % . - مواقع أخرى مثل yahoo . skype بنسبة 11.66 % . نشير أن جيل اليوم هو جيل التواصل الافتراضي أو جيل التكنولوجيا العالية . أو جيل "الفايسبوك" كما يقال

. و هو واقع نقر به و المطلوب من الوالدين، الأكاديميين و من المجتمع عامة مرافقة هؤلاء الشباب إلى بر الأمان في خضم هذا التحدي، و هذا الانفجار الكبير في مجال المعرفة و التطور في الوسائط الإعلامية والترفيهية و الثقافية الحديثة .

14- أغلب المبحوثين - نسبة 80 ٪ منهم - يرون أن قضاء الطالب الجامعي وقت فراغه في التواصل الاجتماعي الافتراضي عبر الانترنت يؤدي به إلى إنشاء علاقات غير سوية مع الجنس الآخر وهذا لكون الانترنت تتوفر على عديد مواقع الشات لذات الغرض. في حين 20 ٪ من عينة الدراسة يرون العكس. هذا يؤكد التفسيرات المقدمة سالفًا.

15- رتب المبحوثون أسباب السلوكات الغير سوية لبعض الطلبة الجامعيين وفقا للترتيب الآتي:

أ- الفراغ الديني.ب- شغل وقت الفراغ.ج- المشاكل الأسرية.د- الحاجة المادية .

و بالتالي يحتل شغل وقت الفراغ ترتيبا مهما مقارنة بالمتغيرين الديني والأسري . ونحن ندرك أهمية دور المؤسسات الدينية والأسرية في حياة الإنسان، باعتبار الدين والأسرة مؤسستي الضبط الاجتماعي الأساسية في توجيه الأفراد، فالطالب الذي لا يحس بالفراغ الديني والأسري و الذي يحسن استغلال أوقات فراغه يحيا في إطار أكثر تنظيما و يحقق أهداف حياته المستقبلية بشكل سليم، وقد يتغلب على الكثير من المشكلات اليومية في حضور الوازع الديني، وتدخل الوالدين في توجيه ومرافقة أبنائهم المرافقة الايجابية والسليمة في الجانب النفسي والمادي .

\* يتضح أن عدم استغلال الطالب الجامعي لأوقات فراغه يؤدي به حتما إلى تبني سلوكيات غير سوية مثل تناول المشروبات الكحولية تعاطي المخدرات والسرقة و إنشاء علاقات غير سوية مع الجنس الآخر، وهذا ما دلت عليه نتائج البحث، مدعمة للإجابات السابقة.

16- تبين لنا أيضا أن نسبة 86.66 % يرون أن شخصية الطالب الانطوائية تحد من مشاركته في قضاء وقت الفراغ الجماعي مع زملائه في الجامعة أو خارجها، فقضاء أوقات الفراغ في إطار جماعي أفضل من الفردي لتحقيق منافع مشتركة كبيرة للجميع.

17- حددت عينة الدراسة ابرز مشكلات الطالب لعزوفه عن مشاركة زملائه في نشاط ما خلال وقت الفراغ وهي مرتبة كما يلي :

1- المشاكل الأسرية . 2- المشاكل الاقتصادية والمادية . 3- المشاكل الشخصية .

نعتقد أن تواصل الطالب الافتراضي ساهم في قلة التواصل الأسري، وبالتالي عديد المشكلات الأسرية تظهر في غياب الصراحة، وقلة تواصل الشباب مع والديهم، و هو نتيجة طبيعية لواقع الشباب اليوم مع التغير في نمط العلاقات الاجتماعية والأسرية .

18- في سؤال آخر للمبحوثين حول الحل في حال الوقوع في مشكلة ما مرتبطة بالتحصيل العلمي جاء اجاباتهم مرتبة حسب الترتيب التالي :

أ- اللجوء إلى استخدام الانترنت . ب- استشارة أستاذ في التخصص . ج- استشارة الأستاذ الوصي . د- اللجوء للمكتبة . هـ- اللامبالاة .

یتضح فعلا أهمية الانترنت والتفاعل الافتراضي لدى الطالب الجامعي، الذي يقر بأهمية التواصل الافتراضي لديه مقارنة بالتفاعل الكلاسيكي المباشر، وفيه عديد الملاحظات و التحفظات التي ذكرناها في التفسيرات المقدمة سابقا .

19- معظم طلبة العينة لا يستشيرون أساتذتهم في قضايا ذات صلة بقضاء أوقات الفراغ بنسبة 88.33 %. وقد يرجع ذلك الى غياب الحوار و التشجيع على تفعيل علاقات اجابية بين الأستاذ والطالب خصوصا ماتعلق بالتحصيل الدراسي . وفي إطار تطبيق نظام " ل م د"، الوزارة الوصية ببلادنا استحدثت نظام المرافقة كأسلوب لتطوير و تنمية علاقة الأستاذ بالطالب،ومساعدة الأستاذ المرافق الطالب في حل مشكلات عدة أثرت سلبا في تحصيله العملي.

20- معظم الطلبة يقضون عطلة نهاية الأسبوع وفقا للترتيب الآتي - حسب الأهمية -

أ- الأشغال المنزلية .ب- الركون إلى الراحة .ج- التجوال .د- مراجعة الدروس .هـ- أشياء أخرى.

فنظرا الى أن الاناث اكبر نسبة في الجزائر، فالفضاء العائلي يشكل معظم وقت فراغ الفتاة الجامعية، وتركز استغلاله غالبا في انجاز بعض الأشغال المنزلية رفقة الأم واو احدى اخواتها. في مقابل تدني نسب المراجعة بالنسبة للجنسين ونحن نعلم أثر ذلك سلبا في التحصيل الدراسي والعلمي لديهم .

21- في سؤال حول مدى مساعدة الأسرة في قضاء وقت فراغ أجاب معظم الطلبة - عينة الدراسة - بنسبة 70 % بالرفض. يعني ثقافة شغل أوقات الفراغ غائبة إلى حد كبير بأسر المبحوثين، ممكن لغياب الوعي بذلك أو غياب المرافق والوسائل المناسبة لذلك .

\* و يتضح فعلا وجود مشكلات شخصية وأسرية وأيضا مشكلات مادية واقتصادية، وعراقيل تنظيمية تحول دون استثمار الطالب الجامعي لوقت فراغه على أكمل وجه.

#### - الاستنتاج الخاص بفرضيات الدراسة :

من خلال عرض نتائج الفرضيات الفرعية تبين لنا صدقها إجمالاً، حيث يميل الطالب الجامعي إلى قضاء وقت الفراغ من خلال ممارسة أنشطة ترويحية متعددة، من خلال استخدام وسائل تكنولوجيا و الإعلام و الاتصال الحديثة كالتلفزيون، الانترنت، الهاتف النقال، ألعاب الفيديو، وممارسة رياضات فردية و جماعات ككرة القدم خصوصا، إضافة لحبهم التجوال والسياحة و ممارسة أنشطة ثقافية بدرجة أقل كالغناء، المسرح و التمثيل.

كما تأكد انتماء غالبية الطلبة إلى مؤسسات تستوعب وقت فراغهم، نظرا لتوفرها على وسائل و إمكانيات مادية و بشرية مساعدة لممارسة أنشطة ترويحية، تشمل هاته المؤسسات نوادي علمية و ثقافية، نوادي رياضية ، المساجد، لجان الأحياء، والجامعة بطبيعة الحال .

تأكد أيضا أن عدم استغلال الطالب الجامعي لوقت الفراغ بشكل ايجابي يؤدي به إلى الاتجاه نحو سلوكات غير سوية خصوصا السرقة، تناول المشروبات الكحولية، تعاطي المخدرات، و إنشاء علاقات غير سوية مع الجنس الآخر.

إضافة لذلك تبرز عديد المشكلات منها الشخصية وأخرى الأسرية و المادية تعيق قضاء الطالب الجامعي لوقت فراغه بشكل ايجابي .



**- النتيجة العامة :**

مما سبق يمكن تأكيد صدق الفرضية الرئيسية للدراسة، و منه نستنتج أن من بين الاحتياجات التي يسعى الطالب الجامعي لإشباعها، الحاجة إلى شغل وقت فراغه واستثماره في مختلف النشاطات، التي من شأنها تنمية قدراته و استعداداته وتجديد قدراته و نشاطاته.

**مصادر ومراجع البحث :**

- 1- فيصل محمد عربية وآخرون : الشباب العربي ورؤوس المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
- 2- خالد الزواوي: الشباب والفراغ ومستقبل البحث العلمي، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع 2007 .
- 3- سمير سعيد حجازي : معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- 4- علاء الدين ككافي : قضاء وت الفراغ و بعض المتغيرات النفسية المرتبطة به عند طلبة الجامعة، مركز البحوث التربوية، قطر، 1986 .
- 6- إحسان محمد الحسن: علم اجتماع الفراغ، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
- 7- محمد علي محمد : الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- 8- عبد الله محمد عبد الرحمن: سوسيولوجيا التعليم الجامعي، دراسة في الاجتماع التربوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991.
- 9- رابع تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1981.
- 10- إسماعيل علي سعد: الشباب والتنمية في المجتمع السعودي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
- 11- المعجم الوجيز: دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، الكويت، 1993.
- 12- جامعة برج بوعريريج، مصلحة الانخراط المركزية، معطيات إحصائية، 2012 .
- 13- الظاهر الكلالدة، ظاهر، وكلظم جودة، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية، زهران للنشر. عمان. 1997.

## العربية الوسطى من منظور التخطيط اللساني دراسة في المشهد اللساني العربي

د.عبد القادر قصابي

جامعة أحمد دراية، أدرار - الجزائر

### الملخص:

يصوّب البحث ناظره شطر مسألة جوهرية ما تزال تلقي بظلالها على المشهد اللساني العربي استعمالاً وتواصلًا، وأساس هذا الاشكال يتعلق بوضع اللغة العربية وتعدد استعمالاتها بتباين مستويات الاستعمال وما يمكن أن يُطرح من اشكالات تعيق مسار العربية مقارنة بغيرها من لغات العالم . من أجل ذلك يرمي البحث إلى إعادة طرح الإشكالية ومحاولة تقديم بعض الحلول التي تمكّن من تجاوز هذا الاشكال، ولعل في اقتراح تبني العربية الوسطى ما يحقق للمواطن العربي أمنه اللغوي.

### Abstract:

This research aims at shedding light on a very important issue that has significant impact on the Arabic linguistic scene in both usage and communication. The origin of the problem concerns the position of the Arabic language and its multi-use at different levels of usage, and the issues that may raise and hinder the existence and continuity of Arabic compared to other languages in the world. For this purpose, the research attempts to re-launch the problematic and try to suggest some solutions that enable to overcome this issue by suggesting the adoption of Middle Arabic to achieve a linguistic security to the Arab citizen.

## مقدمة:

استطاعت لغتنا العربية على الرغم من عديد التحديات التي واجهتها وتواجهها أن تبقى صامدة قوية إزاء هذه التحديات، وهي تحديات لم تقف عند حدود التقليل من استعمالها والتواصل بها أو تعليمها وتعلمها، وإنما تجاوز ذلك إلى محاولات طمس هذه اللغة الشريفة العلوية كما وسمها العلامة ابن جني رحمة الله عليه.

وعلى الرغم من بقاء العربية صامدة أمام هذا المدّ الجارف، غير أنها بحاجة إلى تدليل بعض الصعاب حتى تغدو لغة حية مرنة متطورة معبرة عن كل حاجيات الحياة ومستجدات العصر ومتطلبات التطور المتسارع الذي يلقي بظلاله على الحياة العامة للناس.

في غمرة هذا هذه الإشكالات يُثار تساؤل مستمر عن إمكانية إيجاد ما يمكن أن نصلح عليه اسم: «العربية الوسطى»<sup>1</sup> وهي لغة تقف بين الفصحى لغة الأدب والمثاقفة وبين العامية ولهجاتها المختلفة، هي لغة يجيدها ويعرفها الخاصة ولا يستصعبها العامة، لغة يعبر بها كل الناس عن أغراضهم وتتسع فرص استخدامها في مجال الاعلام والتعليم والتوعية بشكل ميسور، وهكذا تسهم هذه اللغة في إذابة الفجوة بين أطراف المجتمع وتسعلتحقيق ديمقراطية العلم والمعرفة في إطار ما أصبح يُعرف اليوم بمجتمع المعرفة.

<sup>1</sup> - مصطلح (العربية الوسطى) أثاره عديد الباحثين العرب الذين اعتنوا بطرق مشكلات اللغة العربية وقضايا التخطيط اللساني، وللاستزادة والبسط في المصطلح يمكن العودة إلى كتاب محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، وكتاب الدكتور أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، وعبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي

إن تحقيق مطلب العربية الوسطى لا يحدث بين عشية وضحاها، وإنما يجب أن يمر عبر جملة من المراحل المتعاقبة نشير إليها عبر هذه النقاط الأساسية:

أ. التخطيط اللغوي وحاجة العربية إليه:

ليس في مقدور أي باحث أو مهتم بالشأن اللساني أن ينفي مسلمات مفادها أن اللغة خاضعة في سيرها ونموها وتطورها لسنن التطور ونواميس الارتقاء، وأنها تتغير أو تتأثر على قدر ما تمتلك من مرونة وحيوية وما يُتاح لها من فرص التفاعل، وما تتوافر لحياة مجتمعاتها من عوامل وأسباب التغيير والتطور والتواصل مع المجتمعات الأخرى، فهي غير قابلة للتقيد الصارم والتحديد القسري<sup>1</sup>.

غير أن هذا لا يعني أن نسلم الأمر لنواميس اللغة ونترك اللغة وشأنها تسير حيث تشاء لها الظروف أو المصادفات، لأن التسليم بهذا الطرح يفرض علينا أن نفق إزاء اللغة موقف المنفرج أو بالأحرى الواصف أو المؤرخ، لا نتدخل في شأن من شؤونها .

فالتدخل في شأن اللغة، برأي بعض الباحثين، لا يمكن أن يحد من نشاط اللغة وقوتها الداخلية وتطورها الطبيعي الذي يؤدي في نهاية المطاف أن تفرض اللغة أجروميتهما وتحطم كل ما يتم فرضه عليها من قيود أو قوانين.

وعلى النقيض من ذلك يرى الغالبية من الخبراء والعلماء أن التدخل في أوضاع اللغة أمر مشروع ومستساغ، وليس بالجديد<sup>2</sup>، فمن الواجب أو الضروري أن يكون هناك تدخل منظم في مجرى اللغة واستعمالاتها وتوظيفها داخل المجتمع

<sup>1</sup> - ينظر، أحمد محمد المعنوق، نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، (المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005م)، ص: 30.

<sup>1</sup> - ينظر، لويس جان كافي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، (منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2009، 1430)، ص: 07.

بقصد التعديل أو التوسيع أو التغيير إلى الوضع الأفضل، بالوجه الذي يناسب توجه الأمة ويحقق حاجاتها وطموحاتها، وأن هذا التدخل في الأوضاع اللغوية محكوم بدافعين اثنين هما :

1. أن اللغة وسيلة أوجدها الانسان لغرض التواصل والتبليغ، وعلى هذا الأساس فمن حقه أن يعدلها وينظمها كلما اقتضى الأمر ذلك .
  2. ولأن اللغة في نظر الكثير من الباحثين تتخطى الوظيفة الاتصالية أو التواصلية، فهي مرآة المجتمع ورمز لقيمه العقائدية وقيمه الجمالية والتعبيرية، ولا مندوحة من التدخل في مجراها والعمل على تعديلها وضبطها وعلاج أي مشكلة تواجهها، لأن ذلك يسهم في الحفاظ على الوحدة التي تسعى اللغة لتحقيقها<sup>1</sup>.
- غير أن هذا التدخل الذي تمليه علينا حاجات اللغة وضوابط المجتمع محكوم بقواعد أو هندسة فنية محكمة ووفق أنشطة مدروسة وتنسيق دقيق يرتكز على العلم والمعرفة وينأى عن الانطباعية أو الذاتية أو النظرة الضيقة، هذه الهندسة الفنية المحكمة تعرف عند علماء اللسانيات بمصطلح **التخطيط اللغوي** .
- إن اللفظ المركب Langage planning الذي تُرجم إلى الفرنسية بـ : planification linguistique، مصطلح ظهر في عام 1959م على يد إينار أوجن عند دراسته المشاكل اللغوية للنرويج، وكان هدفه تقديم المسعى التقني التوحيدي Standardisatice للدولة النرويجية من أجل بناء هوية وطنية بعد الهيمنة الدانماركية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>-ينظر، زكريا أبو حمدة، المجامع اللغوية ودورها في تعزيز اللغات في التخطيط اللغوي، (عالم الفكر، 1982)، ص: 245.

<sup>2</sup>-EinarHaugen , Planning in modern Norway, in Antoropoloical linguistics ,1/3, 1959.

وعلى هذا الأساس، فإن التخطيط اللغوي هو عملية تدخل صريح في توجيه اللغة وتنظيم سيرها وفق خطة ناجعة، وهو يتضمن نشاطات إدارية وتربوية وسياسية، لا تستهدف جانباً معيناً من اللغة أو ظاهرة محددة منها، بل يستهدف التخطيط اللغوي كل ما يرتبط باللغة من ظواهر مثل الازدواجية، وإصلاح الخط، والتيسير والتنقية والتفصيح والتحديث وتوليد المفردات وإصلاح الأنظمة المرتبطة بالأصوات أو المفردات أو التراكيب<sup>1</sup>.

إن التخطيط اللغوي مجموع خطط علمية وعملية واضحة ومحددة الأهداف للتصدي للمشكلات اللغوية، مع اقتراح الحلول العلمية لذلك وفق برنامج زمني محدد وذلك باعتماد نتائج الدراسات اللغوية ذات الصلة، مثل: اللهجات العامية وعلاقتها بالفصحى، ومستويات الفصحى التي نريد لها السيادة في حياتنا الثقافية والتعليمية، والمستوى اللغوي الذي نريد له الاستعمال في الإعلام والإعلان، والتعليم اللغة القومية والمستويات اللغوية التي يجب أن تُعلم وأنواع المعاجم التي نحتاجها، ولغة الترجمة وما ينبغي أن يُترجم، وإحلال اللغة القومية محل اللغات الأخرى في التعليم وغيرها من المشاكل اللسانية<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن التخطيط اللغوي يتوجه بالأساس إلى حل المشكلات التي تواجه اللغات، ويرتقي بوظائفها واستعمالاتها في مختلف الميادين والأصعدة، وإلى كل ما ينهض بسبل تعلمها، ونشرها على المستوى القومي ويعزز مكانتها وذيوعها على الصعيد العالمي، فاللغة بحسب الباحث اللساني أنيس فريجة: « مستودع الفكر وعنوان الحضارة لدى كل أمة. ولذا كانت من المقدسات، لأنها سجل حافل دونت في الأمة أحاسيسها الدينية، وآسيها التاريخية، ومنجزاتها

<sup>1</sup> - ينظر، لويس جان كافي، علم الاجتماع اللغوي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006م، ترجمة، محمد يحياتن، ص: 110.

<sup>2</sup> - ينظر، حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، (دار المعرفة الجامعية، 1420هـ - 2000م)، ص: 80.

العلمية، وبها عبر الشاعر عن آمال أمته وآلامها.. فاللغة ملك الأمة، لا الأفراد، إذن يجب أن تضبط أحكامها، وأن يسيج حولها بسياج يقيها عبث العابثين، وشروود الشاردين»<sup>1</sup>.

إن التخطيط اللغوي يجب أن يتكئ على سياسة لغوية رشيدة، وهو ما أدركته الكثير من الأمم المتقدمة، لأن اللغة انعكاس لحضارتها فهي المرآة التي تجسد حسها وذوقها وفكرها ووعياها وتعكس ملامحها وأبعادها الأصيلة، وهي الرابط المتين الذي يربط بين ماضي المجتمع المتكلم بها وحاضره، واللغة كيفما كانت منزلتها ومهما بلغت العوامل المؤثرة فيها مبلغها يمكن التدخل في أوضاعها وهندستها والتخطيط لها والتدخل في تشكيلها، وأنها مهما واجهت من صراعات أو اختلافات يمكن أن تقوم وتعديل وتصحح وتنظم مسارها على قدر الجهود التي تبذل في ذلك، ومن العجيب أننا في البلاد العربية نخطط لحياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، ولكننا لا نخطط مطلقاً لحياتنا اللغوية على الرغم من التلوث اللغوي الذي نعيشه ومشاكل اللهجات العامية المتفشية وضعف العربية في منابر التعليم ومنتديات الاعلام والإعلان والاشهار وغياب المعاجم العربية العلمية المتخصصة، ومن الغريب أيضاً أننا نقوم بحملات اعلامية واذاعية حول بعض المشكلات الصحية أو الاقتصادية التي تواجهنا ولا نقوم بحملة اعلامية واحدة حول تلوث اللغة وأمراضها.

لعل من أمثلة التخطيط اللغوي الناجح ما قامت بها الدولة العبرية إزاء لغتها التي ماتت منذ أكثر من ألف سنة، وأصبحت مجرد لغة دينية بعيدة عن الحياة، لا تستخدم إلا في الصلوات، وقراءة التوراة، وكانت الأوضاع اللسانية مع بداية

<sup>1</sup>- أنيس فريجة، نظريات في اللغة، الألسنية ( دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1981، 2م)، ص: 78.

الهجرات اليهودية إلى أرض فلسطين عام 1885م وبعده حتى قبيل إعلان الدولة على الشكل الآتي :

أ . الفلسطينيون وكانوا يتكلمون العربية الفصحى لغة الدين والثقافة والعلم،واللهجة العامية الفلسطينية لغة الحياة اليومية،شأنهم في ذلك شأن اي مواطن عربي من الأمة العربية.

ب . اليهود المهاجرون من دول الوطن العربي وكانوا يتكلمون اللهجات العربية العامية التي اكتسبوها منذ طفولتهم في بلدان الوطن العربي التي ولدوا وعاشوا فيها .

ج . اليهود الاشكناز وهم المهاجرون من روسيا وبلدان شرق أوروبا كانوا يتكلمون لهجة لهجة تسمى (اليديش) وهي لهجة هجين من اللغة العبرية القديمة وبعض لغات شرق أوروبا.

د . اليهود المهاجرون من دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكانوا يتكلمون اللغات الأوروبية الحديثة الفرنسية والإنجليزية والألمانية. وبعد أن أنشئت الجامعة العبرية كُلفت بالتخطيط لإعادة الحياة للغة العبرية وكانت خطة الاحياء تتكيء على :

1 . تبني دراسات لغوية علمية لما يسمى باللغة العبرية الأساسية،وهو مستوى لغوي يتألف من عدد محدود من المفردات والقواعد المختارة بقة بحيث يستطيع اليهودي المهاجر أو القادم لإسرائيل من تعلم وإجادة اللغة العبرية في أيام قليلة دون أي اشكال.

2 . تدريب عدد من المدرسين على تعليم هذا المستوى اللغوي من خلال مهارات النطق والكتابة والحيث .



3. فتح مدارس كثيرة مهمتها تعليم المهاجرين بمختلف مستوياتهم وأجناسهم لتمكين هذه اللغة من أغلب أطياف المجتمع اليهودي الجديد. وبعد جيل اليهود المهاجرين الأول نشأ جيل جديد من اليهود على أرض فلسطين لا يسمع ولا ينطق ولا يكتب غير العبرية الجديدة وأضحت هذه اللغة لغة الحياة والعلم والسياسة والمجتمع في إسرائيل منذ إعلان قيام الدولة الاسرائيلية عام 1948م ولغتها الرسمية هي العبرية<sup>1</sup>.

### ب . الوضع اللغوي العربي إزاء الصراع مع اللغات الأجنبية:

إن الباحث أو المطلع على تاريخ العربية الطويل يدرك أن ما تمر به العربية اليوم هو نفس ما مرت به العربية من صراع واضطراب على مستوى التعامل اليومي وغيره، فقد: « هُددت بالمشخ في صورة وقعها وجرسها وطبيعتها تكوينها وتركيبها في الصميم<sup>2</sup>»، غير أن الفارق بين مسخ الأمس واليوم هو أن مسخها القديم كان بفعل أعدائها أما مسخها اليوم فهو بفعل أبنائها، لأن العربية وقتذاك كانت لغة الحضارة الراقية المهيمنة، ولغة السادة الفاتحين، وكانت لها الحظوة التي لا تراعاها السياسة فقط بل يرعاها الدين وتدعمها الثقافة والمستوى الفكري والحضاري المتميز أيضاً.

لقد واجهت العربية على السنة الغرياء الوافدين من طوائف مختلفة جملة من التغيرات التي مسّت جوانب خطيرة، وأدى هذا الخطر المتفاقم الذي بدأ ينخر جسم العربية إلى إيجاد لغة مصطنعة تحقق شمولية التواصل والتفاهم بين العرب وغيرهم. لغة استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوي، فعمدت إلى صياغة القوالب اللغوية،

<sup>1</sup> - ينظر، حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 83.

<sup>2</sup> - يوهان فيك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980، ص: 21.

ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات، وتنازلت عن التصرف الإعرابي، واستغنت بذلك عن أحوال الكلمة وتصريفها، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة<sup>1</sup>.

ويزداد مدّ التغيير اللغوي اتساعاً مع تزايد اختلاط العرب بغيرهم بفعل الهجرات المتلاحقة واختلاط العرب بغيرهم من المجتمعات زادت رقعة هذه اللغة المهجنة واتسع قاموسها من الألفاظ والتراكيب، ولم تعد آثار هذه اللغة الهجين مقتصرة على أوساط العرب من ساكني الموانئ والثغور، بل تجاوزت إلى سكان البوادي، فعمّ اللحن وتفشّت العُجمة والرطانة بين عامة الناس وخاصتهم، وهو ما صرح به به القاسم بن علي الحريري في مقدمة كتابه درة الغواص في أوهام الخواص بقوله: «فإني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب وتوسموا بأوسمة الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم وتزعف به مراعى أعلامهم مما عثر عليه وأثر عن المعزو إليه خفض قدر العلية ووصم ذا الحلية، فدعاني الأنف لنباهة أخطارهم والكلف بإطابة أخبارهم إلى أن أدرا عنهم الشبه وأبين ما التبس عليهم واشتبه لألتحق بمن زكى أكل غرسه، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>2</sup>.

فلقد كان لتفشي اللحن وشيوع استعمال الألفاظ والعبارات الدخيلة آثار سلبية على استعمال اللغة العربية الفصحى في عصور الاحتجاج والعصور التي تلتها، غير أن هذا الفساد اللغوي أخذ ينحسر ويتراجع بفضل حركة النقد اللغوي التي انطلقت منذ عهود مبكرة من نشوء الدولة الإسلامية واستمرت لفترة طويلة من التاريخ، وما نتج عن هذا النقد اللغوي من مؤلفات وتصانيف وما بذل في خدمة العربية وحمايتها من الاندثار والتلاشي في زحمة هذا الصراع اللغوي.

<sup>1</sup>- ينظر، أحمد محمد المعنوق، نظرية اللغة الثالثة، ص: 39.

<sup>2</sup>- القاسم بن علي الحريري، مقدمة كتاب، درة الغواص في أوهام الخواص: (مكتبة المثني، بغداد، د.ت)، ص: 03.

## ج - مفهوم العربية الوسطى وسماتها:

إن ما نعنيه بالعربية الوسطى هو مستوى لغوي محكي يمتح كيانه ومكوناته الأساسية من الفصحى المعاصرة بمختلف درجاتها ونماذجها وروافدها الداخلية والخارجية، مع استرفاد عناصر أخرى من العامية بمختلف أنماطها ودرجاتها التي لا تشذ ولا تتأى عن أصول الفصحى ومقاييسها وأجروميته، لتتكون من خلال الجمع بين المستويين، هي لغة عربية بسيطة عفوية أصيلة، مبسطة ميسورة، لا يجد المدرس ولا تلميذه، ولا المذيع ولا مستمعه، ولا الباحث ولا متلقيه صعوبة أو جهد في مواصلة استعمالها، ولا أية مشقة أو عقبة في فهمها واستيعاب ما ينقل بها.

إن هذه اللغة الوسطى التي نراها علاجاً أو بديلاً لحل أزمتنا اللسانية يجب أن تحمل بعض السمات أو الشيات التي يمكن أن نحددها في النقاط التالية:

1 . أن تكون عربية محكية، سليمة في متنها وبنائها، غير أنها لاتصل في قوتها أو مستواها إلى اللغة الأدبية التي لا يتقنها إلى الخاصة .

2 . أن تتسم بالشمول، فهي لغة التعليم في مختلف مراحلها، ولغة الإعلام والاتصال الجماهيري في معظم أشكاله، ولغة الثقافة والتثقيف المحكي، وهي قابلة لأن تصبح مشتركة بين أفراد المجتمع العربي بمختلف أطيافه.

3 - تمتلك القابلية في الأخذ بما يناسبها من الألفاظ الأجنبية المعربة والدخيلة، كما عهدناه سابقاً في عربيتنا لأن اللغة الحية، برأي العلماء، هي التي تمتلك القابلية للأخذ والعطاء.

4 - العربية الوسطى لغة منسجمة مع مستجدات العصر وما يُعرف من تطور، ومنسجمة مع طباع الناس وذوقهم العام المشترك، ومع مستوياتهم الذهنية والاجتماعية والثقافية العامة بين أهلها في مختلف مواطنهم وميادينهم، حيوية وطبيّة ومنفتحة على العصر، تنمو مع نموه، وتتسع مع اتساعه.

5 - العربية الوسطى تمتلك القدرة على الربط بين الأبناء والأجداد، وهي حلقة رابطة بين المعاصرة والتراث الفكري والأدبي المثمر والأصيل.

6 - العربية الوسطى لغة ميسرة القواعد والأساليب، ولكنها بعيدة عن كل غلو أو تفريط في أي جانب أو عنصر أساسي من عناصر اللغة القومية الأولى.<sup>1</sup>

هذه أهم السمات التي تتسم بها هذه العربية الوسطى، وهي قادرة، لو مكن لها، من تحقيق مستوى لغوي بمقدوره الحد مما يعانيه المجتمع العربي من صراع فكري واضطراب حضاري وتراجع في الموقف أو الثقافة، وما يعانيه المواطن العربي من ضعف في اللغة أو زعزعة في موقفه إزاء لغته وقدرتها على حمل لواء العلم والمعرفة.

#### د - الحاجة إلى العربية الوسطى

إن الحاجة إلى البحث عن عربية وسطى ليس من سبيل الترف العقلي الذي لا طائل من ورائه، بل هي، في منظورنا، ضرورة يملها الوضع اللغوي المضطرب الذي تعيشه المجتمعات العربية اليوم التي تلاشت وسط تيار العولمة وما تشمله من أمور الفكر والثقافة والفن إضافة إلى السياسة والاقتصاد والصناعة، ثم ذلك الضعف والاضطراب اللغوي العشوائي والانقياد المضلل للمؤثرات الخارجية والداخلية حول قدرة اللغة العربية في الاستجابة لمتطلبات العلم والتقنية والبحث، وهو ما ينفيه الدكتور أحمد مختار عمر بقوله: « من المفاهيم الخاطئة ما يردده المرددون من أن اللغة العربية ذات طبيعة عسرة لوجود الاعراب بها من ناحية، ولعدم دلالة حروفها على النطق بها من ناحية أخرى، ونحن في الواقع نعيب لغتنا والعيب فينا، فليست اللغة الفصيحة باللغة الصعبة إذا توافر لها المناخ

<sup>1</sup> - أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، ص: 100.

المناسب ودخلت حياتنا العامة والخاصة. وليست العامية باللغة السهلة إذا كانت تكتسب عن طريق التعلّم والدراسة وليس عن طريق التقليد والمحاكاة، وإذا كان للفصحى قواعد ونظم فللعامية كذل كقواعد ونظم، ولا توجد لغة في العالم بدون قيود وضوابط. وحتى مع التسليم بصعوبة اللغة العربية ونحوها، فهل الحل في التخلي عنها واعتبار تعلّمها عبثاً، وإتقانها مضيعة للجهد والوقت؟<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من حدة الصراع المحتدم بين الفصحى والعامية، غير أن الأمر لا يهمننا في هذا المقام، بقدر ما تدفعنا الحاجة إلى فرض بديل لعلاج الأزمة اللسانية التي نعيشها، ونحن نرى في العربية الوسطى ما يحقق ذلك.

### خاتمة :

وبعد محاولة تشريحنا للواقع اللساني الذي تعانيه العربية في مجتمعاتها، ومحاولتنا لوضع أيدينا على الداء الذي تعانيه العربية مقارنة بغيرها من لغات العالم، نحسب أن البحث في وضع اللغة العربية وأوضاعها أفضى بنا إلى جملة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

1. إن التخطيط اللغوي عملية مهمة وضرورية من أجل حل مشاكل اللغات بعامة العربية بخاصة فكما نخطط لمشاكلنا الاقتصادية والسياسية وغيرها يجب أن نخطط للغتنا التي هي وعاء الأمة.
2. إن هذا التخطيط يجب أن يُبنى على أسس سليمة، وأن يُسند لهيئات وأفراد ممن يدركون مشاكل اللغة ونقائصها في مجال التعليم والإعلام والمثاقفة والاتصال الجماهيري.

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية: مقال ضمن مجلة: فضايا فكرية، المجلد السابع والثامن، ماي 1997م، ص: 67.

3. - إن الوضع اللغوي للعربية إزاء اللغات الأجنبية وإزاء الأوضاع المختلفة عرف مداً وجزراً وغزواً وانحساراً، واستطاعت العربية على الرغم من تباين الظروف وتعددتها أن تحافظ على هويتها وكيانها.

4. العربية الوسطى بديل للوضع اللساني الذي تعرفه العربية في مختلف البلدان العربية، وبمقدور العربية الوسطى أن تكون وصفاً لعلاج مشاكل الأمن اللغوي في زمن العولمة الكاسحة ومجتمع المعرفة الذي يلقي بظلاله على واقعنا العربي.

- قائمة مراجع البحث :

- أولاً : باللغة العربية

- أحمد محمداً لمعتوق، نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، (المركز الثقافي العربي).

- أحمد مختار عمر، أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية: مقال ضمن مجلة قضايا فكرية، المجلد السابع والثامن، ماي 1997م

- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، الأسنية ( دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2، 1981م

- حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ( دار المعرفة الجامعية، 1420هـ - 2000م).

- لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، (منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2009، 1430).

- القاسم بن علي الحريري، مقدمة كتاب، درة الغواص في أوام الخواص: ( مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.)

- زكريا أبو حمدية، المجامع اللغوية ودورها في تعزيز اللغات في التخطيط اللغوي، (عالم الفكر، 1982).

- يوهان فيك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور رمضان عيد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980

- ثانياً : باللغة الأجنبية:

- EinarHaugen, **Planning in modern Norway, in Antoropoloical linguistics**1959

## تجارب التكامل الاقتصادي الإقليمي في إفريقيا - دراسة حالة السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا "COMESA" -

د. مسعودي محمد\*

- جامعة أدرار - الجزائر

### الملخص:

ينطوي التكامل الاقتصادي على مزايا إضافية، ترتبط أساساً بـ : إستحداث أنشطة تجارية جديدة، الحصول على التمويل اللازم، وكذا إمكانية الإستفادة من بعض التطورات التكنولوجية. غير أن الهدف الأساسي للتكامل الاقتصادي يرتبط بتحقيق الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية بالشكل الذي يمكننا من تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة والحد من مشكلة الفقر.

ويتناول هذا المقال بالتحليل، أحد تجارب التكامل الاقتصادي على الصعيد الإفريقي والمرتبطة بتكامل بلدان شرق وجنوب إفريقيا في إطار مجموعة C.O.M.E.S.A ؛ حيث سنعمل على تبيان آليات وإجراءات هذا التكامل التي تهدف أساساً إلى تشجيع التنافسية الاقتصادية على المستوى المحلي والإقليمي، وكذا تنسيق مختلف السياسات الاقتصادية والتجارية للدول الأعضاء.

الكلمات المفتاحية: التكامل الاقتصادي الإقليمي - السوق المشتركة - شرق وجنوب إفريقيا -

\* أستاذ محاضر " ب " و نائب رئيس قسم العلوم التجارية للبيداغوجيا .

**Résumé :**

L'intégration économique, offre des opportunités additionnelles relatives à l'avènement de nouvelles activités commerciales, à l'accès au financement, et à la technologie, ce qui permet une utilisation optimale des ressources naturelles et humaines pour générer une croissance économique durable et réduire la pauvreté.

Cet article présente un cas d'analyse économique des processus d'intégration régionale de l'Afrique de l'Est et l'Afrique australe C.O.M.E.S.A. Ces processus visent à encourager la compétitivité économique au niveau national et régional d'une part, et d'harmoniser les politiques économiques et commerciales d'autre part, afin de réaliser une intégration économique régionale parfaite.

**Mots clé :** intégration économique régionale, marché commun, l'Afrique de l'est et l'Afrique australe.

**مقدمة:**

أضحت التكتلات الاقتصادية الإقليمية في الوقت الراهن ضرورة ملحة لعدد البلدان، اقتضتها الاضطرابات و المستجدات الاقتصادية التي يشهدها العالم من حين لآخر، على غرار الأزمات المالية والاقتصادية التي طفت للسطح في السنوات القليلة الماضية؛ كما أن التكامل الاقتصادي - مثلما هو معلوم - يتيح للدول الاستفادة من عدة مزايا اقتصادية وتجارية قد تمكّنها من زيادة حجم إنتاجها الوطني وكذا معدلات نموها الاقتصادي. والتكتل أو التكامل الاقتصادي هو عبارة عن عملية إرتباط دولتين أو أكثر في شكل إتحاد اقتصادي تكون فيه العلاقات بين هذه الدول أوثق مما هي عليه مع باقي دول العالم، كما يحدث نوع من التنسيق بين اقتصاديات هذه الدول في المجالات الزراعية، الصناعية والسياسات التجارية المختلفة<sup>1</sup>. ولعلّ الهدف الأساسي من التكتلات الاقتصادية هو تحقيق مفهوم

<sup>1</sup> - سكيننة بن حمود، مدخل لعلم الاقتصاد، دار المحمدية العامة، الجزائر، 2009، ص 223.



التكامل أو الاندماج الاقتصادي، بالشكل الذي يؤدي إلى تقوية المبادلات التجارية والمعاملات المالية بين البلدان الأعضاء في التكتل الاقتصادي؛ وهو ما سعت إليه بعض البلدان الإفريقية في شرق و جنوب القارة من خلال تأسيسها لما يسمى ب: " السوق المشتركة لشرق و جنوب إفريقيا " والمعروفة اختصاراً ب: " COMESA ". وقد بدأت فكرة إنشاء السوق المشتركة لجنوب وشرق أفريقيا سنة 1981 تحت مسمى "منطقة التجارة التفضيلية لشرق و جنوب أفريقيا- PTA " Preferential Trade Area؛ ثم تقرر بعد أن تمكنت منطقة التجارة التفضيلية هذه من تحقيق أهدافها المسطرة، تطوير التعاون أكثر فيما بين الدول الأعضاء، حيث تم إبرام " اتفاقية السوق المشتركة لجنوب وشرق أفريقيا " في " كمبالا " \* سنة 1993، وهذا كخطوة جديدة نحو تحقيق الجماعة الاقتصادية الأفريقية. وانطلاقاً مما سبق يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي :

**ما مدى نجاح تكتل " الكوميسا " في تحقيقه للأهداف المنشودة ؟**

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذه الورقة البحثية، وهذا عبر

المحاور التالية:

**المحور الأول:** مدخل مفاهيمي حول التكامل الاقتصادي الإقليمي

**المحور الثاني:** تعريف السوق المشتركة لشرق و جنوب إفريقيا " الكوميسا "

**المحور الثالث:** أسس التكامل الاقتصادي في مجموعة " الكوميسا " .

**المحور الرابع:** تقييم أوضاع التبادل التجاري بين دول " الكوميسا " .

\* " كمبالا " هي عاصمة أوغندا .

**المحور الأول: مدخل مفاهيمي حول التكامل الاقتصادي الإقليمي:**

التكامل الاقتصادي في الواقع، هو عملية تدريجية لها مراحل متعددة، قد تبدأ بالتعاون الاقتصادي البسيط وتنتهي بالاندماج الاقتصادي الكلي . و مفهوم التكامل قد يأخذ اتجاهين رئيسيين هما <sup>1</sup>:

الاتجاه الأول: وفيه يكون التكامل شكل من أشكال التنسيق أو التعاون بين الدول، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم المساس بالسيادة الوطنية.

الاتجاه الثاني: وفيه يكون هدف التكامل الاقتصادي هو تحقيق الاندماج الاقتصادي التام، ما يعني التأثير على سيادة الدول.

وعلى العموم، يمكننا القول أن التكامل الاقتصادي هو اصطلاح عام، يشمل عدة أصناف من الترتيبات التي بموجبها يتفق بلدين أو أكثر على تنسيق و تمثين أوضاعهم الاقتصادية ؛ و جميع هذه الترتيبات لها سمة مشتركة وهي أنها تستخدم التعريف الجمركية لتمييز سلعها عن السلع التي تنتجها البلدان الغير منضوية تحت لواء الاتفاق <sup>2</sup>. ومن خلال التكامل الاقتصادي يتم الحد من التمييز بين المنشآت الاقتصادية للدول المتكاملة و تأسيس سياسات مشتركة ومنسقة تضمن تحقيق الأهداف الاقتصادية المنشودة <sup>3</sup>.

وينطوي التكامل الاقتصادي على العديد من المزايا و التي من بينها <sup>4</sup> :

<sup>1</sup> - نزيه عبد المقصود مبروك، التكامل الاقتصادي العربي و تحديات العولمة مع رؤية إسلامية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2006، ص 10.

<sup>2</sup> - آسيا الوافي، التكتلات الاقتصادية الإقليمية و حرية التجارة في إطار المنظمة العالمية للتجارة، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة باتنة، 2007، ص 15 .

<sup>3</sup> - عماد محمد الليثي، التبادل الدولي، دراسة في منهجية و آليات التبادل الاقتصادي الدولي المعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 2002، ص 137 .

<sup>4</sup> - نزيه عبد المقصود مبروك، مرجع سبق ذكره، ص 31- 36 .

- أ- تقسيم العمل بين الدول المتكاملة .
  - ب- اتساع السوق و إقامة المشروعات الإنتاجية الكبيرة.
  - ج- حرية انتقال رؤوس الأموال و القوى العاملة .
  - د- ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي .
  - هـ- خلق فرص للعمالة في الدول المتكاملة .
- أما بالنسبة لدرجات أو أشكال التكامل الاقتصادي، فعادةً ما تكون على النحو الآتي<sup>1</sup>:

- أ- إنشاء منطقة التجارة التفضيلية.
  - ب- قيام منطقة التجارة الحرة.
  - ج- إنشاء اتحاد جمركي.
  - د- تأسيس السوق المشتركة.
  - هـ- اتحاد اقتصادي.
  - و- اتحاد اقتصادي، نقدي و حتى سياسي .
- ويوضح لنا الجدول الموالي مراحل ودرجات التكامل الاقتصادي بشكل أدق.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر : محمود الإمام، تجارب التكامل العالمية و مغزاها للتكامل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 580 .

## الجدول رقم -01-: يوضح ترتيب مراحل ودرجات التكامل الإقتصادي

## الإقليمي

الإجراءات المتخذة الترتيب	تخفيض الرسوم بين الأعضاء	تبادل حر بين الأعضاء	سياسة تجارية مشتركة	تجنيد عوامل الإنتاج	سياسات جبايية ونقدية مشتركة	حكومة واحدة
منطقة تبادلي	x					
منطقة تبادل حر	x	x				
إتحاد جمركي	x	x	x			
سوق مشتركة	x	x	x	x		
إتحاد إقتصادي	x	x	x	x	x	
إتحاد سياسي	x	x	x	x	x	x

**Source :** François Kabuya Kalala et Tshionza Mbiye, COMMUNAUTÉS ÉCONOMIQUES RÉGIONALES : QUELLE STRATÉGIE D'INTÉGRATION EN RDC ? p:329, un article disponible à l'adresse : <http://www.ua.ac.be/objjs/00280295.pdf>.

ومن متطلبات الاندماج الإقتصادي التام للدول الراغبة في بناء كتلة اقتصاد قوي، تأسيس عملة نقدية موحدة تضمن إرساء نظام نقدي يتسم بالاستقرار و التوازن، وهو ما أشار إليه " روبرت مندل" في نظريته الموسومة بـ " نظرية المنطقة المثلى " سنة 1961، والتي تحث على إرساء نظام للدفع بين مجموعة من الدول، يسمح بتبادل العملات و التحويلات بحرية تامة ودون خسارة\* . وقد

\* ركز " مندل " في نظريته لتفسير و إبراز مزايا منطقة العملة المثلى على معيار أساسي وهو حرية انتقال عناصر الإنتاج بين الدول العضوة في منطقة العملة، ويرى " مندل " أن نظام سعر الصرف يصبح نظاماً أمثل إذا

حدّد " مندل " جملة من الشروط اللازم توافرها لضمان نجاح منطقة العملة من بينها<sup>1</sup>: قابلية عوامل الإنتاج للانتقال بين دول الاتحاد، درجة انفتاح الاقتصاد ومستويات التبادل التجاري بين الدول الأعضاء، مستوى وتشابه التنوع في القواعد الإنتاجية و التشابه في معدلات التضخم وكذا مرونة الأجور و التنسيق بين السياسات الاقتصادية لدول الاتحاد النقدي.

وتعدّ تجربة الاتحاد الأوروبي في مجال التكامل الاقتصادي التجربة الأكثر نجاحاً على الصعيد العالمي، والتي تعود جذورها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وبالتحديد سنة 1948 عندما تم إنشاء " منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي " التي تمكّنت من إلغاء 90 % من القيود الكمية التي كانت تخضع لها الواردات (نظام الحصص)، ثم تمّ في مارس 1951 التوقيع على الاتفاقية الخاصة بإنشاء المنظمة الأوروبية للحديد و الصلب<sup>2</sup> والتي تضمّ كل من: فرنسا، ألمانيا الغربية، إيطاليا، هولندا، بلجيكا ولوكسمبورغ، وتعتبر هذه المنظمة اللبنة الحقيقية التي ساعدت على تشييد صرح التكامل الاقتصادي النقدية الأوروبية مع مطلع الألفية الثالثة . وقد شهد الاتحاد الأوروبي ميلاد عملة اليورو في 1/1/1999، وتم استعماله كعملة أوروبية موحدة و نهائية بدايةً من سنة 2002. وتُشكّل تجربة الاتحاد الأوروبي في مجال التكامل تجربة رائدة على المستوى العالمي، حاولت العديد من التجمعات

---

كان بمقدوره تحقيق التوازن الخارجي للدول دون المساس بمستوى التوازن الداخلي والذي يتمثل في استقرار المستوى العام للأسعار و تحقيق الاستخدام التام .

<sup>1</sup> - ماجدة مدوخ، النظام النقدي الأوروبي، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد 03، 2008، جامعة غرداية، ص 02-03 .

<sup>2</sup> - للمزيد أنظر: أحمد الكواز، التجارة الخارجية و التكامل الاقتصادي الإقليمي، جسر التنمية، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، العدد 21، مارس 2009، ص 20 .

الاقتصادية أن تحذو حذوها، على غرار دول السوق المشتركة لشرق و جنوب إفريقيا " الكوميسا" .

### المحور الثاني : تعريف السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا " الكوميسا" :

تُعدّ "السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا" أحد المجموعات الاقتصادية الإقليمية والأساسية للسوق الاقتصادية الإفريقية "CEA". وقد دخلت إتفاقية " الكوميسا " حيز التنفيذ سنة 1994، ثم تم التصديق عليها سنة 1997 بعضوية 21 دولة\* آنذاك، غير أن بعض الدول انسحبت منها، على غرار " تنزانيا " وهذا في سبتمبر من سنة 2000، إلى أن وصل عددها حالياً 19 دولة .

وقد تم تفعيل مساعي الإتحاد والتكتل الإقتصادي على صعيد القارة الإفريقية من خلال توقيع البلدان الإفريقية على معاهدة أبوجا سنة 1991. وتهدف هذه المعاهدة إلى تمكين سبل التكامل الإقتصادي على الصعيد الإفريقي عبر دعم وتقوية التكتلات الاقتصادية الإقليمية ومحاولة التنسيق بينها<sup>1</sup>. ويرتبط المسعى الأساسي لأي تكتل اقتصادي إقليمي بتخفيض تكاليف التبادل التجاري إلى أقصى حد ممكن<sup>2</sup> .

\* -تتمثل هذه الدول في : أنجولا، البورندي، جزر القمر، جمهورية الكونغو، جيبوتي، مصر، أريتيريا، اثيوبيا، كينيا، ليبيا، السيشل، مدغشقر، ملاوي، موريشيوس، رواندا، السودان، سوازيلاند، أوغندا، زامبيا، زيمبابوي، تنزانيا،

<sup>1</sup> -Alemayehu Gedaa, and Haile Kebretb, Regional Economic Integration in Africa: A Review of Problems and Prospects with a Case Study of COMESA, JOURNAL OF AFRICAN ECONOMIES, VOLUME 17, NUMBER 3, online date 2 November 2007 un article disponible à l'adresse : [http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar\\_1/Geda\\_Regional.pdf](http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar_1/Geda_Regional.pdf) , P: 358 .

<sup>2</sup> - Sudhanshu Sharma, A perspective on economic integration in Africa ,un article disponible à l'adresse : [http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=1231:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-1-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294](http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1231:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-1-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294) ( visité le 29/09/2014 )

والأكيد، أن مشاريع التكامل الإقتصادي الجهوي تبدأ عموماً بالترج، كأن يقتصر الأمر في البداية على التكامل في مجال : السلع، الأيدي العاملة وانتقال رؤوس الأموال، ثم ينتقل الأمر ليشمل المجالات المالية والأدوات الجبائية وكذا إنشاء المناطق الحرة التي تُتبع عادة بإقامة إتحاد جمركي، يليه إرساء سوق مشتركة، تنتهي ببناء قواعد متينة لإندماج نقدي ومالي في إطار إتحاد اقتصادي<sup>1</sup>. أما بالنسبة لأهم المجموعات الإقتصادية الإقليمية في إفريقيا، فهي موضحة في الجدول الموالي:

### الجدول رقم -2- : يبين أهم المجموعات الإقتصادية الإقليمية في إفريقيا

المناطق	التكتلات الإقتصادية الإقليمية
غرب إفريقيا	- مجموعة التنمية الاقتصادية لغرب إفريقيا (CEDEAO/ ECOWAS) - الإتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا (UEMOA) - مجموعة دول الساحل الصحراوي (CEN-SAD)
وسط إفريقيا	- المجموعة الاقتصادية لدول إفريقيا الوسطى (CEEAC/ECCAS) - المجموعة الاقتصادية والنقدية لإفريقيا الوسطى (CEMAC) - المجموعة الاقتصادية لبلدان البحيرة الكبرى (CEPGL)
جنوب إفريقيا	- مجموعة تنمية إفريقيا الجنوبية (SADC) - الإتحاد الجمركي لإفريقيا الجنوبية (SACU) - السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا (COMESA)
شرق إفريقيا	- المجموعة الإفريقية للشرق (EAC)
شمال إفريقيا	- إتحاد المغرب العربي (UMA)

<sup>1</sup> Trudi Hartzberg, Regional Integration in Africa, Economic Research and Statistics Division, World Trade Organization, Staff Working Paper ERSD-2011-14, October 2011, un article disponible à l'adresse [http://www.wto.org/english/res\\_e/reser\\_e/ersd201114\\_e.pdf](http://www.wto.org/english/res_e/reser_e/ersd201114_e.pdf),p:02.

**Source :** François Kabuya Kalala et Tshiunza Mbiye, COMMUNAUTÉS ÉCONOMIQUES RÉGIONALES :QUELLE STRATÉGIE D'INTÉGRATION EN RDC ? p:330, un article disponible à l'adresse : <http://www.ua.ac.be/objs/00280295.pdf>, ( visité le 29/09/2014 ).

وفيما يتعلق بالسوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا، فنشير إلى أنها أنشئت في نوفمبر من سنة 1993 بـ: " كامبالا " بأوغندا<sup>1</sup>، وهي تضم حالياً 19 بلداً تتمثل في<sup>2</sup> : البورندي، جزر القمر، الكونغو، جيبوتي، مصر، أريتيريا، إثيوبيا، كينيا، ليبيا، مدغشقر، مالاوي، الموريس، رواندا، السيشل، السودان، سوازيلاندا، أوغندا، زامبيا وزيمبابوي . وتسعى هذه السوق أساساً إلى تحقيق تنمية متوازنة ومتناسقة خاصة فيما يرتبط بقطاعات الإنتاج والتبادل التجاري بين الدول الأعضاء، بالإضافة إلى الالتزام ببرامج وسياسات اقتصادية كلية بشكل مشترك والتعاون في خلق مناخ ملائم للاستثمار الأجنبي والمحلي. وعلى العموم، يمكن تلخيص أهم أهداف هذه السوق فيما يلي<sup>3</sup>:

- 1- تحقيق تنمية مستدامة في الدول الأعضاء، من خلال تشجيع هيكل إنتاجي وتسويقي متوازن ومتناسق .
- 2- تحفيز النمو المشترك في كافة مجالات النشاط الاقتصادي عبر التبنّي المشترك لسياسات الاقتصاد الكلي و برامجه .
- 3- العمل المشترك على خلق مناخ إستثماري ملائم محلياً و دولياً .
- 4- تعزيز العلاقات بين دول السوق المشتركة وبقية العالم .

<sup>1</sup> -

[http://about.comesa.int/index.php?option=com\\_content&view=article&id=95&Itemid=117](http://about.comesa.int/index.php?option=com_content&view=article&id=95&Itemid=117) ( visité le 01/10/2014 ) .

<sup>2</sup> Alemayehu Gedaa, and Haile Kebretb, op.cit, p: 365 .

<sup>3</sup> أنظر موقع " الهيئة الحكومية العامة للإستعلامات " بمصر على الرابط التالي :

<http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?ArtID=468>



5- السعي نحو تحقيق السلام والأمن والاستقرار بين الدول الأعضاء لأجل تقوية أواصر التنمية الاقتصادية .

و يتكون الهيكل التنظيمي للسوق المشتركة لدول شرق وجنوب أفريقيا من<sup>1</sup>:

- هيئة رؤساء الدول والحكومات.
- المجلس الوزاري.
- اللجنة الحكومية.
- لجنة محافظي البنوك المركزية.
- محكمة عدل الكوميسا.
- اللجان الفنية.

كما تتبع لهذه السوق المشتركة لدول شرق وجنوب أفريقيا المؤسسات التالية:

- بنك التجارة والتنمية\*.
- غرفة مقاصة الكوميسا ومقرها بزمبابوي.
- اتحاد البنوك التجارية للكوميسا ومقره بزمبابوي كذلك .
- معهد الجلود للكوميسا ومقره بإثيوبيا.
- شركة إعادة التأمين للكوميسا ومقرها بـ: كينيا .

### المحور الثالث : أسس التكامل الإقتصادي في مجموعة "الكوميسا" :

ترتكز هذه السوق على مبادئ وأسس موضحة في الفصل 03 من معاهدة

التأسيس\*\* وهي كالاتي<sup>1</sup>:

<sup>1</sup> أنظر موقع وزارة الصناعة و التجارة المصرية على الرابط التالي :

<http://www.mfti.gov.eg/agreements/komesa%20agreements.htm>

\* المقر الحالي لبنك التجارة و التنمية يقع بـ" كينيا " .

\*\* تتكون إتفاقية الكوميسا من 36 فصل و 195 مادة و ملحق عن تجارة الترانزيت. للمزيد أنظر الرابط التالي :

<http://kenanaonline.com/users/AlaaMarei/posts/444049>

أ- المساهمة في إنشاء المجموعة الاقتصادية الإفريقية وتحقيق أهدافها.  
ب- تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي والتعاون فيما يرتبط بتصدير المنتجات الزراعية.

ج- تشجيع واحترام مبدأ التعاون والشراكة بين الدول الأعضاء.

د- تنسيق السياسات والبرامج؛ وتضييق الفجوات التشريعية والقانونية.

وتتمثل أهم الإجراءات الواجب إلتزام الدول الأعضاء بها في<sup>2</sup>:

1. مواصلة تطبيق جداول التخفيضات الجمركية السابق إقرارها في نطاق

منطقة التجارة التفضيلية لشرق وجنوب أفريقيا PTA وذلك على كافة أنواع

السلع التي يتم تبادلها بين الدول الأعضاء، وهذا على النحو الآتي:

• 60% أكتوبر 1993.

• 70% أكتوبر 1994.

• 80% أكتوبر 1996.

• 90% أكتوبر 1998.

• 100% أكتوبر 2000.

2. إزالة كافة الحواجز غير الجمركية على الواردات من الدول الأعضاء وذلك

خلال عام من تاريخ الانضمام.

3. التوصل إلى تعريف جمركية مشتركة (اتحاد جمركي) بداية من سنة

2004، والتي يتم تطبيقها على الواردات من الدول غير الأعضاء في

الكوميسا والتي تتراوح بين 05%، 10%، 30%.

<sup>1</sup> - Traité de comesa, articles 3-4-5, disponible à l'adresse : [http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA\\_Treaty.pdf](http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA_Treaty.pdf) .

<sup>2</sup> أنظر موقع وزارة الصناعة و التجارة المصرية على الرابط التالي : <http://www.mfti.gov.eg/agreements/komesa%20agreements.htm>

4. تفعيل الاتحاد النقدي بحلول عام 2025 من خلال خلق عملة موحدة و إنشاء بنك مركزي موحد، وكذا التنسيق التام بين السياسات النقدية لبلدان السوق المشتركة .

ولأجل تحقيق إتحاد جمركي بين الدول الأعضاء في الكوميسا أقرت معاهدة التأسيس ضرورة إلغاء الحقوق والرسوم الجمركية وكل الاقتطاعات ذات الصفة المماثلة على الواردات بين الدول الأعضاء تمهيداً لإرساء وتفعيل منطقة التبادل الحر "Zone de libre- échange" التي أنشئت سنة 2000 والتي ضمت إلى غاية 31 ماي 2007 ثلاثة عشر بلداً. غير أن بعض الدول الأعضاء استمرت في فرض بعض الرسوم على الصادرات المتأنتية من أعضاء آخرين وهو ما يُشكل أمراً سلبياً.

وقد أقرت المادة 45 من معاهدة تأسيس " الكوميسا "، إلغاء جميع القيود والحواجز غير الجمركية "Barrières non- tarifaires" على غرار " التسقيف الكمي" أو المنع والعراقيل الإدارية للتبادلات التجارية بين الدول الأعضاء. من جهة أخرى، نجد أن " الكوميسا" تبنت أيضاً مبدأ الدولة الأولى بالرعاية بحيث يتوجب على كل دولة عضو منحت تفضيلات أو امتيازات لمنتج أصلي معين، منح التفضيلات والامتيازات ذاتها لمنتجات الأعضاء الآخرين الشبيهة له\*.

\* تشير إلى أنه يمكن للدول الأعضاء في "الكوميسا" إبرام اتفاقيات تفضيلية جديدة بينها وبين دول أخرى غير عضوة، ما لم تضر هذه الاتفاقيات بأهداف سوق "الكوميسا"، ومتى كانت التفضيلات والتنازلات المنصوص عليها في هذه الاتفاقيات، في متناول جميع الدول الأعضاء، كما يُسمح للدول الأعضاء بعقد اتفاقيات تفضيلية فيما بينها طالما هذه الاتفاقيات تسعى لتحقيق أهداف سوق "الكوميسا".

أما بالنسبة لتجارة المنتجات الزراعية، فتسعى مجموعة "الكوميسا" إلى تحديد وعلاج المشاكل التي تقف في وجه زيادة حجم المبادلات الزراعية فيما بين الأعضاء. وحسب توصيات التقرير الزراعي لمجموعة الكوميسا والمعنون بـ:

" Report on the harmonisation of agricultural policy for comesa countries<sup>1</sup>".

فإنه يتوجب على جميع الدول الأعضاء في مجموعة الكوميسا رسم وتبني سياسات واستراتيجيات زراعية مشتركة، وهذا لأجل تحقيق الأهداف التالية:

أ- زيادة حجم الإنتاج الزراعي الإجمالي.

ب- تحقيق الأمن الغذائي.

ج- تنمية تجارة المنتجات الزراعية بين داخل وخارج مجموعة "الكوميسا".

د- زيادة القيمة المضافة للمنتجات الزراعية المصدر.

هـ- القضاء على الآفات والأمراض التي تطال المحاصيل الزراعية.

و- تطوير طرق السقي في المجموعة، بغية الحد من الآثار الضارة للجفاف.

وفي مجال تسهيل المبادلات التجارية، أقرت معاهدة التأسيس في فصلها

التاسع القواعد والأسس الواجب إتباعها لتبسيط وتنسيق إجراءات التبادل

التجاري، وكذا تحقيق الوثائق الإدارية المطلوبة لذلك. وقد نصت المادة 69

من المعاهدة على ضرورة التزام الأعضاء بتبسيط وتوحيد إجراءات التبادل

التجاري وفق الخطوات التالية<sup>2</sup>:

أ- تخفيض عدد الوثائق التجارية ما أمكن.

<sup>1</sup>-Comesa (Report on the harmonisation of agricultural policy for comesa countries) :

Le rapport est disponible à l'adresse : <http://www.g77.org/pgtf/finalrpt/INT-98-K09-FinalReport.pdf>. (visité le 02/10/2014)

<sup>2</sup>-

[http://about.comesa.int/index.php?option=com\\_content&view=article&id=95&Itemid=117](http://about.comesa.int/index.php?option=com_content&view=article&id=95&Itemid=117) (visité le 01/10/2014).

ب- تخفيض عدد الأجهزة الحكومية التي تعنى بمعالجة الوثائق التجارية

ج- تنسيق وتوحيد المعلومات الواجب ظهورها في الوثائق التجارية.

أما بالنسبة لتدابير الحماية "les mesures de sauvegarde" فقد أقرت مجموعة " الكوميسا" اللجوء إلى هذه التدابير في حالات استثنائية فقط، ترتبط أساساً بحدوث اختلالات كبرى في اقتصاد الدولة المعنية، لكن بشرط أن تبلغ هاته الدولة كلا من الأمين العام للمجموعة وبقية الدول الأعضاء بذلك، ويسمح للدولة المتضررة بفرض قيود كمية أو المنع المطلق لدخول بعض المنتجات، وهذا بغرض حماية الصناعات الناشئة<sup>1</sup>.

وفي حالات الإغراق التجاري "le dumping" الذي يُعرف على أنه عبارة عن إدخال منتجات لدولة عضو في النطاق التجاري لدولة أخرى لكن بأسعار أقل بكثير مما هو متعارف عليه، فإن هذا السلوك التجاري يمنع منعاً باتاً لكونه يلحق أضراراً فادحة بالمنتجات والصناعات الناشئة خاصة.

إما بالنسبة لحالات الدعم الحكومي المفرط الذي قد تقدّمه بعض الدول لصالح مؤسسات أو منتجات محددة والذي من شأنه الإضرار بالتنافسية العامة في سوق الكوميسا، فإنها ممنوعة منعاً باتاً، وفي حالات حدوثها فإن البلد المعني سيكون عرضة لإجراءات عقابية يتم من خلالها تعويض الأضرار الناجمة عن هذه الإعانات.

فيما يرتبط بقطاع النقل والمواصلات، فإن الدول الأعضاء يجب أن تلتزم

بما يلي<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - المادة 61 من معاهدة الكوميسا، على الرابط التالي :

[http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA\\_Treaty.pdf](http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA_Treaty.pdf) . (visité le 02/10/2014)

<sup>2</sup> - Idem.

- تسهيل عمليات الشراكة بين الدول، والتي من شأنها أن تشجع مبادلة السلع والخدمات وتقلل الأعباء على الأشخاص بسهولة.

- تأسيس قوانين وتشريعات تسهل من عمليات نقل البضائع في كامل دول "الكوميسا" دون دفع أية رسوم .

- تبني مخطط مشترك فيما يرتبط بتأمين السيارات والمركبات المختلفة.

أما بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية في مجموعة "الكوميسا" فهي في الواقع، غير منصوص عليها بشكل صريح ومباشر في معاهدة التأسيس، ما يعني أنها تندرج في إطار المادة 165 المرتبطة بالتعاون والشراكة بشكل عام.

من منظور عملي، وكتحليل عام لالتزامات الدول الأعضاء فيما يتعلق بالرسوم الجمركية، نجد أن الاتفاقية نصت على إزالة جميع الرسوم الجمركية على التجارة بين دول المجموعة بحيث تزال جميع الرسوم مع نهاية عام 2000، مع الأخذ بعين الاعتبار قواعد المنشأ التي حددتها الاتفاقية. غير أن الواقع غير ذلك حيث نجد أن مصر ومدغشقر وكينيا هي الدول التي طبقت التخفيض بنسبة 90%، بينما خفضت سبع دول بنسبة 80% ودولة واحدة بنسبة 70% ودولة واحدة بنسبة 60%، أما بقية الدول فلم تطبق أية تخفيضات .

ومن خلال بيان أسس الكوميسا والوقوف على ممارسات الدول الأعضاء نلاحظ ما يلي :

1- تجمع الكوميسا يمرّ بأولى مراحل التكامل الاقتصادي، وهي إنشاء منطقة تجارة حرة عبر إرساء تخفيضات على الرسوم الجمركية .

2- المرحلة الثانية وفقاً لأدبيات التكامل الاقتصادي هي إقامة الاتحاد الجمركي؛ وكانت الكوميسا قد حددت في اتفاقية التأسيس أن يكون عام 2004 هو عام الاتحاد الجمركي، غير أنه تم تأجيل الاتحاد الجمركي إلى

عام 2008م، وهو ما ينم عن الصعوبات و الاختلالات الكبيرة التي تعترض ذلك.

3- بالرغم من الإمكانيات الهائلة لسوق الكوميسا، إلا أن حجم التجارة البينية لا يزال دون المستوى، حيث لم يتعدّ حجم هذه التجارة 8% .

#### المحور الرابع: تقييم عام لوضع التبادل التجاري بين دول "الكوميسا" :

من بين كل المجموعات الاقتصادية الإفريقية، تعتبر مجموعة "الكوميسا" التكتل الوحيد الذي خطا خطوات إيجابية ومعتبرة نحو تمثين مجهودات التكامل الجهوي كاستجابة للتحديات العديدة التي تواجهها المنطقة من قبيل، مشاكل الفقر، ضعف الأمن الغذائي، هشاشة البنى التحتية، الجفاف، الأمراض، النزاعات.... إلخ\*.

ولتسهيل التبادل التجاري وضعت مجموعة "الكوميسا" برنامجاً محدداً للإلغاء التدريجي للرسوم الجمركية من جهة، والتقليل أو بالأحرى إلغاء القيود غير الجمركية من جهة أخرى<sup>1</sup>. وللتوضيح نشير إلى أن القيود غير الجمركية المعنية تتمثل فيما يلي:

- التحديد الكمي.
- تراخيص التصدير والإستيراد.
- تراخيص التبادل.

\* للإشارة فإن إجمالي عدد سكان دول الكوميسا وصل إلى 472,1 مليون نسمة عام 2006، كما بلغ إجمالي الناتج المحلي لها 256 مليار دولار عام 2005، في حين بلغ متوسط نمو الناتج المحلي لدول الكوميسا 4.4% عام 2005 . للمزيد أنظر :

<http://www.qiraatafrican.com/view/?q=701>

<sup>1</sup>- للمزيد أنظر الموقع التالي على الخط:

[http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar\\_1/Geda\\_Regional.pdf](http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar_1/Geda_Regional.pdf)

- التصريح بمصادر الواردات.
- منع استيراد بعض السلع.
- إيداع الضمانات على الواردات.
- الترخيص المشروط للواردات.

وقد وصل حجم التجارة البينية لدول " الكوميسا " زهاء 03 مليار دولار سنة 2000، وهذا بعد ما كان في حدود 932 مليون دولار سنة 1985<sup>1</sup>، وعن حجم التجارة البينية في الفترة من 2009-2011 لدول كتكتل الكوميسا، فهي موضحة في الجدول التالي :

### الجدول رقم 03: يبين حجم التجارة البينية لدول الكوميسا في الفترة من

2013-2002

الوحدة: مليون دولار

2013	2012	2011	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	
9866	9263	10134	9040	6621	6772	4520	2970	3208	2335	2145	2149	اجمالي الصادرات
11032	10063	8294	8337	6110	6932	4554	3757	3046	2223	2173	2218	الواردات

Source: Comesa, COMSTAT database, en ligne:

<http://comstat.comesa.int/ResourceCenter/Default.aspx?client=true>

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه، أن هناك تذبذباً مستمراً في حجم الصادرات بين الدول الأعضاء في الكوميسا، فتارةً تشهد ارتفاعاً وتارةً أخرى تشهد انخفاضاً فبعد أن كانت سنة 2003 في حدود 2145 مليون دولار زاد حجمها إلى 3208 مليون دولار سنة 2005، لتشهد سنة 2006 انخفاضاً طفيفاً أين بلغت قيمتها 2970 مليون دولار، لتشهد بعد ذلك تزايداً ملحوظاً لا سيما في السنوات من 2010 إلى 2013 أين زاد حجم الصادرات بين الدول

<sup>1</sup> د. إيهاب عبد الله عباس، أثر السوق المشتركة لدول شرق و جنوب إفريقيا " الكوميسا " في عملية التنمية في السودان، مجلة جامعة شندى، العدد 11، يوليو 2011، ص 200.



الأعضاء بأربعة أضعاف تقريباً مقارنةً بسنة 2002 لتصل قيمتها إلى 9866 مليون دولار سنة 2013 . أما بالنسبة للواردات بين الدول الأعضاء، فشهد حجمها هي الأخرى تذبذباً فبعد أن كانت سنة 2003 في حدود 2173 مليون دولار زاد حجمها إلى 3046 مليون دولار سنة 2005، لتشهد بعد ذلك تزايداً ملحوظاً لا سيما في السنوات من 2010 إلى 2013 أين زاد حجم الواردات بين الدول الأعضاء بخمسة أضعاف تقريباً مقارنةً بسنة 2002 لتصل قيمتها إلى 9866 مليون دولار سنة 2013 .

و نجح تكثف الكوميسا في رفع حجم التجارة البينية من 3.1 مليار دولار سنة 2000، إلى 12.7 مليار دولار سنة 2009، ثم 17.4 مليار دولار سنة 2010، وقد ارتفعت نسبة التجارة البينية بـ 49% بعد الشروع في تجسيد برنامج الاتحاد الجمركي داخل التكتل<sup>1</sup> .

كما ساعدت منطقة التبادل الحر في مجموعة الكوميسا والتي شرع في تجسيدها سنة 2000 في زيادة حجم التبادل التجاري بين الدول المنضمين لهذه المنطقة والمقدر عددهم بـ 13 دولة، ومن أهم قطاعات التبادل التجاري، في هذا الصدد نذكر:

- تصدير القطن من زامبيا إلى جزر موريس\* .
- تصدير الشاي من كينيا نحو مصر\*\* .
- تصدير زيت المائدة من كينيا إلى زامبيا .

<sup>1</sup> - بابكر حامد الناير عيسى، أثر اتفاقية الكوميسا على الاقتصاد السوداني، على الخط: <http://www.rakaiz.org/index.php> (لوحظ يوم: 2014/10/4)

\* وهو ما يؤدي إلى تعويض الواردات القادمة من آسيا والشرق الأقصى.

\*\* وهو ما يؤدي إلى تعويض الواردات القادمة من الهند وسريلانكا.

- استيراد السكر من طرف كينيا و القادم من: مالاوي، زامبيا، السودان، مصر، مدغشقر\*\*\*.

وتجدر الإشارة إلى أن حجم التبادل التجاري ارتفع حتى بين أعضاء "الكوميسا" المنضمين لمنطقة التبادل الحر والأعضاء غير المنضمين لها، ونذكر هنا على سبيل المثال: صادرات السكر من "سوازيلاند" ( بلد غير منضم لمنطقة التبادل الحر) نحو كينيا". وقد ألزمت الدول الأعضاء في مجموعة " الكوميسا " وغير المنضمة إلى منطقة التبادل الحر الخاصة بالمجموعة، بالانضمام إلى هذه المنطقة قبل الشروع في تنفيذ وتجسيد الإتحاد الجمركي بين دول المجموعة<sup>1</sup>.

ولأجل تحقيق الإتحاد الجمركي في المجموعة، بذلت " الكوميسا" مساعي حثيثة في هذا الصدد بحيث تم تحديد رزمة مشتركة للاقتطاعات والرسوم، كما أن 15 بلداً عضواً في التكتل، تبنى اتفاقية المنظمة العالمية للتجارة فيما يرتبط بالتقييم الجمركي. إضافة إلى ذلك، أقرت " الكوميسا" قانوناً للتسيير الجمركي الذي يحدد قواعد وأشكال التعامل الجمركي، ناهيك عن اعتماد وتنفيذ البرنامج الخاص بالإلغاء التدريجي للحواجز غير الجمركية والعراقيل الأخرى التي يشهدها التبادل البيني لدول المجموعة.

ويطرح تفعيل الإتحاد الجمركي بين دول الكوميسا، مشكل انتماء بعض الدول إلى تكتلات أخرى، وهو ما قد ينجم عنه بعض التعارضات التي من

\*\*\* وهو ما يؤدي إلى تعويض الواردات القادمة من البرازيل والأرجنتين.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر الموقع التالي:

[http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=1263:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-2-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294](http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1263:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-2-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294)

شأنها إضعاف مجهودات التكامل الإقليمي، وعليه يتوجب إيجاد الحلول السريعة لتجنب ذلك من خلال التنسيق بين مختلف الأطراف وعلى عدة مستويات.

وبالرغم من تمكن مجموعة "الكوميسا" من تجاوز العديد من العوائق والصعوبات، إلا أنها لا تزال في مواجهة العديد من التحديات المتمثلة فيما يلي<sup>1</sup>:

1. تنسيق السياسات الزراعية بين دول المجموعة.
2. معالجة مشكلة الأمن الغذائي.
3. صعوبات التبادل التجاري.
4. مشاكل البحث والتكوين.
5. محاربة الآفات المضرّة بالنباتات والحيوانات.
6. تحديات تسيير عرض وطلب المياه.

ولتحسين مداخل الفلاحين بالأرياف، هناك برامج لتشجيع الإنتاج الزراعي المستدام من خلال توفير الأسمدة والمواد العضوية اللازمة وكذا طرق السقي المناسبة، مع الإشارة إلى أنه تم إنشاء صندوق جهوي للسقي بين أعضاء المجموعة الاقتصادية، وهذا كله لأجل الحد من أخطار الأمن الغذائي في منطقة شرق وجنوب إفريقيا.

وعلى غرار بقية المناطق في إفريقيا، تعتبر دول "الكوميسا" كذلك من الدول التي تعاني من عجز غذائي؛ وهذا بالرغم من أن بعض الدول المنتمة إليها، تنتج العديد من المحاصيل الزراعية الإستراتيجية

<sup>1</sup> للمزيد أنظر الموقع التالي :

فمصر مثلاً تنتج: السكر، الذرة، الأرز، القمح، الخضروات والدواجن، في حين أن كل من السودان وإثيوبيا ينتجان لحم الأبقار والذرة البيضاء أما فيما يرتبط بالاستهلاك، فالمواد الأكثر استهلاكاً من طرف سكان المجموعة الاقتصادية هي: السكر، القمح، الذرة، مشتقات الحليب، الزيوت، الأرز. وقد شهدت المساعدات الغذائية الإجمالية في مجال الحبوب والمقدمة لهذه المجموعة ارتفاعاً بحوالي 42 % في الفترة من 2000 إلى 2005\*. أما بالنسبة للذرة، فقد انخفضت المساعدات المقدمة منه بشكل ضئيل لتصل إلى حوالي 544000 طن في الفترة الممتدة بين 2003 و 2005. في حين أن الإعانات الغذائية المرتبطة بالأرز، لا تزال ضعيفة، إذ قدرت بـ: 33000 طن في الفترة من 2000 إلى 2002.

وفي المجمل، بإمكاننا القول أن مجموعة "COMESA" حققت تقدماً معتبراً في مجال الزراعة وتجارة المواد المعيشية الأساسية؛ فالصادرات الإجمالية للمنتجات الزراعية المتأثية من المجموعة، شهدت زيادة بـ: 25%، إذ ارتفعت من 4.8 مليار دولار في 2002 إلى 6.5 مليار دولار في 2006، في حين أن التبادلات مع مجموعات اقتصادية إفريقية أخرى بلغت 80% من الصادرات كما أن حجم الصادرات بين الدول الأعضاء في كتل "الكوميسا" شهدت أيضاً ارتفاعاً بنسبة 45% منذ سنة 2002<sup>1</sup>.

\* هذا الارتفاع، ارتبط خاصة بالقمح.

<sup>1</sup> - للمزيد أنظر الموقع التالي :

ودول " الكوميسا" التي تلعب دوراً أساسياً في مجال التجارة البينية

في المنتجات الزراعية بين دول المجموعة تتمثل في<sup>1</sup>:

- كينيا بنسبة 26% .
- زامبيا بنسبة 21% .
- أوغندا بنسبة 14% .
- مالاي بنسبة 10% .
- مصر بنسبة 06% .

وعلى صعيد عالمي، نلاحظ أن واردات المنتجات الزراعية للمجموعة في 2006 وصلت إلى 8.6 مليار دولار مكونة أساساً من الحبوب (القمح و الذرة خاصة)، لحوم الأبقار، السكر، مشتقات الحليب، القطن؛ والحصة الأكبر من هاته الواردات يتم جلبها من خارج القارة الإفريقية.

وتلعب الظروف المناخية غير الملائمة في المنطقة، وكذا بعض المعوقات الهيكلية في جانب العرض، دوراً أساسياً في زيادة فاتورة الواردات لدول مجموعة "الكوميسا".

و بشكل عام، نجد أن تجمع " الكوميسا " حقق جملة من الخطوات لتدعيم جهوده التكاملية، لعلّ من أبرزها ما يلي<sup>2</sup>:

- في أكتوبر عام 2000 وفي قمة لوساكا، تم إنشاء منطقة تجارة حرة خاصة، انضمت تحت لوائها بعض دول المجموعة، وفيها تم إلغاء الرسوم الجمركية على السلع المتداولة فيما بين هذه الدول.

<sup>1</sup> -أنظر الموقع الرسمي للسوق المشتركة لشرق و جنوب إفريقيا على الرابط التالي: <http://www.comesa.int/> (تاريخ الاطلاع : 2014/10/03).

<sup>2</sup> (تاريخ الاطلاع : <http://www.qiraatafrican.com/view/?q=701> أنظر الرابط التالي: 2014/10/03).

- بحلول سبتمبر 2008، دخل الاتحاد الجمركي حيز التنفيذ متأخراً عن مواعده الأصلي الذي كان مقرراً في سنة 2004، وهذا بسبب النزاعات حول التعريفات الجمركية، و الأكد أن الاتحاد الجمركي يمهد لإنشاء اتحاد مدفوعات يُثمر عن إقامة وحدة نقدية وعملة موحدة (مرتقبة في سنة 2025) وهذا لأجل تحقيق الهدف المنشود وهو إقامة وحدة اقتصادية كاملة.

- طبقت الكوميسا نحو 70% من البروتوكولات المتعلقة بإزالة القيود على التأشيرات بين أعضائها.

غير أن هناك جملة من التحديات - كما سبقت الإشارة - التي تواجه السوق المشتركة لدول شرق و جنوب إفريقيا لعلّ من أهمها كيفية تحسين الهياكل التحتية لمتطلبات التجارة البينية والتكامل الاقتصادي بين الدول الأعضاء، كما أن هناك أيضاً تحديات مرتبطة بنقص إمدادات الطاقة والمياه ومثبطات التمويل الاستثماري، باعتبار التخلف الذي لا يزال يشهده القطاع المصرفي في العديد من دول مجموعة الكوميسا؛ هذا دون أن نغفل من جانب آخر، التحديات التي تفرضها الأوضاع السياسية والأمنية الغير مستقرة في دول المنطقة .

### الخاتمة:

استهدفت دول الكوميسا من خلال التكامل الإقليمي تسريع وتيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ظل المقومات البشرية والمادية المعتبرة التي تملكها، وقد خطت في ذلك خطوات معتبرة غير أنها لا تزال غير كافية، وليست بالمستوى الذي يضمن تحقيق الهدف الأساسي المنشود والمتمثل في إقامة اتحاد اقتصادي ونقدي تنتهي مراحلها في حدود عام 2025 .

ويُعدّ تكتل الكوميسا ثاني أكبر تجمع من حيث الكثافة السكانية مقارنةً مع التكتلات الإقليمية الأخرى في القارة الإفريقية، إذ يقطنه ما يقارب 473 مليون

نسمة، وهو عامل مهم يساعد على تنشيط المبادلات التجارية البينية التي شهدت تحسناً معتبراً بعد إنشاء السوق المشتركة لدول شرق و جنوب إفريقيا، غير أن إجمالي التجارة البينية بين دول الكوميسا يبقى ضئيلاً بالإستناد إلى إجمالي التجارة مع العالم الخارجي، مما يستوجب بذل المزيد من الجهود الرامية إلى زيادة حجم المبادلات التجارية بين دول الكوميسا من جهة، ومحيطها الخارجي من جهة أخرى.

وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية :

- 1- يُعدّ القطاع الزراعي في دول " الكوميسا " ركيزة المبادلات التجارية البينية في هذا التكتل .
- 2- أدى إلغاء التعريفات الجمركية في إطار المنطقة الحرة لدول الكوميسا، إلى تسهيل وزيادة حجم المبادلات التجارية البينية .
- 3- عدم الاستقرار السياسي و الأمني ببعض دول المجموعة ألقى بظلاله على سيرورة الإدماج الاقتصادي الكامل لدول المجموعة، وهذا بالرغم من وفرة المقومات الاقتصادية الأساسية و الخيرات الطبيعية .
- 4- بإمكان دول مجموعة " الكوميسا " توفير المناخ الملائم لخلق إقتصاديات قوية باستطاعتها تحقيق الأهداف التنموية المختلفة .
- 5- لا تزال هناك العديد من التحديات والصعوبات التي تعتري الوصول إلى تحقيق الإدماج الاقتصادي والنقدي التام (إنشاء عملة موحدة) بين أعضاء " الكوميسا " .
- 6- تُعدّ السوق المشتركة لشرق و جنوب إفريقيا " الكوميسا "، لبنة أساسية في إطار دعم و تفعيل أسس التكامل الاقتصادي على صعيد القارة الإفريقية ككل .

- وانطلاقاً مما تقدّم، وبغية تفعيل هذا التكتل أكثر، فإنه يتوجب - حسب رأينا - الاهتمام بالنقاط التالية :
- 1- تحسين المؤشرات الاقتصادية الكلية للدول الأعضاء في الكوميسا.
  - 2- العمل على جذب الاستثمارات الأجنبية إلى أسواق الكوميسا .
  - 3- الإسراع في تطوير القطاع المصرفي و المالي بدول الكوميسا.
  - 4- التشدّد فيما يتعلق باحترام التزامات الدول المنصوص عليها في اتفاقية الكوميسا .

### قائمة المراجع:

- 1- سكيّنة بن حمود، مدخل لعلم الإقتصاد، دار المحمدية العامة، الجزائر، 2009 .
- 2- نزيه عبد المقصود مبروك، التكامل الاقتصادي العربي و تحديات العولمة مع رؤية إسلامية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2006.
- 3- آسيا الوافي، التكتلات الاقتصادية الإقليمية و حرية التجارة في إطار المنظمة العالمية للتجارة، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة باتنة، 2007.
- 4- عماد محمد الليثي، التبادل الدولي، دراسة في منهجية و آليات التبادل الاقتصادي الدولي المعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 2002.
- 5- محمود الإمام، تجارب التكامل العالمية و مغزاها للتكامل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.
- 6- ماجدة مدوخ، النظام النقدي الأوروبي، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، العدد 03، 2008.
- 7- أحمد الكواز، التجارة الخارجية و التكامل الاقتصادي الإقليمي، جسر التنمية، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، العدد 21، مارس 2009.
- 8- إيهاب عبد الله عباس، أثر السوق المشتركة لدول شرق و جنوب إفريقيا " الكوميسا " في عملية التنمية في السودان، مجلة جامعة شندى، العدد 11، يوليو 2011.



- 9- بابكر حامد الناير عيسى، أثر اتفاقية الكوميسا على الاقتصاد السوداني، على الخط: <http://www.rakaiz.org/index.php> (لوحظ يوم: 2014/10/4).
- 10- Alemayehu Gedaa, and Haile Kebretb, Regional Economic Integration in Africa: A Review of Problems and Prospects with a Case Study of COMESA, JOURNAL OF AFRICAN ECONOMIES, VOLUME 17, NUMBER 3, online date 2 November 2007, un article disponible à l'adresse : [http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar\\_1/Geda\\_Regional.pdf](http://fsg.afre.msu.edu/aamp/seminar_1/Geda_Regional.pdf)
- 11- Sudhanshu Sharma, A perspective on economic integration in Africa ,un article disponible à l'adresse : [http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=1231:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-1-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294](http://www.consultancyafrica.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1231:a-perspective-on-economic-integration-in-africa-part-1-&catid=87:african-finance-a-economy&Itemid=294) ( visité le 29/09/2014 )
- 12- Trudi Hartzenberg, Regional Integration in Africa, Economic Research and Statistics Division, World Trade Organization, Staff Working Paper ERSD-2011-14, October 2011 , un article disponible à l'adresse [http://www.wto.org/english/res\\_e/reser\\_e/ersd201114\\_e.pdf](http://www.wto.org/english/res_e/reser_e/ersd201114_e.pdf)
- 13- François Kabuya Kalala et Tshiunza Mbiye, COMMUNAUTÉS ÉCONOMIQUES RÉGIONALES :QUELLE STRATÉGIE D'INTÉGRATION EN RDC ?, un article disponible à l'adresse : <http://www.ua.ac.be/objs/00280295.pdf>. ( visité le 29/09/2014 ).
- 14- Traité de comesa, **articles 3-4-5**, disponible à l'adresse : [http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA\\_Treaty.pdf](http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA_Treaty.pdf)
- 15- Traité de comesa, **article 61**, disponible à l'adresse : [http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA\\_Treaty.pdf](http://www.comesa.int/attachments/article/28/COMESA_Treaty.pdf)
- 16- موقع الكوميسا على الأنترنت : <http://www.comesa.int> ( visité le 01/10/2014 ).
- 17- Report on the harmonisation of agricultural policy for comesa countries, Le rapport est disponible à l'adresse : <http://www.g77.org/pgtf/finalrpt/INT-98-K09-FinalReport.pdf>.
- 18- موقع " الهيئة الحكومية العامة للإستعلامات " بمصر على الرابط التالي : <http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?ArtID=468>
- 19- <http://www.qiraatafrican.com/view/?q=701>
- 20- موقع وزارة الصناعة و التجارة المصرية على الرابط التالي : <http://www.mfti.gov.eg/agreements/komesa%20agreements.htm>

-21- <http://kenanaonline.com/users/AlaaMarei/posts/444049>

-22-COMESA : database COMSTAT, en ligne:

<http://comstat.comesa.int/ResourceCenter/Default.aspx?client=true>

« Le rôle de l'enseignant et sa gestion dans la classe de troisième année moyenne »

**Khelladi Sid Ahmed**  
khelladi11@yahoo.fr  
**Université Ahmed Draia. Adrar**  
**Hattab Mohammed**  
hattabmohammed@yahoo.fr  
**Université Ahmed Draia. Adrar**

**Résumé :**

Le but de cet article vise essentiellement la mise en relief du rôle primordial que peut jouer un enseignant dans le processus enseignement/ apprentissage de FLE. Il se veut une réflexion d'une expérience qu'on a pu en faire en tant qu'enseignants de français langue étrangère. Ce travail reflète non seulement un constat réalisé au sein d'une classe de FLE, mais également un résumé de nos recherches en didactique du français langue étrangère. L'objectif majeur de cette recherche est de remettre en question les différents codes (langues) auxquels recourt l'enseignant du FLE pour mettre en place une certaine complicité linguistique avec ses élèves surtout quand il s'agit des signes intraduisibles.

**ملخص:**

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الدور الجوهرية الذي يمكن أن يلعبه المعلم في عملية تعليم و تعلم اللغة الأجنبية الفرنسية. كما يعد هذا المقال انعكاسا للتجربة التي خضناها كمعلمين للغة الأجنبية الفرنسية. و لا يعكس هذا العمل المعاينة التي تم إجراؤها في قسم اللغة الأجنبية الفرنسية فقط، بل يبين أيضا ملخصا لبحوثنا في مجال تعليمية هذه اللغة.

و يتمثل الهدف الرئيسي لهذا البحث في إعادة النظر في مختلف اللغات التي يستخدمها معلم اللغة الفرنسية بغية التواصل مع تلامذته، خاصة عندما يتعلق الأمر بالرموز الغير قابلة للترجمة.

## **Introduction**

Dès le début des années deux-mille, et comme dans la plupart des autres pays du monde, l'Algérie a entrepris une série de réformes au niveau du secteur de l'éducation. Les trois cycles (primaire, moyen et secondaire) ont été, de différentes manières, touchés. En effet, ce projet vise principalement l'amélioration des programmes, des méthodes d'enseignement et des stratégies d'apprentissage.

Dans notre article, nous essaierons d'abord de focaliser notre attention sur les divers cas d'abandon et/ou de substitution du lexique de la langue française lors de l'enseignement du cours de langue dans une classe de troisième année moyenne au profit, souvent, et exclusivement de la langue maternelle de l'apprenant (qui est dans notre cas l'arabe dialectal). Nous exposerons ensuite les difficultés auxquelles l'enseignant est confronté lors de la transmission du savoir à ses apprenants. Car il a été constaté que ce dernier se trouve, souvent, devant la nécessité d'émailler ses explications de quelques termes appartenant à la langue maternelle des apprenants, et ce, pour mettre en place une certaine « complicité linguistique » avec ses élèves.

De plus, ce qui complique la tâche, aussi bien de l'enseignant que de l'apprenant, est la réalité sociolinguistique algérienne marquée par le conflit dû à la coprésence /coexistence de langues ; maternelle, officielle et étrangère.

Nous effectuerons des enregistrements en situation afin de saisir le moment précis où l'enseignant est contraint de recourir à la langue maternelle des apprenants dans le dessein de dynamiser le transfert des connaissances.

C'est pourquoi nous tenterons, en procédant à des enregistrements au sein de la classe, de décrire à quel moment intervient l'usage de ce lexique alterné puisque l'enseignant s'efforce de réadapter cette langue à des besoins didactiques sous la forme d'un savoir qui soit enseignable, apprenable et évaluable au sein d'une institution scolaire.

## 1. Distinction entre langue maternelle, étrangère et seconde

### 2.1 La langue maternelle

La langue maternelle, appelée aussi langue native, se définit comme la langue qui matérialise la pensée de l'individu dès l'enfance. Elle est considérée comme la première langue acquise, spontanément, dans son milieu familial. Autrement dit, Il s'agit de la première langue parlée au sujet au sein de son premier environnement (maison) comme le souligne Jean Pierre CUQ : « *la première langue qui s'impose à chacun est couramment appelée langue maternelle.* »<sup>1</sup>

Cette définition semble avoir un lien avec celle de Jacqueline Picoche et Christiane Marchello-Nizia : « *la première langue qu'apprend un enfant est sa langue maternelle et tout autre, apprise par la suite, est une langue seconde* »<sup>2</sup>

Pour la caractériser rapidement on dira que c'est la langue apprise en premier et celle de la construction des représentations du monde. De ce point de vue, on peut avoir plusieurs langues maternelles même si on a qu'une maman. La langue maternelle n'est du reste pas forcément celle de la mère : elle peut aussi être la langue du père, ou celle qui pratiquée dans l'environnement social de l'enfant, et qui ne sera pas la langue maternelle du père ni de la mère.

Le terme langue maternelle peut être remis en question dans certaines situations. Elle a une grande importance pour l'individu car elle va lui imposer un ensemble de représentations liées à son système phonologique, syntaxique.

### 2.2 Quelques caractéristiques

Dans une langue maternelle, les mots sont des signes familiers; le discours se construit sans qu'on y prenne garde, sans effort et sans control. C'est une illusion reposant sur le fait que les mécanismes de production ont été mémorisés : que des routines communicatives conversationnelles.

---

<sup>1</sup>CUQ.J.P 1991. Le français langue seconde. Paris : Hachette.

<sup>2</sup>JACQUELINE PICOCHÉ, CHRISTIANE, MARCHELLO-NIZIA. 2000 (5e éd. rev. et cor 2000). Histoire de la langue française. Paris : Nathan.

Elle est difficile à analyser parce qu'on baigne dans sa langue, parce que l'âge auquel on l'a analysée est loin de nous car l'activité d'analyse qui est à la base de tout apprentissage, appelée activité épi linguistique largement non consciente se fait dans la petite enfance.

### **2.3 La langue seconde**

La langue seconde dans sa notion la plus répandue est souvent employée pour désigner une langue apprise dans un second temps. Car l'usage d'une langue seconde implique l'existence d'au moins une première langue appelée langue maternelle. Elle est souvent confondue avec la langue étrangère.

Paul Bogaards (1988) distingue toutefois ces deux dénominations à partir des conditions d'apprentissage il choisit le terme de langue seconde quand l'apprenant est en contact avec des locuteurs natifs de la variété linguistique à apprendre et celui de langue étrangère quand il n'y a pas ce type de contact, selon lui :

« On parle de langue seconde quand l'apprentissage se fait au contact des locuteurs natifs de la langue à apprendre, et de langue étrangère quand ce genre de contact manque... il y'a donc une distinction faite à partir des conditions d'apprentissage et ou le nombre de langues apprises n'intervient aucunement »<sup>1</sup>

### **2.4 La langue étrangère**

On la définira par contraste comme étant une langue non première, comme une langue apprise ensuite. Elle n'est pas première dans l'ordre des apprentissages ; on l'apprend toujours par rapport, par référence à la précédente. Son apprentissage impose au sujet de changer un peu sa vision du monde car la langue étrangère impose une autre culture.

La représentation de la notion de langue étrangère est plus manifeste dans le domaine de l'apprentissage et de la scolarisation. Elle est souvent enseignée dans un contexte scolaire comme langue étrangère distinguée de la langue maternelle. Elle se construit donc par opposition à la langue maternelle. Selon le dictionnaire de didactique des langues :

---

<sup>1</sup> BOGAARD Paul, 1988. Aptitude et affectivité dans l'apprentissage des langues étrangères, Paris, Hatier « LAL » 188 pages

« ...la distinction entre langue maternelle et langue étrangère, est indispensable pour évoquer les procédures spécifiques d'apprentissage, a fini par s'imposer. On admet maintenant que l'apprentissage en milieu scolaire de toute langue non maternelle est « étrangère », quel que soit le statut officiel de cette langue dans la communauté où vit l'élève. »<sup>1</sup>

Jean pierre CUQ, quant à lui, préfère utiliser « langue étrangère » pour nommer la deuxième langue apprise et distingue parmi lesquelles celles qui ont des propriétés qui leur permettent d'être appelées « langue seconde », car elles sont liées et dépendent de la de la stratégie de chaque pays « *Toute langue non première est une langue étrangère. Parmi les langues étrangères, certaines ont des propriétés qui les font appeler langue seconde* »<sup>2</sup>

### **2.5 Pour un Algérien**

- Sa langue maternelle est l'arabe dialectal/ le berbère pour un berbérophone.
- Sa langue nationale est l'arabe standard.
- Sa langue étrangère est le français.

### **3. Les trois fonctions qu'occupe un enseignant dans une pratique de classe**

L'enseignement des langues étrangères est une activité qui exige un effort soutenu de la part de l'enseignant afin qu'il transmette un savoir au sein de la classe qui ne relève pas de la culture locale des apprenants. C'est pourquoi l'enseignant est appelé à maîtriser la dynamique de la leçon. Puisque dans une pratique de classe, l'enseignant occupe trois fonctions décrites par L. Dabène<sup>3</sup>

- Informateur : l'enseignant est censé d'abord maîtriser la langue qu'il enseigne, il doit participer au processus de transmission du savoir et d'information. Dans le cadre de l'enseignement du FLE cette fonction l'oblige à s'exprimer uniquement en français.

---

<sup>1</sup> GALISSON.R et COSTE.D 1976. Le dictionnaire de didactique des langues.Paris: Hachette.

<sup>2</sup> CUQ.J.P 1991. Le français langue seconde. Paris : Hachette

<sup>3</sup>. DABENE L. 1984. Pour une taxonomie des opérations métacommunicatives en classe de langue étrangère. In : Etude de linguistique appliquée n°55, pp. 39-46

- **Animateur** : afin de mieux remplir cette fonction, l'enseignant est appelé à gérer et à organiser les différentes activités didactiques. Il attribue les tours de parole à ses apprenants, corrige les erreurs, parle à haute voix, gesticule, se déplace à l'intérieur même de la classe, etc. C'est le moment le plus important où les apprenants s'imprègnent de la langue utilisée par l'enseignant.
- **Évaluateur** : c'est à lui d'évaluer les productions orales et écrites de ses apprenants. Il est appelé à s'exprimer uniquement en français. La performance de ces fonctions se construit largement dans les interactions, au sein de la classe.

### **3. Cadre pratique**

#### **3.1 Présentation du corpus**

Le corpus auquel nous ferons référence s'appuie principalement sur un enregistrement, à l'aide d'un dictaphone, recueilli au sein de la classe de troisième année moyenne au collège 22 septembre 1956 situé dans la ville de Tighennif (wilaya de Mascara). Notre choix s'est porté sur une enseignante qui est à sa huitième année dans le dessein de profiter de son expérience.

L'enregistrement se circonscrit autour des propos de l'enseignante pour mettre en évidence son discours pédagogique durant la présentation du cours. La séance enregistrée a duré environ 40 minutes. Pendant la réalisation de cet enregistrement, nous avons tenté de préserver le climat habituel de la classe dans lequel se déroulent les cours.

#### **6. Analyse du corpus**

La séance est programmée à 09h00 à la salle 05, après une séance de mathématique, notre enregistrement a coïncidé avec l'activité de compréhension de l'écrit. Celle-ci portait sur un fait divers. Pour effectuer l'analyse des interactions, nous avons opté pour l'approche orrecchionienne selon laquelle les interactions en classe de langue se



réalisent en trois moments : l'ouverture, le corps de l'interaction et la clôture.<sup>1</sup>

## 6.1 L'ouverture

### L'enseignante

*Bonjour*

*Silence s'il vous plait*

*Ouvrez vos livres à la page 39.*

*Est-ce que tout le monde a ramené son livre /hein.*

### Les élèves (ensemble) oui

*Un élève dans la deuxième rangée, non.*

### L'enseignante

*Eh, toi ou est ton livre ? [ ouine rah ktabak.] Traduction de « ou est en ton livre » en arabe dialectal*

### L'élève ( son nom c'est Djaafri)

*A la maison. [Nassitah] Traduction [ je l'ai oublié] (basse voix)*

### L'enseignante

*Ce n'est pas grave suivez ensemble... suis avec ton camarade.*

*Suivez s'il vous plait (À haute voix).*

### L'enseignante

*Aujourd'hui on va voir un autre support.*

*Observez bien le texte*

*Bradii (le nom de l'élève) silence, eh, je veux le silence absolu (à haute voix).*

### L'enseignante

*De quoi s'agit-il ?*

*L'élève ; c'est fait divers*

### L'enseignante

*Très bien. ( à haute voix)..... Répète ( elle demande à trois autres élèves de répéter la même réponse)oui bien ... Comme nous l'avons déjà signalé dans les séances précédentes un fait divers est le récit d'une histoire vraie publiée dans la presse .il relate un évènement exceptionnel grave comme l'accident ok , quoi d'autre un méfait ou délit( vol trafic) ou un évènement insolite ( étrange).Il renseigne sur la société dans laquelle il se produit.....Est-ce que c'est clair ? C'est une définition déjà vue.*

---

<sup>1</sup>KERBRAT-ORRECCHIONI, C. 1990. Les interactions verbales, Tome 1. Paris : A. Collin

### 6.1.1 Analyse

Pendant cette première partie du cours (ouverture) nous remarquons que l'enseignante n'a pas commencé directement son cours elle salue d'abord les élèves et fait ensuite appelle à l'ordre avant d'établir un lien entre le contenu de cette séance et les notions précédentes. Elle a procédé à l'explication du contenu de la séance en français, par exemple dans cette séance un rappel de la définition d'un fait divers a été fait. Il s'agit là de la fonction d'informateur (informatrice), c'est la seule fonction qui lui permet de s'exprimer exclusivement en français. Elle a pris en considération la situation particulière de sa classe, car le début d'une interaction verbale vise principalement la transmission d'une information et surtout de la faire comprendre, car si l'on fait un enregistrement d'une conversation binaire on aura du mal à reconnaître qui parle de quoi, le discours des uns et des autres s'entremêle. C'est la raison pour laquelle nous préférons parler d'interaction verbale.

### 6.2 Le corps de l'interaction

#### L'enseignante

*Oui, hamdadou lis à haute voix* Traduction en arabe standard et en arabe dialectal [rfa3 soutak ][ zagi ok.]

#### L'enseignante

*Qu'est ce qu'un braquage ?*

#### Les élèves ensembles

*Tout le monde lève son doigt (madame madame).*

#### L'enseignante ... oui Sara

*Oui c'est ...une attaque*

*L'enseignante c'est une attaque armée. [Hjoum mossalah.]*

Traduction de la phrase en arabe standard [khyana besselah.]

Traduction de la phrase en arabe dialectal. *Vous avez compris.*

#### L'enseignante

*Demande aux élèves oui répète [3awad toi]* Traduction en arabe dialectal uniquement du verbe répéter

#### L'enseignante

*D'où est extrait ce texte ? Levez le doigt sans madame je vois tout le monde*

*(Tout le monde lève son doigt)*

#### L'enseignante

*Oui Bendounane. C'est le nom d'un élève*

#### L'élève

*Le texte est tiré du journal liberté.*

**L'enseignante**

*Très bien, répète ( elle désigne un élève assis de son côté gauche)*

**L'enseignante**

*Vous connaissez le journal liberté.*

**Un élève au milieu** [*wah oui, boya yekrah, mon père lis ce journal ta3 français*] Traduction [oui, mon père lis ce journal, c'est un journal francophone] un journal francophone.]

**L'enseignante**

*oui [kamal] Traduction [continue] c'est un journal francophone*

*..[djarida firnassia] Traduction de la phrase en arabe standard [bel franssaouia] Traduction de la phrase en arabe dialectal.*

**L'enseignante tente de reformuler**

*Ce journal est francophone,*

*Il est écrit en français,*

*On le lit en français,*

**L'enseignante**

*Comment est-il présenté ? Et pourquoi ?*

**Un élève au milieu de la classe en arabe dialectal**, [*hadi bayna*]

Traduction [c'est clair]

**L'enseignante**

*chouut oui amel ( elle demande le silence et cite le prénom d'une élève)*

**L'élève** son prénom (amine )

*Un article comme colonne.*

**L'enseignante**

*Doucement, donnez une phrase simple*

*Il est présenté sous forme de colonnes ? Parce que c'est un article de journal.*

*Répète*

**L'élève**

*Il est présenté sous forme de colonnes ? Parce que c'est un article de journal*

*Elle demande à un autre de répéter.*

### **6.2.1 Analyse**

C'est la partie la plus longue et la plus importante du cours dans la mesure où cette langue étrangère est utilisée par l'enseignante et les élèves. Elle tente d'enrichir le contenu de son cours par le biais d'une lecture magistrale. La dernière lecture était consacrée à l'explication

des mots difficiles. Pendant l'explication elle pose des questions qui entraînent une réponse monosyllabique, ou parfois sous forme de phrase, et ce, pour inciter les apprenants à parler et les mettre en contact avec la langue française.

Afin d'animer son cours, nous remarquons que l'enseignante renforce parfois ses explications avec les gestes, reformule, demande aux élèves de répéter l'explication plusieurs fois et se déplace entre les rangées de la classe. Elle remplit la fonction d'animatrice.

L'enseignante alterne entre les deux langues ; l'arabe classique et l'arabe dialectal surtout quand il s'agit d'une explication des mots difficiles, pour répéter et confirmer une information et parfois pour motiver les apprenants à participer en classe. Nous avons remarqué que souvent la première explication est faite en français, la deuxième en arabe standard tandis que la troisième en arabe dialectale afin de valider l'information.

La plupart des élèves de cette classe ne sont pas du tout passifs, ils ne font pas qu'écouter l'enseignante, car après l'explication de cette dernière ils produisent des gestes qui permettent à l'enseignante de se rendre compte qu'ils ont bien saisi la notion expliquée hormis quelques élèves qui n'étaient pas motivés.

### **6.3 La clôture**

#### ***L'enseignante***

*Fermez vos livres et suivez avec moi*

#### ***Les élèves ensemble***

*Ok, d'accord*

#### **6.3.1 Analyse**

L'enseignante a attiré l'attention de l'ensemble des apprenants en insistant d'une part sur l'identification d'un type précis d'un fait divers, d'autre part de faire reconnaître un fait divers et le distinguer des autres types. Arrivant à ce dernier stade l'enseignante s'efforce de traiter les erreurs de ses apprenants constatées pendant le cours.

### **7. Conclusion**

Pour conclure on peut dire que l'enseignement du français langue étrangère en Algérie doit prendre en considération la réalité sociolinguistique algérienne, car cette dernière est composée de nombreux locuteurs qui utilisent différentes variétés de langue pour

communiquer dans un milieu plurilingue. Dans de telles conditions, l'enseignant est appelé à choisir des stratégies d'enseignement plus adéquates qui lui permettent de se rendre compte s'il est compris ou non en classe puisqu'il joue le rôle de facilitateur d'un processus qui vise à apprendre une langue étrangère en l'adaptant à ce que l'on veut en faire. Il s'efforce de faire apprendre correctement cette langue vivante et de la distinguer de l'arabe classique et dialectal.

Cependant, la présente recherche a fait remarquer que lors de l'enseignement du FLE, notamment au cycle moyen, l'enseignant se trouve parfois face à une situation qui le fait dévier de son chemin où il sera contraint de recourir à la langue maternelle des apprenant afin de rendre son message plus clair et plus intelligible.

### **Bibliographie**

CUQ.J.P 1991. Le français langue seconde. Paris : Hachette.

DABENE L. 1984. Pour une taxonomie des opérations métacommunicatives en classe de langue étrangère. In : Etude de linguistique appliquée n°55, pp. 39-46.

GALISSON.R et COSTE.D 1976. Le dictionnaire de didactique des langues .Paris : Hachette.

KERBRAT-ORRECCHIONI, C. 1990. Les interactions verbales, Tome 1. Paris : A. Collin.

JACQUELINE PICOCHÉ, CHRISTIANE, MARCHELLO-NIZIA. 2000 (5e éd. rev. et cor 2000). Histoire de la langue française. Paris : Nathan.

### ***Editorial Guidelines:***

The review of *El-Hakika* is dedicated for the publication of any excellent scientific contribution in the **humanities** and **social sciences** as long as such contributions comply with the following guidelines:

- 1- Any submitted draft has to be an original contribution in its respective discipline.
- 2- A contribution has to be new and never submitted to (or under consideration by) another review. This has to be ensured via a signed contract clarifying the legal parts of each party involved (the editorial board of the *El-Hakika* on the one hand, and the potential contributor on the other)
- 3- All submissions undergo scientific peer-reviewing (however high the academic position of the contributor)
- 4- Drafts has to be submitted electronically or sent in 3 copies to the postal address of the review
- 5- A C.V. has to be attached to the proposed submission, indicating clearly the academic position, affiliation, phone number and email, etc...
- 6- Any given submission has not to exceed 20 pages in length and never below 10.
- 7- Each submission has to include 2 abstracts: one in Arabic, the other in a language different than the language of the research. Each abstract has not to exceed 8 lines maximum .
- 8- In case the language of the proposed article is Arabic, the front used has to be “Simplified Arabic”, size: 14. In the footnotes, the author has to use the same front but the size has to be 10. Similarly, when the language of the research is either French or English, the front is “Times New Roman”, size: 12 and in the footnotes size is 10.
- 9- *El-Hakika* accepts articles using only footnotes (no endnotes)
- 10- The page set-up is the following: spacing between lines is 1cm, on the right 2.5cm, and 1.5 cm on all other sides. (the reverse is true for contributions written in either English or French)
- 11- Each proposed article has to be written according to the acknowledged methodological regulations, as these contain:
  - a- The introduction has to state clearly the problematic of the research and the major elements of its development
  - b- The division of the parts of the development has to be carried out methodologically.
  - c- A conclusion that underlies the major findings of the research, not a summary.
  - d- A bibliography ordered according to a largely circulated bibliographical system.

## ***El-Hakika Review***

An Academic Journal Issued Regularly from AdrarUniversity  
Issue Number: 35, Decembre 2015, corresponding to the year 1437  
in Islamic calendar

### **AdministrativeBoard:**

**President:** Prof. Hamlil Salah (The Dean of the University)

**Vice President:** Prof. BoukemicheLaala (The vice dean of the university charged with scientific research)

**Editor:** Prof. Boumediene Mohammed

### **Editorial Board:**

- 1- Prof. BoukemicheLaala
- 2- Prof. Boumediene Mohammed
- 3- Prof. Khalladi Mohammed El Amine
- 4- Dr. Mami Fouad
- 5- Dr. Kaloune Djilali
- 6- Dr. Mazar Yamina

### **Editorial Secretariat :**

- 1- Mouhad Mounna
- 2- Ataouat Chahira

### **The Scientific Committee of the Review:**

#### **First: from the Adrar University:**

- 01- Prof. Draa Tahar (History).
- 02- Prof. Boussefsaf Abdelkrim (History)
- 03- Dr. Chatra Khiereddine (History).
- 04- Prof. Chouchane Mohammed Tahar (Psychology of Education).
- 05- Prof. Stambouli Mohamed (Islamic Sciences).
- 06- Prof. El-Masri Mabrouk (Islamic Jurisprudence) .
- 07- Prof. Debagh Mohammed (Islamic Jurisprudence).
- 08- Dr. Belatrous Mohammed (Shari'a & Law).
- 09- Dr. Benzita Hamida (Islamic Sciences).
- 10- Dr. Gsassi Abdelkader (Arabic Literature).
- 11- Prof. Machri Tahar (Arabic Literature).
- 12- Prof. Djaafri Ahmed (Arabic Linguistics).
- 13- Prof. Boursali Fewzi (British Civilization).
- 14- Dr. Bouhania Bachir (Linguistics).
- 15- Dr. Ouinas Yahia (Law).
- 16- Prof. Ben Abdel Fattah Dahmane (School of Commerce).
- 17- Dr. Yousfat Ali (School of Commerce).
- 18- Dr. Akacem Omar (School of Commerce).

#### **Second: from universities across Algeria:**

- 1- Prof. Aoufi Mostapha (Sociology, Batna University).
- 2- Prof. Kaddi Abdelmajid ((School of Commerce, Algiers University ).
- 3- Prof. Dabla Abdelali (Sociology, Basekra University).
- 4- Prof. Belaid Salah (Arabic Literature, Tizi Ouazou University).
- 5- Dr. Ben Hamou Mohamed (Arabic Literature, Bachar University).

- 6- Prof. ZairiBelkasssem (School of Commerce, OranUniversity).
- 7- Prof. RachidBousaada (Sociology, BouzareahUniversity).
- 8- Prof. DraouchRabbah (Sociology, BlidaUniversity).
- 9- Prof. RabahAbdelaalhS'rir (School of Administration, AlgiersUniversity).
- 10-Prof. AdmaneMerizzeg (School of Finance, AlgiersUniversity).
- 11-Prof. Bousaada Omar (School of Communication, AlgiersUniversity).
- 12-Prof. KhaouadjaAbdelazziz (Sociology, GhardaiaUniversity).
- 13-Prof. BouhaniaKaoui (Political Sciences, OuarglaUniversity).
- 14-Prof. DablaFateh (School of Commerce, BaskraUniversity).
- 15-Prof.DjbailiNourdinne (Psychology, Batna University).

**Third :from Universities outside Algeria:**

- 01-Prof. KhalougAga (Islamic Jurisprudence, Islamic InternationalUniversity of Jordan).
- 02-Prof.Walid AlOumari (Political Sciences, HoucienIbenTalal University, Jordan).
- 03-Prof. Fouad Krichan (School of Commerce and Administration, HoucienIbenTalalUniversity , Jordan).
- 04-Prof. Abdel-Aziz AbouNabaa (School Administration, Jordan).
- 05-Prof. Mohamed FalihLahniti (School of Administration, Jordan).
- 06-Prof. Hecien Al Aiid( International Relations, HoucienIbenTalalUniversity, Jordan).
- 07-Prof. Said Ouekil (Management, KingFahdUniversity, Saudia Arabia).
- 08-Prof. HoucienAlaoui Al Taii (Islamic University, Bagdad)
- 09-Prof. Saif Al Dine Hamdatou, (Law, North Soudan)
- 10-Prof. Aoued Ibrahim (Communication, the InternationalAfricanUniversity, North Soudan).
- 11-Prof. Khaled Ahmed Ismail (WestKordofaneUniversity, NorthUniversity).
- 12-Prof. Abdlel Hakim Nasir Alashawi (Geography, Taaz University, Yemen).
- 13-Prof. DaoudAlhadibbi (Finance&Administration, Yemen)
- 14-DjamelHalawa (Business Administration, Al QoudsUniversity, Palestine).
- 15-Prof. Mohamed TawfikRamadane (Islamic Banking, Syria)
- 16-Prof. SouleimaneAbdRabah Mohamed (Leadership Studies, Bahrain).
- 17-Prof. Zaradani Hassan (Law, Moroco).
- 18-Prof. Ben BelkasssemLahbib (Media and Communication, Tunisia).



Index:

<b>01</b>	Khelladi Sid Ahmed Hattab Mohammed	Le rôle de l'enseignant et sa gestion dans la classe de troisième année moyenne	<b>01-11</b>
-----------	---------------------------------------	---	--------------





# REVUE EL-HAKIKA

Revue Académique Editée par l'université AHMED DRAIA d'Adrar - Algérie



UNIVERSITÉ AHMED DRAIA - ADRAR - ALGERIE

**Numéro : 35**

**Décembre 2015**

Dépôt légal : 363 / 2003 - ISSN 1112 - 4210